# ...<{ تحفةُ الأريــب .. في نُصرة الحبيب }>...

أحمد بن محمد السعيد العزيزي

بسم الله الرحمن الرحيم

لا حول ولا قوة.. إلا بالله العلىّ العظيم

إهداء ....

وحسن ثناء إلى أعضاء ورواد غرفة ( معاً لنصرة الرسول صلى الله عليه وسلم ) ببرنامج الإنسبيك.
إلى شيخنا المبارك : القلب الكبير .. شفاه الله تعالى وكساه سربال العافية والستر ...
إلى أخى الحبيب ... إنسان .. رُزقنا وإياه رضا الملك الديّان
إلى الأخوين الحبيبين: هشام .. وفل الجنان ..
إلى الأخوة الأحبة : أبو سعود ومهدى وعلى وإمعاشى وصلاح الدين وأحمد علوان والمحب لله وحمدون الباحث عن أفضل الأخبار... فيستهدى بطريق الصحب الأخيار أتباع نبينا المختار صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .
إلى شيوخي وأساتذتي: تيجان الرؤوس وشامات الهدى وفقنا الله وإياهم لإستهداء الدرب .
الشيخ فريد حفظه الله ورعاه .. الشيخ خالد المدني وفقه الله لرضاه..الشيخ الباحث ســـدد الله على درب الحق خـطاه .. أبو مصعب أكرمه الله وحماه ..ودرب الجنان رزقه الله شفاعة العدنان . والشيخ جاويش و الشيخ إستيودنت والشيخ مجدي صقر والشيخ أسد الهاشمي والشيخ عكاشة والشيخ أسد السنة والشيخ أحمد فرحات
إلى موالينا فى الحق أتباع الصحب : إخوتى أنصار غرفة آل بيت رسول الله تنزلت عليهم وعلينا رحمات الله وعلى الآل والصحب ومن والآه خير بشري سعى لغايته ومبتغاه صلى الله عليك يا حبيب الله .
إلى أساتذتي ورفقتي أسأل الله أن يوفقنا وإياهم للخير والحق .
الحبيب طارق والحبيب أموني والحبيب وليد والحبيب باغي الجنة والحبيب عابر سبيل والحبيب القلب الأبيض والحبيب أنصار والأحبة محارب أسد ومحب الرسول وأبا حفص والإمام الساجد
إلى الأخوات قرينات الستر والعفاف ..
الإسراء والمتوكلة وأم سراج وغِراس الجنة ومحبة السلف وأمة الرحمن وأم عبد الله وبشاير الخير وجويرية وأنا الفقيرة والفقيرة لله وحسبي ربي
إلى الأخوات أمة جامعة وأحب رسول الله والخاشية ومحبة رسول الله وأهل المسك وسوسنة الإسلام ونادية الإسلام و روفيدة ودانية.
إلى أخى الحبيب : إبراهيم . وأخي الهدهد وأخي أحمد وأخي الساجد لله وأخي حامل المسك وأخي سامحنا وأخي الشريف أبو عمر ومازن وعبد الجبار
إلى كل رواد غرفتنا وملتقانا .. معاً لنصرة الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) ....

المقدمة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .
ثم أما بعد :

فى ذات صباح كئيب طالعتنا أكئب مستحدثات العصر ونميمة عِليةٌ القوم ... الصحافة .. تلك المزعومة زروأ أنها منبر الحريات ومصدر عزة البلاد فمنها جاءتنا الويلات تنزلت عليها صواعق النكبات .. كلاب الدنمارك تعوي فلا نطلق إلا الصيحات والشجب والاستنكارات .. عجبي ..هل أمتي تعانى السكرات ؟ هل أصاب أمتي الوهن إلى هذه الدرجة التى كشفت أن مصالح الدنيا عند الحكام والكثير من المحكومين مقدمة على الغضب لخاتم النبيين على الوجه الذى يرضى رب العالمين ؟
أين المليار والنصف ؟
هل سينال شفاعته من لم ينتصر له ؟
هل سينال شفاعته من لم يدعوا إلى ما دعى إليه ؟
أين مليون مسلم منّا يغضب لرسول الله حقاً ؟
هل تيقنتم أبناء أمتى أن الغرب يختبركم فى أهم شعائركم حب الله والرسول ؟
من كل الدول الإسلامية جميعها ما يغضب منها إلا حاكم واحد فقط ؟!!!
فيطرد السفير ويقول لن أسمح أن يدنس دانماركى أرض السودان وما قالها إلا ابتغاء رضا الملك الديان ... فجزاك الله خيراً يا حاكم السودان .. جزيت خيراً لنصرتك لخير الأنام .

ألفه ورتبه
الفقير لعفو سيده
أبوكفاح الدين
أحمد بن محمد السعيد العزيزي
سبط الإمام تقي الدين أبى الفتح القشيرى
الشهير بابن دقيق العيد .. رحمه الله تعالى
مصر حرسها وأهلها المهيمن جل فى علاه
يوم الأحد الموافق :-
٢٢ من شهر صفر عام ١٤٢٩ هجرياً
١ من شهر مارس عام ٢٠٠٨ ميلادياً

# الفصل الأول : رحمة الله للعالمين

{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }الأنبياء١٠٧

وما أرسلناك - أيها الرسول - إلا رحمة لجميع الناس، فمن آمن بك سَعِد ونجا، ومن لم يؤمن خاب وخسر.

الحديث عن العظماء يأخذ بمجامع القلوب و تشرأب إليه أعناق أولي النهى تزدان بسيرهم المجالس و تعطر بأخبارهم الأندية و يتوق إلى معرفة سيرهم أصحاب الهمم و عشاق المعالي فما بالكم إخوتي إذا كان الحديث عن إمام العظماء و أشرف الشرفاء و سيد النبلاء ما بالكم إذا كان الحديث عن البدر يسري بضوئه متعة للسامرين و دليلاً للحائرين بل هو الشمس تهدي نورها وجه الأرض فيتلألأ ضياء و نوراً

ولد الهدى فالكائنات ضياء *** وفم الزمان تبسم و ثناء
الروح و الملأ الملائك حوله *** للدين و الدنيا به بشراء
و الوحي يقطر سلسلاً من سلسل *** و اللوح و القلم البديع رواء
يوم يتيه على الزمان صباحه *** و مساءه بمحمد وضاء
بك بشر الله السماء فزينت *** و تضوعت مسكاً بك الغبراء
يا من له الأخلاق ما تهو العلا *** منها و ما يتعشق الكبراء
زانتك في الخلق العظيم شمائل *** يغرى بهن و يولع الكرماء

حديثنا عن الشمس التي أشرقت فعمت بنورها الكون كله و لكن البون بينها وبين شمسنا شاسع جداً فشمسنا تغرب و شمسه صلى الله عليه و سلم تبقى منيرة إلى قيام الساعة قال تعالى :
(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً *وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً )الأحزاب٤٦ و قال تعالى : (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ )المائدة١٥

قال الإمام الطبري رحمه الله : { من الله نور } يعني بالنور محمدا صلى الله عليه وسلم الذي أنار الله به الحق وأظهر به الإسلام ومحق به الشرك فهو نور لمن استنار به...] تفسير الطبري ج٤صـ٥٠١-
عن عرباض بن سارية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إني عبد الله وخاتم النبيين فذكر فيه إن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم رأت حين وضعته نورا أضاءت منه قصور الشام )
قال: شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح لغيره قال جابر رضي الله عنه : ( رأيت رسول الله في ليلة أضحيان - أي ليلة مضيئة لا غيم فيها - فجعلت أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم و إلى القمر و عليه حلة حمراء فإذا هو أحسن عندي من القمر ) رواه الترمذي
عن أنس بن مالك قال : لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء ولما نفضنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الأيدي وإنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا) رواه الترمذي و قال الألباني: صحيح
حديثنا أيها الكرام عن السراج المنير الذي امتن الله به علينا فأنار القلوب بعد ظلمتها و أحياها بعد مواتها و هداها بعد ضلالتها و أسعدها بعد شِقوتها فكان صلى الله عليه و سلم الصباح بعد ليل طويل مظلم بهيم :

بزغ الصباح بنور وجهك بعدما *** غشت البرية ظلمة سوداء
فتفتقت بالنور أركان الدجى *** و سعى على الكون الفسيح ضياء
و مضى السلام على البسيطة صافياً *** تروى به الفيحاء و الجرداء
حتى صفت للكون أعظم شرعة *** فاضت بجود سخائها الأنحاء

يا سيد الثقلين يا نبع الهدى *** يا خير من سعدت به الأرجاء
حديثنا عن الرحمة المهداة و النعمة المسداة كنا على شفا حفرة من النار فأنقذنا الله به .
حديثنا عنه وعن أمته وكيف تنتصر هذا الزمان له .
أروع قصص الحب .. في رسول الهدى

القصة الأولى : الجذع يحن

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال :

( كان المسجد مسقوفا على جذوع من نخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم إلى جذع منها فلما صنع له المنبر وكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها فسكنت ) رواه البخاري

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة فقالت امرأة من الأنصار أو رجل يا رسول الله ألا نجعل لك منبرا قال إن شئتم فجعلوا له منبرا فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر فصاحت النخلة صياح الصبي ثم نزل النبي صلى الله عليه وسلم فضمها إليه تئن أنين الصبي الذي يسكن قال: كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها ) رواه البخاري
و زاد في سنن الدارمي بسند صحيح قال :
( أما و الذي نفس محمد بيده لو لم التزمه لما زال هكذا إلى يوم القيامة حزناً على رسول الله صلى الله عليه و سلم ) فأمر به فدفن ،

كيف ترقى رقيك الأولياء *** يا سماء ما طاولتها سماء
إنما مثلوا صفاتك للناس *** كما مثّلَ النجومَ الماءُ
حن جذع إليك و هو جماد *** فعجيب أن يجمد الأحياء
كان الحسن رحمه الله يقول : يا معشر المسلمين الخشبة تحن إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم شوقاً إلى لقائه فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه .
عن عمرو بن سواد عن الشافعي رحمه الله : ما أعطى الله نبياً ما أعطى محمداً فقلت : أعطى عيسى إحياء الموتى . قال: أعطى محمداً حنين الجذع حتى سمع صوته فهذا أكبر من ذلك .
يحن الجذع من شوق إليك **** و يذرف دمعه حزناً عليك
و يجهش بالبكاء و بالنحيب **** لفقد حديثكم و كذا يديك
فمالي لا يحن إليك قلبي **** و حلمي أن أقبل مقلتيك
و أن ألقاك في يوم المعاد **** و ينعم ناظري من وجنتيك
فداك قرابتي و جميع مالي **** و أبذل مهجتي دوماً فداك
تدوم سعادتي و نعيم روحي **** إذا بذلت حياتي في رضاك
حبيب القلب عذر لا تلمني **** فحبي لا يحق في سماك
ذنوبي أقعدتني عن علو **** و أطمع أن أقرب من علاك
لعل محبتي تسمو بروحي **** فتجبر ما تصدع من هواك

## القصة الثانية : الحمامة تشتكي :

عبد الله بن مسعود عن أبيه رضي الله عنه قال :
كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ومررنا بشجرة فيها فرخا حمرة فأخذناهما قال فجاءت الحمرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تصيح فقال النبي صلى الله عليه وسلم: من فجع هذه بفرخيها ؟ قال فقلنا نحن قال فردوهما)
رواه أبو داود والحاكم و قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه

جاءت إليك حمامة مشتاقة *** تشكو إليك بقلب صب واجف
من أخبر الورقاء أن مقامكم *** حرم و أنك منزل للخائف

## القصة الثالثة : الجمل يبكي :

عن عبد بن جعفر قال :
(أردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه ذات يوم فأسر إلي حديثا لا أحدث به أحدا من الناس وكان أحب ما استتر به رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته هدفا أو حايش نخل فدخل حائطا لرجل من الأنصار فإذا فيه ناضح له فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم حن وذرفت عيناه فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح ظفراه وسراته فسكن فقال: من رب هذا الجمل ؟ فجاء شاب من الأنصار فقال أنا فقال: ألا تتقى الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها فإنه شكاك إلي وزعم أنك تجيعه وتدئبه)
رواه الإمام أحمد قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم.
عن يعلى بن مرة الثقفي رضي الله تعالى عنه قال: ثلاثة أشياء رأيتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا نحن نسير معه إذ مررنا ببعير يسنى عليه قال فلما رآه البعير جرجر فوضع جرانه فوقف عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال (أين صاحب هذا البعير )فجاءه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ( بعنيه) قال : بل نهبه لك وإنه لأهل بيت مآلهم معيشة غيره قال : (أما إذ ذكرت هذا من أمره فإنه شكا كثرة العمل وقلة العلف فأحسنوا إليه ) قال: ثم سرنا حتى نزلنا منزلا فنام النبي صلى الله عليه وسلم فجاءت شجرة تشق الأرض حتى غشيته ثم رجعت إلى مكانها فلما استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت له فقال : ( هي شجرة استأذنت ربها في أن تسلم على رسول الله فأذن لها ) قال ثم سرنا فمررنا بماء فأتته امرأة بابن لها به جنة فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بمنخره ثم قال: (اخرج إني محمد رسول الله ) قال ثم سرنا فلما رجعنا من مسيرنا مررنا بذلك الماء فأتته المرأة بجزر ولبن فأمرها أن ترد الجزر وأمر أصحابه فشربوا اللبن فسألها عن الصبي فقالت والذي بعثك بالحق ما رأينا منه ريبا بعدك ) . قال الهيثمي :رواه أحمد بإسنادين والطبراني بنحوه وأحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح و صححه الألباني.

## القصة الرابعة : الجبل يهتز فرحاً برسول الله صلى الله .

عن أنس رضي الله عنه قال صعد النبي صلى الله عليه و سلم جبل أحد و معه أبو بكر و عمر و عثمان رضي الله عنهم فرجف بهم الجبل ، فقال : ( اثبت أحد فإنما عليك نبي و صديق و شهيدان )
رواه البخاري
قال بعض الدعاة و إنما اهتز فرحاً و طرباً و شوقاً للقاء رسول الله صلى الله عليه و سلم و صحبه
لا تلوموا أحداً لاضطراب *** إذ علاه فالوجد داءُ

أُحد لا يلام فهو محبٌ *** ولكم أطرب المحب لقاءُ

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلع له أحد فقال : ( هذا جبل يحبنا ونحبه اللهم إن إبراهيم حرم مكة وإني أحرم ما بين لابتيها) رواه البخاري

## القصة الخامسة : الطعام و الحجر يسبح

روى علقمة عن عبد الله قال إنكم تعدون الآيات عذابا وإنا كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بركة لقد كنا نأكل الطعام مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن نسمع تسبيح الطعام قال وأتي النبي صلى الله عليه وسلم بإناء فوضع يده فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فقال النبي صلى الله عليه وسلم (حي على الوضوء المبارك والبركة من السماء حتى توضأنا كلنا )رواه الترمذي و قال: هذا حديث حسن صحيح

عن أبي ذر رضي الله عنه قال :" إني لشاهد عند رسول الله في حلقة وفي يده حصى فسبحن في يده وفينا أبو بكر وعمر وعثمان وعلي فسمع تسبيحهن من في الحلقة ". أخرجه الطبراني في الأوسط مجمع البحرين، والبزار وإسناد الطبراني صحيح رجاله ثقات .

لئن سبحت صم لجبال مجيبــه *** لداود أو لان الحديد المصفح
فإن الصخور الصُـــمَّ لانت بكفه *** و إن الحصا في كفه ليسبِّـح
وإن كان موسى أنبع الماء من العصـا *** فمن كفه قد أصبح الماء يطفح

## القصة السادسة: الحجر و الشجر يسجد :

عن ابن عباس قال : جاء رجل من بني عامر إلى النبي صلى الله عليه وسلم كأنه يداوي ويعالج فقال : يا محمد إنك تقول أشياء هل لك أن أداويك ؟ قال : فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الله ثم قال : ( هل لك أن أريك آية ) ؟ وعنده نخل وشجر فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عذقا منها فأقبل إليه وهو يسجد ويرفع رأسه ويسجد ويرفع رأسه حتى انتهى إليه صلى الله عليه وسلم فقام بين يديه ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( ارجع إلى مكانك ) فقال العامري : والله لا أكذبك بشيء تقوله أبدا ثم قال : يا آل عامر بن صعصعة والله لا أكذبه بشيء) رواه ابن حبان و قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح

و في قصة رحلته صلى الله إلى الشام التي رواها الترمذي و صححها الألباني قال الراهب : ( هذا سيد العالمين بعثه الله رحمة للعالمين . فقال له أشياخ من قريش ما علمك ؟ فقال : إنكم حيث أشرفتم من العقبة لم يبق شجر و لا حجر إلا خر ساجدا و لا يسجدون إلا لنبي و إني لأعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه ...الحديث

أكرم بَخَلق نبي زانه خُلق *** بالحق مشتملٍ بالبشر مُتّسم
كالزهر في ترفٍ والبدر في شرفٍ *** والبحر في كرم والدهر في هِمَم
جاءت لدعوته الأشجار ساجدة *** تمشي إليه على ساقٍ بلا قدم
ياربّ أزكى صلاةٍ منك دائمة *** على النبي بمنهَلٍّ ومنسجم
مارنّحت عذبات البان ريح صبا *** وأطربت نغمات الآي من أمم

## القصة السابعة : الشجر يطيع النبي و يسارع إلى إجابته و يستأذن في السلام عليه

و عن يعلى بن مرة عن أبيه قال : سافرت مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فرأيت منه شيئاً عجباً ، نزلنا منزلاً ، فقال انطلق إلى هاتين الشجرتين ، فقل إن رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول( لكما أن تجتمعا )، فانطلقت فقلت لهما ذلك ، فانتزعت كل واحدة منهما من أصلها فمرت كل واحدة إلى صاحبتها فالتقيا جميعاً ، فقضى رسول الله حاجته من ورائها ثم قال : انطلق فقل لهما : (لتعد كل واحدة إلى مكانها )، فأتيتهما فقلت ذلك لهما ، فعادت كل واحدة إلى مكانها ، و أتته امرأة ، فقالت إن ابني هذا به لمم ـ مس من الجن ـ منذ سبع سنين يأخذه كل يوم مرتين ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : ( أدنيه ) فأدنته منه فتفل في فيه ، و قال :( أخرج عدو الله أنا رسول الله ثم قال لها رسول الله إذا رجعنا فأعلمينا ما صنع) ، فلما رجع رسول الله استقبلته و معها كبشان و أقط و سمن ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه و سلم : (خذ هذا الكبش و اتخذ منه ما أردت) ، قالت و الذي أكرمك ما رأينا شيئاً منذ فارقتنا ، ثم أتاه بعير ، فقام بين يديه ، فرأى عيناه تدمعان ، فعث إلى أصحابه ، فقال : ما البعير كم هذا البعير يشكوكم ؟ فقالوا : كنا نعمل عليه ، فلما كبر و ذهب عمله تواعدنا عليه لننحره غداً فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : ( لا تنحروه ، و اجعلوه في الإبل يكون معها ) صححه الحاكم و وافق الذهبي و صححه الأرناؤط .

و عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال كنا مع النبي صلى الله عليه و سلم في سفر فأقبل أعرابي فلما دنا قال له رسول الله صلى الله عليه و سلم : ( أين تريد ) قال إلى أهلي قال (هل لك في خير ) قال : ما هو ؟ قال ( تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أن محمداً عبده و رسوله ) قال : من شاهدٌ على ما تقول ؟ قال ( هذه الشجرة ) فدعاها رسول الله صلى الله عليه و سلم و هي بشاطئ الوادي فأقبلت تخد الأرض خداً حتى جاءت بين يديه (فاستشهدها ثلاثاً فشهدت أنه كما قال ثم رجعت إلى منبتها )و رجع الأعرابي فقال (إن يبايعوني آتك بهم و إلا رجعت إليك فكنت معك ) رواه الدارمي .

## الفصل الثاني : أورد إليكم حب الصحابة رضي الله عنهم لرسول الإنسانية صلى الله عليه وسلم

### القصة الأولى : أبو بكر الصديق

عن عروة بن الزبير قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما أخبرني بأشد ما صنعه المشركون برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال بينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه فخنقه به خنقا شديدا فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال (أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ) رواه البخاري

### القصة الثانية : الصديق يبكي فرحاً :

قالت عائشة رضي الله عنها : ( فرأيت أبا بكر يبكي و ما كنت أحسب أن أحداً يبكي من الفرح )

### القصة الثالثة : خشيت ألا أراك

روى الطبراني عن عائشة رضي الله عنها قالت : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه و سلم فقال يا رسول الله إنك لأحب إلي من نفسي و إنك لأحب إلي من ولدي و إني لأكون في البيت فإذكرك فما اصبر حتى أتي فأنظر إليك و إذا ذكرت موتي و موتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين و أني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه و سلم شيئاً حتى نزل جبريل عليه السلم بهذه الآية : ( وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) (النساء:٦٩) قال الهيثمي رجاله رجال الصحيح إلا عبد الله بن عمران و هو ثقة .

### القصة الرابعة : أسألك مرافقتك في الجنة :

عن ربية بن كعب رضي الله عنه : ( كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فأتيته بوضوئه ، و حاجته ، فقال لي : ( سل ) فقلت : أسألك مرافقتك في الجنة . قال : أو غير ذلك ؟ )
قلت : هو ذاك قال : ( فأعني على نفسك بكثرة السجود ) رواه مسلم .

### القصة الخامسة : كل مصيبة بعد جلل

روى ابن جرير الطبري في التاريخ عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بني دينار ، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد ، فلما نُعوا لها قالت : فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : خيرا يا أم فلان . هو بحمد الله كما تحبين قالت : أرنيه حتى أنظر إليه ، فأشير لها إليه حتى إذا رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل . تريد صغيرة .

### القصة السادسة : لا أرضى أن يشاك بشوكة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة رهط سرية عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري جد عاصم بن عمر بن الخطاب فانطلقوا حتى إذا كانوا بالهدأة وهو بين عسفان ومكة ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فنفروا لهم قريبا من مائتي رجل كلهم رام فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم تمرا تزودوه من المدينة فقالوا هذا تمر يثرب فاقتصوا آثارهم فلما رآهم عاصم وأصحابه لجؤا إلى فدفد وأحاط بهم القوم فقالوا لهم : انزلوا وأعطونا بأيديكم ولكم العهد والميثاق ولا نقتل منكم أحدا قال عاصم بن ثابت أمير السرية أما أنا فوالله لا أنزل اليوم في ذمة كافر اللهم أخبر عنا نبيك فرموهم بالنبل فقتلوا عاصما في سبعة فنزل إليهم ثلاثة رهط بالعهد والميثاق منهم خبيب الأنصاري وابن دثنة ورجل آخر فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فأوثقوهم فقال الرجل الثالث هذا أول الغدر والله لا أصحبكم إن في هؤلاء لأسوة يريد القتلى فجرروه

وعالجوه على أن يصحبهم فأبى فقتلوه فانطلقوا بخبيب وابن دثنة حتى باعوهما بمكة بعد وقعه بدر فابتاع خبيبا بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف وكان خبيب هو قاتل الحارث بن عامر يوم بدر فلبث خبيب عندهم أسيرا فأخبرني عبيد الله بن عياض أن بنت الحارث أخبرته أنهم حين اجتمعوا استعار منها موسى يستحد بها فأعارته فأخذ ابنا لي وأنا غافلة حين أتاه قالت فوجدته مجلسه على فخذه والموسى بيده ففزعت فزعة عرفها خبيب في وجهي فقال تخشين أن أقتله ما كنت لأفعل ذلك والله ما رأيت أسيرا قط خيرا من خبيب والله لقد وجدته يوما يأكل من قطف عنب في يده وإنه لموثق في الحديد وما بمكة من ثمر وكانت تقول إنه لرزق من الله رزقه خبيبا فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيب ذروني أركع ركعتين فتركوه فركع ركعتين ثم قال لو لا أن تظنوا أن ما بي جزع لطولتها اللهم أحصهم عددا

ولست أبالي حين أقتل مسلما *** على أي شق كان لله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ *** يبارك على أوصال شلو ممزع

فقتله بن الحارث فكان خبيب هو سن الركعتين لكل امرئ مسلم قتل صبرا فاستجاب الله لعاصم بن ثابت يوم أصيب فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه خبرهم وما أصيبوا وبعث ناس من كفار قريش إلى عاصم حين حدثوا أنه قتل ليؤتوا بشيء منه يعرف وكان قد قتل رجلا من عظمائهم يوم بدر فبعث على عاصم مثل الظلة من الدبر فحمته من رسولهم فلم يقدروا على أن يقطعوا من لحمه شيئا " . أخرجه البخاري و النسائي و أبو داود

و في بعض الروايات : فقال له أبو سفيان( أيسرك أن محمدا عندنا نضرب عنقه وإنك في أهلك ؟ فقال لا والله ما يسرني إني في أهلي وأن محمدا في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه )

### القصة السابعة : الصديق يتمنى سرعة اللحاق

عن عائشة رضي اله عنها قالت : إن أبا بكر رضي الله عنه لما حضرته الوفاة قال : ( أي يوم هذا ؟ ) قالوا يوم الاثنين ) قال : ( فإن مت من ليلتي فلا تنتظروا بي الغد فإن أحب الأيام و الليالي إليّ أقربها من رسول الله صلى الله عليه و سلم ) رواه أحمد صححه ( علامة الأمة في زمن الغمة ) أحمد شاكر رحمه الله تعالى .

### القصة الثامنة : لا يخلص إلى رسول صلى الله عليه وسلم وفيكم عين تطرف

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : بعثني رسول الله (( صلى الله عليه وسلم)) يوم أحد أطلب سعد بن الربيع فقال لي إن رأيته فأقرئه مني السلام وقل له يقول لك رسول الله (( صلى الله عليه وسلم)) كيف تجدك ؟ قال فجعلت أطوف بين القتلى فأتيته وهو بآخر رمق وبه سبعون ضربة ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم فقلت يا سعد إن رسول الله ( صلى الله عليه وسلم) يقرأ عليك السلام ويقول لك أخبرني كيف يجدك ؟ فقال وعلى رسول الله ( صلى الله عليه وسلم) السلام قل له يا رسول الله أجد ريح الجنة . وقل لقومي الأنصار لا عذر لكم عند الله أن يخلص إلى رسول ( صلى الله عليه وسلم) وفيكم عين تطرف ، وفاضت روحه من وقته ) رواه البخاري، ٨٤٤، ومسلم ٣٤٠٨.

### القصة التاسعة : غداً ألقى الأحبة

عندما احتضر بلال رضي الله عنه قالت امرأته: واحزناه فقال: (بل وآ طرباه غدا نلقى الأحبة محمدا وصحبه) فمزج مرارة الموت بحلاوة الشوق إليه صلى الله عليه و سلم .

### القصة العاشرة : أطيب الطيب

عن أنس رضي الله عنه: دخل علينا النبي صلى الله عليه وسلم فقال عندها (أي من القيلولة) فعرق وجاءت أمي بقارورة، فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ فقال: يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين؟ قالت: هذا عرقك نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب ". رواه مسلم .

### القصة الحادية عشر : ابن الزبير يشرب الدم

كان النبي صلى الله عليه وسلم قد احتجم في طست فأعطاه عبد الله بن الزبير ليريقه فشربه فقال

له: (لا تمسك النار إلا تحلة القسم، وويل لك من الناس، وويل للناس منك).
وفي رواية: أنه قال له: ( يا عبد الله اذهب بهذا الدم فأهريقه حيث لا يراك أحد ) فلما بعُد عمد إلى ذلك الدم فشربه، فلما رجع قال: (ما صنعت بالدم؟ ) قال: إني شربته لأزداد به علماً وإيماناً، وليكون شيء من جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم في جسدي، وجسدي أولى به من الأرض فقال: (أبشر لا تمسك النار أبداً، وويل لك من الناس وويل للناس منك) رواه الحاكم و الطبراني وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح غير هنيد بن القاسم و هو ثقة.

القصة الثانية عشر : نحري دون نحرك

كان أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه يحمي رسول الله صلى الله عليه و سلم في غزوة أحد و يرمي بين يديه ، و يقول ( بأبي أنت و أمي يا رسول الله لا تشرف يصيبك سهم من سهام القوم نحري دون نحرك ) رواه البخاري
و عن قيس بن أبي حازم قال : ( رأيت يد طلحة شلاء ، وقى بها النبي صلى الله عليه و سلم يوم أحد ) رواه البخاري.

القصة الثالثة عشر : آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك

روى ابن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل صفوف أصحابه يوم بدر وفي يده قدح يعدل به القوم فمر بسواد بن غزية حليف بني علي ابن النجار وهو مستنتل من الصف فطعن في بطنه بالقدح وقال: استو يا سواد فقال يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فاقضني فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه فقال : استقض قال فاعتنقه فقبل بطنه فقال : ما حملك على هذا يا سواد ؟ قال يا رسول الله حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير ] رواه ابن إسحاق و قال الهيثمي في المجمع رواه الطبراني و رجاله ثقات .

القصة الرابعة عشر : وما كنت أطيق أن أملأ عيني

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه: (... وما كان أحد أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجل في عيني منه وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه ...) رواه مسلم

القصة الخامسة عشر: رضينا برسول الله قسما وحظا

عن أبي سعيد الخدري قال : لما أعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى من تلك العطايا في قريش وقبائل العرب ولم يكن في الأنصار منها شيء وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم حتى كثرت فيهم القالة حتى قال قائلهم لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه فدخل عليه سعد بن عبادة فقال يا رسول الله إن هذا الحي قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب ولم يكن في هذا الحي من الأنصار شيء قال : فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ قال: يا رسول الله ما أنا الا امرؤ من قومي وما أنا قال : فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة قال : فخرج سعد فجمع الناس في تلك الحظيرة قال فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا وجاء آخرون فردهم فلما اجتمعوا أتاه سعد فقال : قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار قال : فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو له أهل ثم قال : يا معشر الأنصار مقالة بلغتني عنكم وجدة وجدتموها في أنفسكم ألم آتكم ضلالا فهداكم الله وعالة فأغناكم الله وأعداء فألف الله بين قلوبكم قالوا : بل الله ورسوله أمن وأفضل قال : ألا تجيبونني يا معشر الأنصار قالوا : وبماذا نجيبك يا رسول الله ولله ولرسوله المن والفضل قال : أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم وصدقتم أتيتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك وطريدا فآويناك وعائلا فأغنيناك أوجدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله صلى

الله عليه وسلم في رحالكم فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ولو سلك الناس شعبا وسلكت الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار قال فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا رضينا برسول الله قسما وحظا ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقنا ) رواه الإمام أحمد وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن فتأمل أخي المبارك إلى فرح الأنصار بفوزهم برسول الله قسماً تأمل إلى بكاء الفرح و هم يقولون بقلوبهم قبل ألسنتهم (رضينا برسول الله قسما وحظا )

طفح السرور علي حتى أنني *** من كثر ما قد سرني أبكاني

القصة السادسة عشر: عشر إليهم يحن قلبي

عن عبدة بنت خالد بن معدان قالت : [ ما كان خالد يأوي إلى فراش إلا و هو يذكر من شوقه إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و إلى أصحابه من المهاجرين و الأنصار يسميهم و يقول : هم أصلي و فصلي و إليهم يحن قلبي طال شوقي إليهم فعجل ربي قبضي إليك حتى يغلبه النوم ]

القصة السابعة عشر: البكاء عند ذكر النبي صلى الله عليه و سلم :

قال إسحاق التجيبي : كان أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم بعده لا يذكرونه إلا خشعوا و اقشعرت جلودهم و بكوا

و قال مالك ـ وقد سئل عن أيوب السختياني : [ ما حدثتكم عن أحد إلا و أيوب أفضل منه : و قال : وحج حجتين فكنت أرمقه و لا أسمع منه غير أنه كان إذا ذكر النبي صلى الله عليه و سلم بكى حتى أرحمه ] .

وقال مصعب بن عبد الله : [ كان مالك إذا ذكر النبي صلى الله عليه و سلم يتغير لونه و ينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل له يوما في ذلك فقال لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم علي ما ترون و لقد كنت أرى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نسأله عن حديث أبدا إلا يبكي حتى نرحمه ] . الشفا ج٢صـ٣٢

القصة الثامنة عشر: أعطني عينيك أقبلها

قال ثابت البناني لأنس بن مالك رضي الله عنه : أعطني عينيك التي رأيت بهما رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى أقبلها .

حُق له أن يُحب

لماذا كل هذا الحب ؟ سؤال يطرح و يكرر فإنه حب لم يشهد الكون علويه و سفليه مثله . رجل كل شيء في الكون يحبه السماء بمن فيها و الأرض بمن عليها كل يحبه و يشتاق إليه فما أعظمه من رجل و ما أجله من نبي و أعزه من رسول صلى الله عليه و سلم .

كأن الثريا علقت في جبينه *** و في جيده الشِّعرى و في وجهه القمرُ
عليه جلال المجد لو أن وجهه *** أضاء بليلٍ هلَّل البدو و الحضرُ

لقد نال صلى الله عليه و سلم كل هذا الحب و هو قليل في حقه لأنه جمع خصال و صفات لم ولن تجتمع في غيره من بني البشر و لعلي ألمح في السطور القادمة إلى بعض ذلك مع عجزي عن ذكر عُشر المعشار من عظيم ما حباه الله إياه من جميل الصفات و كريم الخصال صلوات ربي و سلامه عليه .

أولاً : عظم بركته و خيره صلى الله عليه و سلم على جميع المخلوقات :

فقد كان مولده صلى الله عليه و سلم بشارة خير و نور و بكرة و ضياء للكون بأسره فقد رأت أمه حين وضعته نوراً أضاءت منه قصور الشام ، و جاء صلى الله عليه و سلم بالدين الذي إذا أقيم واقعاً في الحياة صبت السماء بركاتها و أخرجت الأرض خيراتها ( وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا

عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ) الأعراف٩٦
فما أعظم بركاته عليه الصلاة و السلام بركات ينعم بها الطير و الحيوان و الدواب و النبات و الإنسان . فأقل ما تهبه هذه المخلوقات لهذا النبي صلى الله عليه و سلم الحب الصادق فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان .

ثانياً : عظيم رحمته صلى الله عليه و سلم بجميع المخلوقات :

يقول الله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ) الأنبياء١٠٧ و قال تعالى : ({فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ )آل عمران١٥٩

يقول سيد قطب رحمه الله [ فهي رحمة الله التي نالته ونالتهم ؛ فجعلته صلى الله عليه و سلم رحيما بهم ، لينا معهم . ولو كان فظا غليظ القلب ما تألفت حوله القلوب ، ولا تجمعت حوله المشاعر . فالناس في حاجة إلى كنف رحيم ، وإلى رعاية فائقة ، وإلى بشاشة سمحة ، وإلى ود يسعهم ، وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم . . في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء ؛ ويحمل همومهم ولا يعنيهم بهمه ؛ ويجدون عنده دائما الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضاء . . وهكذا كان قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهكذا كانت حياته مع الناس . ما غضب لنفسه قط . ولا ضاق صدره بضعفهم البشري . ولا احتجز لنفسه شيئا من أعراض هذه الحياة ، بل أعطاهم كل ما ملكت يداه في سماحة ندية . ووسعهم حلمه وبره وعطفه ووده الكريم . وما من واحد منهم عاشره أو رآه إلا امتلأ قلبه بحبه ؛ نتيجة لما أفاض عليه صلى الله عليه وسلم من نفسه الكبيرة الرحيبة ] الظلال ج١صـ.

و قد عمت رحمته و شمل إحسانه صلى الله عليه و سلم كل شيء الطير و الحيوان والنمل و الشجر و الإنسان ألم يقل صلى الله عليه و سلم : ( إن الله عز وجل كتب الإحسان على كل شيء . فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة . وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح . وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته ) رواه ابن ماجه و صححه الألباني رحمه الله

ألم يقل صلى الله عليه و سلم ( في كل ذات كبد رطب أجر ) رواه مسلم ألم يوصي صلى الله عليه و سلم بالبهائم فقال : ( اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة ) رواه أبو داود

و رأى صلى الله عليه و سلم قرية من النمل قد حرقت قال : ( من حرق هذه ) فقلنا نحن قال : ( إنه لا ينبغي لأحد أن يعذب بالنار إلا رب النار ) رواه أبو داود و أحمد .

ألم يقل صلى الله عليه و سلم : (إن قامت على أحدكم القيامة وفي يده فسلة فليغرسها) قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح

ألم يقل: ( الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء ) رواه أبو داود و صححه الألباني.

فما أعظم رحمته صلى الله عليه و سلم فقد كان أرحم بنا من الآباء و الأمهات و صدق من قال:

و إذا رحمت فأنت أم أو أبٌ *** هذان في الدنيا هم الرحماء
وإذا سخوت بلغت بالجود المدى *** و فعلت ما لم تفعل الأنواء

و صدق صلى الله عليه و سلم حين قال : ( إنما أنا رحمة مهداة ) رواه الحاكم و صححه .

ثالثاً :عظيم حرصه على هداية أمته : وقال تعالى: ( لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ) التوبة ١٢٨

قال الإمام السعدي رحمه الله تعالى :[ هذه المنة التي امتن الله بها على عباده هي اكبر النعم بل اجلها وهي الامتنان عليهم بهذا الرسول الكريم الذي أنقذهم الله به من الضلالة وعصمهم به من التهلكة ] ا.هـ

وروى مسلم عن ابن عمرو: أن رسول الله تلا هذه الآية: ( رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم) و ( إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت

العزيز الحكيم).
فرفع يديه وقال: (اللهم أمتي أمتي وبكى، فقال الله يا جبريل: اذهب إلى محمد وربك أعلم فسله فأتاه جبريل فسأله، فأخبره بما قال: وهو أعلم، فقال الله يا جبريل: اذهب إلى محمد فقال: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك).
وروى البخاري عن أبي هريرة مرفوعاً: (لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي شاملة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً).
لقد وصل به الأمر صلى الله عليه و سلم إلى أن استولت عليه الحسرة و كاد يقتل نفسه حرصاً على أمته حتى عاتبه ربه فقال تعالى : ( فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً ) الكهف٦ و قال عز وجل : ( لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ )الشعراء٣
و قال سبحانه : ( فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ) فاطر٨
و تأمل في عظيم شفقته بأمته حين يضرب هذا المثل عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ( إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها فجعل ينزعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقحمون فيها ) رواه البخاري
قال القاضي عياض رحمه الله : [أما إحسانه و أنعامه على أمته فكذلك قد مر منه في أوصاف الله تعالى له من رأفته بهم و رحمته لهم و هدايته إياهم و شفقته عليهم و استنقاذهم به من النار و أنه بالمؤمنين رؤوف رحيم و رحمة للعالمين و مبشرا و نذيرا و داعيا إلى الله بإذنه و سراجا منيرا و يتلوا عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة و يهديهم إلى صراط مستقيم
فأي إحسان أجل قدرا و أعظم خطرا من إحسانه إلى جميع المؤمنين ؟ و أي أفضال أعم منفعة و أكثر فائدة من إنعامه على كافة المسلمين إذ كان ذريعتهم إلى الهداية و منقذهم من العماية و داعيهم إلى الفلاح و وسيلتهم إلى ربهم و شفيعهم و المتكلم عنهم و الشاهد لهم و الموجب لهم البقاء الدائم و النعيم السرمد
فقد استبان لك أنه صلى الله عليه و سلم مستوجب للمحبة الحقيقية شرعا بما قدمناه من صحيح الآثار و عادة و جبلة بما ذكرناه آنفا لأفاضته الإحسان و عمومه الإجمال فإذا كان الإنسان يحب من منحه في دنياه مرة أو مرتين معروفاً أو استنقذه من هلكة أو مضرة مدة التأذي بها قليل منقطع ـ فمن منحه ما لا يبيد من النعيم و وقاه ما لا يفنى من عذاب الجحيم أولى بالحب
و إذا كان يحب بالطبع ملك لحسن سيرته أو حاكم لما يؤثر من قوام طريقته أو قاص بعيد الدار لما يشاد من علمه أو كرم شيمته ـ فمن جمع هذه الخصال على غاية مراتب الكمال أحق بالحب و أولى بالميل ] الشفا ج٢ صـ٢٤
رابعاً: عظم تضحيته و شدة الأذى الذي لحقه في سبيل تبليغ الدين :
عن عروة أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثته أنها قالت : للنبي صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد ؟ قال ( لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال : يا محمد فقال ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا ) رواه البخاري

و عن عمرو بن ميمون عن عبد الله قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ساجد وحوله ناس إذ جاء عقبة بن أبي معيط بسلى جزور فقذفه على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرفع رأسه فجاءت فاطمة فأخذته من ظهره ودعت على من صنع ذلك وقال : ( اللهم عليك الملأ من قريش : أبا جهل بن هشام و عتبة بن ربيعة و شيبة بن ربيعة و عقبة بن أبي معيط و أمية بن خلف أو أبي بن خلف - شك شعبة - قال : فلقد رأيتهم يوم بدر وألقوا في بئر غير أن أمية تقطعت أوصاله فلم يلق في البئر ) رواه ابن حبان

خامساً : كمال نصحه للأمة.

لقد كان صلى الله عليه وسلم صادق النصح لأمته صلى الله عليه و سلم أفنى عمره دعوة و نصحاً و بيان و بلاغاً فنصح أعظم النصح و بلغ غاية البلاغ من قال الله له : ( يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ *قُمْ فَأَنذِرْ }المدثر ٢ يقول سيد معلقاً على قوله تعالى (قُم) في سورة المزمل :[ إنها دعوة السماء ، وصوت الكبير المتعال . . قم... قم .. . قم للأمر العظيم الذي ينتظرك ، والعبء الثقيل المهيأ لك ...قم للجهد والنصب والكد والتعب . قم فقد مضى وقت النوم والراحة . . قم فتهيأ لهذا الأمر واستعد . .
وإنها لكلمة عظيمة رهيبة تنتزعه صلى الله عليه وسلم من دفء الفراش ، في البيت الهادئ والحضن الدافئ . لتدفع به في الخضم ، بين الزعازع والأنواء ، وبين الشد والجذب في ضمائر الناس وفي واقع الحياة سواء .

إن الذي يعيش لنفسه قد يعيش مستريحا ، ولكنه يعيش صغيرا ويموت صغيرا . فأما الكبير الذي يحمل هذا العبء الكبير . . فماله والنوم ؟ وماله والراحة ؟ وماله والفراش الدافئ ، والعيش الهادئ ؟ والمتاع المريح ؟!

ولقد عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حقيقة الأمر وقدره ، فقال لخديجة - رضي الله عنها - وهي تدعوه أن يطمئن وينام: " مضى عهد النوم يا خديجة " ! أجل مضى عهد النوم وما عاد منذ اليوم إلا السهر والتعب والجهاد الطويل الشاق ! ] الظلال ج٦ ص٣٧٤٤

بل بلغ به الأمر أن يعجز عن الصلاة قائما فعن عبد الله بن شقيق قال قلت لعائشة : ( ... أكان يصلي جالسا قالت بعد ما حطمه الناس ) رواه أحمد و قال شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح .

فما أعظم المنة بمبعثه عليه الصلاة و السلام و صدق الله : (لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ) آل عمران١٦٤و قال تعالى : ( لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ) آل عمران١٦٤

سادساً : عظيم أخلاقه

قال تعالى : ( وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ) القلم٤ .

و عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : ( بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) رواه الحاكم و قال صحيح على شرط مسلم و وافقه الذهبي .

قال الإمام السعدي رحمه الله عند قوله تعالى : { وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ } أي: عاليًا به، مستعليًا بخلقك الذي من الله عليك به، وحاصل خلقه العظيم، ما فسرته به أم المؤمنين، [عائشة -رضي الله عنها-] لمن سألها عنه، فقالت: "كان خلقه القرآن"، وذلك نحو قوله تعالى له: { خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ } { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ } [الآية]، { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ } وما أشبه ذلك من الآيات الدالات على اتصافه صلى الله عليه وسلم بمكارم الأخلاق، [والآيات] الحاثات على الخلق العظيم فكان له منها أكملها وأجلها، وهو في كل خصلة منها، في الذروة العليا، فكان صلى الله عليه وسلم سهلًا لينا، قريبًا من الناس، مجيبًا لدعوة من دعاه، قاضيًا لحاجة من استقضاه، جابرًا لقلب من سأله، لا يحرمه، ولا يرده خائبًا، وإذا أراد أصحابه منه أمرًا وافقهم عليه، وتابعهم فيه إذا لم يكن فيه محذور، وإن عزم

على أمر لم يستبد به دونهم، بل يشاورهم ويؤامرهم، وكان يقبل من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم، ولم يكن يعاشر جليسًا له إلا أتم عشرة وأحسنها، فكان لا يعبس في وجهه، ولا يغلظ عليه في مقاله، ولا يطوي عنه بشره، ولا يمسك عليه فلتات لسانه، ولا يؤاخذه بما يصدر منه من جفوة، بل يحسن إلي عشيره غاية الإحسان، ويحتمله غاية الاحتمال صلى الله عليه وسلم ].

و قال ابن القيم رحمه الله : [ومما يحمد عليه ما جبله الله عليه من مكارم الأخلاق وكرائم الشيم فإن من نظر في أخلاقه وشيمه علم أنها خير أخلاق الخلق وأكرم شمائل الخلق فإنه كان أعلم الخلق وأعظمهم أمانة وأصدقهم حديثا وأحلمهم وأجودهم وأسخاهم وأشدهم احتمالا وأعظمهم عفوا ومغفرة وكان لا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلما

كما روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال في صفة رسول الله في التوراة : (محمد عبدي ورسولي سميته المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله وأفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا)

وأرحم الخلق وأرأفهم بهم وأعظم الخلق نفعا لهم في دينهم ودنياهم وأفصح خلق الله وأحسنهم تعبيرا عن المعاني الكثيرة بالألفاظ الوجيزة الدالة على المراد وأصبرهم في مواطن الصبر وأصدقهم في مواطن اللقاء وأوفاهم بالعهد والذمة وأعظمهم مكافأة على الجميل بأضعافه وأشدهم تواضعا و أعظمهم إيثارا على نفسه وأشد الخلق ذبا عن أصحابه وحماية لهم ودفاعا عنهم وأقوم الخلق بما يأمر به وأتركهم لما ينهى عنه وأوصل الخلق لرحمه فهو أحق بقول القائل :

برد على الأدنى ومرحمة ... وعلى الأعادي مارنٌ جلد]

سابعاً : جمال خلقته عليه الصلاة و السلام :

النفوس مجبولة على حب كل جميل و قد كان صلى الله عليه و سلم أجمل الناس خلقاً و لذا فقد أحبه الناس حباً عظيماً فقد جمع بين جمال الخلقة و الخلق عليه أفضل الصلاة و السلام

فتأمل أخي المبارك في وصف أصحابه له عن أنس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهر اللون كأن عرقه اللؤلؤ إذا مشى تكفأ ولا مسست ديباجة ولا حريرة ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم ) رواه مسلم و معنى ( أزهر اللون ) هو الأبيض المستنير وهو أحسن الألوان

عن البراء قال : ما رأيت أحدا أحسن في حلة حمراء من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجمته تضرب منكبيه ) رواه النسائي وصححه الألباني

عن كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن تبوك قال فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السرور وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه ) رواه البخاري

عن أبي جحيفة قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة إلى البطحاء فتوضأ ثم صلى الظهر ركعتين والعصر ركعتين وبين يديه عنزة . وزاد فيه عون عن أبيه عن أبي جحيفة قال كان يمر من ورائها المرأة وقام الناس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بهما وجوههم قال فأخذت بيده فوضعتها على وجهي فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب رائحة من المسك ) رواه البخاري

عن البراء يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا ليس بالطويل البائن ولا بالقصير) رواه البخاري

عن علي قال : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل ولا بالقصير شثن الكفين والقدمين ضخم الرأس ضخم الكراديس طويل المسربة إذا مشى تكفأ تكفؤا كأنما انحط من صبب لم أر قبله ولا بعده مثله ) رواه الترمذي و صححه الألباني

عن ابن عمر : ما رأيت أحدا أنجد ولا أجود ولا أشجع ولا أضوأ وأوضأ من رسول الله صلى الله

عليه وسلم) رواه الدارمي بسند صحيح .

فهو الذي تم معناه وصورته *** ثم اصطفاه حبيباً بارئُ النَّسمِ
أكرم بخلق نبي زانه خلقٌ *** بالحسن مشتمل بالبشر متسم
كالزهر في ترف والبدر في شرف *** والبحر في كرم والدهر في هِمَمِ

إن نبياً بهذه الصفة و هذه المثابة حق له أن يُحب و أن تتعلق به القلوب و تحن إليه الأفئدة و تحلم برؤيته و تجعل هدفها الأعظم الورود على حوضه وعبور الصراط بمعيته (يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ )التحريم٨

حكم محبة الرسول: محبة النبي صلى الله عليه و سلم واجبة على كل مسلم و مسلمة قال تعالى ( قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ }التوبة٢٤. وفي حديث البخاري عن أبي هريرة مرفوعاً: ((فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)). وروى البخاري عن عبد الله بن هشام: كنا مع النبي وهو آخذ بيده عمر فقال عمر: يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال: ((لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك، قال عمر: فإنه الآن، لأنت أحب إلي من نفسي، فقال: الآن يا عمر)).

اللهم نور قلبي بنورك و عمر قلبي بحبك

^^^^^^^^^^^^

قال تعالى :

(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (آل عمران:١٠٣)

وتمسَّكوا جميعًا بكتاب ربكم وهدي نبيكم، ولا تفعلوا ما يؤدي إلى فرقتكم. واذكروا نعمة جليلة أنعم الله بها عليكم: إذ كنتم -أيها المؤمنون- قبل الإسلام أعداء، فجمع الله قلوبكم على محبته ومحبة رسوله، وألقى في قلوبكم محبة بعضكم لبعض، فأصبحتم -بفضله- إخوانا متحابين، وكنتم على حافة نار جهنم، فهداكم الله بالإسلام ونجَّاكم من النار. وكما بيَّن الله لكم معالم الإيمان الصحيح فكذلك يبيِّن لكم كل ما فيه صلاحكم؛ لتهتدوا إلى سبيل الرشاد، وتسلكوها، فلا تضلوا عنها.

## الفصل الثالث : هذا هو المحبوب يا مُحب

### حديثا عن أروع قصص الحب و لكن من المُحب ؟ و من المحبوب ؟ و ما نوع الحب ؟

أما المُحب فالشجر و الحجر و الجبل و السهل و الحيوان و الطير ، و الحديث عن حب البشر له فشيء آخر و حديث آخر ما بالكم بحب أعين اكتحلت بالنظر إلى وجهه الكريم و آذان تلذذت بسماع حديثه ما بالكم بحب من جالسه و عاشره صلى الله عليه و سلم لا شك أنه حبٌ لم يُشهد مثله على وجه البسيطة.

أما المحبوب فهو خير من مشى على الأرض و خير من طلعت عليه الشمس بل هو شمس الدنيا و ضياؤها بهجتها و سرورها ريقه دواء و نفثه شفاء و عرقه أطيب الطيب أجمل البشر و أبهى من الدرر يأسر القلوب و يجتذب الأفئدة متعة النظر و شفاء البصر إذا تكلم أساخت له لقلوب قبل الأسماع فلا تسل عما يحصل لها من السعادة و الإمتاع كم شفى قلباً ملتاعاً و كم هدى من أوشك على الهلاك و الضياع .

قال ابن الجوزي رحمه الله في وصفه :

( هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ) نذكر فيه فضل نبينا

لم يزل ذكر نبينا منشورا وهو في طي العدم توسل به آدم وأخذ له ميثاق الأنبياء على تصديقه في بعض درسه علم إدريس في ضمن وجده حزن يعقوب في سر جده صبر أيوب في طي خوفه بكاء داود بعض غنى نفسه يزيد على ملك سليمان غير بعيد خل خلاله خلة الخليل ونال تكليم موسى واسترجح له النظر عند قاب قوسين فهو جملة الجمال وكل الكمال وواسطة العقد وزينة الدهر يزيد على الأنبياء زيادة الشمس على البدر والبحر على القطر فهو أصدرهم وبدرهم وعليه يدور أمرهم قطب فلكهم عين كتيبتهم واسطة قلادتهم نقش فصهم بيت قصيدتهم حاتمهم خاتمهم

( شمس ضحاها هلال ليلتها ... در تقاصيرها زبرجدها )

لما رأى تخليط قريش في دعوى الشرك فر في بادية الهرب فتحرى غار حراء في الفرار للفراغ فراغ إليه فجاء مزاحم ( اقرأ ) يا راهب الصمت تكلم قال لسان العجز البشري لست بقارئ فحم لما حم فزمزم بلفظ ( زملوني ) فصاح الملك ( يا أيها المزمل ) يا أطيب ثماركن يا محمولا عليه ثقل قل ( قم )

لما بعث الملِك الملَك إلى نبينا برسالة ( اقرأ ) فتر الوحي بعدها مدة مات قوس الشوق فرمت الكبداء الكبد بكبد أعجز المكابدة فكان يهم لما يلقي بإلقاء نفسه من ذروة الجبل فإذا بدا له جبريل بد له ثم رميت الشياطين عند مبعثه بأسهم الشهب عن قوس ( ويقذفون من كل جانب ) فمروا إلى المغارب ومشوا إلى المشارق ليقطعوا سببسب السبب فجرت ريح التوفيق بمراكب بعضهم إلى تهامة فصادفوه في الصلاة فصادفوه قلوب القوم فصاحت ألسنة الوجد ( إنا سمعنا قرآنا عجبا )

تحركت لتعظيمه السواكن فحن إليه الجذع وسبح الحصى وتزلزل الجبل وتكلم الذئب كل كنى عن شوقه بلغاته فمرضت قريش بداء الحسد فقالوا مجنون يا محمد هذا نقش يرقانهم لا لون وجهك

لما أخذ في سفر ( أسرى ) فنقل إلى المسجد الأقصى برز إليه عباد الأنبياء من صوامعهم فاقتدوا بصلاة راهب الوجود ثم خرج فعرج فعرضت عليه الجنة والنار حتى عرف الطبيب عقاقير الأدوية قبل تركيب الأدوية يا لها من ليلة فل عزب حد سيف ( أتجعل فيها ) ظنت الملائكة أن الآيات تختص بالسماء فإذا آية الأرض قد علت

أقبلت رؤساء الأملاك تحيي الرئيس الأكبر فرأى في القوم ملكا نصفه من ثلج ونصفه من نار فعجب لاجتماع الضدين فقيل لا تعجب فعندك أعجب منه لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا كان جبريل

دليل البادية فلما وصل إلى مفازة ليس فيها علم يعرفه علم ابن أجود أن الصدق أجود فقال ها أنت وربك

فإذا قامت القيامة فموسى صاحبه وعيسى حاجبه والخليل في عسكره وآدم ينادي بلسان حاله يا ولد صورتي ويا والد معناي ما صعد من بحور الأكوان أشرف من درة نبينا طرة غرته أحسن من جمال يوسف لعاب فيه أشفى من البرء شمس شرعه لا يدركها كسوف ناسخ قمر دينه لا يدخل في محاق كل الأنبياء في القيامة تقول نفسي نفسي وهو يقول أمتي أمتي فإذا سجد قيل ارفع رأسك وقل تسمع كم بين ذل محب وادلال محبوب الحيوانات تذل في طلب القوت والفيلة تتملق حتى تأكل يا من هو في جملة جنود هذا الشجاع أيحسن بك كل يوم هزيمة

لولا جد أصحابه في جهادهم وشجاعتهم في صفوف قتالهم لافتضح المتأخرون فالحمد لله على اليزل كانوا بالليل رهبانا وبالنهار فرسانا قطع الرسول طمع من طمع في لحاقهم بحسام ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وكيف تنال مرتبة السابق بشيء وقر في صدره أو منقبة المهيب والعدو يفرق من ظله أو مقام الوقور فالملائكة تستحي منه أو فضيلة مزاحم النفس في منزلة كهارون من موسى يأس والله الكهول من مقارنة سيدي كهول أهل الجنة كما لم تطمع الشباب في مزاحمة سيدي شباب أهل الجنة متى التهبت في صحابة الأنبياء عزيمة كحمرة جمرة حمزة أو علا على العلاء علي كعلاء علي لقد فاز بلقب الصدق طلحة الجود كما سعد بالفضل وحواري الزبير وسما بصلاة النبي خلفه ابن عوف كما قرت بلفظ فداك أبي وأمي عين سعد ونجا بالشهادة له بالجنة سعيد كما عز ابن الجراح بلقب الأمين

ولم يذكر باسمه بالقرآن غير زيد وأين في الموالي مثل سالم وسلمان ومن في الزهاد كمصعب وابن مظعون وأنه لمسعود عبد الله ابن مسعود وطوبى ثم طوبى لخباب وصهيب ويا شرف المؤذنين بصوت بلال ويكفي فخرا كوني بردا لعمار وأي بيت يشبه بيت أبي أيوب ومن زين القراء إلا أبيّ بن كعب ومن في النقباء كابن زرارة وابن الربيع وأني للفقهاء مثل معاذ ومن له زهد كزهد أبي ذر والفخر لبني هاشم بالعباس وكفى للبصراء قائدا ابن أم مكتوم وأنه لقدوة المؤثرين أبو الدحداح ومن في قوام الليل مثل تميم ومن صبر على القتل صبر خبيب كلهم أخيار وجميعهم أبرار ولا مثل صاحب الغار وأين نظير فتّاح الأمصار ومن يشبه قتيل الدار ولقد افتقروا إلى المجاهد بذي الفقار بحب هؤلاء ترجى الجنة وتتقي النار

إن الله تعالى لما حلى محمد حلية التنزه خلع عليه خلعة هي الإسلام وأعطاه منشورا هو القرآن ولواء هو النصر فأبو بكر صدق النبوة وعمر أظهر الرسالة وعثمان جمع المنشور وعلي حمل السيف لما جلا الرسول عروس الإسلام لم يكن بد من نثار نثر عمر نصف ماله فرمي أبو بكر بالكل فقام عثمان يجهز جيش العسرة بوليمة العرس فعلم على حال الغيرة فبت طلاق الضرة ثم رأى بعض جهاز الدنيا المطلقة عنده وهو الخاتم فسلم وما سلم

( خطـوا وأقلامهم خطـية سلب ... فـهم على الخيل أمـيون كتاب )
( أن أحسنوا كلما وأخلولقوا ذمما ... واخشوشنوا شيما فالقوم أعراب )

خلق نبينا من أرضى الأرض أرضا وأصفى الأوصاف وصفا وصين آباؤه من زلل الزنا إلى أن صدفت بتلك الدرة صدفة آمنة فوثبت لرضاعه ثويبة ثم قضت باقي الدين حليمة فقام نباته مستعجلا على سوقه مستعجلا قيام سوقه فنشأ في حجر الكمال كما نشأ فشأى من شأى منشأ

قدمت حليمة والجدب عام في العام فعرض على المرضعات فأبين لليتم فراحت به حليمة إلى حلتها فثاب لبنها ولبن راحلتها فباتوا البركة روائه رواء وهب على مباركهم نسيم نسمة مباركة فلما ظعنت الظعاين أتت اتانها تؤم أمام الركب فلما حلوا حللهم كانت الرعاء تسرح فيعفرها سرحان الجدب وراعي حليمة يعيد الغنم بالغنم

فبينا الصبي مع الصبيان هبت صبا الجبر بجبريل فجاءه فجأة فشق عن القلب ثم شقه وما شق عليه فعلق بيده من باطية باطنه علقة فقال هذا حظ الشيطان وقد قطعنا علقه ثم أعاد قلبه بعد أن قلبه وما به قلبة فبقي أثر المخيط في صدره باقي عمره لإظهار سورة ( ألم نشرح )

فلما بلغ ست سنين ألوى الموت بالوالدة فجد في كفالته الجد ثم طلب الموت عبد المطلب فما أبى الطالب ولا اشتغل بأوصابه حتى أوصى به أبا طالب فخرج به وقد زانه كالتاج تاجرا فتيمم باليتيم منزل تيماء فرآه بحيراء ببحرته فقرأ سمات النبوة من شمايل ( يعرفونه ) فشام برق فضله فلاح من شيمة شامته فقال لعمه احفظ هذه الشامة من شامت

وما زال نشره يضوع ولا يضيع إلى أن تمخضت حامل النبوة في إبان التمام وآثر الطلق طلاق الخلق فتحرى غار حراء للفراغ فراغ إليه الملك فأغار حبل الوصال في ذلك الغار فأفاض عليه حلة ( اقرأ ) فأفاض إلى حلة ( زملوني ) فسكنت خديجة غلته بعلة إنك لتصل الرحم ثم انطلقت به إلى ورقة فقرأ من ورقة سيماه نقش فضله فتيقظ لفهم أمره إذ ناموا فقال هذا الناموس الذي نزل على موسى ولقد عرفه الأحبار في الكنايس والرهبان في الصوامع وانذر به الرئى وأخبر به التابع فكانت تسلم عليه قبل النبوة الأحجار وتبشره بما أولاه مولاه الأشجار وكان خاتم النبوة بين كتفيه وسرايا الرعب تترك كسرى كالكسرة بين يديه ألبس أهاب الهيبة وتوج تاج السيادة وضمخ بأذكى خلوق أزكى الأخلاق واحل دار المدراة واجلس على صفحة الصفح ولقم لقم لقمان الحكيم ووضعت له أكواب التواضع وأديرت عليه كؤوس الكيس متضمنة حلاوة الحلم ختامها مسك النسك وأعطى لقطع مفازة الدنيا جواد الجود ونوول قلم العز

فوقع على صحائف الكد كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد كان يعود المريض ويجيب دعوة المملوك ويجلس على الأرض ويلبس الخشن ويأكل البشع ويبيت الليالي طاويا يتقلب في قعر الفقر ولسان الحال يناديه يا محمد نحن نضن بك عن الدنيا لا بها عنك

ولقد شارك الأنبياء في فضائلهم وزاد أين سطوة ( لا تذر ) من حلم ( اهد قومي ) أين انشقاق البحر من انشقاق القمر أين انفجار الحجر من نبع الماء من بين الأصابع أين التكليم عند الطور من قاب قوسين أين تسبيح الجبال في أماكنها من تقديس الحصى في الكف أين علو سليمان بالريح من ليلة المعراج أين إحياء عيسى الأموات من تكليم الذراع كل الأنبياء ذهبت معجزاتهم بموتهم ومعجزة نبينا الأكبر قائمة على منار ( لأنذركم به ومن بلغ ) تنادي ( فأتوا بسورة من مثله ) ولقد أعرب عن تقدمه من تقدمه آدم ومن دونه تحت لوائي لو كان موسى وعيسى حيين ما وسعهما إلا إتباعي فإذا نزل عيسى صلى مأموما لئلا يدنس بغبار الشبهة وجه لا نبي بعدي

فهو أول الناس خروجا إذا بعثوا وخطيب الخلائق إذا وفدوا ومبشر القوم إذا يأسوا الأنبياء قد سكتوا لنطقه والأملاك قد اعترفوا بحقه والجنة والنار تحت أمره والخزان داخلون في دائرة حكمه وكلام غيره قبل قوله لا ينفع وجواب الحبيب له قل تسمع فسبحان من فض له من الفضائل ما فضله وكسب من حلل الفخر الجم ما جمله جمع الله بيننا وبينه في جنته وأحيانا على كتابه وسنته

من تحركت لعظمته السواكن فحن إليه الجذع ، و كلمه الذئب ، و سبح في كفه الحصى ، و تزلزل له الجبل كلٌ كنى عن شوقه بلسانه يا جملة الجمال ، يا كل الكمال ، أنت واسطة العقد و زينة الدهر تزيد على الأنبياء زيادة الشمس على البدر ، و البحر على القطر و السماء على الأرض . أنت صدرهم و بدرهم و عليك يدور أمرهم ، أنت قطب فلكهم ، و عين كتبهم و واسطة قلادتهم ، و نقش فصهم و بيت قصدهم .

ليلة المعراج ظنت الملائكة أن الآيات تختص بالسماء فإذا آية الأرض قد علت .

ليس العجب ارتفاع صعودهم لأنهم ذوو أجنحة ، إنما العجب لارتفاع جسم طبعه الهبوط بلا جناح حسداني ،

المحبوب هو محمد بن عبد الله صلى الله عليه و سلم .
أما نوع الحب فيكفي أنه حب أنطق الحجر و حرك الشجر و أبكى الجذع و أسكب دمع البعير فما بالك بإنسان له جنان يفيض بالحب و الحنان ؟
فهيا أخي المبارك نتجول في بستان المحبة نختار من قصص الحب أروعها و نقتطف باقة عطرة من ذلك البستان الذي مُلئ بأجمل الأزهار و أعبقها ، هيا لنعرفه من جديد ،
وقبلها لنعرف كيف تعدوا دجالى القرن الواحد والعشرين على الصادق الأمين
قاتلهم الله أنّى يؤفكون .

## الفصل الرابع : وما الخبر ؟ وكيف كان الرد ؟

ها هي الصحافة مجدداً تلبس ثيابها الدنس الملطخ ببقع الإلحاد والكفر والزندقة على مشارب رؤساء تحريرها المختلفة وهرطقة محرريها وتطاولهم وتجهيلم بالقشور ويدعون الحرية وهم أسراء أفكارهم الغربية الشاذة المتطرفة.

### ما الخبر ؟
### احتجاجات واسعة على إعادة الرسوم المسيئة
### علماء ودعاة : ليكن التعبير العام عن الإدانة حضاريا وبوسائل سلمية

يقول : ثامر الزايدي و عبد الله عمر (مكة المكرمة)
أدانت منظمات وهيئات إسلامية وعلماء ودعاة من كافة العالم الإسلامي ما قامت به مجموعة كبيرة من الصحف الدانماركية من إعادة لنشر الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للنبي صلى الله عليه وسلم الأسبوع الماضي بحجة التأكيد على حرية التعبير في أعقاب إعلان المخابرات الدانماركية عن حملة للاعتقالات قامت بها الشرطة الدانماركية في مدينة آرهوس لمشتبهين بدعوى تخطيطهم لقتل رسام الكاريكاتير صاحب الرسوم المسيئة. واعتبرت منظمة نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم أن ذلك لا يصدر إلا عمن ليس عنده احترام للأديان والأنبياء، ويعتبر مثالاً للإفلاس الحضاري والانحطاط الأخلاقي، كما يعكس صورة من صور الحقد الأعمى والعنصرية البغيضة لدى تلك الصحف ومن يمثلها.

من جهته قال فضيلة الشيخ الدكتور سلمان بن فهد العودة الداعية الإسلامي السعودي:
ان الرسوم الكاريكاتورية التي أعادت نشرها صحف دانماركية خلال الأسبوع الماضي ليست إهانة للرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) ولكنها تمثل إهانة للمسلمين أنفسهم. وقال العودة، في موقعه (الإسلام اليوم) إنني أعتبر أن هذه الرسوم ليست مسيئة للرسول ولكنها مسيئة للمسلمين، فالرسول رفعه ربه وكرّمه وقال له في كتابه الكريم: {ورفعنا لك ذكرك}. وأضاف: "فإذا كان الله رفع ذكره فمن هذا الذي يستطيع من حقراء البشر وسفهائهم أن يضع من قدر النبي (صلى الله عليه وسلم). وأشار العودة إلى أن هذه الإساءات التي يتعرض لها الإسلام والمسلمون ورسولنا خاصة في هذا الوقت ليست وليدة هذا اليوم، مشيرًا إلى أن التطاول على الرسول بدأ منذ بعثته صلى الله عليه وسلم فاليهود قالوا فيه ما قالوا والمشركون كذبوه، وكذلك المنافقون ومع ذلك كان النبي بحلمه وحكمته وقوّته ورحمته قدوة للعالمين. ودعا الشيخ العودة المسلمين أن لا يجعلوا هذه الأحداث التي تتكرر "تزلزل يقيننا بالله وعزائمنا الصلبة". وحول الواجب على المسلمين ومؤسساتهم فعله تجاه تكرار تلك الأحداث قال العودة: من الواجب علينا الانتقال من ردود الأفعال إلى الأفعال، فالمؤلم أن المسلمين ربما ينفعلون انفعالاً مؤقتًا ولكن مثل احتراق السعف نار تشتعل بسرعة وتنطفئ بسرعة أيضًا، ولكننا نريد توظيف هذا الغضب والانفعال إلى أن يكون برنامجًا مستمرًا وتوظيفه للتعبير عن الرؤية الإسلامية".

من جهته دعا د.علي بادحدح الأمين العام المساعد لنصرة النبي صلى الله عليه وسلم في تصريح خاص بملحق(الدين والحياة) :
جميع المسلمين في العالم بعدم القيام بأي أعمال عنف وشغب، وأي أنشطة خارجة عن القانون؛ لما لذلك من آثار سلبية على الجالية الإسلامية والاستعاضة عنها بتقديم الاحتجاجات إلى مؤسسات الاتحاد الأوروبي في الدول المختلفة. وطالب المسلمين هناك بالتعبير العام عن الإدانة بالوسائل السلمية حسب المتاح قانونياً في كل دولة من الدول، مع السعي لمتابعة وتجديد الجهود القانونية ضد

من يسيء للإسلام والمسلمين بحسب المتاح"

الشيخ عبد المجيد الزنداني :

عبر من ناحيته عن ألمه لهذا الاستفزاز وطالب بإعادة المقاطعة السياسية والاقتصادية للدانمارك، في ما رأى الدكتور حامد الرفاعي أن موضوع المقاطعة الاقتصادية غير مجدية، وان المسلمين أخفقوا في المرة الأولى،

وطالب من جهته الشيخ يوسف القرضاوي ( والذي نحذر المسلمين من ادعاءه إمكانية التقارب بين المسلمين والمجوس الرافضة ويبدوا أن الشيخ على جلالة علمه يجهل حقيقة الشيعة والله المستعان لو للشيخ مئارب من وراء مزاعمه وتغريره ببعض المسلمين الذين يجهلون حقيقة الرافضة ودينهم المجوسي) فيوصي المسلمين التزام السكينة والهدوء وعدم الانجرار لأعمال عنف تعود بالضرر على المسلمين.

.*.*.*.*.*.*.*.*.*.*.*.*.*.*.*.*.*

الخبر كما تراءى لبعض ساستهم .

أعادت صحيفة دانماركية اليوم الأربعاء نشر رسم كاريكاتوري يسخر من الرسول محمد، وهو واحد من مجموعة رسوم مشابهة كانت قد نُشرت قبل عامين وأثارت موجة واسعة من الاحتجاجات في العالم الإسلامي.

فقد أقدمت صحيفة جايلاندز-بوستن على هذه الخطوة بعد يوم واحد من إعلان الشرطة الدانماركية اعتقال ثلاثة أشخاص، تونسيان ودنماركي من أصل مغربي، بتهمة التخطيط لقتل رسام الكاريكاتير صاحب الرسوم الساخرة.

وأكدت الصحيفة إنها ترمي من وراء إعادة نشر الرسم إلى إظهار الالتزام بحرية الكلام والتعبير في أعقاب محاولة الاغتيال المزعومة لكورت فيسترجارد، رسام الكاريكاتير بالصحيفة التي كانت أول من نشر الرسوم التي أعيد لاحقا نشرها في نحو ٦٠ مطبوعة مختلفة.

وقالت صحيفة الصحيفة إن فيسترجارد، البالغ من العمر ٧٣ عاما، وزوجته جيت، التي تبلغ من العمر ٦٦ عاما، يعيشان في حماية الشرطة منذ ٣ أشهر بسبب تعرضهما للتهديد.

وكانت الصحيفة قد نشرت هذه الرسوم للمرة الأولى في سبتمبر/أيلول من عام ٢٠٠٥ وأظهر أحدها النبي محمد معتمرا عمامة على شكل قنبلة في أعلاها فتيل انفجار. وكان فيسترجارد هو من قام بهذا الرسم الأكثر إثارة للجدل.

وأكد تاغي كلاوسن المدير الإعلامي للصحيفة لـ بي بي سي أن الرسومات قد نشرت في عدد الأربعاء من الصحيفة وفي طبعتها الألكترونية.

وقالت وكالة المخابرات الدنماركية إن اعتقالات يوم الثلاثاء حدثت في منطقة آرهوس بهدف "منع وقوع جريمة قتل ترتبط بالإرهاب". وأشارت الوكالة إلى أنها نفذت الاعتقالات بعد عملية رقابة مكثفة للمشتبه بهم.

يذكر أن فيسترجارد واحد من ١٢ رسام كاريكاتير كانوا وراء الرسوم التي أثارت تلك الأزمة.

## خوف

وقال فيسترجارد في بيان بهذا الشأن "بالطبع أشعر بالخوف على حياتي عندما تقول الاستخبارات إن هناك من وضع خططا لقتلي، ولكني حولت الخوف إلى طاقة غضب".

وتابع قائلا "لست أدري إلى متى سأعيش في حماية الشرطة. ولكني أعتقد أن رد الفعل اللاعقلاني على رسومي سيستمر طوال حياتي. إنه أمر محزن حقا، ولكنه بات حقيقة جزءا من حياتي".

من جهته، قال كارستن جست رئيس تحرير الصحيفة المذكورة إنه يشعر بالاضطراب والقلق وكذلك يشعر الموظفون في صحيفته من جراء هذه الأنباء.

وأضاف: "لقد اعتدنا منذ قضية الرسوم على التهديدات بالتفجيرات والقنابل، لكنها المرة الأولى التي نسمع فيها عن التخطيط للقتل".

اما مراسل بي بي سي في الدانمارك، توماس بوتش أاندرسن، فقد قال إن الناس في الدنمارك صدموا بما حدث لأنهم كانوا يعتقدون أن قضية الرسوم أصبحت وراءهم.

استنكار إسلامي

من ناحية أخرى استنكرت منظمة إسلامية في الدنمارك هذه التصرفات إذا ثبتت صحتها.

وقال أحمد عكاري: رئيس لجنة نصرة النبي في الدنمارك: " هذا الأمر غير مقبول لدى العلماء ولم يفت به أهل الإسلام لأنه يمس بالأمان والثقة التي منحها الناس في الدنمارك وبالتحديد للمسلمين".

وقال عكاري: "نحن نقاوم الرسوم بطرق أخرى كثيرة وليس بمثل هذه الطرق التي كاد هؤلاء الشباب أن يتورطوا بها."

وأضاف أنه حذر من مثل هذه التصرفات منذ زمن بعيد، وأن مسلمي الدنمارك يقفون في حملة جماعية كبيرة حتى لا تقع مثل هذه التصرفات من قبل شباب طائش لا يفهم معنى وجوده في بلاد آمنة في الغرب.

وكانت الرسوم التي نشرت في أوسع الصحف الدنماركية انتشارا في سبتمبر/ أيلول من عام ٢٠٠٥ قد أثارت موجة من الاحتجاجات في معظم أنحاء العالم وصلت إلى ذروتها بإغلاق البعثات الدانماركية الدبلوماسية في كل من دمشق وبيروت، فضلا عن مقتل العشرات في نيجيريا وليبيا وباكستان.

.*.*.*.*.*.*.*.*.*.*.*.*.*.*

حملة يمينية ضد اسلمة أوربا..

بروكسيل.. إذاعة هولندا العالمية .. فانيسا موك

تجمعت عدد من الأحزاب السياسية المنتمية لليمين المتطرف في أوربا للمطالبة بمنع بناء المساجد في المدن الأوربية وبدء حملة جديدة لمكافحة انتشار الإسلام المتطرف في أورروبا.

استضاف الاجتماع في انتورب حزب المصلحة الفلامية البلجيكي "فلامس بلانج" اليوم الخميس وشاركت فيه مجموعات قادة الحملة ضد اسلمة أوربا وهى متألفة من مجموعات يمينية متطرفة من النمسا وألمانيا حيث أصدروا وتبنوا "ميثاق مكافحة اسلم مدن أوربا الغربية."

يقول فيليب دي فينتر زعيم حزب المصلحة الفلامية في حديث لإذاعة هولندا العالمية:

"نحن لسنا ضد حرية العقيدة لكننا لا نقبل بان يفرض المسلمون وتقاليدهم وطريقتهم في الحياة هنا (في أوربا) لأن معظمها لا تنسجم مع طريقتنا في الحياة." ويضيف "لا يمكننا أن نقبل بغطاء الرأس في مدارسنا، ولا نقبل بالزواج الإجباري والذبح الطقسي (الديني) للحيوانات."

**عوامل مساعدة**

يدعو هذا التحالف اليميني، على وجه الخصوص، إلى وقف بناء المساجد الجديدة، التي يزعمون أنها عوامل مساعدة في نشر التطرف في الأحياء السكنية بكاملها:

لدينا أكثر من ٦٠٠٠ مسجد في أوربا، وهي ليست دور للعبادة فحسب بل رمز للتطرف. وبعض هذه المساجد تمولها جماعات من السعودية وإيران." حسب السيد دي فينتر الذي يضيف مشيرا إلى مسجد ضخم يجرى تشييده في ميناء روتردام الهولندي "يبلغ ارتفاع منارته ستة طوابق وأعلى ابراج اضاءة ملعب فينورد لكرة القدم." "مثل هذه الرموز يجب إيقافها."

لكن الخطط العملية لهذا التحالف تبدو غامضة، على أية حال، خاصة تجاه المخاطر التي يتخوف منها البعض مثل تدريس القرآن، ولا يعرف احد ماذا ستفعل هذه المجوعات غير تنظيم المظاهرات في مدن أوربا التي تستضيف جاليات مسلمة كبيرة.

**لا مساندة**

ماعدا حزب الحرية النمساوي، سجلت الأحزاب اليمينية المتطرفة الكبيرة غيابا واضحا في المؤتمر الصحفي الذي عقد في انتويرب في بلجيكا. وقال متحدث باسم التحالف الوطني الإيطالي "ناسيونالي اليانزا" أنه حزبه لا يعرف شيئا عن هذا الميثاق بالرغم من اهتمامه بأمر تزايد المساجد في أوربا.

كما ابتعد عن لقاء انتويرب السياسي اليميني الهولندي المتطرف خيرت فيلدرز الذي يعد لإطلاق فليم انتقادي عن القرآن.

لكن السيد ديفينتر لا يبدو منزعجا من ضآلة عدد المشاركين في حملته ويقول "ربما تكون هذه المحملة صغيرة ومحدود اليوم لكنني على ثقة بأنها ستكبر وتصبح ثقيلة الوزن."

**استياء ومخاوف**

استقبلت الحملة بالاستياء والمخاوف في حي بوخرهاوت المتعدد الأعراق في انتويرب والذي يضم سكانا من أكثر من تسعين جنسية. "هذا محض استفزاز" حسب المغربي سعيد الفطري الذي يملك متجرا صغيرا في الحي ويضيف "لدى زبائن بلجيكيين، وأوربيين شرقيين، ويهود ومسلمين يدخلون ويخرجون من هنا كل يوم وليس لدينا مشكلة اندماج هنا."

جالسا إلي الطاولة التي يبيع فيها اللحم الحلال يضيف سعيد "أنا مسلم لكن ذلك لا يعني أنني لا التزم بقوانين هذا البلد."

لكن جاره محمد أكثر تشاؤما حيث يقول "لقد عشت نحو أربعين عاما في بلجيكا مع أبنائي ونحن مندمجون بالكامل، لكن مثل هذه الحملات تبعث على القلق، أخشى ألا يكون بمقدورنا أن نعيش حياة مثل التي نعيشها الآن بعد عشرة سنوات."

بعض الخارجين من مسجد في بروكسيل يفاجئون بان مسجدهم مستهدف في الحملة. تقول فاطمة "المساجد أماكن لإفشاء السلام" وتضيف الطالبة العشرينية "يحق للجميع أن يكون لهم دور للعبادة وممارسة الشعائر الروحية، للكاثوليك كنائسهم ولليهود معابدهم، ولنا مساجدنا، وهذا هو ما يجعلنا نشعر بأننا جزء من هذا البلد."

أطلقت الرابطة الأوربية للمنظمات الإسلامية من بروكسيل في الأسبوع الماضي ميثاقها الخاص بسلوك المسلمين في أوربا والتي وقعت عليه منظمات تنشط في ٢٨ دولة أوربية بهدف تدعيم قيم التفاهم المشترك والمتبادل والعمل على سلام ورفاهية المجتمعات التي يعيشون فيها، والاعتدال والحوار بين الثقافات الخالية من التطرف والاستبعاد.

*/*/*/*/*/*/*/*/*/*

وكذلك الهجوم على الإسلام ظاهرة متكررة في هولندا ومسلسل الإساءات مستمر ويزداد يوما بعد يوم.. وخاصة تلك التي يقوم بها البرلماني اليميني المتطرف "خيرت فيلدرز".. فبعد مساعيه السابقة لمنع ارتداء النقاب في البلاد البرتقالية وإهانته للقرآن الكريم، يجهز الآن لعرض فيلم من انتاجه

بعنوان "كشف الإسلام" يُظهر القرآن الكريم وهو كلام المولى عز وجل بأنه "كتاب مريع وفاشي" ويشبه بكتاب "كفاحي" الذي ألفه الزعيم النازي "أدولف هتلر".

إعتاد على التطاول

والفيلم الجديد عبارة عن مشاهد تسجيلية صغيرة ويقول عنه "فيلدرز" نفسه أنه سيكشف كيف يحض "القرآن" على التعصب ضد النساء والمثليين وكيف يستغله المتشددون للتحريض على العنف، وأن مدته لن تتجاوز ١٠ دقائق، وسيتم بثه عبر إحدى القنوات التليفزيونية أو الإنترنت.

وكان فيلدرز قد تطاول على القرآن الكريم في وقت سابق وطالب المسلمين بالتخلي عن دينهم أو يحذفوا كل الآيات التي تحض على القتل والكراهية حتى يصبح كتيباً يشبه إلى حد ما قصص الأطفال، على حد البذاءات التي أطلقها البرلماني المتطرف، الذي بلغ حد تطاوله أن قال أن "الإسلام لا يستحق الاحترام، بل تجب محاربته بوصفه إيديولوجية فاشية غير متسامحة"، بل وطالب بإصدار قرار حكومي بحظر القرآن الكريم ومصادرة تداوله أو بيع المصاحف في هولندا، ومن يُضبط بحوزته القرآن يجب أن تتم معاقبته.

ووفقا لاستطلاع رأي أجرته الإذاعة الهولندية رفض ٧٥% من الهولنديين مطلب فيلدرز بحظر القرآن ومصادرة نسخ المصحف ومعاقبة من يتداولها، وقالوا إنه ليس من حق فيلدرز المطالبة بذلك أو نشر هذا الرأي بوسائل الإعلام الهولندية، ولم يدعم مطلب فيلدرز وتوجهاته المعادية للإسلام سوى ١٩ % فقط، وطالب ٢٩% من الهولنديين في الاستطلاع بضرورة تتبع أو ملاحقة فيلدرز قانونيا على خلفية هذا الكلام.

الحكومة الهولندية تحذر

وقد تلقت الحكومة الهولندية إشارات واضحة تؤكد على أن هناك أخطارا عديدة ستترتب على عرض الفيلم بما في ذلك تعريض سلامة المواطنين الهولنديين في الخارج إلى الخطر وتهديد المصالح الاقتصادية الهولندية، والإساءة إلى سمعة البلاد، وعلى إثر ذلك عقد رئيس الوزراء الهولندي "يان بيتر بالكينينده" مؤتمراً صحفياً لتوضيح موقف حكومته من الفيلم.

وذكرت "إذاعة هولندا العالمية" أن "بالكينينده" طالب "فيلدرز" بالتفكير جدياً بعواقب إصراره على عرض الفيلم مشيرا إلى موقف الحكومة المتمثل في احترام جميع الأديان وأن موقفها مختلف تماما عن موقف "السيد فيلدرز"، إلا أنه في الوقت نفسه عاد وأكد التزام الحكومة المطلق بمبدأ حرية التعبير، وإدانة التهديدات بشكل عام بما فيها تلك الموجهة إلى فيلدرز.

وأوضح رئيس الحكومة الهولندية أن وزير العدل أبلغ النائب اليميني باحتمال تعرضه للملاحقة القانونية في حال عرض فيلم يتضمن ما يخالف القانون الهولندي، إلا أن الحكومة لن تلجأ إلى القضاء إلا بعد عرض الفيلم.

فيلدرز.. أرفض النصائح

وعلى خلفية تحذيرات رئيس الوزراء الهولندي نقلت القناة الهولندية العامة، عن فيلدرز رفضه لنصائح "بالكنيندة" ودعواته، قائلا: "يمكن للحكومة أن تخضع لتهديدات الإرهاب الإسلامي، أما أنا فلن أخضع أبداً"

أضاف أن فيلمه حول القرآن يكاد يكون جاهزاً وسوف يُعرض في شهر مارس على شاشة التلفزيون أو عبر شبكة الإنترنت.

حلقة في مسلسل الإساءات

ويأتي الفيلم الجديد كحلقة في مسلسل الإساءات والإهانات المتكررة التي يتعرض لها الإسلام والقرآن الكريم في هولندا والتي كان أكثرها شهرة فيلم "الخضوع" الذي تسبب عرضه في مقتل مخرجه

الهولندي "ثيو فان خوخ" على يد المهاجر المغربي "محمد بويري" الذي لم يحتمل مشاهد الفيلم التي احتوت على أجساد نساء عاريات مكتوب على ظهورهن آيات قرآنية.
وشارك "خوخ" في إنتاج فيلم "الخضوع" النائبة الهولندية "هيرسي علي" ذات الأصل الصومالي والتي ارتدت عن الإسلام وقادت حملة عدائية ضده ووصفته بأنه "دين رجعي".
وانقلب السحر على الساحر فتم فصلها من البرلمان على خلفية اكتشاف كذبها حين تقدمت بطلب الحصول على حق اللجوء للبلاد عند قدومها إلى هولندا.. وسافرت إلى أمريكا ورفضت الحكومة الهولندية تغطية نفقات حمايتها الأمنية بعد أن تلقت عدة تهديدات بالقتل على خلفية ملفها الأسود في الإساءة إلى الإسلام وإصرارها على إنتاج فيلم جديد على نفس منوال الإساءة التي جاءت بالفيلم الأول.
وتجد الأمور واضحة والعداءات جليات والمحرضين كثر رؤوس الشرك هم من يوقدونها نار مستعرة حتماً سيلفحهم لهيبها ، فمنذ اعتلائه لمنصب البابوية، صدرت عن بابا الفاتيكان بنديكت السادس عشر مواقف وتصريحات أتسمت بالعداوة والتحريض باتجاه الإسلام والمسلمين.
ففي أول قداس له عقب انتخابه بابا للفاتيكان، حذر الرجل ـ والذي يفترض من مثله عدم الخوض في المسائل السياسية ـ من انضمام تركيا للإتحاد الأوربي، قائلا: "إن السماح لدولة إسلامية بالدرجة الأولى بالانضمام إلى النادي الأوربي، سيكون خطأ ضخماً".
وفي العام الماضي، ألقى بنديكت محاضرة هاجم فيها الرسول صلى الله عليه وسلم بأسلوب لا يليق، زاعما أن الإسلام دين عنف انتشر بحد السيف، ولا يدعو لاستخدام العقل، ثم عاد البابا ليقدم ما اعتبره بعض المسلمين اعتذارا ضمنيا عن تصريحاته الفجة.
وحتى يستمر مسلسل نشر الكراهية والتحريض، فقد حذر جورج جاينزفاين، السكرتير الخاص للبابا بنديكت السادس عشر، في مقابلة له مع مجلة سودويتشه تسايتنوج الألمانية بموقعها على الإنترنت، مما وصفه بـ "أسلمة الغرب"، مشددا على أنه يتعين على أوروبا، ألا تتجاهل محاولات إدخال القيم الإسلامية في الغرب، وهو ما يمكن أن يهدد هوية القارة. قائلا: "لا يجب إغفال محاولات أسلمة الغرب"، محذرا أوروبا من تجاهل جهود إدخال القيم الإسلامية في الغرب، وهو ما يمكن أن "يهدد هوية القارة" على حد زعمه.
بل إن الرجل عاد ودافع عن كلمة البابا العام الماضي، التي تضمنت اقتباسا من العصور الوسطى بشأن انتشار الإسلام بالعنف، والتي أثارت موجة احتجاج عارمة في العالم الإسلامي.
وقال للمجلة إن كلمة البابا العام الماضي "كان يجب أن تبدد أي فهم ساذج عن الإسلام"، وأضاف: "بموجب مفهوم (الإسلام) هناك مجموعة كبيرة من الرؤى المختلفة والمتناقضة أحيانا حتى بما في ذلك المتطرفين الذين يستشهدون بالقرآن في أفعالهم ويستخدمون الأسلحة".
تصريحات سكرتير البابا، والتي تنضح بالعنصرية، جاءت لتبدد أي شك، أو تزيل أي لبس عن مواقف الفاتيكان تجاه المسلمين، العامرة بالأحقاد التاريخية.
فعوضا أن يقدَم البابا اعتذارا للمسلمين، كما فعل سلفه مع اليهود، عن الجرائم ومخازي الحروب الصليبية، والتي قادتها الكنيسة ضد الأمة الإسلامية والحقب الاستعمارية، بل ويندد بحروب الصدمة والترويع الحالية، التي تهلك الحرث والنسل وتدمر البنيان وتحرق الأخضر واليابس في غير بلد إسلامي يرزح تحت احتلال همجي، أطلق بدلا عنها، تحذيرات الفاتيكان من إدخال القيم الإسلامية إلى أوربة ومن تغيير هوية القارة.
فمن أي قيم إسلامية تخاف الكنيسة: من العفة والطهارة والصدق والأخلاق الرفيعة والرحمة والتي شملت الإنسان والحيوان والشجر والبيئة المحيطة؟ وما هي الهوية الأوربية التي يحرص الفاتيكان عليها في عصر العولمة، وقد غزانا في عقر دورنا، وأراد منا أن نغير مناهجنا وجلودنا، هل هي

ثقافة الشذوذ، أم انتشار المخدرات أم تفكك الأسرة والانحلال الأخلاقي المستشري في المجتمعات الأوربية ؟

إن المسلمين في أوربا، الذين يحذر الفاتيكان من خطرهم، هم في غالبيتهم إما مواطنون أو مقيمون إقامة شرعية، وهم يعانون الأمرين من الضغط والعنصرية والتمييز في الكثير من المواقع والمواقف. ألم تمنع فرنسا المسلمات المحجبات من دخول المدارس والحصول على حقهم في التعليم؟ ألم تحتفل بريطانيا والغرب بالكاتب سلمان رشدي، لأنه أساء للإسلام ومقدساته؟ ألم تدعم الكثير من المؤسسات الغربية الصحيفة الدانماركية ورسامها المتطاول برسومه على الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم؟ فماذا يريد الفاتيكان أكثر من ذلك؟

هل يريد أن يدعو ضمنا إلى تطهير عرقي، شبيه بما حصل في سربنتشا في البوسنة؟ إن دعوة الفاتيكان هذه وتحذيراته ستعطي التيارات العنصرية واليمينية في أوربا، والتي تشهد تصاعدا ملحوظا، دعما معنويا وتأييدا أخلاقيا.

أليس من المستغرب أن يحذر الفاتيكان، الذي ينفق مليارات الدولارات على حملات التنصير في العالم الإسلامي، خصوصا في مناطق الحروب، بينما يمنع فيها المسلمون وجمعياتهم الاغاثية من نجدة إخوانهم، تحت مسميات محاربة الإرهاب، المتضررين من الحروب العدوانية عليهم، مثل أفغانستان والعراق وغيرهم من تأثير المسلمين على الهوية الأوربية؟ فما الذي يقوم به المسلمون في الغرب، المحاصرون إعلاميا والمراقبون أمنيا، من أنشطة، حتى يقلق الفاتيكان؟

منذ أسابيع معدودة، بثت القناة البريطانية بي بي سي فيلما وثائقيا عن الفضائح الجنسية في الكنائس الكاثوليكية والاعتداءات المطولة والمزمنة، التي يتورط فيها القساوسة بحق الأطفال.

الفيلم كشف وبشكل موثق، أن وباء الاعتداءات الجنسية منتشر بشكل واسع، وأن الفاتيكان كان يقوم ـ ومن زمن بعيد ـ بالتغطية عن تلك الجرائم والتستر عليها، ومنع الضحايا من الشكوى ومحاصرتهم. بل إن بعض القساوسة المطلوبين للقضاء ـ حسب البرنامج التلفازي ـ يجدون في الفاتيكان ملاذا آمنا من الملاحقات القانونية.

غير أن أخطر ما كشفه البرنامج الوثائقي، هو أن البابا بنديكت السادس عشر كان هو الرجل المسئول عن إخفاء تلك الجرائم وإصدار المراسيم، التي توصي بالتستر عليها، أي أن الرجل الذي هاجم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، مشارك من الناحية الجنائية بالجرائم غير الأخلاقية، بإخفائه تلك الجرائم والتستر عليها، حسب مصادر التلفزيون البريطاني.

فهل يلام من يقول إن الحرب المعلنة هذه الأيام، عسكرية كانت أم إعلامية أم اقتصادية أم فكرية، هي حرب على الإسلام دينا ومعتقدا ومنهجا وأسلوب حياة؟

ومع كل التضييق والتشويه والمحاصرة على الإسلام وأهله ودعاته، فإن الإسلام هو الدين الأكثر انتشارا في الغرب، بما يملك من مقومات قوة ذاتية وروحانية وسطية لا تخالف العقل ولا تجافي الفطرة ولا تعاكس المنطق القويم.

بل إن تصريحات البابا، تعبير عن حالة الإحباط من الإفلاس، التي تعتريهم، رغم عظم الإمكانيات والموارد، ويمكن رؤيتها من خلال تجلي في إعراض جموع الشباب والناس في الغرب عن الكنيسة، في حين يشكل الإقبال المتزايد على الإسلام في هذه الظروف والهجمات الشرسة، ظاهرة عصية على الفهم، إلا في السياق الرباني، والذي وعد بالحفاظ على هذا الدين وبتمكينه في الأرض ولو كره الكارهون.

/*/*/*/*/*/*/*/*/*/*/

## يقول الدكتور / عبد الوهاب بن ناصر الطريري

مع كل الجنايات التي تتوالى على المسلمين، والبغي والعدوان بألوان وصنوف شتى فما زال المسلمون يواصلون الاحتمال والصبر ولو على مضض، إلا رسول الله أن ينال فلا نغضب له، ويساء إليه فلا ننصره، ويتعدى عليه فلا ندافع عنه، فها هي تتوالى بذاءات وإهانات للمسلمين في جناب المصطفى – صلى الله عليه وسلم – تطلقها عصابة من قساوسة الكنيسة الإنجيلية في أمريكا ( جيري فاويل، بات روبرتسون ، فرانكلين جراهام، جيري فاينز) ومجملها وصفهم للنبي – صلى الله عليه وسلم- بأنه إرهابي ورجل عنف وحرب، وتزوج ١٢ زوجة، أما تفصيلها فبذاء وتفحش، وتسفل في العقل والخلق.

وهذه القيادات الكنسية ذات علاقة قوية بالرؤساء الأمريكيين الجمهوريين، ففرانكلين جراهام هو الذي تلى الأدعية في حفل تنصيب الرئيس الأمريكي،وبات روبنسون هو الذي نال المنحة المالية من البيت الأبيض، كما أن الرئيس الأمريكي خاطب عبر الأقمار الصناعية مؤتمر الكنيسة المعمدانية الذي ألقى فيه القس جيري فاينز تهمه الفاحشة على النبي – صلى الله عليه وسلم-.

- وهذه ليست أوّل مرة ينال فيها من مقام النبوة، أو يساء فيها إلى الجناب الكريم فقد صدر مثل ذلك من مستشرقين وصحفيين وفنانين وغيرهم كثيرين، ولكن جانب الفظاعة أن يصدر ذلك من قادة دينيين كبار، و بشكل شبه جماعي من هؤلاء القسس، وهي قيادات دينية ذات صلة بالقيادة السياسية الأمريكية ولهذا كله دلالاته التي لا يمكن تجاهلها.

- إن هؤلاء يتكلمون عن النبي – صلى الله عليه وسلم – الذي علّم البشرية تعظيم أنبياء الله وتوقير رسله:( لا نفرق بين أحد من رسله) وأن الإيمان برسالة محمد – صلى الله عليه وسلم – لا يصح ولا يقبل إلا مع الإيمان برسالة عيسى – عليه السلام- ومن سبقه من المرسلين.

- وعندما كان اليهود يصفون المسيح بأقبح الأوصاف كان محمد – صلى الله عليه وسلم- يعلم البشرية: ( إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين)، ( ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل).

- وعندما كان اليهود يصفون المحصنة العذراء بأفحش الصفات كان محمد – صلى الله عليه وسلم- يعلّم البشرية: ( ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين).

- وإن هؤلاء الذين يشتغلون بالوقيعة في النبي العظيم بمثل أوصاف السفّاح والقاتل إنما يصفون بذلك نبي الرحمة الذي علم البشرية: ( أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ) والذي علم البشرية الرحمة والعدل حتى في حال الحرب والقتال، وكان ذلك في وقت البربرية والتوحش العالمي حيث لا هيئات ولا مواثيق ولا قوانين عالمية فجاء إلى هذا العالم بقوانين العدل في السلم والحرب: (لا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً ).

- إن إلقاء هذه التهم من هؤلاء القسس دلالة على إفلاسهم؛ لأنهم لم يجدوا ما يثيرونه إلا اجترار تهم قديمة سبق المستشرقون من قبل إلى إثارتها، وقد تهافتت وأفلست وانتهت صلاحيتها ودحضتها الأجوبة الموضوعية التي كتبت عنها في حينها.

كما له دلالة أخرى وهو مقدار الجبن والتضليل الذي يتلبس به هؤلاء القسس، أما كيف ذلك؛ فإننا عندما نعلم أن قسّيساً يؤمن بالعهد القديم ومع ذلك يطعن في النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه تزوج اثنتي عشرة امرأة. ونحن نعلم أنه يعلم من العهد القديم الخبر عن سليمان – عليه السلام- أنه كان لديه سبعمائة زوجة وثلاثمائة محظية ( سفر الملوك الإصحاح الحادي عشر).

وفي (سفر صموئيل الإصحاح الخامس) أن داود – عليه السلام- اتخذ لنفسه زوجات ومحظيات ومثله عن يعقوب – عليه السلام -؛ فما بال تعدد الزوجات عند هؤلاء الرسل والمذكور في العهد القديم الذي تؤمن به الكنيسة الإنجيلية ؟ أم هو الجبن والخوف إلى حد الذعر من اليهود أن يُنَال أنبياؤهم وآباؤهم؟
ثم انظر إلى وصفهم النبي- صلى الله عليه وسلم- بالقتل وأنه سفاح؛ مع أن في العهد القديم الذي يؤمنون به أنّ داود – عليه السلام – خطب ابنة الملك شاؤول فطلب إليه مهراً مئة غلفة من غلف الفلسطينيين، فانطلق داود مع رجاله فقتل (مائتي) رجل من الفلسطينيين، وأتى بغلفهم وقدمها للملك، فزوجه شاؤول عندئذ من ابنته ميكال، وأدرك شاؤول يقيناً أن الرب مع داود ( سفر صموئيل الإصحاح الثامن عشر) وما جاء فيه أيضاً أن يوشع هاجم مدن عجلون وحبرون ودبير وقتل ملوكها وكل نفس فيها بحد السيف فلم يفلت منها ناج ( سفر يوشع ٣٤).
وأن موسى قال للإسرائيليين: ( الآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة ضاجعت رجلاً، ولكن استحيوا لكم كل عذراء لم تضاجع رجلاً) ( سفر العدد ٣١).
ويتجاهل إلى حد العمى ما ورد في الإنجيل منسوباً إلى المسيح: ( لا تظنوا أني جئت لأرسي سلاماً على الأرض، ما جئت لأرسي سلاماً بل سيفاً، فإني جئت لأجعل الإنسان على خلاف مع أبيه، والبنت مع أمها، والكنة مع حماتها، وهكذا يصير أعداء الإنسان أهل بيته) إنجيل متى الإصحاح (٣٤) .
ويتجاهل ما ورد في العهد القديم من كتابهم المقدس من الأمر بقتل الكفار وحرق ممتلكاتهم ورجمهم بالحجارة حتى الموت وكلها موجودة في العهد القديم في مواضع منها ( سفر الخروج الإصحاح ٣٤، سفر التثنية الإصحاح ١٣، ١٧).
فأين الكلام عن القتل وسفك الدماء هناك؟ أم هو الذعر المخرس من معاداة السامية، والمقاييس الانتقائية الجبانة، والتعصب الأعمى المقيت؟
- أين الكلام عن القتل الذي مارسته الكنيسة ضد المسلمين واليهود في الحروب الصليبية ومحاكم التفتيش؟
- أين الكلام عن القتل وسفك دماء المدنيين من النساء والأطفال والشيوخ في هيروشيما ونجازاكي وفيتنام وغيرها؟ ( وأين محاكم مجرمي الحرب من مذابح جراتسياني وعصابته فى الحبشة وليبيا ويوغسلافيا ؟ أكانت الفاشية من تعاليم محمد أكانت البلشفية من تعاليمه ؟ أكرمت أمة محمد صانع الدمار فى العالم صانع الديناميت نوبل ؟ يا عجباً ... مخطئٌ من ظن يوماً ... أن للثعلب دينا )
- أين الكلام عن سفك الدماء الذي يمارسه اليهود ضد الأطفال والصبايا في فلسطين؟
- إن هؤلاء يصنعون الإرهاب ويقذفون بالنار إلى صهاريج الوقود ، فالنيل من جناب النبوة استفزاز واستنفار لكل مسلم، ودونه أبداً مهج النفوس، وفداه الأمهات والآباء، وإن جمرة الغضب التي يوقدها هؤلاء في قلب كل مسلم لا يمكن التنبؤ بالحريق الذي ستشعله ولا كيف ولا أين . وسيدفع هؤلاء برعونتهم هذه البشرية إلى أتون سعير متواصل من الصراعات والثارات . ( الغرب هم من أتوا بالخراب على فلسطين والعراق ... أبديمقراطية الجسس مجهولة التهوية سيتحقق الأمن فى العراق ؟ القضية واضحة جداً ولن نتخلى عن عراق أمجادنا لمجوس الشرق الإيراني . إعلمى يا أمريكا وتأكدي أنك لن تفلحي في ترضية إيران لتتخلى عن ملفها النووي على حساب العراق ندري أنها أكبر عملية خداع فى التاريخ تلكم التى تدور رحاها فى العراق والحرب سجال ، الحرب سجال يا أمريكا رغم استقبالك للقرد المجوسي ( نجاد ) كأول رئيس دولة يزور العراق ، لن نتخلى عن إسلام عراقنا وعراقتنا ، مهما كانت التضحيات وسنبقى ندعم السنة وإن قاتلنا كل جيوش الأرض لا مجرد خنازير أمريكية وقرود إيرانية فقط ، سنبقى فى السر ننافح إلا أن يأتي وقت العلن ولنرينكم بأسنا ...)
ولأن احتمال المسلمون ألواناً من البغي، وتقبلوا تبريرات متنوعة للعدوان فلن يوجد من يحتمل البغي على النبي – صلى الله عليه وسلم- ولن يمكن تبرير أي حماقة من هذا النوع .

- ألا يطرح هذا سؤالاً كبيراً عن هذه الحملة: هل هي محاولة لدفع المواجهة التي تخوضها أمريكا مع العالم الإسلامي باتجاه ديني، أم أنها كشف للوجه الحقيقي للحملة الأمريكية؟ وسيجيب كلٌ على هذا السؤال وفق ما لديه من معطيات .

- إن هؤلاء القسس يجرّون أمريكا إلى بؤرة خطرة لم تجربها من قبل، وسيكون عاقبة أمرها خسراً، إذ قد تستطيع تغيير الأنماط الاجتماعية والاقتصادية في بعض البلاد الإسلامية، أما مقام النبوة في نفوسهم فأخطر من أن يمس، وأبعد من أن ينال.

- إن اليهود قد استطاعوا أن يرهبوا أوروبا وأمريكا، وأن يكمموا الأفواه دون ما يسمونه معاداة السامية، وأصبحت هذه الوصمة رعباً لا يستطيع أحد تجاوزه، فإذا فكر وقدر تكالبت عليه أجهزة الإعلام بهجوم عنيف يقضي على كيانه وقيمته، فهل تعجز الملايين المليئة من أتباع محمد – صلى الله عليه وسلم- أن تدفع أو تدافع، فتحرك ساكناً وتحدث أثراً .

- وبعد فإن عظمة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في نفوسنا أعلى من قبّة الفلك، ولن ينال منها مثل هذا التواقح الجبان ( والذي يبصق على السماء عليه أن يمسح وجهه بعد ذلك )، ولكن الذي يعنينا هنا واجبنا نحن تجاه مقام النبوة، والانتصار لجناب الرسول – صلى الله عليه وسلم- والذبّ عن شريف مقامه.

- فهذا نداء إلى كل مؤمن بالله ورسله، إلى كل قلب يخفق حباً لنبيه – صلى الله عليه وسلم -، وإلى كل مهجة تتحرق شوقاً إليه ، إلى كل مسلم يعلم أنه لولا رسول الله – صلى الله عليه وسلم - لكنا حيارى في دياجير الظلمات، ولولا رسول الله لكنا فحماً في نار جهنم، إلى كل مسلم يقول من أعماق قلبه: فدى لرسول الله نفسي، وفدى لأنفاسه أبي وأمي، إلى كل مسلم تضج جوانحه تعظيماً وتوقيراً، وإجلالاً وتقديساً لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – هذا نداء لنصرة النبي أمام هذا التواقح الفاحش والتسفل البذيء، ولن يعدم كل غيور أن يجد له مكاناً ومكانة، وأن يبذل فيه جهداً ولو قل، وكل كثير منّا فهو في حق النبي قليل. وذلك بإعلان الاستنكار لهذا التهجم والهجوم والاحتجاج القوي عليه، والرد بعزة ووثوق على شبههم المستهلكة، وأن يعلم هؤلاء ومن يلحد إليهم عظيم جنايتهم وتجنيهم على مشاعر المسلمين، وأن يُعلموا أن مكانة النبي – صلى الله عليه وسلم – في نفوس المسلمين أعظم مما يتصورون، والمساس بها أخطر مما يقدرون، كل ذلك مع ملاحظة حصر الخطأ فيمن صدر منه، فليس من العدل ولا من العقل توسيع دائرة الخطأ لتشمل غير من صدر منه، وإن كانوا يشتركون في قواسم أخرى. كما أن تعميم الخطأ يعيق عملية التصحيح والإيضاح، كما أنه ينبغي ألا يوقف الحملة المضادة ولايضعفها الاعتذارات الواهنة التي صدرت من أحدهم ويمكن أن تصدر من آخرين، فالخطيئة أكبر من أن يمحوها اعتذار باهت.

وسيترتب على هذه الحملة في نصرة النبي – صلى الله عليه وسلم – مصالح أخرى تابعة لذلك منها تصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام والمسلمين، ونشر الإسلام ، ومقاومة الحملة اليهودية على المسلمين، ومقاومة المد التنصيري وغير ذلك .

ويمكن أن تأخذ الحملة لنصرة النبي – صلى الله عليه وسلم – طرائق متنوعة منها:

١٠الاحتجاج على الصعيد الرسمي على اختلاف مستوياته، واستنكار هذا التهجم بقوة،وإننا نعجب أن الشجب والاستنكار الذي نحن أهله دائماً لم يستعمل هذه المرة، ونعجب أخرى أن يستنكر هذه الإساءة وزير خارجية بريطانيا، سابقاً بذلك آخرين كانوا أحق بها وأهلها.

٢٠الاحتجاج على مستوى الهيئات الشرعية الرسمية كوزارات الأوقاف، ودور الفتيا، والجامعات الإسلامية.

٣٠الاحتجاج على مستوى الهيئات والمنظمات الشعبية الإسلامية وهي كثيرة.

٤. إعلان الاستنكار من الشخصيات العلمية والثقافية والفكرية والقيادات الشرعية، وإعلان هذا النكير من عتبات المنابر وأعلاها ذروة منبري الحرمين الشريفين.

٠٥المواجهة على مستوى المراكز الإسلامية الموجودة في الغرب بالرد على هذه الحملة واستنكارها.
٠٦المواجهة على المستوى الفردي، وذلك بإرسال الرسائل الإلكترونية المتضمنة الاحتجاج والرد والاستنكار إلى كل المنظمات والجامعات والأفراد المؤثرين في الغرب، ولو نفر المسلمون بإرسال ملايين الرسائل الرصينة القوية إلى المنظمات والأفراد فإن هذا سيكون له أثره اللافت قطعاً .
٠٧استئجار ساعات لبرامج في المحطات الإذاعية والتلفزيونية تدافع عن النبي – صلى الله عليه وسلم – وتذب عن جنابه، ويستضاف فيها ذوو القدرة والرسوخ، والدراية بمخاطبة العقلية الغربية بإقناع، وهم بحمد الله كثر.
٠٨كتابة المقالات القوية الرصينة لتنشر في المجلات والصحف -ولو كمادّة إعلانية- ونشرها على مواقع الإنترنت باللغات المتنوعة .
٠٩ إنتاج شريط فيديو عن طريق إحدى وكالات الإنتاج الإعلامي يعرض بشكل مشوق وبطريقة فنية ملخصاً تاريخياً للسيرة، وعرضاً للشمائل والأخلاق النبوية، ومناقشة لأهم الشبه المثارة حول سيرة المصطفى – صلى الله عليه وسلم-، وذلك بإخراج إعلامي متقن ومقنع.
١٠ طباعة الكتب والمطويات التي تعرف بشخصية النبي – صلى الله عليه وسلم- ويراعى في صياغتها معالجة الإشكالات الموجودة في الفكر الغربي.
١١ عقد اللقاءات، وإلقاء الكلمات في الجامعات والمنتديات والملتقيات العامة في أمريكا لمواجهة هذه الحملة .
١٢ إقامة مؤتمرات في أمريكا وأوروبا تعالج هذه القضية وتعرض للعالم نصاعة السيرة المشرفة وعظمة الرسول – صلى الله عليه وسلم-.
١٣ إصدار البيانات الاستنكارية من كل القطاعات المهنية والثقافية التي تستنكر وتحتج على هذه الإساءة والفحش في الإيذاء.
١٤ تبادل الأفكار المجدية في هذه القضية، وإضافة أفكار جديدة والتواصي بها، وسيجد كل محب لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – معظم لجنابه مجالاً لإظهار حبه وغيرته وتعظيمه ، فهذا يأتي بفكرة، وذاك يكتب مقالة وآخر يترجم، وآخر يرسل، وآخر يمول في نفير عام لنصرة النبي – صلى الله عليه وسلم – ولسان حالهم كل منهم يقول:

فإن أبي ووالده وعرضي
لعرض محمد منكم وقاء

اللهم اجعل حبك وحب رسولك أحب إلينا من أنفسنا وأبنائنا ومن الماء البارد على الظمأ، اللهم ارزقنا شفاعة نبيك محمد وأوردنا حوضه، وارزقنا مرافقته في الجنة، اللهم صلى وسلم وبارك أطيب وأزكى صلاة وسلام وبركة على رسولك وخليلك محمد وعلى آله وصحبه.

:*:*:*:*:*:*:*:*:*:*:*

وكيف كان الرد ؟
هذا موضوع بحثنا وسيثار زخم حوله واللبيب بالإشارة يفهم .

*:*:*:*:*:*:*:*:*:*:*:*.
يقول أفصح أهل زمانه : الشيخ علي بن عبد الخالق القرني حفظه الله تعالى :

لله بارئ النسم وخالق الخلق من عدم ،نجى نوح فى السفينة من الغرق الذي عم، وسلم موسى من طغيان فرعون ونجاه من اليم.

لا يخيب من قصد بابه وأم، ولا يندم من رجى ثوابه ولا يهتم، اله له الفضل إذا أنعم تم.

واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من آمن به وأسلم وانقاد واستسلم، واشهد أن محمد عبده ورسوله النبي الهادي خير من حضر النوادي..وأبر من ركب الخوادى وفاق الليوث العوادي.

قرن الله ذكره بذِكرهِ على لسان كل ذاكر، وشَرُفَت برسالته المنائر والمنابر.

بُعِث ومعلم طريق الإيمان قد عفى ونوره خبى فأنار منه ما خبى، وشيَّد منه ما عفى، وشفى بكلمة التوحيد من كان على شفا.

اللهم صلى على نبينا محمد وعلى آله الأطهار الأبرار وصحبه المصطفَين الأخيار ومن نهل من معينه السر المدرار، ما ناح الشادي وحدى الحادي.

يارب صلى على النبي المصطفى ما غردت فى الأيك ساجعة الرُبا،،، يارب صلى على النبى وآله ما أمَّت الزوار مسجد يثرب،،،

صلوا على من تدخلون بهديه دار السلام تبلغون المطلبَ ،،،

صلوا على من ظللته غمامه ،،، والجذع حن له وناصرت الصبا ،،،

يا أيها الراجين خير شفاعةٍ من احمدِ صلوا عليه وسلموا ،،، صلى وسلم ذو الجلال عليه ما لبّىَ ملبياً أو تحلل محرمُ ،،، وعلى قرابته المقرر فضلهم وعلى صحابته الذين همُو همُو ،،، جادوا على الظاءِ حموا.. زادوا .. هدو.. فهم على الجهاد كالأنجم .

والتابعين لهم بإحسان فهم نقلوا لمن حفظوه منهم عنهمُ

{مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً} الفتح٢٩

محمد رسول الله، والذين معه على دينه أشداء على الكفار، رحماء فيما بينهم، تراهم ركعًا سُجَّدًا لله في صلاتهم، يرجون ربهم أن يتفضل عليهم، فيدخلهم الجنة، ويرضى عنهم، علامة طاعتهم لله ظاهرة في وجههم من أثر السجود والعبادة، هذه صفتهم في التوراة. وصفتهم في الإنجيل كصفة زرع أخرج ساقه وفرعه، ثم تكاثرت فروعه بعد ذلك، وشدت الزرع، فقوي واستوى قائمًا على سيقانه جميلا منظره، يعجب الزُّرَّاع؛ ليَغيظ بهؤلاء المؤمنين في كثرتهم وجمال منظرهم الكفار. وفي هذا دليل على كفر من أبغض الصحابة -رضي الله عنهم-؛ لأن من غاظه الله بالصحابة، فقد وُجد في حقه موجِب ذاك، وهو الكفر. وعد الله الذين آمنوا منهم بالله ورسوله وعملوا ما أمرهم الله به، واجتنبوا ما نهاهم عنه، مغفرة لذنوبهم، وثوابًا جزيلا لا ينقطع، وهو الجنة. (ووعد الله حق مصدَّق لا يُخْلَف، وكل من اقتفى أثر الصحابة رضي الله عنهم فهو في حكمهم في استحقاق المغفرة والأجر العظيم، ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة، رضي الله عنهم وأرضاهم).

{لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} التوبة١٢٨

لقد جاءكم أيها المؤمنون رسول من قومكم، يشق عليه ما تلقون من المكروه والعنت، حريص على إيمانكم وصلاح شأنكم، وهو بالمؤمنين كثير الرأفة والرحمة.

إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ{٩٥} إنَّا كَفَيْناك المستهزئين الساخرين من زعماء قريش، وغيرهم { الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللّهِ إِلـهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ{٩٦} الذين اتخذوا شريكًا مع الله من الأوثان وغيرها، فسوف يعلمون عاقبة عملهم في الدنيا والآخرة. {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ{٩٧}ولقد

نعلم بانقباض صدرك -أيها الرسول-؛ بسبب ما يقوله المشركون فيك وفي دعوتك. { فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ{٩٨}فافزع إلى ربك عند ضيق صدرك، وسَبِّح بحمده شاكرًا له مثنيا عليه، وكن من المصلِّين لله العابدين له، فإن ذلك يكفيك ما أهمَّك. { وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ{٩٩} [سورة الحجر] واستمِرَّ في عبادة ربك مدة حياتك حتى يأتيك اليقين، وهو الموت. وامتثل رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر ربه، فلم يزل دائبًا في عبادة الله، حتى أتاه اليقين من ربه. ..

إمام المرسلين فداك روحي وأرواح الأئمة والدعاةِ
رسول العالمين فداك عرضي وأعراض الأحبة والتقاةِ
ويا تاج التقى أفديك نفسي ونفس أولو الرئاسة والولاةِ
فعرضُكَ عرضُنا ورؤاك فينا بمنزلة الشهادة والصلاةِ
ولو سفكت دمانا ما قضينا وفائك والحقوق الواجباتِ

يا ابن امة محمد (صلى الله عليه وسلم).... هل أتاك حديث الفجرة،اللئام النكرة، الحمر المستنفرة، المكذبة المزورة، من لا يخشون تِرة، ولا يرعَون مأثرة ولا تنفعهم تذكرة، بال حمار منهم فبال عشرة..وأحمِرة وأحمِرة.
فترادفت الحُمُر بأبوالها وتعاقبت البهائم على دجهالها

يا أمة محمد (صلى الله عليه وسلم)الجرح غائر والدم فائر.

كَلِمى تان وأحـرُفى تتلعثمُ .. والجرح يفدقُ بالحشا ويُحطِمُ
آهٍ من الكلمات حين أسوقها .. سوقاً فتُنكرنى الحروف وتُجثِمُ

جُرحت أفئدة المؤمنين وكُلِمت مشاعر الموحدين حينما نشرت رسوم السخرية والاستخفاف بسيد المرسلين (عليه صلوات وسلام رب العالمين) عبر الإعلام الدنماركى من حثالة الزيغ والإلحاد والزندقة فى حملة صليبية حاقدة تحت شعارات حرية التعبير والرأي والفكر..فى كِبر.
قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم اكبر..ألا ،لعنهم الله فى الدنيا والآخرة

{إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً }الأحزاب٥٧
إن الذين يؤذون الله بالشرك أو غيره من المعاصي، ويؤذون رسول الله بالأقوال أو الأفعال، أبعدهم الله وطردهم مِن كل خير في الدنيا والآخرة، وأعدَّ لهم في الآخرة عذابًا يذلهم ويهينهم. {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً }الأحزاب٥٨
والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بقول أو فعل من غير ذنب عملوه، فقد ارتكبوا أفحش الكذب والزور، وأتوا ذنبًا ظاهر القبح يستحقون به العذاب في الآخرة.
لذا كانت هذه الكلمات بعنوان (أرعد وأبرق..يا سخيف)

إنها صيحة تقول : حقٌ على كل مسلم أن يدفع بكل وسيله مؤثره مثمرة النتائج مضمونة العواقب من قلمٍ ولسان وبيانٍ وسنان ومال ومقاطعه وسلطان ليعلم الله من ينصره ورسوله بالغيب.
لا عذر لمؤمن أن يُسخَر من رسول الله(صلى الله عليه وسلم) ويَجِمُ ويُطرِق وفيه عينٌ تطرف.
إن أمةً يُطعن فى نبيها ويُسخر منه جهراً علانية فى وقاحة وسفاهة وحماقة ثم تَجِمُ وتُطرِق أو تدافع على استحياء وخَوْر وضعف وفسولة ... أمة لا تستحق الحياة.

ماذا سيبقى من كرامة ديننا إن سكتنا وصمتنا حين يسخر بنبينا
فيا موت زُر إن الحياةَ ذميمةٌ .. ويا نفس جدي إن الدهر هاجلُ

وأمتنا بحمد الله أمة مرحومة تثبت يوما بعد يوم أنها ولود منصورة تمرض ولا تموت تغفو ولا تنام ...ولذا فان عليها البينة فى هذه الحادثة وذلك بما يلي:

أولاً:أن نعلم علم يقين أن السخرية برسول الله (صلى الله عليه وسلم) لا تُضيرهُ فى قليل ولا كثير ولا قبيل ولا دبير.. لأن الله رفع قدره وأعلى ذكره .
فوالله وبالله وتالله لو تحول رعاع أهل الأرض ومع حثالة الدنمارك إلى زبالين ليُغبِروا على السماء، لبقيت السماء صافيه متلألأة ثم لم يرجع الغبار إلا على رؤوس من أثاروه..زكاه الله وكفاه

زكىَ استقامته (مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ) ونطقه (وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ) وعلمه (عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ) وفؤاده (مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ) وبصره (مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ) وصدره (أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ) وذكره (وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ) وخلقه (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) وزكاه كله (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)

فإذا كان كتاب الله أثنى مفصحا كان القصور قصارى كل فصيح
فما على البدر أن قالوا به كلف ... ولا على المسك أن المسك مفتوتُ
وطالما أخلى الياقوت جمر غضبا ... ثم إنطفى الجمر والياقوت ياقوت

ومن العجائب والعجائب جمة ... أن تسخر القرعاء بالفرعاء
والشمس لا تخفى محاسنها ... وإن غطى عليها برقع الأنواء
لكن أنَّى يرى الشمس خفاش يلاحظها والشمس تُبهر أبصار الخفافيش

فإلى كل زنيم ليس يعرف من أبوه نقول...
أرعد وأبرق يا سخـيف فما .. على آســاد غيلٍ من نباح جراءِ
إخسأ رقيع فليس كفؤك غير .. ما يجرى من الأعفاج والأمعاء

لولا ذات سوار لطمتني.. والضرورة دعتني.. ولولا الضرورة لم آته.. وعند الضرورات آتي الكنيف!!
آلا أرغم الله معطسك من شآن.. مغالط أنتن من حلتيت.. وأثقل من كبريت.. وأهدى إلى الظلال من خريت.. وعريت وهريت.. وقطعت وفريت.. وأحرقت وذريت.. وأذبت وأجريت.. أغريت أم أغريت.. وضريت أم ضريت.. وتطوعت أم كريت.. ألا خبت.. لو ضربت الجبل بالزجاج ألف ضربة ما انكسر..!! ولو سترت الصبح بكل شيء ما أنستر..!! إنه خيار من خيار من خيار، أبى الله إلا رفعه وعلوه.. وليس لما يُعليه ذو العرش واضعُ.

فما أنت وما معك جُعلتم فداءاً أجمعين لنعله، فكلكم من جيفة الكلب أقذر..وكلكم منها أذل أحقر، لأن الذي جئتم ضلال مزور، تمارون فى المحسوس ولا يمارى فى المحسوس إلا ممسوس.
فالحس يشهد انه فاق الورى خُلقا وحِلما
عينٌ إلى العليا سمت أذنٌ عن الفحشاء صما

إن روحت تفتُم حبه لن تستطيع للمسك فتما
فهو الذي لولاه ما مُلِئت بيوت الله عِلما
شهد الأنام بأنه ما مثله عُرُباً وعجما
من ذا يساوى علمه بالبحر إن أمسى خِضمًّا
لا يستوي البحران ذا عذبٌ وذاك الملح طعما
من لم يغترف من در  بحره ولم يعترف برفيع قدره
سقط قدره وهانت نفسه إذا ما أهان امرئ نفسه
فلا أكرم الله من يُكرمُ

قع أنت ومن معك أو طيروا فإنا نعرف قدر نبينا ونحن له فداء ومعه على الهدى ولو فى سم الخياط أو على مثل حد الصراط.
كلمات عبَّر عنها أولنا،ويقولها آخرُنا،ومات عليها سلفنا،ويلقى عليها الله خلفنا بإذن ربنا وحسَّان إمامنا. فإن أبى ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء

نقولها إنذار ونقسم لو دعواك شخصا تمثلت لصبت عليك اللعنة ثم اضمحلت
وهل ينفع الإنذار ممن ضاع عقله وما معه إلا صورة اللحم والدمِ

يريد بقوله تدنيس شمس و أين الشمس من دنس وعار
غربيان سلاحه الفُسى نعوذ بالله وبالله نعوذ
قد جف من ماء الكرامة وجهه لكنه قحطا ولؤماً ينفُض
لوان صاعقه هوت ما أثرت .. فى وجهه الوقح العديم الماء
لاتعجبن إذا امتُحِنت بسُخفِهِ ..  فالحُر ممتحن بأولاد الزوانى

والله الذي لا إله إلا هو لا أرى مثلاً لهؤلاء الموتورين الذين يتطاولون على القمم الشماء إلا كذبابة حقيرة سقطت على نخلة عملاقة فلما همت بالانصراف قالت فى استعلاء:أيتها النخلة تماسكِ فإني راحلة عنكِ، فقالت النخلة العملاقة : إنصرفى أيتها الذبابة فهل شعرت بكِ حينما سقطت علىَّ لأستعد لكِ وأنت راحلة عنى ؟!!!

ألم تر أن الليث ليس يضيره ..  إذا نبحت عليه يوم كلاب
لا يُضير السماء العواء .. ولا تمتد لها يد شلاء
وإطفاء نور الشمس أدنى لراهب وأيسر من إطفاء نور الشريعة...

أرعد وأبرق يا سخيف  فما على آساد غيل من نباح جراءِ
إخسأ رقيع فليس كفؤك غير ما يجرى من الاعفاج والأمعاء

ثانيا: تبليغ سنته(صلى الله عليه وسلم)وأخلاقه وسيرته إلى الخلق أجمعين مسلمهم وكافرهم، عربيهم وأعجميهم، صغيرهم وكبيرهم، ذكرهم وأنثاهم، بجميع لغاتهم حجه على المعاندين وهداية للغافلين وتثبيت للمسلمين، فإن تبليغ سنته وأخلاقه وسيرته إليهم أفضل من تبليغ السهام إلى نحورهم، مع بيان انه رحمه للعالمين بنص كلام رب العالمين (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين).. فعموم العالمين حصل

لهم النفع برسالته، أما أتباعه فنالوا بها كرامة الدنيا والآخرة، وأما من قتلهم من المحاربين له فذلك لهم رحمه لأن طول أعمارهم فى الكفر تغريض للعذاب عليهم فى الآخرة.
وأما المعاهدون له فعاشوا تحت ظله وعهده وذمته خير معيشة وأما المنافقون فحصل لهم بإظهار الإيمان حقن دمائهم وأموالهم وجريان أحكام المسلمين عليهم.

فهو لكل احد رحمه وإنما بُعِث رحمة
هو رحمة للناس مهداة، فيا ويل المعاند إنه لا يُرحمُ

أرعد وأبرق يا سخيف  فما على آساد غيل من نباح جراءِ
إخسأ رقيع فليس كفؤك غير ما يجرى من الاعفاج والأمعاء

ثالثا: استخدام أدنى واهم سلاح نملكه، وهو سلاح المقاطعة لكل منتج دنماركى على وجه الخصوص برهان على إن حب الله ورسوله أعلى من حب المال والأهل والنفس والتجارة والشهوات والناس أجمعين.
ونكاية فيهم، فهم عبدة درهم ودينار.
فهي رسالة فصيحة صريحة تقول : اى عبَّاد الدرهم والدينار إن كففتم وألعنتم وبخطأكم اعترفتم ومن أساء حاكمتم وعاقبتم، نظرناه..وإن عدتم وتماديتم عدنا.
إن عادت العقرب عدنا لها وكانت النعلُ لها حاضره

فيا أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) إن أعدائكم لأغنياء بكم وليسوا أغنياء عنكم، أنهم أقوياء بما يستمدونه من جيوبكم وجُعبتكم فاقطعوا عنهم المدد يذو ويهزلوا.
قاطعوهم...
قاطعوا كل البضائع من مزارع ومصانع
قاطعوهم تجدوا عن كل لقمه بعدها ذل ونقمه ألف لقمه ترفع الذل وتَغنى ألف جائع.
قاطعوهم تقطعوا عن كل جرح نذيفه، تدفعوا عن كل مظلوم حتوفه قاطعوهم...قاطعوهم...
قاطعوهم وإن خفتم غيلة فسوف يُغنيكم الله من فضله.

أرعد وأبرق يا سخيف  فما على آساد غيل من نباح جراءِ
إخسأ رقيع فليس كفؤك غير ما يجرى من الاعفاج والأمعاء

رابعاً: الرد ممن هو أهل للرد على فئة من حَمَلَة الأقلام من بنى جلدتنا، والذى يصدُق فى هذه الفئة
أسد على وفى الحروب نعامةٌ فتخاء تنفر من صفير العصافير.
هي آلة صماء فى يد عدونا،، يُديرُها كما شاء ويُريدها على ما شاء،، يحركها للفتنه فتتحرك،، لتغطى الشمس بالغربال ،، وتطاول العمالقة بالتنبال،، يدعوها لتفريق الصفوف فتستجيب وتُجيد التخريب،، يريدها حُمَّى تَنهك فتكون طاعون يُهلك،،..يريدها لسان،،، فتكون لسانا،، وعيناً،، وأذناً،، ويداً،، ورجلاً ،،ومقراضاً للقطع ،،وفأساً للقلع،، ومعولاً للصدع.

ما يشاء العدو إخماد حركة إلا كانت على يديها الهلكة، قد تهيأت فيها أدوات الفتنه فجنسُها وفردها، غبي العين عن طلب المعالي وفى السوءات شيطان مريدُ، بينه وبين أمته إدغام بغير غنة، كما تدغم اللام فى اللام فلا يظهر إلا المتحرك.

طويل اليد اليسرى وأما يمينه .. فليس لها فى المكرمات بنانُ

،فى كل محنه يبرزون، يكثرون النعيق ويتابعون النهيق فى ضجيج وعجيج.
يغسلون النجيع بالرجيع، ريحهم ريح كلاب هرشت فى يوم طل..يدفعونها للانغماس فى مستنقع عدوها بمره وشره لأنهم عبيدهم والعبد وما ملك لسيده.
حاروا عليها أغوى من غوغاء الجراد، بل كانوا كذئب السوء لما رأى دماً بصاحبه يوما أحال على الدم
يقول قائلهم فى هذا الحدث: لا للاستهزاء بالنبي (صلى الله عليه وسلم) ولكن للنقد، أيُنقد المعصوم من لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحىٌ يوحى ؟!! ، لكنه الهوى لحظائر من هواه.
ويقول آخرون وقد أزعجهم حملة المقاطعة: إنها حملة فوضوية تُعمق الكراهية والحقد فى نفس الآخرين -على حد تعبيرهم- وتُغذى الإرهاب.
وهذا دَيدَنهم كلما نزلت فى الأمة نازلة، أو ألمت بها مُ٠٠لمة..
{وَلَوْ نَشَاء لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ }محمد٣٠
ولو نشاء -أيها النبي- لأريناك أشخاصهم، فلعرفتهم بعلامات ظاهرة فيهم، ولتعرفنَّهم فيما يبدو من كلامهم الدال على مقاصدهم. والله تعالى لا تخفى عليه أعمال مَن أطاعه ولا أعمال من عصاه، وسيجازي كلا بما يستحق.
ما فاجئونا...ليس هناك من حدث إلا ويظهرون فى صور وأشكال قد تتباين لكن المخازي واحده.

ألسنة لا تترجم عن حق ولا تصدر عن يقين، مبدأها لا فرق بين قُرَّاء البقرة وعُبَّاد البقرة، وما هم اليوم إلا من عرفناهم بالأمس.

حال الأمة معهم يقول بقول القائل:

أشكوا إلى الرحمن من علج يعيش على جراحي ،،، من جلدتي لكنه اشد من طعن الرماح
أخذ الديانة عن مسيلمة الكذوب وعن سجاح ،،، من كل تيس كلما كبَّرت بربر للنطاح
عمىٌ بصائرهم، طمسٌ مشاعرهم، كأنهم فى مراعى وهمهم غنمُ
فالشر منطقهم والغدر شيمتهم والخبث ديدنهم إن العدو هم

{وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ } المنافقون٤
وإذا نظرت إلى هؤلاء المنافقين تعجبك هيئاتهم ومناظرهم، وإن يتحدثوا تسمع لحديثهم ؛ لفصاحة ألسنتهم، وهم لفراغ قلوبهم من الإيمان، وعقولهم من الفهم والعلم النافع كالأخشاب الملقاة على الحائط، التي لا حياة فيها، يظنون كل صوت عال واقعًا عليهم وضارًا بهم؛ لعلمهم بحقيقة حالهم، ولفرط جبنهم، والرعب الذي تمكَّن من قلوبهم، هم الأعداء الحقيقيون شديدو العداوة لك وللمؤمنين، فخذ حذرك منهم، أخزاهم الله وطردهم من رحمته، كيف ينصرفون عن الحق إلى ما هم فيه من النفاق والضلال؟

فلهم نقول بقول القائل:

أكُرَّار على قومي كمات .. وفي وجه الأعادي كالبنات
وإن مس العدو مسيس قرح .. رفعتم بيننا صوت النعاتِ
ألا بترت روافد كل خب .. تمرغ في وحول السيئاتِ
ومن يرجو بنى علمان عوناً .. كراجي الروح في الجسد الرفاتِ

يا أمة محمد(صلى الله عليه وسلم) من لم يصرح بموقفه اليوم ضد أعداء نبينا(صلى الله عليه وسلم) فهو منهم مهما كان موقفه ومهما لوَّن أعذاره.. ولا كرامه.

((( وهذا مقال واقع ينطق و يصف حال التهاون والخذلان الذى أصاب الآمة عندما جعلت قناة الخنزيرة العميلة الحقيرة من الإسلام مادة للتهكم على لسان امرأة تبحث لها عن مجتمع يتبناها فبعد أن لفظتها سوريا وتركت الباطنية النصيرية ويبدوا أنهم رفضوا أن يكون لها استنساخ روحي كما هو في معتقدهم الأفاك وسمعت أن أقباط الغجر الغربي ينفقون ببذخ على كل من انسلخ من إنسانيته وتحول إلى مسخ مختلط بممزوج قذر من النتن الصهيوني وعفونة أبناء ماء البلسان فانغمست في مستنقعهم للتعميد وعمدتها قناة الخنزيرة على شاشتها وأعلنت عن أحدث اكتشافاتها على منصة رأيهم الذي يأتي من العالم الآخر عالم مختلط من نقيع الأحذية ونتن البالوعات ... فافتتحت لها خط صرف صحي جديد يخدم ليبرالية الإلحاد ..

فاستضافت بوق للنذالة والقذارة ... إنها أم لهب وعمة لهب وخالة لهب ومسقط رأس آل لهب حمالي الحطب

إنها الوباء في السوليفان ... وليست وفاء ومالها من سلطان إلا على البغايا اللئام من لن يسالمهم ربهم المزعوم زوراً وبهتاناً .. الخروف الذي سيجرهم للحتوف.

يقاد للسجن من سب الزعيم .. وإذا سُب الإله فالناس أحرار

يـجــلى حـقيـقـتـها لنــا الأســتاذ الفاضـــل / عبد العزيز مصطفى كامل .. إذ يقول سدده الله :

(( أسوأ من الرسوم ... وأسفل من كل هجوم ... وأحط من سفاهات الدانمركيين والإيطاليين والألمان والأمريكيين، وأكفر مما قاله كفار اليهود والنصارى ومشركوا العرب، وأخسُّ مما تفوه به كلُّ مجرمٍ في حق الإله وحق القرآن وحقِّ الرسول_صلى الله عليه وسلم ... _ذلك الذي تقيأته وفاهت به "أم لهب" الجديدة، المدعوة (وفاء سلطان) في برنامج الاتجاه المعــاكس بقناة الجزيرة في ( ٤ /٣ /٢٠٠٨ ) حيث تكلم إبليس على لسان تلك المرأة المسترجلة، في خطاب حماسي حار، أذيع على الهواء مباشرة، يسب دين الله علانية، ويسخر من دين المسلمين جهرة، من خلال قناة عرفت عند البعض بأنها قناة إسلامية "متنكرة .!"

المأخذ على القناة وعلى مديرها، أنها تسمح مرارًا وتكرارًا، بسب الدين على شاشتها، من أناس تعرف أنهم يخرجون لتوصيل رسالة شيطانية محددة في وقت بث محدود، ومنهم تلك المرأة "المسخرة" التي تستخدم القناة للسخرية من مليار وثلث من المسلمين، وقد سبق أن استضافت الجزيرة تلك النكرة، فعرفت بنفسها على أنها لا تدين بأي دين، وهي كاذبة إذ أنها تدين لليهود بالمودة والإخلاص، وهي تدين للنصارى بالإجلال والتقديس، وتأخذ موقف الاحترام من كل الأديان ماعدا دين الإسلام .!.!.!

كيف ساغ لهذه القناة أن تستضيف هذه المخلوقة المتمردة المتنمردة على الخالق جلَّ وعلا ؟! ... كيف تكرر استضافتها أمام من لا يحسن محاورتها ومجادلتها وإلقامها أحجارًا تغص حنجرتها المتفجرة

بالفجور؟؟ كيف تظهرها وكأنها صاحبة الحجة التي لا يستطيع أحد ردها، والمعرفة التي لا يقدر أحد على الجدال فيها؟ إن سفال تلك المرأة قد انحط عما بلغه كل المسيئين السابقين؛ لأنها دافعت عنهم جميعا، وسوغت دوافعهم وأفاعيلهم، وقالت إن مواقفهم العدائية لم تكن عن جهل أو خطأ، وإنما جاءت بعد دراسة وفهم لحقيقة الإسلام وحقيقة القرآن وحقيقة الرسول_صلى الله عليه وسلم !_

إنني أطالب اتحاد المحامين العرب أن يقيم دعوى ملاحقة قضائية ضد هذه المرأة المتهتكة ثقافيـًا ... وإلا ... فما الذي يحامي عنه هؤلاء المحامون إذا كنا كلنا - كمسلمين- عربـًا وعجمـًا نرمى بأننا إرهابيون ومتخلفون وغير عاقلين؟

هل صارت هويتنا ومقدساتنا وكرامة أمتنا مستباحة لكل موقوذة ومتردية ونطيحة من سقط البشر وحثالات المخلوقات؟ وهل صار ديننا وعقيدتنا مادة لـ"التسلية الإعلامية" أو الإثارة الفضائية؟ إنني أعلم والناس يعلمون، أن قناة الجزيرة ما كانت لتستضيف هذه المسخ لتسب على الملأ أي رئيس أو ملك أو أمير بلد مما لقطر علاقة صداقة معه!! ولو حدث هذا دون توقع من مستضاف لأخرسه المذيع، أو لقطع المخرج البرنامج ... لأن ذلك قد يؤدي إلى مشكلات قانونية للقناة، وإحراجات دبلوماسية لبلد القناة. لكن تلك القناة ومسئوليها يعلمون تمام العلم أن تلك المرأة الملوثة اللسان والجنان (جفاء سلطان)؛ ستقيئ ما قاءت، وستعيد كثيرًا مما قالت، بل لم تكتف القناة بإخراج ذلك الوجه الكالح البغيض على الناس لسبهم جميعـًا؛ ووصف دينهم بالهمجية ورسولهم بالإرهاب وقرآنهم بالتخلف..بل وإلههم وإله العالمين بالهذيان في القرآن!! وإنما استضافت لمنازلتها رجلا لا يحسن إلا الكلام في التحليل السياسي، مع أن القضية المثارة والمختارة للحوار؛ قضية دينية عقدية في موضوعها الواضح من عنوانها .!

لقد كانت النتيجة الطبيعية أن يبدو الضيف والمضيف في صورة المهزومين غير القادرين على الدفاع عن الدين أو حتى عن أنفسهم أمام سيل المجاري التي طفحت من بلعوم "السيدة "( كما وصفاها )!! وهذا أمر سيئ، لكن الأسوأ منه أن القسم الأكبر من مفتريات تلك السيئة؛ لم يرد عليه بكلمة ولا حتى مداخلة من المداخلات التي منعت من البرنامج! ومعلوم أنه ليس في قدرة ملايين المشاهدين من الأميين وأنصاف المثقفين وكذلك الأطفال والمراهقين؛ أن يمارسوا بأنفسهم حماية أنفسهم من دخن تلك الشهب الحارقة من تلك المارقة، رغم سفاهة وتفاهة ما فاهت به هذه الدمية الليبرالية الدميمة .

سؤالي لقناة الجزيرة ومسئوليها هو: ماذا لو فاجأتكم هذه النكرة المنكرة على الهواء مباشرة، فسبت القائمين على القناة؟ أو زاد طول لسانها فسخرت من دولة القناة ومن سياستها الخارجية أو الداخلية، أومن دستورها الذي ينص على أن الإسلام هو دين الدولة؟؟، أو استطال لسانها أكثر فلعنت أمير دولة قطر واتهمته في نفسه ونظامه بما لا يليق؟ !!!

أظن أن الإجابة يعرفها كل أحد ويتوقعها .. ولكن ما لم يتوقعه أحد: أن يسمح بكل هذه البذاءات والإساءات والتهجمات على الإله العظيم وعلى قرآنه المبين ورسوله الكريم على الهواء مباشرة ودون أدنى حد من رد شرعي وعقلي على ما تفوهت به هذه التافهة، التي لو قالت عشر ما قالته على سياسة القناة أو سياسة بلد القناة؛ لفصل فيصل، ولقسم راتبه على عمال الأستوديو؛ ولألقي به على قارعة الطريق وفي الاتجاه المعاكس. وحسبنا الله ونعم الوكيل.))

{لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ} النحل٢٥

ستكون عاقبتهم أن يحملوا آثامهم كاملة يوم القيامة -لا يُغْفَر لهم منها شيء - ويَحْملوا من آثام الذين كذبوا عليهم؛ ليبعدوهم عن الإسلام من غير نقص من آثامهم. ألا قَبُحَ ما يحملونه من آثام.

{وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ } الحج٣

وبعض رؤوس الكفر من الناس يخاصمون ويشككون في قدرة الله على البعث؛ جهلا منهم بحقيقة هذه القدرة، واتباعًا لأئمة الضلال من كل شيطان متمرد على الله ورسله.
{وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ } الحج٨
ومن الكفار مَن يجادل بالباطل في الله وتوحيده واختياره رسوله صلى الله عليه وسلم وإنزاله القرآن، وذلك الجدال بغير علم، ولا بيان، ولا كتاب من الله فيه برهان وحجة واضحة،
{بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ } الروم٢٩
بل اتبع المشركون أهواءهم بتقليد آبائهم بغير علم، فشاركوهم في الجهل والضلالة، ولا أحد يقدر على هداية مَن أضلَّه الله بسبب تماديه في الكفر والعناد، وليس لهؤلاء مِن أنصار يُخَلِّصونهم من عذاب الله.
وهذه فى قناة الجزيرة وأشباهها : {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ }لقمان٦
ومن الناس مَن يشتري لَهْو الحديث - وهو كل ما يُلهي عن طاعة الله ويصد عن مرضاته- ليضلَّ الناس عن طريق الهدى إلى طريق الهوى، ويتخذ آيات الله سخرية، أولئك لهم عذاب يهينهم ويخزيهم.)))

أرعد وأبرق يا سخيف فما على آساد غيل من نباح جراءِ
إخسأ رقيع فليس كفؤك غير ما يجرى من الاعفاج والأمعاء

خامساً: الدعاء واللجأ لرب الأرض والسماء أن ينتقم ممن سخر وأقر.
اللهم إنا نسألك بعزتك وقدرتك وجبروتك وكبريائك أن تنتقم ممن سخر من نبينا ومن أقره على السخرية.
اللهم اجعله للساخرين عبره وآية، يا جبار يا قوى يا عزيز يا قهار.
اللهم الدين دينك فانتصر .. واعصف بجبار أشِر
وأجعل جموع المعتدى .. أعجاز نخل منقعر
فالجأِى لله يا أمتنا هذا ما كان إلاهى ملجا

سادساً: الصبر والتقوى.
قال المولى جل وعلا: {لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيراً وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ } آل عمران١٨٦
لَتُخْتَبَرُنَّ -أيها المؤمنون- في أموالكم بإخراج النفقات الواجبة والمستحبَّة، وبالجوائح التي تصيبها، وفي أنفسكم بما يجب عليكم من الطاعات، وما يحلُّ بكم من جراح أو قتل وفَقْد للأحباب، وذلك حتى يتميَّز المؤمن الصادق من غيره. ولتَسمعُنَّ من اليهود والنصارى والمشركين ما يؤذي أسماعكم من ألفاظ الشرك والطعن في دينكم. وإن تصبروا -أيها المؤمنون- على ذلك كله، وتتقوا الله بلزوم طاعته واجتناب معصيته، فإن ذلك من الأمور التي يُعزم عليها، وينافس فيها.

{إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ } آل عمران١٢٠
ومن عداوة هؤلاء أنكم -أيها المؤمنون- إن نزل بكم أمرٌ حسن مِن نصر وغنيمة ظهرت عليهم الكآبة والحزن، وإن وقع بكم مكروه من هزيمة أو نقص في الأموال والأنفس والثمرات فرحوا بذلك، وإن

تصبروا على ما أصابكم، وتتقوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، لا يضركم أذى مكرهم. والله بجميع ما يعمل هؤلاء الكفار من الفساد محيط، وسيجازيهم على ذلك.

أرعد وأبرق يا سخيف فما على آساد غيل من نباح جراءِ
إخسأ رقيع فليس كفؤك غير ما يجرى من الاعفاج والأمعاء

سابعاً: معرفة حكم السب والسخرية والاستهزاء بالرسول(صلى الله عليه وسلم) لكل أحد.

قال الأمام احمد رحمه الله: كل من شتم النبى(صلى الله عليه وسلم)مسلماً كان أم كافرا فعليه القتل ولا يُستتاب، وهو مَرتد إن كان مسلماً، وناقضاً للعهد إن كان ذمياً.
يقاد للسجنِ من سب الزعيم .. وإذا سُب الإله فالناس أحرار

قال القاضي عياض وغيره: لا تقبل توبته بل يُقتل ولو تاب لأنه حق آدمي لم يُعلم إسقاطه.
وروى الشعبي عن علىّ(رضى الله عنه) أن يهودية كانت تشتم النبى(صلى الله عليه وسلم) فخنقها رجل حتى ماتت فأبطل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) دمها.
وعن عمر (رضى الله عنه)أنه أُتيَ برجل سب النبى (صلى الله عليه وسلم) فقتله ثم قال: من سب الله أو أحد من الأنبياء فاقتلوه.
ومن المتفق عليه انه لما هجى كعب بن الأشرف اليهودي رسول الله(صلى الله عليه وسلم) ندب الرسول إلى قتلِه فقال: (من لكعب بن الأشرف فقد أذى الله ورسوله؟) فقام محمد بن مسلمه(رضى الله عنه) وقال: أنا لك به يا رسول الله.. فما رجع حتى قتله.
نعم..من لم يؤدبه الجميل ففي عقوبته شفاء
ولما وقعت عصماء بنت مروان فى رسول الله(صلى الله عليه وسلم) روى انه قال: (من لى بها؟) فقال عمير بن عدى من قومها: أنا لك بها يا رسول الله.. فنهض إليها فوضع السيف فى صدرها حتى أنفذه من ظهرها.

فدرَّجها من مجيع الدما .. قبيل الصباح فلم تخرج
فأورده الله برد الجنان .. جذلان من نعمة المولجى

ولما قال أهلها له: آنت قتلتها؟..قال:نعم، فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون، والذي نفسي بيده لو قلتم ما قالت لضربتكم بسيفي هذا حتى أقتلكم جميعا أو أموت.
وعن ابن عباس(رضى الله عنهما) أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبى(صلى الله عليه وسلم) وتقع فيه، ينهاها فلا تنتهي ويزجرها فلا تنزجر، قال: وفى ليله جعلت تقع فى النبى(صلى الله عليه وسلم) وتشتمه فأخذ المغول فوضعه فى بطنها واتكأ عليها فقتلها، فلما أصبح ذُكِرَ لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) فجمع الناس وقــال : ( أنشُد الله رجل فعل ما فعل لـىَ عليه حق إلا قام).
فقام الأعمى البصير يتخطى الناس وهو يتزلزل حتى قعد بين يدى الرسول (صلى الله عليه وسلم)ثم قال: (يا رسول الله أنا صاحبها، كانت تشتمك وتقع فيك وأنهاها فلا تنتهي وأزجرها فلا تنزجر، ولى منها ابنان مثل اللؤلؤتين، وكانت بر رفيقه رقيقه، فلما كانت البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك، فأخذت المغول فوضعته فى بطنها واتكأت عليها حتى قتلتها..حالهم ما أنا بنادم على ذلك يا رسول الله.
فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (أبعدها الله، قد أهدرت دمها ألا اشهد أن دمها قد هدر)

فمن لم يؤدبه القران وهديه .. فإن الحسام العصب نعم المؤدب

يا أمة محمد(صلى الله عليه وسلم) إن شانئه الأبتر، لقد جرت أوامر النبى(صلى الله عليه وسلم) على قتل الساب، وسُنة الله أن يهلك من سبه ولا يؤخره.
وقد عُرِفَ وأشتهر فى حصار القلاع أنه متى وقع من العدو السبُ أُخِذوا عاجلا فصار ذلك معروفا بين المسلمين يعلمون به قرب النصرة على الكافرين.
وفحوى هذه النقول، لا يدفع عن جناب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الطاهر الرفيع الشريف من ولوغ الكلاب مثل السيل.
لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يُراق على جوانبه الدمُ
ومن لطيف ما يُروىَ فى هذا الباب ما ذكر ابن حجر(عليه رحمة الله) فى (الدرر الكامنة) أن بعض أمراء المغول تنصَّر فحضر عنده جماعه من كبار النصارى والمغول فجعل أحدهم يسخر من النبى(صلى الله عليه وسلم) وبجوارهم كلب صيد، فوثب الكلب على الساب فهمشه وخدشه فى وجهه ثم خلصوه منه..
فقال بعض الحاضرين:هذا لكلامك فى محمد(صلى الله عليه وسلم).
قال:كلا بل هذا الكلب عزيز النفس رآني أشير بيدي فظن أنى أريد أن اضربه.
ثم عاد يسخر ويستهزأ ويطيل فى ذلك، فوثب الكلب مره أخرى عليه فقبض على ذردمته تحت حلقومه وموضع بلعه فاقتلعها واختلعها فمات من حينه، فاسلم بسبب ذلك نحو أربعين الفاً من المغول.
كلبٌ ينتقم لرسول الله ويغضب فأخبرني متى تغضب إذا انتَهكت محارمُنا، إذا نسفت معالمنا، إذا افترست شهامتنا، إذا ديست كرامتنا، إذا سخرت أراذلنا... ولم تغضب، فأخبرني متى تغضب.
إذا لله للإسلام للقرآن للحرمات لم تغضب..فأخبرني متى تغضب.
متى التوحيد فى جنبيك ينتصرُ .. ،متى يُستل هذا الجبن من جبينك والخورُ.؟
متى بركانك الغضبى للحرمات ينفجر .. فلا يُبقى ولا يُذر؟
إذا للرسل لم تغضب..فأخبرني متى تغضب ؟

فعش فاراً ومت أرنب إذا المرء هان على نفسه يكون على نفسه أهون

أرعد وأبرق يا سخيف فما على آساد غيل من نباح جراءِ
إخسأ رقيع فليس كفؤك غير ما يجرى من الاعفاج والأمعاء

ثامناً: أن تكون صوره حيه متحركة لسنة وسيرة وأخلاق رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، تتجلى فى تصرفاتنا وحركاتنا وسكناتنا وعقائدنا وعباداتنا ومعاملاتنا وسلوكنا ودعواتنا وعلى قسمات وجوهنا وفى فلتات ألسنتنا وتقلبات أعيننا.

لأن تخلينا اليوم عن كل وسائل الانتصار المادية فقد بقى فى أيدينا سلاح من أمضى الأسلحة لا يقوم له شئ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والله ما هي إلا نفحه من نفحاته تهب على هذا القطيع المبدد، فإذا قلوبهم مجتمعه ونوافرهم متآلفة وأخلاقهم شامة.
كلمات رب العالمين بها سماع عقلٌ وفيها للظلام كواشِفُ
إن الدعوة إلى الله بأخلاق الإسلام روح تجرى ونفحه تسرى، حقيقة جذابة ليس بين النفوس وبين الإذعان لها إلا إشراقها عليها.
ولولاها لساوى الليث ذئباً وساوى الصارم الماضي قرابا.

يشهد بذلك العقل والنقل والقريب والغريب والموالى والمعادى.
يذكر الأستاذ النجار : أن أحد العقلاء الغرب وقف ليخاطب جمعا من المسلمين فيقول: يا أيها المسلمون إنكم لن تستطيعوا إن تسايروا الغرب اليوم ،لا اقتصادياً ولا سياسياً ولا إعلامياً.. ولكنكم تستطيعون إن تجعلوا هذا الغرب المتكبر المتغطرس المستعلي يحثو على ركبيه أمامكم بالإسلام...
ثم يقول: ائتوني بأربعين شاباً يحسنون فهم هذا الدين فهماً دقيقاً، ويُحسنون تطبيقه على أنفسهم تطبيقا دقيقا، ويحسنون عرضه على الناس بلغة العصر عرضاً دقيقا، وأنا أضمن لكم ان أفتح بهم الأمريكتين الشمالية والجنوبية.

حاله... ولسوف تشرق شمسكم .. بسمائكم يوماً وليست بعد ذلك تغربُ.

والتاريخ يثبت أن انتشار الإسلام فى بقاع من أسيا وبقاع من إفريقيا لم يكن بجيوش ولا حشود، بل بأخلاق الإسلام التى كان يتعامل بها معهم تجَّار الإسلام.
ليس بعد اليقين يا عين سبٌ أكد الفعل ما حواه الكلامُ
يا أمة محمد(صلى الله عليه وسلم) مع مرارة وقسوة وشدة ما حدث على قلوبنا فإنا نقول بقول الله..
{إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ }النور ١١
إن الذين جاؤوا بأشنع الكذب، وهو اتهام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالفاحشة، جماعة منتسبون إليكم - معشر المسلمين- لا تحسبوا قولهم شرًّا لكم، بل هو خير لكم، لما تضمن ذلك مِن تبرئة أم المؤمنين ونزاهتها والتنويه بذكرها، ورفع الدرجات، وتكفير السيئات، وتمحيص المؤمنين. لكل فرد تكلم بالإفك جزاء فعله من الذنب، والذي تحمَّل معظمه، وهو عبد الله بن أبيٍّ بن سلول كبير المنافقين- لعنه الله- له عذاب عظيم في الآخرة، وهو الخلود في الدرك الأسفل من النار.
فقد ظهرت منزلة رسول الله(صلى الله عليه وسلم)عند أمته وظهر الحب الصادق فيما نحسبه حتى ولكأنه (صلى الله عليه وسلم) حي بين أظهُرنا.
وظهر اليقين بوجوب السعي الحثيث لاستقلال الأمة اقتصادياً، ومن لم يسعى لذلك فهو عدو لها ولو كان من أبنائها، شعر أم لم يشعر

(لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَّكُم)
لقد ظهرت القوايم المشتركة التى يبصرها الأعمى ويسمعها الأصم بين ما فى صحافة الدنمارك وبعض كتّاب العرب من الثناء على بعض الروايات القذرة وكتّابها والدعاية الصاخبة لها.

(لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَّكُم)

لقد كفانا الله بما حدث الرد على من يحملنا قصراً على ثقافة العولمة والتسامح.

(لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَّكُم)

فهذى أمة الإسلام ضجت .. وقد تُجبى المنى بالنائباتِ
وقد تُشفى الجسوم على الرزايا .. ويعلو الدين من كيد الوشاةِ
وقد تصحو القلوب إذا استُفِزت .. ولفح الثأر يوقظ من ثُباتِ

يا أمة محمد(صلى الله عليه وسلم) لا يرد العدوان إلا إيمان صادق وعمل فعال وتحرك أقوى باستمرار بلا توانٍ..
ووالله لو بذلنا كل غالٍ ونفيس لندرك الخير الذى جاء من هذه المحنه لكان قليلا.
ولكنه بحمد الله بخير جاء من حيث لم نبذل ولم نحتسب

(لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَّكُم)

{إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاء وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ }الممتحنة٢
إن يظفر بكم هؤلاء الذين تُسرُّون إليهم بالمودة يكونوا حربًا عليكم، ويمدوا إليكم أيديهم بالقتل والسبي، وألسنتهم بالسب والشتم، وهم قد تمنَّوْا- على كل حال- لو تكفرون مثلهم...والله ما كان أعداء الله اظهر عداوة للمسلمين منهم فى هذه الأيام ولا أقبح ولا أوقح..
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ }آل عمران١١٨
يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين، تُطْلعونهم على أسراركم، فهؤلاء لا يَقْصُرون عن إفساد حالكم، وهم يفرحون بما يصيبكم من ضرر ومكروه، وقد ظهرت شدة البغض في كلامهم، وما تخفي صدورهم من العداوة لكم أكبر وأعظم. قد بيَّنَّا لكم البراهين والحجج، لتتعظوا وتحذروا، إن كنتم تعقلون عن الله مواعظه وأمره ونهيه.
ووالله ما يريدون من أمة الإسلام ما هو دون الانسلاخ من دين الإسلام ولن يرضيهم إلا ان نقول- ونعوذ بالله أن نقول-: إن الله ثالث ثلاثة،أو عزير ابن الله، أو المسيح ابن الله، أو يد الله مغلولة، أو إن الله فقير.

لا يريدون ما هو دون هذه الغاية وإن تعددت الوسائل إليها تدرجت، إن تشك فى ذلك.
فأقسم بالجبار إنك خالط ولا يوقظ المخلوط شيئا كصفعة، ومالك فيما تدعى اى حجة وأنت إذاً عيناً بأذن طويلة.
لما .. ؟ لان الله يقول: {وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ }البقرة١٢٠
ولن ترضى عنك -أيها الرسول- اليهود ولا النصارى إلا إذا تركت دينك واتبعتَ دينهم. قل لهم: إن دين الإسلام هو الدين الصحيح. ولئن اتبعت أهواء هؤلاء بعد الذي جاءك من الوحي ما لك عند الله مِن وليٍّ ينفعك، ولا نصير ينصرك. هذا موجه إلى الأمّة عامة وإن كان خطابًا للنبي صلى الله عليه وسلم.ويقول: {وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء فَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَاء حَتَّىَ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتَّمُوهُمْ وَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً }النساء٨٩
تمنَّى المنافقون لكم أيها المؤمنون، لو تنكرون حقيقة ما آمنت به قلوبكم، مثلما أنكروه بقلوبهم، فتكونون معهم في الإنكار سواء، فلا تتخذوا منهم أصفياء لكم، حتى يهاجروا في سبيل الله، برهانًا على صدق إيمانهم، فإن أعرضوا عما دعوا إليه، فخذوهم أينما كانوا واقتلوهم، ولا تتخذوا منهم وليّاً من دون الله ولا نصيرًا تستنصرونه به. ويقول: {مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ }البقرة١٠٥
ما يحب الكفار من أهل الكتاب والمشركين أن يُنزَّل عليكم أدنى خير من ربكم قرآنًا أو علمًا، أو نصرًا أو بشارة. والله يختص برحمته مَن يشاء مِن عباده بالنبوة والرسالة. والله ذو العطاء الكثير الواسع.

ويقول {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } البقرة٢١٧

يسألك المشركون -أيها الرسول- عن الشهر الحرام: هل يحل فيه القتال؟ قل لهم: القتال في الشهر الحرام عظيم عند الله استحلاله وسفك الدماء فيه، ومَنْعكم الناس من دخول الإسلام بالتعذيب والتخويف، وجحودكم بالله وبرسوله وبدينه، ومَنْع المسلمين من دخول المسجد الحرام، وإخراج النبي والمهاجرين منه وهم أهله وأولياؤه، ذلك أكبر ذنبًا، وأعظم جرمًا عند الله من القتال في الشهر الحرام. والشرك الذي أنتم فيه أكبر وأشد من القتل في الشهر الحرام. وهؤلاء الكفار لم يرتدعوا عن جرائمهم، بل هم مستمرون عليها، ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن الإسلام إلى الكفر إن استطاعوا تحقيق ذلك. ومن أطاعهم منكم -أيها المسلمون- وارتدَّ عن دينه فمات على الكفر، فقد ذهب عمله في الدنيا والآخرة، وصار من الملازمين لنار جهنم لا يخرج منها أبدًا.

إن خصومنا لا ينقمون منا إلا الإيمان، ليست المعركة سياسية ولا اقتصاديه ولا عنصريه، ولو كانت كذلك لسَهُل وقفها، ولكنها معركة عقيدة.. إما كفر وإما إيمان،إما جاهلية وإما إسلام.

قال تعالى-وإذا قال الله بطل كل قول وقائل-: {وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } البقرة١٠٩

تمنى كثير من أهل الكتاب أن يرجعوكم بعد إيمانكم كفارًا كما كنتم من قبلُ تعبدون الأصنام؛ بسبب الحقد الذي امتلأت به نفوسهم من بعد ما تبيَّن لهم صدق نبي الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم فيما جاء به، فتجاوزوا عمَّا كان منهم من إساءة وخطأ، واصفحوا عن جهلهم، حتى يأتي الله بحكمه فيهم بقتالهم (وقد جاء ووقع)، وسيعاقبهم لسوء أفعالهم. إن الله على كل شيء قدير لا يعجزه شيء.

وصدق الله وكذب المموهون

وأخيراً هذه شواهد نصرته (صلى الله عليه وسلم)..

فدوَنكها إن كنت للرشد طالبا .. تنل الخير مرجوا والعواقب

فيا من ادعى المحبة ألزم الشهداء فإذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون.

يا سامعاً أصغى لها، إن راق معناها فخذ وافتح لها باب الرضا وإن تجد عيبا فسد.

اللهم إنا نسألك بعزتك وقدرتك وجبروتك وكبريائك وعظمتك أن تنتقم ممن سخروا من نبينا ومن أقره على السخريه، اللهم اجعله للساخرين عبره وآية يا جبار يا قوى يا عزيز يا قهار.

أنت حسبنا ومن كنت حسبه فقد كفيته... حسبنا الله ونعم الوكيل.

يارب فاجمعنا معاً بنبينا .. فى جنة تثنى عيون الحسَّدِ

فى جنة الفردوس فاكتبها لنا .. يا ذا الجلالة والعلا والسؤددِ

وصلى على خير البرايا محمد وأصحابه الغر الميامين سلمٍ وها أنا أطوى ما نشرت بساطه واستغفر العظيم لذلتي

والحمد لله رب العالمين وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك اللهم وأتوب إليك.

وبعد فلقد حدث ما حدث ويا لهول ما حدث.. ويا لقذارة الاستهزاء ويا لنيل الانتصار للرسول محمد المختار..

شكرا لهاذا العدو ولو لم يقصد ما فعله، فلقد عامله الله بضد مقصوده.

ولقد تضامنا على نصر رسول الله(صلى الله عليه سلم) نصره لمحبته، نصره لإتباع سنته، نصره بإتباع هديه، نصره بالذب عن هديه.

شكراً لكم..شكراً لكم.. فلقد توحدنا على نصرة نبينا ولقد تيقظت فينا فطرتنا الإسلامية ولقد علمنا الآن مقدار حب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى قلوبنا..

شكرا فلقد توحدنا عربا وعجما. ))

شكراً وألف شكر لما استنفرتم دعوتنا فى زمان منعنا عنها أبناء ديانتنا وجلدتنا وألسنتنا.

شكراً وألف شكر أن عرفتم المزيد من الأنام بفضائل رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام .

شكراً لكل من طبع تراجم القرآن وسعى فى نشرها فى كافة البلدان ليتعرف الأنام على مصدر عزة الإسلام .

شكراً لكم أن كشفتم لنا عن سلبيات أمتنا حكام ومحكومين .

شكراً لكم أن كشفتم عجزنا عن نصرة النبى الآمين .

ولا عجب ...

قالت لي داعية إستكلندية أنفقت من عمرها المبارك ثلاثين عاماً فى الدعوة إلى الإسلام :

لما تهاونا فى الدعوة وتعريف الخلق بمعالم الحق حرك الله يد سفيه من سفهاء القوم فخط ورسم ليستنهض الأمة ، خط ورسم ليشق طريق للدعوة فى أروبا فهرع الناس ليتعرفوا على السبب الذى أيقظ النوم

هرع الناس ليتعرفوا على سيد القوم . فنفذت ترجمات القرآن فى الدنمارك وفى ألمانيا وبولندا نفذت من السويد والنمسا والنرويج وسويسرا . فدارت آلة الطباعة الأوربية للتعريف بمنهج سيد البشرية وأمته خير تابعة لأفضل مرسل .

وعلى النقيض فى بلاد الإسلام ذل وخور ومهانة وتسلب حرية من يغضب ورؤوس القوم لا تغضب .

يا مفتى الحجاز أناشدك فقد طالتك الفضيحة والمعرة أناشدك أن تتخلى عن كرسيك إن كنت لله تعمل أناشدك أن تتوب وتبرأ من فعال ساسة بلادك لما أتوا بخنزير لعين يرقص بالسيف فى أرض التوحيد .. كيف ستلقى نبيك وهو من وصى عمر الفاروق بإخراج المشركين من أرض التوحيد . فأتوا به ساستك وأرقصوه بالسيف على دماء المسلمين وأشلاءهم على دماء الشهداء فى بدر وأحد ومؤتة وذاتِ الرقاع والفلوجة وقانا ودير ياسين وصبرا وشتيلا وأخيراً غزة ... غزة تقصف يا سيادة المفتى وخنزير أمريكا يرقص بسيفه رقصة النصر فى أرض محمد فى أرض توحيد رب محمد فى أرض أرادها محمد خالية من معالم الشرك فأتى ساستك بشيطان الشرك الأكبر ليرقص ...

ما حجتك يا مفتى الجزيرة وبلاد الإسلام ؟

ما حجتكم جميعاً يا علماء الصمت عن الكلام ؟

ما حجتنا بالله أجيبوا كيف سنلقى الله وقد خالفنا وصايا نبيه ؟

أطالبك بالمراجعة والتصحيح نصرة للحبيب ولوصية الحبيب لعمر رضى الله عنه ...

فشلت سياستك يا ملك وما ملك هل عميت عين فهمك يا خادم الحرمين يا من لا تفوته شاردة ولا واردة ولما عميت عين فهمك رقص بوش فى خدمتك لأرض التوحيد رقص بوش فى سني حكمك يا عبد الله .. رقص وسيسطرها التاريخ معرة لن تمحوها أبد الدهر عن نفسك ... فكر وتدبر يا خادم المسلمين أي ديمقراطية فرضوها عليك لتراقص عدو الإسلام الأول فى أرض أنفق فيها من أعمارهم من هم أفضل منك ومن جميع عشيرتك أنفقوا دمائهم ليخرجوا الشرك من جزيرة التوحيد .

وأنتم جلبتم المشركين بالمهرجانات والاحتفالات والأحضان والقبلات وبالرقصات على الدبكات أرسيتم الديمقراطيات .

أين ديمقراطيتكم والشيخ خالد الراشد ؟

أين حرية التعبير والشيخ خالد الراشد ؟

هل أصابتكم عدوى إزدواجية المعايير يا حكام الجزيرة ؟

والله إن هي إلا غيرتكم أن ليس لكم لسان راشد فتنتصروا لرسول الله!!! خالد الراشد فى زعمكم خرج على الحاكم .. فكيف بالحاكم إذا خرج عن المحكوم إلا من محاسب له ؟ لك الله .. الله الملك العدل يا راشد . خرج خالد الراشد عن الظلم والطغيان ولم يسلك سبيل العميان خالد انتصر لرسول الله وأنتم انتصرتم لمن ؟ لبوش ولسيفه الذى يتطلع للإطاحة بكل من أراد إقامة التوحيد فى الأرض خالد حبيس حريته الحقيقة لما أرشد من ربه بمعالم العبودية لله درك يا أسير رسول الله صلى الله عليه وسلم .

يقاد للسجنِ من سب الزعيم .. وإذا سُب الإله فالناس أحرار

..........

يموجُ القلبُ في كونٍ رحيبِ

يموجُ القلبُ في كونٍ رحيبِ *** ويشدو الحبّ في لحنٍ غريبِ
فبعضُ اللحنِ صمتي ودموعي *** وبعضُ اللحنِ قوْلي: يا حبيبي
***
رأيت القلبَ من شوقٍ سباهُ *** يجوز الدربَ، لا يدري مداهُ
وليس يحارُ قلبي في سُراهُ *** وكيف يحارُ من يبغي حبيبي ؟!
***
يسير الركب في دربٍ طويلِ *** نهايتُه بمحـرابِ الرسولِ
ومن يدري بحالي في وصولي *** أ أسكتُ ! أم أناجيهِ: حبيبي ؟!
***
سـلامُ الله نلقيهِ عليكَ *** رسولَ الله ..كم نهفو إليكَ !
سـلامُ الله يَغشى صاحبيكَ *** ومليارٌ يُسلّمُ يـا حبيبي
***
رسولَ الله ! حيّرَني المقامُ *** وما أدري ،أيسعفني الكلامُ ؟!
فبعضُ البوْحِ نجوى وسلامُ *** وبعضُ البوحِ صمتٌ يا حبيبي
***

من شعر :
د.عبد المعطي الدالاتي

*.*.*.*.*.*.*.*.*.*.*.*.*.*

الفصل الخامس : محمد وسائر إخوانه عبيد

لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم الله سبحانه وتعالى المسئول المرجو الإجابة أن يتولاكم في الدنيا والآخرة وان يسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة وان يجعلكم ممن إذا أنعم عليه شكر وإذا ابتلى صبر وإذا أذنب استغفر فان هذه الأمور الثلاثة عنوان سعادة العبد وعلامة فلاحه في دنياه وأخرآه ولا ينفك عبد عنها ابد فان العبد دائم التقلب بين هذه الأطباق الثلاث

الأول : نعم من الله تعالى تترادف عليه فقيدها الشكر وهو مبني على ثلاثة أركان الاعتراف بها باطنا والتحدث بها ظاهرا وتصريفها في مرضاة وليها ومسديها ومعطيها فإذا فعل ذلك فقد شكرها مع تقصيره في شكرها .

الثاني : محن من الله تعالى يبتليه بها ففرضه فيها الصبر والتسلي والصبر حبس النفس عن التسخط بالمقدور وحبس اللسان عن الشكوى وحبس الجوارح عن المعصية كاللطم وشق الثياب ونتف الشعر ونحوه فمدار الصبر على هذه الأركان الثلاثة فإذا قام به العبد كما ينبغي انقلبت المحنة في حقه منحة واستحالت البلية عطية وصار المكروه محبوبا فان الله سبحانه وتعالى لم يبتله ليهلكه وإنما ابتلاه ليمتحن صبره وعبوديته فان لله تعالى على العبد عبودية الضراء وله عبودية عليه فيما يكره كما له عبودية فيما يحب وأكثر الخلق يعطون العبودية فيما يحبون والشأن في إعطاء العبودية في المكاره ففيه تفاوت مراتب العباد وبحسبه كانت منازلهم عند الله تعالى فالوضوء بالماء البارد في شدة الحر عبودية ومباشرة زوجته الحسناء التي يحبها عبودية ونفقته عليها وعلى عياله ونفسه عبودية هذا والوضوء بالماء البارد في شدة البرد عبودية.

وتركه المعصية التي اشتدت دواعي نفسه إليها من غير خوف من الناس عبودية ونفقته في الضراء عبودية ولكن فرق عظيم بين العبوديتين فمن كان عبدا لله في الحالتين قائما بحقه في المكروه والمحبوب فذلك الذي تناوله قوله تعالى {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ }الزمر٣٦

أليس الله بكاف عبده محمدًا وعيد المشركين وكيدهم من أن ينالوه بسوء؟ بلى إنه سيكفيه في أمر دينه ودنياه، ويدفع عنه مَن أراده بسوء، ويخوِّفونك -أيها الرسول- بآلهتهم التي زعموا أنها ستؤذيك. ومن يخذله الله فيضله عن طريق الحق، فما له مِن هاد يهديه إليه.

وفي القراءة الأخرى عباده وهما سواء لان المفرد مضاف فينعم عموم الجمع فالكفاية التامة مع العبودية التامة والناقصة فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه . وهؤلاء هم عباده الذين ليس لعدوه عليهم سلطان قال تعالى {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ }الحجر٤٢

لكن سلطانك على مَن اتبعك مِنَ الضالين المشركين الذين رضوا بولايتك وطاعتك بدلا من طاعتي.

ولما علم عدو الله إبليس أن الله تعالى لا يسلم عباده إليه ولا يسلطه عليهم قال {قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ }ص٨٢

قال إبليس: فبعزتك- يا رب- وعظمتك لأضلنَّ بني آدم أجمعين، وقال تعالى {وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ }سبأ٢٠

ولقد ظن إبليس ظنًا غير يقين أنه سيضل بني آدم، وأنهم سيطيعونه في معصية الله، فصدَّق ظنه عليهم، فأطاعوه وعصوا ربهم إلا فريقًا من المؤمنين بالله، فإنهم ثبتوا على طاعة الله. {وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ }سبأ٢١

وما كان لإبليس على هؤلاء الكفار مِن قهر على الكفر، ولكن حكمة الله اقتضت تسويله لبني آدم؛ ليظهر ما علمه سبحانه في الأزل؛ لنميز مَن يصدِّق بالبعث والثواب والعقاب ممن هو في شك من ذلك. وربك على كل شيء حفيظ، يحفظه ويجازي عليه.

فلم يجعل لعدوه سلطانا على عباده المؤمنين فإنهم في حرزه وكلاءته وحفظه وتحت كنفه وان اغتال عدوه احدهم كما يغتال اللص الرجل الغافل فهذا لا بد منه لان العبد قد بلي بالغفلة والشهوة والغضب ودخوله على العبد من هذه الأبواب الثلاثة ولو احترز العبد ما احترز فلا بد له من غفلة ولا بد له من شهوة ولا بد له من غضب . وقد كان ادم أبو البشر من احلم الخلق وأرجحهم عقلا وأثبتهم ومع هذا فلم يزل به عدو الله حتى أوقعه فيما أوقعه فيه فما الظن بفراشه الحلم و من عقله في جنب عقل أبيه كتفلة في بحر ولكن عدو الله لا يخلص إلى المؤمن إلا غيلة على غرة وغفلة فيوقعه ويظن انه لا يستقبل ربه عز وجل بعدها و أن تلك الوقعة قد اجتاحته وأهلكته وفضل الله تعالى ورحمته وعفوه ومغفرته وراء ذلك كله .

فإذا أراد الله بعبده خيرا فتح له من أبواب التوبة والندم والانكسار والذل والافتقار والاستعانة به وصدق اللجا إليه ودوام التضرع والدعاء و التقرب إليه بما أمكن من الحسنات ما تكون تلك السيئة به رحمته حتى يقول عدو الله يا ليتنى تركته ولم أوقعه .

وهذا معنى قول بعض السلف إن العبد ليعمل الذنب يدخل به الجنة ويعمل الحسنة يدخل بها النار قالوا كيف قال يعمل الذنب فلا يزال نصب عينيه منه مشفقا وجلا باكيا نادما مستحيا من ربه تعالى ناكس الرأس بين يديه منكسر القلب له فيكون ذلك الذنب انفع له من طاعات كثيرة بما ترتب عليه من هذه الأمور التي بها سعادة العبد وفلاحه حتى يكون ذلك الذنب سبب دخوله الجنة .

ويفعل الحسنة فلا يزال يمن بها على ربه ويتكبر بها ويرى نفسه ويعجب بها ويستطيل بها ويقول فعلت وفعلت فيورثه من العجب والكبر والفخر والاستطالة ما يكون سبب هلاكه فإذا أراد الله تعالى بهذا المسكين خيرا ابتلاه بأمر يكسره به ويذل به عنقه ويصغر به نفسه عنده وان أراد به غير ذلك خلاه وعجبه وكبره وهذا هو الخذلان الموجب لهلاكه .

فإن العارفين كلهم مجمعون على أن التوفيق أن لايكلك الله تعالى إلى نفسك والخذلان أن يكلك الله تعالى إلى نفسك فمن أراد الله به خيرا فتح له باب الذل والانكسار ودوام اللجأ إلى الله تعالى والافتقار إليه ورؤية عيوب نفسه وجهلها وعدوانها ومشاهدة فضل ربه وإحسانه ورحمته وجوده وبره وغناه وحمده فالعارف سائر إلى الله تعالى بين هذين الجناحين لا يمكنه أن يسير إلا بهما فمتى فاته واحد منهما فهو كالطير الذي فقد احد جناحيه.

قال شيخ الإسلام : العارف يسير إلى الله بين مشاهدة المنة ومطالعة عيب النفس والعمل وهذا معنى قوله في الحديث الصحيح من حديث بريدة رضي الله تعالى عنه .

سيد الاستغفار أن يقول العبد اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء بنعمتك علي و أبوء بذنبي فاغفر لي انه لايغفر الذنوب إلا أنت فجمع في قوله : أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي مشاهدة المنة ومطالعة عيب النفس والعمل .

فمشاهدة المنة توجب له المحبة والحمد والشكر لولي النعم والإحسان ومطالعة عيب النفس والعمل توجب له الذل والانكسار والافتقار والتوبة في كل وقت وان لا يرى نفسه إلا مفلسا واقرب باب دخل منه العبد على الله تعالى هو الإفلاس فلا يرى لنفسه حالا ولا مقاما ولا سببا يتعلق به ولا وسيلة منه يمن بها بل يدخل على الله تعالى من باب الافتقار الصرف والإفلاس المحض دخول من كسر الفقر والمسكنة قلبه حتى وصلت تلك الكسرة إلى سويدائه فانصدع وشملته الكسرة من كل جهاته وشهد ضرورته إلى ربه عز وجل وكمال فاقته وفقره إليه وان في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقة تامة وضرورة كاملة إلى ربه تبارك وتعالى وانه إن تخلى عنه طرفة عين هلك وخسر خسارة لا تجبر إلا أن يعود إلى الله تعالى عليه ويتداركه برحمته .

ولا طريق إلى الله اقرب من العبودية ولا حجاب أغلظ من الدعوى والعبودية مدارها على قاعدتين هما أصلها : ( حب كامل وذل تام ) ومنشأ هذين الأصلين عن ذينك الأصلي المتقدمين وهما مشاهدة

المنة التي تورث المحبة ومطالعة عيب النفس والعمل التي تورث الذل التام وإذا كان العبد قد بنى سلوكه إلى الله تعالى على هذين الأصلين لم يظفر عدوه به إلا على غرة وغيلة وما أسرع ما ينعشه الله عز وجل ويجبره ويتداركه برحمته .

( من كتاب : الوابل الصيب ) لابن القيم رحمه الله تعالى

ويقول شيخ الإسلام : ابن تيمية رحمه الله تعالى .

(( وكذلك ذنوب العباد يجب على العبد فيها أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بحسب قدرته ويجاهد فى سبيل الله الكفار والمنافقين ويوالي أولياء الله ويعادي أعداء الله ويحب فى الله ويبغض فى الله كما قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ } الممتحنة١

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، لا تتخذوا عدوي وعدوكم خلصاء وأحباء، تُفْضون إليهم بالمودة، فتخبرونهم بأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم، وسائر المسلمين، وهم قد كفروا بما جاءكم من الحق من الإيمان بالله ورسوله وما نزل عليه من القرآن، يخرجون الرسول ويخرجونكم- أيها المؤمنون- من "مكة"؛ لأنكم تصدقون بالله ربكم، وتوحدونه، إن كنتم- أيها المؤمنون- هاجرتم مجاهدين في سبيلي، طالبين مرضاتي عنكم، فلا توالوا أعدائي وأعداءكم، تُفْضون إليهم بالمودة سرًّا، وأنا أعلم بما أخفيتم وما أظهرتم، ومن يفعل ذلك منكم فقد أخطأ طريق الحق والصواب، وضلَّ عن قصد السبيل. {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } الممتحنة٤

قد كانت لكم-أيها المؤمنون- قدوة حسنة في إبراهيم عليه السلام والذين معه من المؤمنين، حين قالوا لقومهم الكافرين بالله: إنا بريئون منكم وممَّا تعبدون من دون الله من الآلهة والأنداد، كفرنا بكم، وأنكرنا ما أنتم عليه من الكفر، وظهر بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا ما دمتم على كفركم، حتى تؤمنوا بالله وحده، لكن لا يدخل في الإقتداء استغفار إبراهيم لأبيه؛ فإن ذلك إنما كان قبل أن يتبين لإبراهيم أن أباه عدو لله، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، ربنا عليك اعتمدنا، وإليك رجعنا بالتوبة، وإليك المرجع يوم القيامة.

.وقال تعالى {لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } المجادلة٢٢

لا تجد -أيها الرسول- قومًا يصدِّقون بالله واليوم الآخر، ويعملون بما شرع الله لهم، يحبون ويوالون مَن عادى الله ورسوله وخالف أمرهما، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو أقرباءهم، أولئك الموالون في الله والمعادون فيه ثبَّتَ في قلوبهم الإيمان، وقوَّاهم بنصر منه وتأييد على عدوهم في الدنيا، ويدخلهم في الآخرة جنات تجري من تحت أشجارها الأنهار، ماكثين فيها زمانًا ممتدًا لا ينقطع، أحلَّ الله عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم، ورضوا عن ربهم بما أعطاهم من الكرامات ورفيع

الدرجات، أولئك حزب الله وأولياؤه، وأولئك هم الفائزون بسعادة الدنيا والآخرة. وقال تعالى {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ } القلم٣٥

فنجعل الخاضعين لله بالطاعة كالكافرين؟ وقال تعالى {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ }الجاثية٢١

بل أظنَّ الذين اكتسبوا السيئات، وكذَّبوا رسل الله، وخالفوا أمر ربهم، وعبدوا غيره، أن نجعلهم كالذين آمنوا بالله، وصدقوا رسله وعملوا الصالحات، وأخلصوا له العبادة دون سواه، ونساويَهم بهم في الدنيا والآخرة؟ ساء حكمهم بالمساواة بين الفجار والأبرار في الآخرة.وقال تعالى وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ{١٩} وما يستوي الأعمى عن دين الله، والبصير الذي أبصر طريق الحق واتبعه، وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ{٢٠} وما تستوي ظلمات الكفر ونور الإيمان، وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ{٢١} ولا الظل ولا الريح الحارة، وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاء وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ{٢٢} وما يستوي أحياء القلوب بالإيمان، وأموات القلوب بالكفر. إن الله يسمع مَن يشاء سماع فَهْم وقبول، وما أنت -أيها الرسول- بمسمع مَن في القبور، فكما لا تُسمع الموتى في قبورهم فكذلك لا تُسمع هؤلاء الكفار لموت قلوبهم، وقال تعالى {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاء مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ }الزمر٢٩

ضرب الله مثلا عبدًا مملوكًا لشركاء متنازعين، فهو حيران في إرضائهم، وعبدًا خالصًا لمالك واحد يعرف مراده وما يرضيه، هل يستويان مثلا؟ لا يستويان، كذلك المشرك هو في حَيْرة وشك، والمؤمن في راحة واطمئنان. فالثناء الكامل التام لله وحده، بل المشركون لا يعلمون الحق فيتبعونه. وقال تعالى {ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً عَبْداً مَّمْلُوكاً لاَّ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ }النحل٧٥

ضرب الله مثلا بيَّن فيه فساد عقيدة أهل الشرك: رجلا مملوكًا عاجزًا عن التصرف لا يملك شيئًا، ورجلا آخر حرًا، له مال حلال رزقَه الله به، يملك التصرف فيه، ويعطي منه في الخفاء والعلن، فهل يقول عاقل بالتساوي بين الرجلين؟ فكذلك الله الخالق المالك المتصرف لا يستوي مع خلقه وعبيده، فكيف تُسَوُّون بينهما؟ الحمد لله وحده، فهو المستحق للحمد والثناء، بل أكثر المشركين لا يعلمون أن الحمد والنعمة لله، وأنه وحده المستحق للعبادة. {وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَىَ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }النحل٧٦

وضرب الله مثلا آخر لبطلان الشرك رجلين: أحدهما أخرس أصم لا يَفْهَم ولا يُفْهِم، لا يقدر على منفعة نفسه أو غيره، وهو عبء ثقيل على مَن يَلي أمره ويعوله، إذا أرسله لأمر يقضيه لا ينجح، ولا يعود عليه بخير، ورجل آخر سليم الحواس، ينفع نفسه وغيره، يأمر بالإنصاف، وهو على طريق واضح لا عوج فيه، فهل يستوي الرجلان في نظر العقلاء؟ فكيف تُسَوُّون بين الصنم الأبكم الأصمِّ وبين الله القادر المنعم بكل خير؟وقال تعالى {لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ }الحشر٢٠

لا يستوي أصحاب النار المعذَّبون، وأصحاب الجنة المنعَّمون، أصحاب الجنة هم الظافرون بكل مطلوب، الناجون من كل مكروه. ونظائر ذلك مما يفرق الله فيه بين أهل الحق والباطل وأهل الطاعة وأهل المعصية وأهل البر وأهل الفجور وأهل الهدى والضلال وأهل الغي والرشاد وأهل الصدق والكذب.

فمن شهد الحقيقة الكونية دون الدينية سوى بين هذه الأجناس المختلفة التى فرق الله بينها غاية التفريق حتى يؤل به الأمر إلى أن يسوى الله بالأصنام كما قال تعالى عنهم الله قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ{٩٦} تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ{٩٧} إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ{٩٨} قالوا معترفين بخطئهم، وهم يتنازعون في جهنم مع مَن أضلوهم، تالله إننا كنا في الدنيا في ضلال واضح لا خفاء

فيه؛ إذ نسويكم برب العالمين المستحق للعبادة وحده. بل قد آل الأمر بهؤلاء إلى أن سووا الله بكل موجود وجعلوا ما يستحقه من العبادة والطاعة حقا لكل موجود إذ جعلوه هو وجود المخلوقات وهذا من أعظم الكفر والإلحاد برب العباد.

وهؤلاء يصل بهم الكفر إلى أنهم لا يشهدون أنهم عباد لا بمعنى أنهم معبدون ولا بمعنى أنهم عابدون إذ يشهدون أنفسهم هي الحق كما صرح بذلك طواغيتهم كابن عربي صاحب الفصوص وأمثاله من الملحدين المفترين كابن سبعين وأمثاله ويشهدون أنهم هم العابدون والمعبودون وهذا ليس بشهود لحقيقة لا كونية ولا دينية بل هو ضلال وعمى عن شهود الحقيقة الكونية حيث جعلوا وجود الخالق هو وجود المخلوق وجعلوا كل وصف مذموم وممدوح نعتا للخالق والمخلوق إذ وجود هذا هو وجود هذا عندهم وأما المؤمنون بالله ورسوله عوامهم وخواصهم الذين هم أهل الكتاب كما قال النبى صلى الله عليه وسلم إن لله آهلين من الناس قيل من هم يا رسول الله قال [أهل القرآن هم أهل الله وخاصته] فهؤلاء يعلمون أن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه وان الخالق سبحانه مباين للمخلوق ليس هو حالا فيه ولا متحدا به ولا وجوده وجوده.

و النصارى كفرهم بأن قالوا بالحلول والاتحاد بالمسيح خاصة فكيف من جعل ذلك عاما فى كل مخلوق ويعلمون مع ذلك أن الله أمر بطاعته وطاعة رسوله ونهى عن معصيته ومعصية رسوله وانه لا يحب الفساد ولا يرضي لعباده الكفر وان على الخلق أن يعبدوه فيطيعوا أمره ويستعينوا به على ذلك كما قال { إياك نعبد وإياك نستعين } ومن عبادته وطاعته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب الامكان والجهاد فى سبيله لأهل الكفر والنفاق فيجتهدون فى إقامة دينه مستعينين به دافعين مزيلين بذلك ما قدر من السيئات دافعين بذلك ما قد يخاف من ذلك كما يزيل الإنسان الجوع الحاضر بالأكل ويدفع به الجوع المستقبل وكذلك إذا آن أوان البرد دفعه باللباس وكذلك كل مطلوب يدفع به مكروه كما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أرأيت أدوية نتداوى بها ورقى نسترقى بها وتقاة نتقى بها هل ترد من قدر الله شيئا فقال هي من قدر الله وفى الحديث ان الدعاء والبلاء ليلتقيان فيعتلجان بين السماء والأرض فهذا حال المؤمنين بالله ورسوله العابدين لله وكل ذلك من العبادة.

وهؤلاء الذين يشهدون الحقيقة الكونية وهي ربوبيته تعالى لكل شيء ويجعلون ذلك مانعا من إتباع أمره الديني الشرعي على مراتب فى الضلال فغلاتهم يجعلون ذلك مطلقا عاما فيحتجون بالقدر فى كل ما يخالفون فيه الشيعة وقول هؤلاء شر من قول اليهود والنصارى وهو من جنس قول المشركين الذين قالوا لو شاء اله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم.

وهؤلاء من أعظم أهل الأرض تناقضا بل كل من احتج بالقدر فانه متناقض فانه لا يمكن أن يقر كل آدمي على ما فعل فلا بد إذا ظلمه ظالم أو ظلم الناس ظالم وسعى فى الأرض بالفساد واخذ يسفك دماء الناس ويستحل الفروج ويهلك الحرث والنسل ونحو ذلك من أنواع الضرر التى لا قوام للناس بها ان يدفع هذا القدر وان يعاقب الظالم بما يكف عدوان أمثاله يقال له ان كان القدر حجة فدع كل احد يفعل ما يشاء بك وبغيرك وان لم يكن حجة بطل اصل قولك حجة وأصحاب هذا القول الذين يحتجون بالحقيقة الكونية لا يطردون هذا القول ولا يلتزمونه وإنما هم بحسب آرائهم وأهوائهم كما قال فيهم بعض العلماء أنت عند الطاعة قدرى وعند المعصية جبري اى مذهب وافق هواك تمذهبت به.

ومنهم صنف يدعون التحقيق والمعرفة فيزعمون أن الأمر والنهى لازم لمن شهد لنفسه فعلاً واثبت له صنعا أما من شهدا أن أفعالة مخلوقة أو انه مجبور على ذلك وان الله هو المتصرف فيه كما تحرك سائر المتحركات فانه يرتفع عنة الأمر والنهى والوعد والوعيد.

وقد يقولون من شهد الإرادة سقط عنة التكليف ويزعم احدهم أن الخضر سقط عنة التكليف لشهوده الإرادة فهؤلاء لا يفرق بين العامة والخاصة الذين شهدوا الحقيقة الكونية فشهدوا أن الله خالق أفعال العباد وانه يدبر جميع الكائنات وقد يفرقون بين من يعلم ذلك علما وبين من يراه شهودا فلاّ يسقطون

التكليف عمن يؤمن بذلك ويعلمه فقط ولكن عمن يشهده فلاً يرى لنفسه فعلاً أصلاً وهؤلاء لا يجعلون الجبر وإثبات القدر مانعا من التكليف على هذا الوجه.
وقد وقع فى هذا طوائف من المنتسبين إلى التحقيق والمعرفة والتوحيد وسبب ذلك أنة ضاق نطاقهم عن كون العبد يؤمر بما يقدر عليه خلافه كما ضاق نطاق المعتزلة ونحوهم من القدرية عن ذلك ثم المعتزلة اثبتت الأمر والنهى الشرعيين دون القضاء والقدر الذى هو إرادة الله العامة وحلقة لأفعال العباد وهؤلاء اثبتوا القضاء والقدر ونفوا الأمر والنهى فى حق من سهد القدر إذا لم يمكنهم نفى ذلك مطلقا وقول هؤلاء شر من قولة المعتزلة ولهذا لم يكن فى السلف من هؤلاء احد وهؤلاء يجعلون الأمر والنهى للمحجوبين الذين لم يشهدوا هذه الحقيقة الكونية ولهذا يجعلون من وصل إلى شهود هذه الحقيقة يسقط عنة الأمر والنهى وصار من الخاصة وربما تأولوا على ذلك قوله تعالى {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ } الحجر ٩٩
واستمِرَّ في عبادة ربك مدة حياتك حتى يأتيك اليقين، وهو الموت. وامتثل رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر ربه، فلم يزل دائبًا في عبادة الله، حتى أتاه اليقين من ربه. وجعلوا اليقين هو معرفة هذه الحقيقة وقول هؤلاء كفر صريح وان وقع فيه طوائف لم يعلموا انه كفر فانه قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن الأمر والنهي لازم لكل عبد ما دام عقله حاضرا إلى أن يموت لا يسقط عنه الأمر والنهي لا بشهوده القدر ولا بغير ذلك فمن لم يعرف ذلك عرفه وبين له فإن أصر على اعتقاد سقوط الأمر والنهي فانه يقتل.
وقد كثرت مثل هذه المقالات فى المستأخرين، وأما المستقدمون من هذه الأمة فلم تكن هذه المقالات معروفة فيهم.
وهذه المقالات هي محادة لله ورسوله ومعاداة له وصد عن سبيله ومشاقة له وتكذيب لرسله ومضادة له في حكمه وان كان من يقول هذه المقالات قد يجهل ذلك ويعتقد أن هذا الذي هو عليه هو طريق الرسول وطريق أولياء الله المحققين فهو فى ذلك بمنزلة من يعتقد أن الصلاة لا تجب عليه لاستغنائه عنها بما حصل له من الأحوال القلبية أو أن الخمر حلال له لكونه من الخواص الذين لا يضرهم شرب الخمر أو أن الفاحشة حلال له لأنه صار كالبحر لا تكدره الذنوب ونحو ذلك.
ولا ريب أن المشركين الذين كذبوا الرسل يترددون بين البدعة المخالفة لشرع الله وبين الاحتجاج بالقدر على مخالفة أمر الله فهؤلاء الأصناف فيهم شبه من المشركين إما أن يبتدعوا وإما أن يحتجوا بالقدر وإما أن يجمعوا بين الأمرين كما قال تعالى عن المشركين {وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ } الأعراف٢٨
وإذا أتى الكفار قبيحًا من الفعل اعتذروا عن فعله بأنه مما ورثوه عن آبائهم، وأنه مما أمر الله به. قل لهم -أيها الرسول- : إن الله تعالى لا يأمر عباده بقبائح الأفعال ومساوئها، أتقولون على الله -أيها المشركون- ما لا تعلمون كذبًا وافتراءً؟وكما قال تعالى عنهم {وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ } النحل٣٥
وقال المشركون: لو شاء الله أن نعبده وحده ما عبدنا أحدًا غيره، لا نحن ولا آباؤنا مِن قبلنا، ولا حَرَّمْنَا شيئًا لم يحرمه، بمثل هذا الاحتجاج الباطل احتج الكفار السابقون، وهم كاذبون؛ فإن الله أمرهم ونهاهم ومكّنهم من القيام بما كلّفهم به، وجعل لهم قوة ومشيئة تصدر عنها أفعالهم، فاحتجاجهم بالقضاء والقدر من أبطل الباطل من بعد إنذار الرسل لهم، فليس على الرسل المنذِرين لهم إلا التبليغ الواضح لما كُلّفوا به..
وقد ذكر عن المشركين ما ابتدعوه من الدين الذي فيه تحليل الحرام والعبادة التى لم يشرعها الله بمثل قوله تعالى {وَقَالُواْ هَـذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لاَّ يَطْعَمُهَا إِلاَّ مَن نّشَاء بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لاَّ يَذْكُرُونَ اسْمَ اللّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاء عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ } الأنعام١٣٨

وقال المشركون: هذه إبل وزرع حرام، لا يأكلها إلا مَن يأذنون له -حسب ادعائهم- مِن سدنة الأوثان وغيرهم. وهذه إبل حُرِّمت ظهورها، فلا يحل ركوبها والحملُ عليها بحال من الأحوال. وهذه إبل لا يَذكرون اسم الله تعالى عليها في أي شأن من شئونها. فعلوا ذلك كذبًا منهم على الله، سيجزيهم الله بسبب ما كانوا يفترون من كذبٍ عليه سبحانه.افتراء عليه إلى آخر السورة وكذلك فى سورة الأعراف فى قوله {يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ }الأعراف٢٧

يا بني آدم لا يخدعنَّكم الشيطان، فيزين لكم المعصية، كما زيَّنها لأبويكم آدم وحواء، فأخرجاهما بسببها من الجنة، ينزع عنهما لباسهما الذي سترهما الله به؛ لتنكشف لهما عوراتهما. إن الشيطان يراكم هو وذريته وجنسه وأنتم لا ترونهم فاحذروهم. إنَّا جعلنا الشياطين أولياء للكفار الذين لا يوحدون الله، ولا يصدقون رسله، ولا يعملون بهديه. {قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ }الأعراف٢٩

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: أمر ربي بالعدل، وأمركم بأن تخلصوا له العبادة في كل موضع من مواضعها، وبخاصة في المساجد، وأن تدعوه مخلصين له الطاعة والعبادة، وأن تؤمنوا بالبعث بعد الموت. وكما أن الله أوجدكم من العدم فإنه قادر على إعادة الحياة إليكم مرة أخرى. {يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ }الأعراف٣١

يا بني آدم كونوا عند أداء كل صلاة على حالة من الزينة المشروعة من ثياب ساترة لعوراتكم ونظافة وطهارة ونحو ذلك، وكلوا واشربوا من طيبات ما رزقكم الله، ولا تتجاوزوا حدود الاعتدال في ذلك. إن الله لا يحب المتجاوزين المسرفين في الطعام والشراب وغير ذلك. {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ }الأعراف٣٣

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: إنما حَرَّم الله القبائح من الأعمال، ما كان منها ظاهرًا، وما كان خفيًّا، وحَرَّم المعاصي كلها، ومِن أعظمها الاعتداء على الناس، فإن ذلك مجانب للحق، وحرَّم أن تعبدوا مع الله تعالى غيره مما لم يُنَزِّل به دليلا وبرهانًا، فإنه لا حجة لفاعل ذلك، وحرَّم أن تنسبوا إلى الله تعالى ما لم يشرعه افتراءً وكذبًا، كدعوى أن لله ولدًا، وتحريم بعض الحلال من الملابس والمآكل.

.

وهؤلاء قد يسمون ما أحدثوه من البدع حقيقة كما يسمون ما يشهدون من القدر حقيقة وطريق الحقيقة عندهم هو السلوك الذي لا يتقيد صاحبه بأمر الشارع ونهيه ولكن بما يراه ويذوقه ويجده ونحو ذلك وهؤلاء لا يحتجون بالقدر مطلقا بل عمدتهم إتباع آرائهم وأهوائهم وجعلهم لما يرونه ويهوونه حقيقة وأمرهم بإتباعها دون إتباع أمر الله ورسوله نظير بدع أهل الكلام من الجهمية وغيرهم الذين يجعلون ما ابتدعوه من الأقوال المخالفة للكتاب والسنة حقائق عقلية يجب اعتقادها دون ما دلت عليه السمعيات ثم الكتاب والسنة إما أن يحرفوه عن مواضعه وإما أن يعرضوا عنه بالكلية فلا يتدبرونه ولا يعقلونه بل يقولون نفوض معناه إلى الله مع اعتقادهم نقيض مدلوله وإذا حقق على هؤلاء ما يزعمونه من العقليات المخالفة للكتاب والسنة وجدت جاهليات واعتقادات فاسدة.

وكذلك أولئك إذا حقق عليهم ما يزعمونه من حقائق أولياء الله المخالفة للكتاب والسنة وجدت من الأهواء التى يتبعها أعداء الله لا أولياؤه.

واصل ضلال من ضل هو بتقديم قياسه على النص المنزل من عند الله واختياره الهوى على إتباع أمر الله فإن الذوق والوجد ونحو ذلك هو بحسب ما يحبه العبد فكل محب له ذوق ووجد بحسب محبته فأهل الإيمان لهم من الذوق والوجد مثل ما بينه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله فى الحديث الصحيح ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومن كان يحب المرء

لا يحبه إلا لله ومن كان يكره أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى فى النار وقال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا.

وأما أهل الكفر والبدع والشهوات فكل بحسبه قيل لسفيان بن عيينة ما بال أهل الأهواء لهم محبة شديدة لأهوائهم فقال أنسيت قوله تعالى واشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم أو نحو هذا من الكلام فعباد الأصنام يحبون آلهتهم كما قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله وقال فان لم يستجيبوا لك فاعلم إنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله وقال أن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ولهذا يميل هؤلاء إلى سماع الشعر والأصوات التى تهيج المحبة المطلقة التى لا تختص بأهل الإيمان بل يشترك فيها محب الرحمن ومحب الأوثان ومحب الصلبان ومحب الأوطان ومحب الإخوان ومحب المردان ومحب النسوان وهؤلاء الذين يتبعون أذواقهم ومواجيدهم من غير اعتبار لذلك بالكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة.

فالمخالف لما بعث به رسوله من عبادته وطاعته وطاعة رسوله لا يكون متبعا لدين شرعه الله كما قال تعالى ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون أنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا إلى قوله والله ولى المتقين بل يكون متبعا لهواه بغير هدى من الله قال تعالى {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }الشورى٢١

بل ألهؤلاء المشركين بالله شركاء في شركهم وضلالتهم، ابتدعوا لهم من الدين والشرك ما لم يأذن به الله؟ ولولا قضاء الله وقدره بإمهالهم، وأن لا يعجل لهم العذاب في الدنيا، لقضي بينهم بتعجيل العذاب لهم. وإن الكافرين بالله لهم يوم القيامة عذاب مؤلم موجع.وهم فى ذلك تارة يكونون على بدعة يسمونها حقيقة يقدمونها على ما شرعه الله وتارة يحتجون بالقدر الكوني على الشريعة كما أخبر الله به عن المشركين كما تقدم.

ومن هؤلاء طائفة هم أعلاهم قدرا وهم مستمسكون بالدين فى أداء الفرائض المشهورة واجتناب المحرمات المشهورة لكن يغلطون فى ترك ما أمروا به من الأسباب التى هي عبادة ظانين أن العارف إذا شهد القدر اعرض عن ذلك مثل من يجعل التوكل منهم أو الدعاء ونحو ذلك من مقامات العامة دون الخاصة بناء على أن من شهد القدر علم أن ما قدر سيكون فلا حاجة إلى ذلك وهذا غلط عظيم فان الله قدر الأشياء بأسبابها كما قدر السعادة والشقاوة بأسبابها كما قال النبى صلى الله عليه وسلم إن الله خلق للجنة أهلا خلقها لهم وهم فى أصلاب آبائهم وبعمل أهل الجنة يعملون وكما قال النبى صلى الله عليه وسلم لما أخبرهم بان الله كتب المقادير فقالوا يا رسول الله أفلا ندع العمل ونتكل على الكتاب فقال لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة فما أمر الله به عباده من الأسباب فهو عبادة والتوكل مقرون بالعبادة كما فى قوله تعالى{ فاعبده وتوكل عليه } وفى قوله { قل هو ربي لا اله إلا هو عليه توكلت واليه متاب } وقول شعيب عليه السلام {عليه توكلت وإليه أنيب }.

ومنهم طائفة قد تترك المستحبات من الأعمال دون الواجبات فتنقص بقدر ذلك.

ومنهم طائفة يغترون بما يحصل لهم من خرق عادة مثل مكاشفة أو استجابة دعوة مخالفة للعادة العامة ونحو ذلك فيشتغل احدهم عما أمر به من العبادة والشكر ونحو ذلك.

فهذه الأمور ونحوها كثيرا ما تعرض لأهل السلوك والتوجه وإنما ينجو العبد منها بملازمة أمر الله الذي بعث به رسوله في كل وقت كما قال الزهري كان من مضى من سلفنا يقولون الاعتصام بالسنة نجاة وذلك أن السنة كما قال مالك رحمه الله : مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق والعبادة والطاعة.

والاستقامة ولزوم الصراط المستقيم ونحو ذلك الأسماء مقصودها واحد ولها أصلان:

احدهما : ألا يعبد إلا الله.

والثاني : أن يعبد بما أمر وشرع لا بغير ذلك من البدع قال تعالى {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً }الكهف١١٠

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليَّ من ربي أنما إلهكم إله واحد، فمَن كان يخاف عذاب ربه ويرجو ثوابه يوم لقائه، فليعمل عملا صالحًا لربه موافقًا لشرعه، ولا يشرك في العبادة معه أحدًا غيره. وقال تعالى {بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ }البقرة١١٢

ليس الأمر كما زعموا أنَّ الجنة تختص بطائفة دون غيرها، وإنما يدخل الجنَّة مَن أخلص لله وحده لا شريك له، وهو متبع للرسول محمد صلى الله عليه وسلم في كل أقواله وأعماله. فمن فعل ذلك فله ثواب عمله عند ربه في الآخرة، وهو دخول الجنة، وهم لا يخافون فيما يستقبلونه من أمر الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا. وقال تعالى {وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً }النساء١٢٥

لا أحد أحسن دينًا ممن انقاد بقلبه وسائر جوارحه لله تعالى وحده، وهو محسن، واتبع دين إبراهيم وشرعه، مائلا عن العقائد الفاسدة والشرائع الباطلة. وقد اصطفى الله إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- واتخذه صفيّاً من بين سائر خلقه. وفي هذه الآية، إثبات صفة الخُلّة لله -تعالى- وهي أعلى مقامات المحبة، والاصطفاء. فالعمل الصالح هو الإحسان وهو فعل الحسنات والحسنات هي ما أحبه الله ورسوله وهو ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب فما كان من البدع في الدين التى ليست مشروعة فان الله لا يحبها ولا رسوله فلا تكون من الحسنات ولا من العمل الصالح كما أن يعمل مالا يجوز كالفواحش والظلم ليس من الحسنات ولا من العمل الصالح.

وأما قوله {ولا يشرك بعبادة ربه أحدا} وقوله {اسلم وجهه لله } فهو إخلاص الدين لله وحده وكان عمر بن الخطاب يقول اللهم اجعل عملي كله صالحا واجعله لوجهك خالصا ولا تجعل لأحد فيه شيئا . وقال الفضيل بن عياض فى قوله { ليبلوكم أيكم أحسن عملا } قال أخلصه وأصوبه قالوا يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه قال إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة.

فإن قيل فإذا كان جميع ما يحبه الله داخلا فى اسم العبادة لماذا عطف عليها غيرها كقوله{ إياك نعبد وإياك نستعين } وقوله{ فاعبده وتوكل عليه }وقوله عن نوح {اعبدوا الله واتقوه واطيعون} وكذلك قول غيره من الرسل قيل هذا له نظائر كما فى قوله {إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر} والفحشاء من المنكر وكذلك قوله {إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي} وإيتاء ذي القربى هو من العدل والإحسان كما أن الفحشاء والبغي من المنكر وكذلك قوله {والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة} وإقامة الصلاة من أعظم التمسك بالكتاب وكذلك قوله {إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا} ودعاؤهم رغبا ورهبا من الخيرات وامثال ذلك فى القرآن كثير .

وهذا الباب يكون تارة مع كون احدهما بعض الآخر فيعطف عليه تخصيصا له بالذكر لكونه مطلوبا بالمعنى العام والمعنى الخاص وتارة تكون دلالة الاسم تتنوع بحال الانفراد والاقتران فإذا افرد عم وإذا قرن بغيره خص كاسم الفقير والمسكين لما افرد احدهما في مثل قوله {للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله} وقوله {إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ } دخل فيه الآخر ولما قرن بينهما فى قوله{ إنما الصدقات للفقراء والمساكين }صارا نوعين.

وقد قيل إن الخاص المعطوف على العام لا يدخل فى العام حال اقتران بل يكون من هذا الباب والتحقيق أن هذا ليس لازما قال تعالى {مَن كَانَ عَدُوّاً لِّلّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ }البقرة٩٨

من عادى الله وملائكته، ورسله من الملائكة أو البشر، وبخاصة المَلَكان جبريلُ وميكالُ؛ لأن اليهود زعموا أن جبريل عدوهم، وميكال وليُّهم ، فأعلمهم الله أنه من عادى واحدًا منهما فقد عادى الآخر، وعادى الله أيضًا، فإن الله عدو للجاحدين ما أنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم. وقال تعالى {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً }الأحزاب٧

واذكر -أيها النبي- حين أخذنا من النبيين العهد المؤكد بتبليغ الرسالة، وأخذنا الميثاق منك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم (وهم أولو العزم من الرسل على المشهور)، وأخذنا منهم عهدًا مؤكدًا بتبليغ الرسالة وأداء الأمانة، وأن يُصدِّق بعضهم بعضًا..

وذكر الخاص مع العام يكون لأسباب متنوعة تارة لكونه له خاصية ليست لسائر أفراد العام كما في نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وتارة لكون العام فيه إطلاق قد لا يفهم منه العموم كما فى قوله {هدى للمتقين} {والذين يؤمنون الغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما انزل إليك وما انزل من قبلك} فقوله يؤمنون بالغيب يتناول الغيب الذي يجب الإيمان به لكن فيه إجمال فليس فيه دلالة على أن من الغيب ما انزل إليك وما انزل من قبلك وقد يكون المقصود أنهم يؤمنون بالمخبر به وهو الغيب وبالأخبار بالغيب وهو ما انزل إليك وما انزل من قبلك ومن هذا الباب قوله تعالى {اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ }العنكبوت٤٥

اتل ما أُنزل إليك من هذا القرآن، واعمل به، وأدِّ الصلاة بحدودها، إن المحافظة على الصلاة تنهى صاحبها عن الوقوع في المعاصي والمنكرات؛ وذلك لأن المقيم لها، المتمم لأركانها وشروطها، يستنير قلبه، ويزداد إيمانه، وتقوى رغبته في الخير، وتقل أو تنعدم رغبته في الشر، ولَذكر الله في الصلاة وغيرها أعظم وأكبر وأفضل من كل شيء. والله يعلم ما تصنعون مِن خيرٍ وشر، فيجازيكم على ذلك أكمل الجزاء وأوفاه. وقوله {وَالَّذِينَ يُمَسَّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ }الأعراف١٧٠

والذين يتمسَّكون بالكتاب، ويعملون بما فيه من العقائد والأحكام، ويحافظون على الصلاة بحدودها، ولا يضيعون أوقاتها، فإن الله يثيبهم على أعمالهم الصالحة، ولا يضيعها. و تلاوة الكتاب هي إتباعه كما قال ابن مسعود فى قوله تعالى {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَـئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ }البقرة١٢١

الذين أعطيناهم الكتاب من اليهود والنصارى، يقرؤونه القراءة الصحيحة، ويتبعونه حق الأتباع، ويؤمنون بما جاء فيه من الإيمان برسل الله، ومنهم خاتمهم نبينا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يحرفون ولا يبدِّلون ما جاء فيه. هؤلاء هم الذين يؤمنون بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم وبما أنزل عليه، وأما الذين بدَّلوا بعض الكتاب وكتموا بعضه، فهؤلاء كفار بنبي الله محمد صلى الله عليه وسلم وبما أنزل عليه، ومن يكفر به فأولئك هم أشد الناس خسرانًا عند الله.

و قال يحللون حلاله ويحرمون حرامه ويؤمنون بمتشابهة ويعملون بمحكمه فإتباع الكتاب يتناول الصلاة وغيرها لكن خصها بالذكر لمزيتها وكذلك قوله لموسى {إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي }طه١٤

إنني أنا الله لا معبود بحق إلا أنا، لا شريك لي، فاعبدني وحدي، وأقم الصلاة لتذكرني فيها. وإقامة الصلاة لذكره من اجل عبادته وكذلك قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } المائدة٣٥

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، خافوا الله، وتَقَرَّبوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه، وجاهدوا في سبيله؛ كي تفوزوا بجناته. وقوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ } التوبة١١٩

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، امتثلوا أوامر الله واجتنبوا نواهيه في كل ما تفعلون وتتركون، وكونوا مع الصادقين في أيمانهم وعهودهم، وفي كل شأن من شؤونهم. فإن هذه الأمور هي أيضا من تمام تقوى الله وكذلك قوله {وَلِلّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } هود١٢٣

ولله سبحانه وتعالى علم كل ما غاب في السماوات والأرض، وإليه يُرْجَع الأمر كله يوم القيامة، فاعبده -أيها النبي- وفوِّض أمرك إليه، وما ربك بغافل عما تعملون من الخير والشر، وسيجازي كلاً بعمله. فان التوكل والاستعانة هي من عبادة الله لكن خصت بالذكر ليقصدها المتعبد بخصوصها فإنها هى العون على سائر أنواع العبادة إذ هو سبحانه لا يعبد إلا بمعونته إذا تبين هذا فكمال المخلوق فى تحقيق عبوديته لله وكلما ازداد العبد تحقيقا للعبودية ازداد كماله وعلت درجته ومن توهم أن المخلوق يخرج من العبودية بوجه من الوجوه أو أن الخروج عنها أكمل فهو من اجهل الخلق وأضلهم قال تعالى {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ } الأنبياء٢٦

وقال المشركون: اتخذ الرحمن ولدًا بزعمهم أن الملائكة بنات الله. تنزَّه الله عن ذلك؛ فالملائكة عباد الله مقربون مخصصون بالفضائل، { لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ{٢٧}وهم في حسن طاعتهم لا يتكلمون إلا بما يأمرهم به ربهم، ولا يعملون عملا حتى يأذن لهم. { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ{٢٨} وما من أعمال الملائكة عمل سابق أو لاحق إلا يعلمه الله سبحانه وتعالى، ويحصيه عليهم، ولا يتقدمون بالشفاعة إلا لمن ارتضى الله شفاعتهم له، وهم من خوف الله حذرون من مخالفة أمره ونهيه. وقال تعالى { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً{٨٨}وقال هؤلاء الكفار: اتخذ الرحمن ولدًا. { لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً{٨٩} لقد جئتم - أيها القائلون - بهذه المقالة شيئا عظيمًا منكرًا. { تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً{٩٠} تكاد السماوات يتشقَّقْنَ مِن فظاعة ذلكم القول، وتتصدع الأرض، وتسقط الجبال سقوطًا شديدًا غضبًا لله . {أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً{٩١} لِنِسْبَتِهم له الولد. تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا. { وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً{٩٢}وما يصلح للرحمن، ولا يليق بعظمته، أن يتخذ ولدًا؛ لأن اتخاذ الولد يدل على النقص والحاجة، والله هو الغني الحميد المبرأ عن كل النقائص. { إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً{٩٣}ما كل مَن في السماوات من الملائكة، ومَن في الأرض من الإنس والجن، إلا سيأتي ربه يوم القيامة عبدًا ذليلا خاضعًا مقرًا له بالعبودية. { لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً{٩٤} قد أحصى الله سبحانه وتعالى خَلْقَه كلهم، وعلم عددهم، فلا يخفى عليه أحد منهم. { وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً{٩٥}وسوف يأتي كل فرد من الخلق ربه يوم القيامة وحده، لا مال له ولا ولد معه. وقال تعالى فى المسيح {إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ } الزخرف٥٩

ما عيسى ابن مريم إلا عبد أنعمنا عليه بالنبوة، وجعلناه آية وعبرة لبني إسرائيل يُستدل بها على قدرتنا. وقال تعالى {وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ } الأنبياء١٩

ولله سبحانه كل مَن في السماوات والأرض، والذين عنده من الملائكة لا يأنَفُون عن عبادته ولا يملُّونها. فكيف يجوز أن يشرك به ما هو عبده وخلقه؟ وقال تعالى {لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ

عَبْداً لِّلّهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعاً }النساء١٧٢

لن يَأْنف ولن يمتنع المسيح أن يكون عبدًا لله، وكذلك لن يأنَفَ الملائكة المُقَرَّبون من الإقرار بالعبودية لله تعالى. ومن يأنف عن الانقياد والخضوع ويستكبر فسيحشرهم كلهم إليه يوم القيامة، ويفصلُ بينهم بحكمه العادل، ويجازي كلا بما يستحق. إلى قوله {ولا يجدون لهم دون وليا ولا نصيرا} وقال تعالى {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } غافر٦٠

وقال ربكم- أيها العباد-: ادعوني وحدي وخصُّوني بالعبادة أستجب لكم، إن الذين يتكبرون عن إفرادي بالعبودية والألوهية، سيدخلون جهنم صاغرين حقيرين. وقال تعالى {وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ }فصلت٣٧

ومِن حجج الله على خلقه، ودلائله على وحدانيته وكمال قدرته اختلاف الليل والنهار، وتعاقبهما، واختلاف الشمس والقمر وتعاقبهما، كل ذلك تحت تسخيره وقهره. لا تسجدوا للشمس ولا للقمر- فإنهما مدَبَّران مخلوقان- واسجدوا لله الذي خلقهن، إن كنتم حقًّا منقادين لأمره سامعين مطيعين له، تعبدونه وحده لا شريك له. {فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ }فصلت٣٨

فإن استكبر هؤلاء المشركون عن السجود لله، فإن الملائكة الذين عند ربك لا يستكبرون عن ذلك، بل يسبحون له، وينزِّهونه عن كل نقص بالليل والنهار، وهم لا يَفْتُرون عن ذلك، ولا يملون. وقال تعالى {ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ }الأعراف٥٥

ادعوا -أيها المؤمنون- ربكم متذللين له خفية وسرًّا، وليكن الدعاء بخشوع وبُعْدٍ عن الرياء. إن الله تعالى لا يحب المتجاوزين حدود شرعه، وأعظم التجاوز الشرك بالله، كدعاء غير الله من الأموات والأوثان، ونحو ذلك. إلى قوله {إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ }الأعراف٢٠٦

إن الذين عند ربك من الملائكة لا يستكبرون عن عبادة الله، بل ينقادون لأوامره، ويسبحونه بالليل والنهار، وينزهونه عما لا يليق به، وله وحده لا شريك له يسجدون..

وهذا ونحوه مما فيه وصف أكابر المخلوقات بالعبادة وذم من خرج عن ذلك متعدد فى القرآن وقد اخبر انه أرسل جميع الرسل بذلك فقال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ }الأنبياء٢٥

وما أرسلنا من قبلك - أيها الرسول - من رسول إلا نوحي إليه أنه لا معبود بحق إلا الله، فأخْلصوا العبادة له وحده. وقال {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ }النحل٣٦

ولقد بعثنا في كل أمة سبقَتْ رسولا آمرًا لهم بعبادة الله وطاعته وحده وتَرْكِ عبادة غيره من الشياطين والأوثان والأموات وغير ذلك مما يتخذ من دون الله وليًا، فكان منهم مَن هدى الله، فاتبع المرسلين، ومنهم المعاند الذي اتبع سبيل الغيِّ، فوجبت عليه الضلالة، فلم يوفقه الله. فامشوا في الأرض، وأبصروا بأعينكم كيف كان مآل هؤلاء المكذبين، وماذا حلَّ بهم مِن دمار؛ لتعتبروا؟ .. {وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ }الزمر١٧

والذين اجتنبوا طاعة الشيطان وعبادة غير الله، وتابوا إلى الله بعبادته وإخلاص الدين له، لهم البشرى في الحياة الدنيا بالثناء الحسن والتوفيق من الله، وفي الآخرة رضوان الله والنعيم الدائم في الجنة.

وقال تعالى لبنى إسرائيل {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ }العنكبوت٥٦

يا عبادي الذين آمنوا إن كنتم في ضيق من إظهار الإيمان وعبادة الله وحده، فهاجروا إلى أرض الله الواسعة، وأخلصوا العبادة لي وحدي. وقال {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }البقرة٢١

نداء من الله للبشر جميعًا: أن اعبدوا الله الذي ربَّاكم بنعمه، وخافوه ولا تخالفوا دينه؛ فقد أوجدكم من العدم، وأوجد الذين من قبلكم؛ لتكونوا من المتقين الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه. وقال {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ }الذاريات٥٦

وما خلقت الجن والإنس وبعثت جميع الرسل إلا لغاية سامية، هي عبادتي وحدي دون مَن سواي.
وقال تعالى قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ{١١} وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ{١٢} قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ {١٣} قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِي{١٤} فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ{١٥}. الزمر

وكل رسول من الرسل افتتح دعوته بالدعاء إلى عبادة الله كقول نوح ومن بعده عليم السلام اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وفى المسند عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال: { بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري }.

وقد بين أن عباده هم الذين ينجون من السيئات قال الشيطان {قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ }الحجر٣٩

قال إبليس: ربِّ بسبب ما أغويتني وأضللتني لأحسِّنَنَّ لذرية آدم معاصيك في الأرض، ولأضلنهم أجمعين عن طريق الهدى، قال تعالى {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ }الحجر٤٢

لكن سلطانك على مَن اتبعك مِنَ الضالين المشركين الذين رضوا بولايتك وطاعتك بدلا من طاعتي.وقال {قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ }الحجر٣٩

قال إبليس: ربِّ بسبب ما أغويتني وأضللتني لأحسِّنَنَّ لذرية آدم معاصيك في الأرض، ولأضلنهم أجمعين عن طريق الهدى، {إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ }الحجر٤٠

إلا عبادك الذين هديتهم فأخلصوا لك العبادة وحدك دون سائر خلقك. وقال فى حق يوسف {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ }يوسف٢٤

ولقد مالت نفسها لفعل الفاحشة، وحدَّثت يوسفَ نفسُه حديث خطرات للاستجابة، لولا أن رأى آية من آيات ربه تزجره عمَّا حدثته به نفسه، وإنما أريناه ذلك؛ لندفع عنه السوء والفاحشة في جميع أموره، إنه من عبادنا المطهرين المصطفَين للرسالة الذين أخلصوا في عبادتهم لله وتوحيده. وقال {سبحان الله عما يصفون إلا عباد الله المخلصين} وقال {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ }النحل٩٩

إن الشيطان ليس له تسلُّطٌ على المؤمنين بالله ورسوله، وعلى ربهم وحده يعتمدون. {إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ }النحل١٠٠

إنما تسلُّطه على الذين جعلوه مُعينًا لهم وأطاعوه، والذين هم -بسبب طاعته- مشركون بالله تعالى.
وبها نعت كل من اصطفى من خلقه كقوله {إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ }ص٤٦

إنا خصصناهم بخاصة عظيمة، حيث جعلنا ذكرى الدار الآخرة في قلوبهم، فعملوا لها بطاعتنا، ودعوا الناس إليها، وذكَّروهم بها.وقوله {اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ }ص١٧

اصبر -أيها الرسول- على ما يقولونه مما تكره، واذكر عبدنا داود صاحب القوة على أعداء الله والصبر على طاعته، إنه توَّاب كثير الرجوع إلى ما يرضي الله. (وفي هذا تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم).وقال عن سليمان {وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ }ص٣٠

ووهبنا لداود ابنه سليمان، فأنعمنا به عليه، وأقررنا به عينه، نِعْم العبد سليمان، إنه كان كثير الرجوع إلى الله والإنابة إليه. وعن أيوب {نعم العبد} وقال {وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ }ص٤٤

وقلنا له: خذ بيدك حُزمة شماريخ، فاضرب بها زوجك إبرارًا بيمينك، فلا تحنث؛ إذ أقسم ليضربنَّها مائة جلدة إذا شفاه الله، لـمَّا غضب عليها من أمر يسير أثناء مرضه، وكانت امرأة صالحة، فرحمها الله ورحمه بهذه الفتوى. إنا وجدنا أيوب صابرًا على البلاء، نِعم العبد هو، إنه رجَّاع إلى طاعة الله. وقال عن نوح عليه السلام {ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً }الإسراء٣

يا سلالة الذين أنجيناهم وحَمَلْناهم مع نوح في السفينة لا تشركوا بالله في عبادته، وكونوا شاكرين لنعمه، مقتدين بنوح عليه السلام؛ إنه كان عبدًا شكورًا لله بقلبه ولسانه وجوارحه. وقال {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ }الإسراء١

يمجِّد الله نفسه ويعظم شأنه، لقدرته على ما لا يقدر عليه أحد سواه، لا إله غيره، ولا رب سواه، فهو الذي أسرى بعبده محمد صلى الله عليه وسلم زمنًا من الليل بجسده وروحه، يقظة لا منامًا، من المسجد الحرام بـ "مكة" إلى المسجد الأقصى بـ "بيت المقدس" الذي بارك الله حوله في الزروع والثمار وغير ذلك، وجعله محلا لكثير من الأنبياء؛ ليشاهد عجائب قدرة الله وأدلة وحدانيته. إن الله سبحانه وتعالى هو السميع لجميع الأصوات، البصير بكل مُبْصَر، فيعطي كُلا ما يستحقه في الدنيا والآخرة. وقال {وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً }الجن١٩

وأنه لما قام محمد صلى الله عليه وسلم، يعبد ربه، كاد الجن يكونون عليه جماعات متراكمة، بعضها فوق بعض ؛ مِن شدة ازدحامهم لسماع القرآن منه.وقال {وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }البقرة٢٣

وإن كنتم -أيها الكافرون المعاندون- في شَكٍّ من القرآن الذي نَزَّلناه على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وتزعمون أنه ليس من عند الله، فهاتوا سورة تماثل سورة من القرآن، واستعينوا بمن تقدرون عليه مِن أعوانكم، إن كنتم صادقين في دعواكم، {وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }الأنفال٤١

واعلموا -أيها المؤمنون- أن ما ظفِرتم به مِن عدوكم بالجهاد في سبيل الله فأربعة أخماسه للمقاتلين الذين حضروا المعركة، والخمس الباقي يجزَّأ خمسة أقسام: الأول لله وللرسول، فيجعل في مصالح المسلمين العامة، والثاني لذوي قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم بنو هاشم وبنو المطلب، جُعِل لهم الخمس مكان الصدقة فإنها لا تحلُّ لهم، والثالث لليتامى، والرابع للمساكين، والخامس للمسافر الذي انقطعت به النفقة، إن كنتم مقرِّين بتوحيد الله مطيعين له، مؤمنين بما أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات والمدد والنصر يوم فرَق بين الحق والباطل بـ"بدر"، يوم التقى جَمْعُ المؤمنين وجَمْعُ المشركين. والله على كل شيء قدير لا يعجزه شيء. وقال {فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى }النجم١٠

فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى عبده محمد صلى الله عليه وسلم ما أوحى بواسطة جبريل عليه السلام. وقال {عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً }الإنسان٦

هذا الشراب الذي مزج من الكافور هو عين يشرب منها عباد الله، يتصرفون فيها، ويُجْرونها حيث شاءوا إجراءً سهلا.وقال {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً }الفرقان٦٣

وعباد الرحمن الصالحون يمشون على الأرض بسكينة متواضعين، وإذا خاطبهم الجهلة السفهاء بالأذى أجابوهم بالمعروف من القول، وخاطبوهم خطابًا يَسْلَمون فيه من الإثم، ومن مقابلة الجاهل بجهله. ومثل هذا كثير متعدد فى القرآن.

*.*.*.*.*.*.*.*.*.*.*.*.*.*

## الفصل السادس : الحكمة فى إرسال الرسل

{وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً }النساء٦٩

ومن يستجب لأوامر الله تعالى وهدي رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فأولئك الذين عَظُمَ شأنهم وقدرهم، فكانوا في صحبة مَن أنعم الله تعالى عليهم بالجنة من الأنبياء والصديقين الذين كمُل تصديقهم بما جاءت به الرسل، اعتقادًا وقولا وعملا والشهداء في سبيل الله وصالح المؤمنين، وحَسُنَ هؤلاء رفقاء في الجنة. ( ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللهِ وَكَفَى بِاللّهِ عَلِيماً) ٧٠النساء

يقول صاحب الظلال رحمه الله تعالى الأستاذ / سيد قطب

((يعود السياق إلى الترغيب ؛ واستجاشة القلوب ؛ والتلويح للأرواح بالمتاع الحبيب . . متاع الصحبة في الآخرة للنبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

ومن يطع الله والرسول ، فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . وحسن أولئك رفيقا ! ذلك الفضل من الله ، وكفى بالله عليمًا . .

إنها اللمسة التي تستجيش مشاعر كل قلب ، فيه ذرة من خير ؛ وفيه بذرة من صلاح وفيه إثارة من التطلع إلى مقام كريم في صحبة كريمة ، في جوار الله الكريم . . وهذه الصحبة لهذا الرهط العلوي . . إنما هي من فضل الله . فما يبلغ إنسان بعمله وحده وطاعته وحدها أن ينالها . . إنما هو الفضل الواسع الغامر الفائض العميم .

ويحسن هنا أن نعيش لحظات مع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يتشوقون إلى صحبته في الآخرة ؛ وفيهم من يبلغ به الوجد ألا يمسك نفسه عند تصور فراقه . . وهو صلى الله عليه وسلم بين ظهرانيهم . فتنزل هذه الآية:فتندي هذا الوجد ؛ وتبل هذه اللهفة . . الوجد النبيل . واللهفة الشفيفة : قال ابن جرير:حدثنا ابن حميد ، حدثنا يعقوب السقمي ، عن جعفر بن أبى المغيرة ، عن سعيد بن جبير . قال:جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محزون . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم :" يا فلان . ما لي أراك محزونا ؟ " فقال: يا نبي الله . شيء فكرت فيه . فقال: " ما هو ؟ " قال: نحن نغدو عليك ونروح . ننظر إلى وجهك ، ونجالسك . وغدا ترفع مع النبيين ، فلا نصل إليك . . فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم شيئًا . فأتاه جبريل بهذه الآية: (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين). . الآية ، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم فبشره .

وقد رواه أبو بكر بن مردويه مرفوعا - بإسناده - عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: "جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله . إنك أحب إلي من نفسي ، وأحب إلى من أهلي ، وأحب إلي من ولدي . وإني لأكون في البيت ، فأذكرك ، فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك . وإذا

ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين ، وإن دخلت الجنة خشيت ألا أراك . فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزلت:(ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء و الصالحين وحسن أولئك رفيقا). .

وفي صحيح مسلم من حديث عقل بن زياد ، عن الأوزاعي ، عن يحيى بن كثير ، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ، عن ربيعة بن كعب الأسلمي ، أنه قال: كنت أبيت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته بوضوئه وحاجته . فقال لي: " سل " . فقلت يا رسول الله أسألك مرافقتك في الجنة . فقال : " أو غير ذلك " . قلت: هو ذاك . قال: " فأعني على نفسك بكثرة السجود " .

وفي صحيح البخاري من طرق متواترة عن جماعة من الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم، فقال: " المرء مع من أحب " . . قال أنس:فما فرح المسلمون فرحهم بهذا الحديث . .

لقد كان الأمر يشغل قلوبهم وأرواحهم . . أمر الصحبة في الآخرة . . وقد ذاقوا طعم الصحبة في الدنيا ! وإنه لأمر يشغل كل قلب ذاق محبة هذا الرسول الكريم . . وفي الحديث الأخير أمل وطمأنينة ونور . .

ويستطرد السياق في مواجهة أهل الكتاب - واليهود منهم في هذا الموضع خاصة - وموقفهم من رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وزعمهم أن الله لم يرسله ، وتفريقهم بين الرسل ، وتعنتهم وهم يطلبون أمارة

إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً (١٦٣) وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيماً (١٦٤)

على رسالته: كتابا ينزله عليهم من السماء . . فيقرر أن الوحي للرسول ليس بدعا ، وليس غريبا ، فهو سنة الله في إرسال الرسل جميعا ، من عهد نوح إلى عهد محمد . وكلهم رسل أرسلوا للتبشير والإنذار ؛ اقتضت هذا رحمة الله بعبادة ، وأخذه الحجة عليهم ، وإنذاره لهم قبل يوم الحساب . . وكلهم جاءوا بوحي واحد ، لهدف واحد ؛ فالتفرقة بينهم تعنت لا يستند إلى دليل . . وإذا أنكروا هم وتعنتوا فإن الله يشهد - وكفى به شاهدا - والملائكة يشهدون .

إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ، وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان ، وآتينا داود زبورا . ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك ، وكلم الله موسى تكليما . . رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . وكان الله عزيزا حكيمًا . .

فهو إذن موكب واحد يتراءى على طريق التاريخ البشري الموصول ، ورسالة واحدة بهدى واحد للإنذار والتبشير . . موكب واحد يضم هذه الصفوة المختارة من بين البشر:نوح . وإبراهيم . وإسماعيل. وإسحاق . ويعقوب . والأسباط . وعيسى . وأيوب . ويونس . وهارون . وسليمان . وداود . وموسى . . . وغيرهم ممن قصهم الله على نبيه صلى الله عليه وسلم في القرآن ، وممن لم يقصصهم عليه . . موكب من شتى الأقوام والأجناس ، وشتى البقاع والأرضين . في شتى الآونة والأزمان . لا يفرقهم نسب ولا جنس ، ولا أرض ولا وطن . ولا زمن ولا بيئة . كلهم آت من ذلك المصدر الكريم . وكلهم يحمل ذلك النور الهادي . وكلهم يؤدي الإنذار والتبشير . وكلهم يحاول أن يأخذ بزمام القافلة البشرية إلى ذلك النور . . سواء منهم من جاء لعشيرة . ومن جاء لقوم . ومن جاء لمدينة ومن جاء لقطر . . ثم من جاء للناس أجمعين:محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين .

كلهم تلقى الوحي من الله . فما جاء بشيء من عنده . وإذا كان الله قد كلم موسى تكليما فهو لون من الوحي لا يعرف أحد كيف كان يتم . لأن القرآن - وهو المصدر الوحيد الصحيح الذي لا يرقى الشك إلى صحته - لم يفصل لنا في ذلك شيئا . فلا نعلم إلا أنه كان كلاما . ولكن ما طبيعته ؟ كيف تم ؟ بأية حاسة أو قوة كان موسى يتلقاه ؟ . . . كل ذلك غيب من الغيب لم يحدثنا عنه القرآن . وليس وراء القرآن - في هذا الباب - إلا أساطير لا تستند إلى برهان .

أولئك الرسل - من قص الله على رسوله منهم ومن لم يقصص - اقتضت عدالة الله ورحمته أن يبعث بهم إلى عبادة يبشرونهم بما أعده الله للمؤمنين الطائعين من نعيم ورضوان ؛ وينذرونهم ما أعده الله للكافرين العصاة من جحيم وغضب . . كل ذلك:

(لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل). .

ولله الحجة البالغة في الأنفس والآفاق ؛ وقد أعطى الله البشر من العقل ما يتدبرون به دلائل الإيمان في الأنفس والآفاق . ولكنه - سبحانه - رحمة منه بعباده ، وتقديرا لغلبة الشهوات على تلك الأداة العظيمة التي أعطاها لهم - أداة العقل - اقتضت رحمته وحكمته أن يرسل إليهم الرسل (مبشرين ومنذرين) يذكرونهم ويبصرونهم ؛ ويحاولون استنقاذ فطرتهم وتحرير عقولهم من ركام الشهوات ، التي تحجب عنها أو تحجبها عن دلائل الهدى وموحيات الإيمان في الأنفس والآفاق .

وكان الله عزيزا حكيمًا . .

رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً (١٦٥) لَّـكِنِ اللّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلآئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيداً (١٦٦)

عزيزا: قادرا على أخذ العباد بما كسبوا .

حكيما: يدبر الأمر كله بالحكمة ويضع كل أمر في نصابه . . والقدرة والحكمة لهما عملهما فيما قدره الله في هذا الأمر وارتضاه . .

ونقف من هذه اللفتة: (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) أمام حشد من الإيحاءات اللطيفة العميقة ونختار منه ثلاثا على سبيل الاختصار الذي لا يخرج بنا من الظلال .

نقف منها:

أولا:أمام قيمة العقل البشري ووظيفته ودوره في أخطر قضايا "الإنسان" قضية الإيمان بالله ؛ التي تقوم عليها حياته في الأرض من جذورها ؛ بكل مقوماتها واتجاهاتها وواقعياتها وتصرفاتها ؛ كما يقوم عليها مآله في الآخرة وهي أكبر وأبقى .

لو كان الله - سبحانه - وهو أعلم بالإنسان وطاقاته كلها ، يعلم أن العقل البشري ، الذي وهبه للإنسان ، هو حسب هذا الإنسان في بلوغ الهدى لنفسه والمصلحة لحياته ، في دنياه وآخرته ، لوكله إلى هذا العقل وحده ؛ يبحث عن دلائل الهدى وموحيات الإيمان في الأنفس والآفاق ، ويرسم لنفسه كذلك المنهج الذي تقوم عليه حياته ، فتستقيم على الحق والصواب ؛ ولما أرسل إليه الرسل على مدى التاريخ ؛ ولما جعل حجته على عباده هي رسالة الرسل إليهم ؛ وتبليغهم عن ربهم ؛ ولما جعل حجة الناس عنده - سبحانه - هي عدم مجيء الرسل إليهم: (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل). .

ولكن لما علم الله - سبحانه - أن العقل الذي آتاه للإنسان أداة قاصرة بذاتها عن الوصول إلى الهدى - بغير توجيه من الرسالة وعون وضبط - وقاصرة كذلك عن رسم منهج للحياة الإنسانية يحقق المصلحة الصحيحة لهذه الحياة ؛ وينجي صاحبه من سوء المآل في الدنيا والآخرة . . لما علم الله - سبحانه - هذا شاءت حكمته وشاءت رحمته أن يبعث للناس بالرسل ، وألا يؤاخذ الناس إلا بعد الرسالة والتبليغ: (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولًا). . وهذه تكاد تكون إحدى البديهيات التي تبرز من هذا النص القرآني . . فإن لم تكن بديهية فهي إحدى المقتضيات الحتمية . .

إذن . . ما هي وظيفة هذا العقل البشري ؛ وما هو دوره في قضية الإيمان والهدى ؛ وفي قضية منهج الحياة ونظامها ؟

إن دور هذا العقل أن يتلقى عن الرسالة ؛ ووظيفته أن يفهم ما يتلقاه عن الرسول . ومهمة الرسول أن يبلغ ، ويبين ، ويستنقذ الفطرة الإنسانية مما يرين عليها من الركام . وينبه العقل الإنساني إلى تدبر دلائل الهدى وموحيات الإيمان في الأنفس والآفاق ؛ وأن يرسم له منهج التلقي الصحيح ، ومنهج النظر الصحيح ؛ وأن يقيم له القاعدة التي ينهض عليها منهج الحياة العملية ، المؤدي إلى خير الدنيا والآخرة .

وليس دور العقل أن يكون حاكما على الدين ومقرراته من حيث الصحة والبطلان ، والقبول أو الرفض - بعد أن يتأكد من صحة صدورها عن الله ؛ وبعد أن يفهم المقصود بها:أي المدلولات اللغوية والاصطلاحية للنص - ولو كان له أن يقبلها أو يرفضها - بعد إدراك مدلولها ، لأنه هو لا يوافق على هذا المدلول ! أو لا يريد أن يستجيب له - ما استحق العقاب من الله على الكفر بعد البيان . . فهو إذن ملزم بقبول مقررات الدين متى بلغت إليه عن طريق صحيح ، ومتى فهم عقله ما المقصود بها وما المراد منها . .

إن هذه الرسالة تخاطب العقل . . بمعنى أنها توقظه ، وتوجهه ، وتقيم له منهج النظر الصحيح . . لا بمعنى أنه هو الذي يحكم بصحتها أو بطلانها ، وبقبولها أو رفضها . ومتى ثبت النص كان هو الحكم ؛ وكان على العقل البشري أن يقبله ويطيعه وينفذه ؛ سواء كان مدلوله مألوفا له أو غريبا عليه . .

إن دور العقل - في هذا الصدد - هو أن يفهم ما الذي يعنيه النص . وما مدلوله الذي يعطيه حسب معاني العبارة في اللغة والاصطلاح . وعند هذا الحد ينتهي دوره . . إن المدلول الصحيح للنص لا يقبل البطلان أو الرفض بحكم من هذا العقل . فهذا النص من عند الله ، والعقل ليس إلها يحكم بالصحة أو البطلان ، وبالقبول أو الرفض لما جاء من عند الله .

وعند هذه النقطة الدقيقة يقع خلط كثير . . سواء ممن يريدون تأليه العقل البشري فيجعلونه هو الحكم في صحة أو بطلان المقررات الدينية الصحيحة . . أو ممن يريدون إلغاء العقل ، ونفي دوره في الإيمان والهدى . . والطريق الوسط الصحيح هو الذي بيناه هنا . . من أن الرسالة تخاطب العقل ليدرك مقرراتها ؛ وترسم له المنهج الصحيح للنظر في هذه المقررات ، وفي شؤون الحياة كلها . فإذا أدرك مقرراتها - أي إذا فهم ماذا يعني النص - لم يعد أمامه إلا التصديق والطاعة والتنفيذ . . فهي لا تكلف الإنسان العمل بها سواء فهمها أم لم يفهمها . وهي كذلك لا تبيح له مناقشة مقرراتها متى أدرك هذه المقررات ، وفق مفهوم نصوصها . . مناقشتها ليقبلها أو يرفضها . ليحكم بصحتها أو خطئها . . وقد علم أنها جاءته من عند الله . الذي لا يقص إلا الحق ، ولا يأمر إلا بالخير .

والمنهج الصحيح في التلقي عن الله ، هو ألا يواجه العقل مقررات الدين الصحيحة - بعد أن يدرك المقصود بها - بمقررات له سابقة عليها ؛ كونها لنفسه من مقولاته "المنطقية " ! أو من ملاحظاته المحدودة ؛ أو من تجاربه الناقصة . . إنما المنهج الصحيح أن يتلقى النصوص الصحيحة ، ويكون منها مقرراته هو ! فهي أصح من مقرراته الذاتية ؛ ومنهجها أقوم من منهجه الذاتي - قبل أن يضبط بموازين النظر الدينية الصحيحة - ومن ثم لا يحاكم العقل مقررات الدين - متى صح عنده أنها من الله - إلى أية مقررات أخرى من صنعه الخاص !

. . إن العقل ليس إلها ، ليحاكم بمقرراته الخاصة مقررات الله . .

إن له أن يعارض مفهوما عقليا بشريا للنص بمفهوم عقلي بشري آخر له . . هذا مجاله ، ولا حرج عليه في هذا ولا حجر ما دام هنالك من الأصول الصحيحة مجال للتأول والأفهام المتعددة . وحرية النظر - على أصوله الصحيحة وبالضوابط التي يقررها الدين نفسه - مكفولة للعقول البشرية في هذا المجال الواسع . وليس هنالك من هيئة ، ولا سلطة ، ولا شخص ، يملك الحجر على العقول ، في إدراك المقصود بالنص الصحيح وأوجه تطبيقه - متى كان قابلا لأوجه الرأي المتعددة ، ومتى كان

النظر في حدود الضوابط الصحيحة والمنهج الصحيح ، المأخوذ من مقررات الدين - وهذا كذلك معنى أن هذه الرسالة تخاطب العقل . .

إن الإسلام دين العقل . . نعم . . بمعنى أنه يخاطب العقل بقضاياه ومقرراته ؛ ولا يقهره بخارقة مادية لا مجال له فيها إلا الإذعان . ويخاطب العقل بمعنى أنه يصحح له منهج النظر ويدعوه إلى تدبر دلائل الهدى وموحيات الإيمان في الأنفس والآفاق ؛ ليرفع عن الفطرة ركام الإلف والعادة والبلادة ؛ وركام الشهوات المضلة للعقل والفطرة . ويخاطب العقل بمعنى أنه يكل إليه فهم مدلولات النصوص التي تحمل مقرراته ، ولا يفرض عليه أن يؤمن بما لا يفهم مدلوله ولا يدركه . . فإذا وصل إلى مرحلة إدراك المدلولات وفهم المقررات لم يعد أمامه إلا التسليم بها فهو مؤمن ، أو عدم التسليم بها فهو كافر . . وليس هو حكما في صحتها أو بطلانها . وليس هو مأذونا في قبولها أو رفضها ، كما يقول من يبتغون أن يجعلوا من هذا العقل إلها ، يقبل من المقررات الدينية الصحيحة ما يقبل ، ويرفض منها ما يرفض ، ويختار منها ما يشاء ، ويترك منها ما يشاء . .فهذا هو الذي يقول الله عنه: (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟)ويرتب عليه صفة الكفر ، ويرتب عليه كذلك العقاب . . فإذا قرر الله - سبحانه - حقيقة في أمر الكون ، أو أمر الإنسان ، أو أمر الخلائق الأخرى . أو إذا قرر أمرا في الفرائض ، أو في النواهي . . فهذا الذي قرره الله واجب القبول والطاعة ممن يبلغ إليه . متى أدرك المدلول المراد منه . .

إذا قال الله سبحانه (الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن). . {أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ }الأنبياء٣٠

أولم يعلم هؤلاء الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا ملتصقتين لا فاصل بينهما، فلا مطر من السماء ولا نبات من الأرض، ففصلناهما بقدرتنا، وأنزلنا المطر من السماء، وأخرجنا النبات من الأرض، وجعلنا من الماء كل شيء حي، أفلا يؤمن هؤلاء الجاحدون فيصدقوا بما يشاهدونه، ويخصُّوا الله بالعبادة؟. . {وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }النور٤٥

والله تعالى خلق كل ما يدب على الأرض مِن ماء، فالماء أصل خلقه، فمن هذه الدواب: مَن يمشي زحفًا على بطنه كالحيَّات ونحوها، ومنهم مَن يمشي على رجلين كالإنسان، ومنهم من يمشي على أربع كالبهائم ونحوها. والله سبحانه وتعالى يخلق ما يشاء، وهو قادر على كل شيء.. {خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ }الرحمن١٤

خلق أبا الإنسان، وهو آدم من طين يابس كالفَخَّار،. {وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ }الرحمن١٥

وخلق إبليس، وهو من الجن من لهب النار المختلط بعضه ببعض.. إلى آخر ما قال - سبحانه - عن طبيعة الكون والكائنات والأحياء والأشياء . . فالحق هو ما قال . وليس للعقل أن يقول - بعد أن يفهم مدلول النصوص والمقررات التي تنشئها - إنني لا أجد هذا في مقرراتي ، أو في علمي ، أو في تجاربي . . فكل ما يبلغه العقل في هذا معرض للخطأ والصواب . وما قرره الله - سبحانه - لا يحتمل إلا الحق والصواب .

وإذا قال الله سبحانه: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون). . {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } البقرة٢٧٨

يا من آمنتم بالله واتبعتم رسوله خافوا الله، واتركوا طلب ما بقي لكم من زيادة على رؤوس أموالكم التي كانت لكم قبل تحريم الربا، إن كنتم محققين إيمانكم قولا وعملا.. {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً }الأحزاب٣٣

والْزَمْنَ بيوتكن، ولا تخرجن منها إلا لحاجة، ولا تُظهرن محاسنكن، كما كان يفعل نساء الجاهلية الأولى في الأزمنة السابقة على الإسلام، وهو خطاب للنساء المؤمنات في كل عصر. وأدِّين - يا نساء

النبي- الصلاة كاملة في أوقاتها، وأعطين الزكاة كما شرع الله، وأطعن الله ورسوله في أمرهما ونهيهما، إنما أوصاكن الله بهذا؛ ليزكيكنَّ، ويبعد عنكنَّ الأذى والسوء والشر يا أهل بيت النبي -ومنهم زوجاته وذريته عليه الصلاة والسلام-، ويطهِّر نفوسكم غاية الطهارة.. . {وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } النور ٣١

وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن عمَّا لا يحلُّ لهن من العورات، ويحفظن فروجهن عمَّا حَرَّم الله، ولا يُظهرن زينتهن للرجال، بل يجتهدن في إخفائها إلا الثياب الظاهرة التي جرت العادة بلُبْسها، إذا لم يكن في ذلك ما يدعو إلى الفتنة بها، وليلقين بأغطية رؤوسهن على فتحات صدورهن مغطيات وجوههن؛ ليكمل سترهن، ولا يُظْهِرْنَ الزينة الخفية إلا لأزواجهن ؛ إذ يرون منهن ما لا يرى غيرهم. وبعضها، كالوجه، والعنق، واليدين، والساعدين يباح رؤيته لآبائهن أو آباء أزواجهن أو أبنائهن أو أبناء أزواجهن أو إخوانهن أو أبناء إخوانهن أو أبناء أخواتهن أو نسائهن المسلمات دون الكافرات، أو ما ملكن مِنَ العبيد، أو التابعين من الرجال الذين لا غرض ولا حاجة لهم في النساء، مثل البُلْه الذين يتبعون غيرهم للطعام والشراب فحسب، أو الأطفال الصغار الذين ليس لهم علم بأمور عورات النساء، ولم توجد فيهم الشهوة بعد، ولا يضرب النساء عند سَيْرهن بأرجلهن لِيُسْمِعْنَ صوت ما خفي من زينتهن كالخلخال ونحوه، وارجعوا- أيها المؤمنون- إلى طاعة الله فيما أمركم به من هذه الصفات الجميلة والأخلاق الحميدة، واتركوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والصفات الرذيلة؛ رجاء أن تفوزوا بخيري الدنيا والآخرة.

. . إلى آخر ما قال في شأن منهج الحياة البشرية فالحق هو ما قال - سبحانه - وليس للعقل أن يقول:ولكنني أرى المصلحة في كذا وكذا مما يخالف عن أمر الله ، أو فيما لم يأذن به الله ولم يشرعه للناس . . فما يراه العقل مصلحة يحتمل الخطأ والصواب ، وتدفع إليه الشهوات والنزوات . . وما يقرره الله - سبحانه - لا يحتمل إلا الصحة والصلاح . .

وما قرره الله سبحانه من العقائد والتصورات ، أو من منهج الحياة ونظامها ، سواء في موقف العقل إزاءه . . متى صح النص ، وكان قطعي الدلالة ؛ ولم يوقت بوقت . . فليس للعقل أن يقول:آخذ في العقائد والشعائر التعبدية ؛ ولكني أرى أن الزمن قد تغير في منهج الحياة ونظامها . . فلو شاء الله أن يوقت مفعول النصوص لوقته . فما دام النص مطلقا فإنه يستوي زمان نزوله وآخر الزمان . . احترازا من الجرأة على الله ، ورمي علمه بالنقص والقصور - سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا . . إنما يكون الاجتهاد في تطبيق النص العام على الحالة الجزئية ؛ لا في قبول المبدأ العام أو رفضه ، تحت أي مقولة من مقولات العقل في جيل من الأجيال !

وليس في شيء من هذا الذي نقرره انتقاص من قيمة العقل ودوره في الحياة البشرية . . فإن المدى أمامه واسع في تطبيق النصوص على الحالات المتجددة - بعد أن ينضبط هو بمنهج النظر وموازينه المستقاة من دين الله وتعليمه الصحيح - والمدى أمامه أوسع في المعرفة بطبيعة هذا الكون وطاقاته وقواه ومدخراته ؛ وطبيعة الكائنات فيه والأحياء ؛ والانتفاع بما سخر الله له من هذا الكون ومن هذه الكائنات والأحياء ؛ وتنمية الحياة وتطويرها وترقيتها - في حدود منهج الله - لا كما تبتغي الشهوات والأهواء التي تضل العقل وتغطي الفطرة بالركام ! .

ونقف من هذه اللفتة: {رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً } النساء١٦٥

أرسَلْتُ رسلا إلى خَلْقي مُبشِّرين بثوابي، ومنذرين بعقابي؛ لئلا يكون للبشر حجة يعتذرون بها بعد إرسال الرسل. وكان الله عزيزًا في ملكه، حكيمًا في تدبيره.

وقفة أخرى: نقف منها أمام التبعة العظيمة الملقاة على الرسل - صلوات الله عليهم - ومن بعدهم على المؤمنين برسالاتهم - تجاه البشرية كلها . . وهي تبعة ثقيلة بمقدار ما هي عظيمة . .

إن مصائر البشرية كلها في الدنيا وفي الآخرة سواء ، منوطة بالرسل وبأتباعهم من بعدهم . فعلى أساس تبليغهم هذا الأمر للبشر ، تقوم سعادة هؤلاء البشر أو شقوتهم ، ويترتب ثوابهم أو عقابهم . . في الدنيا والآخرة .

إنه أمر هائل عظيم . . ولكنه كذلك . . ومن ثم كان الرسل - صلوات الله عليهم - يحسون بجسامه ما يكلفون . وكان الله - سبحانه - يبصرهم بحقيقة العبء الذي ينوطه بهم . . وهذا هو الذي يقول الله عنه لنبيه:(إنا سنلقي عليك قولا ثقيلًا) . . ويعلمه كيف يتهيأ له ويستعد:(يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا . نصفه أو انقص منه قليلا . أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا . . إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا) . .(إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا . فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا . واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا . ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا) . . وهذا هو الذي يشعر به نبيه صلى الله عليه وسلم وهو يأمره أن يقول وأن يستشعر حقيقة ما يقول:قل:إني لن يجيرني من الله أحد ، ولن أجد من دونه ملتحدا . . إلا بلاغا من الله ورسالاته . {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً } الجن٢٦

وهو سبحانه عالم بما غاب عن الأبصار، فلا يظهر على غيبه أحدًا من خلقه، {إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً } الجن٢٧

إلا من اختاره الله لرسالته وارتضاه، فإنه يُطلعهم على بعض الغيب، ويرسل من أمام الرسول ومن خلفه ملائكة يحفظونه من الجن؛ لئلا يسترقوه ويهمسوا به إلى الكهنة؛ . . {لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً } الجن٢٨

ليعلم الرسول صلى الله عليه وسلم، أن الرسل قبله كانوا على مثل حاله من التبليغ بالحق والصدق، وأنه حُفظ كما حُفظوا من الجن، وأن الله سبحانه أحاط علمه بما عندهم ظاهرًا وباطنًا من الشرائع والأحكام وغيرها، لا يفوته منها شيء، وأنه تعالى أحصى كل شيء عددًا، فلم يَخْفَ عليه منه شيء..

إنه الأمر الهائل العظيم . . أمر رقاب الناس . . أمر حياتهم ومماتهم . . أمر سعادتهم وشقائهم . . أمر ثوابهم وعقابهم . . أمر هذه البشرية ، التي إما أن تبلغ إليها الرسالة فتقبلها وتتبعها فتسعد في الدنيا والآخرة . وإما أن تبلغ إليها فترفضها وتنبذها فتشقى في الدنيا والآخرة . وإما ألا تبلغ إليها فتكون لها حجة على ربها ، وتكون تبعة شقائها في الدنيا وضلالها معلقة بعنق من كلف التبليغ فلم يبلغ !

فأما رسل الله - عليهم الصلاة والسلام - فقد أدوا الأمانة وبلغوا الرسالة ، ومضوا إلى ربهم خالصين من هذا الالتزام الثقيل . . وهم لم يبلغوها دعوة باللسان ، ولكن بلغوها - مع هذا - قدوة ممثلة في العمل ، وجهادا مضنيا بالليل والنهار لإزالة العقبات والعوائق . . سواء كانت هذه العقبات والعوائق شبهات تحاك ، وضلالات تزين ، أو كانت قوى طاغية تصد الناس عن الدعوة وتفتنهم في الدين . كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين . بما أنه المبلغ الأخير . وبما أن رسالته هي خاتمة الرسالات . فلم يكتف بإزالة العوائق باللسان . إنما أزالها كذلك بالسنان {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ } البقرة١٩٣

واستمروا- أيها المؤمنون- في قتال المشركين المعتدين، حتى لا تكون فتنة للمسلمين عن دينهم ولا شرك بالله، ويبقى الدين لله وحده خالصًا لا يُعْبَد معه غيره. فإن كفُّوا عن الكفر والقتال فكُفُّوا عنهم؛ فالعقوبة لا تكون إلا على المستمرين على كفرهم وعدوانهم.. .

وبقي الواجب الثقيل على من بعده . . على المؤمنين برسالته . . فهناك أجيال وراء أجيال جاءت وتجيء بعده صلى الله عليه وسلم وتبليغ هذه الأجيال منوط - بعده - بأتباعه . ولا فكاك لهم من التبعة الثقيلة - تبعة إقامة حجة الله على الناس ؛ وتبعة استنقاذ الناس من عذاب الآخرة وشقوة الدنيا - إلا

بالتبليغ والأداء . . على ذات المنهج الذي بلغ به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدى . . فالرسالة هي الرسالة ؛ والناس هم الناس . . وهناك ضلالات وأهواء وشبهات وشهوات . . وهناك قوى عاتية طاغية تقوم دون الناس ودون الدعوة ؛ وتفتنهم كذلك عن دينهم بالتضليل وبالقوة . . الموقف هو الموقف ؛ والعقبات هي العقبات ، والناس هم الناس .

ولا بد من بلاغ ، ولا بد من أداء . بلاغ بالبيان . وبلاغ بالعمل حتى يكون المبلغون ترجمة حية واقعة مما يبلغون . وبلاغ بإزالة العقبات التي تعترض طريق الدعوة ؛ وتفتن الناس بالباطل وبالقوة . . وإلا فلا بلاغ ولا أداء . .

إنه الأمر المفروض الذي لا حيلة في النكوص عن حمله . . وإلا فهي التبعة الثقيلة . تبعة ضلال البشرية كلها ؛ وشقوتها في هذه الدنيا ، وعدم قيام حجة الله عليها في الآخرة ! وحمل التبعة في هذا كله ، وعدم النجاة من النار . .

فمن ذا الذي يستهين بهذه التبعة ؟ وهي تبعة تقصم الظهر وترعد الفرائص وتهز المفاصل ؟!

إن الذي يقول:إنه "مسلم" إما أن يبلغ ويؤدي هكذا . وإلا فلا نجاة له في دنيا ولا في أخرى . . إنه حين يقول:إنه "مسلم" ثم لا يبلغ ولا يؤدي . . كل ألوان البلاغ والأداء هذه ، إنما يؤدي شهادة ضد الإسلام الذي يدعيه ! بدلا من أداء شهادة له ، تحقق فيه قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ } البقرة١٤٣

وكما هديناكم -أيها المسلمون- إلى الطريق الصحيح في الدين، جعلناكم أمة خيارًا عدولا لتشهدوا على الأمم في الآخرة أن رسلهم بلَّغتهم رسالات ربهم، ويكون الرسول في الآخرة كذلك شهيدًا عليكم أنَّه بلَّغكم رسالة ربه. وما جعلنا -أيها الرسول- قبلة "بيت المقدس" التي كنت عليها، ثم صرفناك عنها إلى الكعبة بـ "مكة"، إلا ليظهر ما علمناه في الأزل؛ علما يتعلق به الثواب والعقاب لنميز مَن يتبعك ويطيعك ويستقبل معك حيث توجهت، ومَن هو ضعيف الإيمان فينقلب مرتدًا عن دينه لشكه ونفاقه. وإن هذه الحال التي هي تحول المسلم في صلاته من استقبال بيت المقدس إلى استقبال الكعبة لثقيلة شاقة إلا على الذين هداهم ومنّ عليهم بالإيمان والتقوى وما كان الله ليضيع إيمانكم به وإتباعكم لرسوله، ويبطل صلاتكم إلى القبلة السابقة. إنه سبحانه وتعالى بالناس لرءوف رحيم. .

وتبدأ شهادته للإسلام ، من أن يكون هو بذاته . ثم ببيته وعائلته . ثم بأسرته وعشيرته ، صورة واقعية من الإسلام الذي يدعو إليه . . وتخطو شهادته الخطوة الثانية بقيامه بدعوة الأمة - بعد دعوة البيت والأسرة والعشيرة - إلى تحقيق الإسلام في حياتها كلها . . الشخصية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية . . وتنتهي شهادته بالجهاد لإزالة العوائق التي تضل الناس وتفتنهم من أي لون كانت هذه العوائق . . فإذ استشهد في هذا فهو إذن "شهيد" أدى شهادته لدينه ، ومضى إلى ربه . . وهذا وحده هو "الشهيد" .

وفي نهاية المطاف نقف وقفة خاشعة أمام جلال الله وعظمته ؛ ممثلة في علمه ، وعدله ، ورعايته ، وفضله ، ورحمته وبره . . بهذا الكائن الإنساني الذي يجحد ويطغى . .

نقف أمام عظمة العلم بهذا الكائن ؛ وما أودعه من القوى والطاقات ؛ وما ركب في كينونته من استعدادات الهدى والضلال . وما رتبه على هذا العلم حين لم يكله إلى عقله وحده . . على عظمة هذه الأداة التي وهبها له ؛ وعلى كثرة ما في الأنفس والآفاق من دلائل الهدى وموجبات الإيمان . . فلقد علم الله أن هذه الأداة العظيمة تنوشها الشهوات والنزوات ؛ وأن الدلائل المبثوثة في تضاعيف الكون وأطواء النفس قد يحجبها الغرض والهوى ، ويحجبها الجهل والقصور . . ومن ثم لم يكل إلى العقل البشري تبعة الهدى والضلال - إلا بعد الرسالة والبيان - ولم يكل إليه بعد البيان والاهتداء وضع منهج الحياة ، إنما وكل إليه تطبيق منهج الحياة الذي يقرره له الله . . ثم ترك له ما وراء ذلك - وهو

ملك عريض - يبدع فيه ما شاء ، ويغير فيه ما شاء ، ويركب فيه ما شاء ، ويحلل فيه ما شاء . منتفعا بتسخير الله لهذا الملك كله لهذا الإنسان و هو الذي يخطىء عقله ويصيب ، وتعثر قدمه وتستقيم على الطريق !

ونقف أمام عظمة العدل الذي يرتب للناس حجة على الله - سبحانه - لو لم يرسل إليهم الرسل مبشرين ومنذرين . هذا مع احتشاد كتاب الكون المفتوح ، وكتاب النفس المكنون بالآيات الشواهد على الخالق ، ووحدانيته ، وتدبيره وتقديره ، وقدرته وعلمه . . ومع امتلاء الفطرة بالأشواق والهواتف إلى الاتصال ببارئها والإذعان له ، والتناسق والتجاوب والتجاذب بينها وبين دلائل وجود الخالق في الكون والنفس . . ومع هبة العقل الذي يملك أن يحصي الشواهد ويستنبط النتائج . . ولكن الله - سبحانه - بما يعلم من عوامل الضعف التي تطرأ على هذه القوى كلها ، فتعطلها ، أو تفسدها ، أو تطمسها ، أو تدخل في حكمها الخطأ والشطط ،قد أعفى الناس من حجية الكون ، وحجية الفطرة ، وحجية العقل ، ما لم يرسل أليهم الرسل ليستنقذوا هذه الأجهزة كلها مما قد يرين عليها ، وليضبطوا بموازين الحق الإلهي الممثل في الرسالة ، هذه الأجهزة ، فتصح أحكامها حين تستقيم على ضوابط المنهج الإلهي . . وعندئذ فقط يلزمها الإقرار والطاعة والإتباع ؛ أو تسقط حجتها وتستحق العقاب . .

ونقف أمام عظمة الرعاية والفضل والرحمة والبر بهذا المخلوق الذي يكرمه الله ويختاره ، على ما يعلم به من ضعف ونقص ؛ فيكل إليه هذا الملك العريض . . خلافة الأرض . . وهو بالقياس إليه ملك عريض ! وإن كان في ملك الله ذرة تمسكها يد الله فلا تضيع في ملكه الكبير !

ثم تشاء رعايته وفضله ورحمته وبره ، ألا تدعه لما أودع في كينونته من فطرة هادية ولكنها تطمس ؛ ومن عقل هاد ولكنه يضل ؛ بل يتفضل عليه ربه فيرسل إليه الرسل تترى . . وهو يكذب ويعاند ؛ ويشرد وينأى ؛ فلا يأخذه ربه بأخطائه وخطاياه ؛ ولا يحبس عنه بره وعطاياه ، ولا يحرمه هداه على أيدي رسله الهداة . . ثم لا يأخذه بالعقاب في الدنيا أو في الآخرة حتى تبلغه الرسل ؛ فيعرض ويكفر ، ويموت وهو كافر لا يتوب ولا ينيب . .

ومن عجب أن يأتي على هذا الإنسان زمان يزعم لنفسه أنه استغنى عن ربه . . استغنى عن رعايته وفضله ورحمته وبره . . استغنى عن هدايته ودينه ورسله . . استغنى بالأداة التي علم ربه أنها لا تغنيه - ما لم تقوم بمنهج الله - فلم يكتب عليه عقابا إلا بعد الرسالة والبيان . . فيتمثل لنا الطفل الذي يحس ببعض القوة في ساقيه فيروح يبعد عنه اليد التي تسنده ، ليتكفأ ويتعثر ! غير أن الطفل في هذا المثال أرشد وأطوع للفطرة . إذ أنه بمحاولة الاستقلال عن اليد التي تسنده يجيب داعي الفطرة في استحثاث طاقات كامنة في كيانه ؛ وإنماء قدرات ممكنة النماء ؛ وتدريب عضلات وأعصاب تنمو وتقوى بالتدريب . . أما إنسان اليوم الذي يبعد عنه يد الله ، ويتنكب هداه ، فإن كينونته - بكل ما يكمن فيها من قوى - يعلم الله أنها لا تشتمل على قوة مكنونة تملك الاستغناء عن يد الله وهداه . وقصارى ما في قواه أنها ترشد وتضبط وتستقيم برسالة الله . وتضل وتختل وتضطرب إذا هي استقلت بنفسها ، وتنكبت هداه !

وخطأ وضلال - إن لم يكن هو الخداع والتضليل - كل زعم يقول:إن العقول الكبيرة كانت حرية أن تبلغ بدون الرسالة ما بلغته بالرسالة . . فالعقل ينضبط - مع الرسالة - بمنهج النظر الصحيح ؛ فإذا أخطأ بعد ذلك في التطبيق كان خطؤه كخطأ الساعة التي تضبط ، ثم تغلبها عوامل الجو والمؤثرات ، وطبيعة معدنها الذي يتأثر بهذه المؤثرات ، لا كخطأ الساعة التي لم تضبط أصلا ، وتركت للفوضى والمصادفة ! وشتان شتان !

وآية أن ما يتم بالرسالة - عن طريق العقل نفسه - لا يمكن أن يتم بغيرها ؛ فلا يغني العقل البشري عنها . . أن تاريخ البشرية لم يسجل أن عقلا واحدا من العقول الكبيرة النادرة اهتدى إلى مثل ما اهتدت إليه العقول العادية المتوسطة بالرسالة . . لا في تصور اعتقادي ؛ ولا في خلق نفسي ، ولا في نظام حياة ، ولا في تشريع واحد لهذا النظام . .

إن عقول أفلاطون وأرسطو من العقول الكبيرة قطعا . . بل إنهم ليقولون:إن عقل أرسطو هو أكبر عقل عرفته البشرية - بعيدا عن رسالة الله وهداه - فإذا نحن راجعنا تصوره لإلهه - كما وصفه - رأينا المسافة الهائلة التي تفصله عن تصور المسلم العادي لإلهه مهتديا بهدى الرسالة .
وقد وصل اخناتون - في مصر القديمة - إلى عقيدة التوحيد - وحتى مع استبعاد تأثره في هذا بإشعاع عقيدة التوحيد في رسالة إبراهيم ورسالة يوسف - فإن الفجوات والأساطير التي في عقيدة اخناتون تجعل المسافة بينها وبين توحيد المسلم العادي لإلهه بعيدة بعيدة .
وفي الخلق نجد في الفترة التي هيمن فيها الإسلام في صدر الإسلام نماذج للأوساط ممن رباهم الرسول صلى الله عليه وسلم، لا تتطاول إليها أعناق الأفذاذ على مدار التاريخ ممن لم تخرجهم رسالة سماوية .
وفي المبادئ والنظم والتشريعات لا نجد أبدا ذلك التناسق والتوازن ، مع السمو والرفعة التي نجدها في نظام الإسلام ومبادئه وتشريعاته . ولا نجد أبدا ذلك المجتمع الذي أنشأه الإسلام يتكرر لا في زمانه ولا قبل زمانه ولا بعد زمانه في أرض أخرى ، بتوازنه وتناسقه ويسر حياته وتناغمها . .
إنه ليس المستوى الحضاري المادي هو الذي يكون عليه الحكم . فالحضارة المادية تنمو بنمو وسائلها التي ينشئها "العلم" الصاعد . . ولكن ميزان الحياة في فترة من الفترات هو التناسق والتوازن بين جميع أجزائها وأجهزتها وأوضاعها . . هو التوازن الذي ينشىء السعادة والطمأنينة ، والذي يطلق الطاقات الإنسانية كلها لتعمل دون كبت ودون مغالاة في جانب من جوانبها الكثيرة . . والفترة التي عاشت بالإسلام كاملا لم تبلغها البشرية - بعيدا عن الرسالة - في أي عصر . . والخلخلة وعدم الاتزان هو الطابع الدائم للحياة في غير ظل الإسلام ؛ مهما التمعت بعض الجوانب ؛ ومهما تضخمت بعض الجوانب . فإنما تلتمع لتنطفئ جوانب أخرى . وإنما تتضخم على حساب الجوانب الأخرى . . والبشرية معها تتأرجح وتحتار وتشقى .
لنمضي بعدها مع السياق القرآني:
لكن الله يشهد بما أنزل إليك . أنزله بعلمه . والملائكة يشهدون . وكفى بالله شهيدًا .
فإذا أنكر أهل الكتاب هذه الرسالة الأخيرة - وهي جارية على سنة الله في إرسال الرسل لعباده (مبشرين ومنذرين ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وأهل الكتاب يعترفون بالرسل قبل محمد صلى الله عليه وسلم اليهود يعترفون بمن قبل عيسى - عليه السلام - والنصارى يعترفون بهم ، وبعيسى الذي ألهوه كما سيجيء . . فإذا أنكروا رسالتك - يا محمد - فلا عليك منهم . فلينكروا:
لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه . والملائكة يشهدون . وكفى بالله شهيدًا . .
وفي هذا الشهادة من الله . . ثم من ملائكته ومنهم من حملها إلى رسوله . . إسقاط لكل ما يقوله أهل الكتاب . فمن هم والله يشهد ؟ والملائكة تشهد ؟ وشهادة الله وحدها فيها الكفاية ؟!
وفي هذه الشهادة تسرية عن الرسول صلى الله عليه وسلم وما يلقاه من كيد اليهود وعنتهم .
وفيها كذلك تصديق وتثبيت وتطمين للمسلمين - في أول عهدهم بالإسلام بالمدينة - أمام حملة يهود التي يدل على ضخامتها هذه الحملة القرآنية المنوعة الأساليب والإيحاءات في ردها والقضاء عليها .

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلاَلاً بَعِيداً (١٦٧) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً (١٦٨) إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيراً (١٦٩)

وعندئذ يجيء التهديد الرعيب للمنكرين في موضعه ، بعد شهادة الله - سبحانه - وشهادة الملائكة بكذبهم وتعنتهم والتوائهم .

إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا . إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا . وكان ذلك على الله يسيرًا . .

إن هذه الأوصاف وهذه التقريرات - مع كونها عامة - تنطبق أول ما تنطبق ، على حال اليهود ، وتصور موقفهم من هذا الدين وأهله ؛ بل من الدين الحق كله ؛ سواء منهم من عاصروا فجر الدعوة في المدينة ، أو من سبقوهم منذ أيام موسى عليه السلام أو من جاءوا بعدهم إلى يومنا هذا - إلا القلة النادرة المستثناة من الذين فتحوا قلوبهم للهدى فهداهم الله .

وهؤلاء - وكل من ينطبق عليهم وصف الكفر والصد - قد ضلوا ضلالا بعيدا . ضلوا عن هدى الله ؛ وضلوا طريقهم القويم في الحياة . ضلوا فكرا وتصورا واعتقادا ؛ وضلوا سلوكا ومجتمعا وأوضاعا . ضلوا في الدنيا وضلوا في الآخرة . ضلوا ضلالا لا يرتجى معه هدى . . (ضلوا ضلالا بعيدًا). .

ويعيد السياق وصفهم بالكفر ، ليضم إليه الظلم:

إن الذين كفروا وظلموًا . .

والكفر في ذاته ظلم:ظلم للحق ، وظلم للنفس ، وظلم للناس . . والقرآن يعبر عن الكفر أحيانا بأنه الظلم كقوله تعالى: (إن الشرك لظلم عظيم). . وقوله: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون)

بعدما قرر أنهم الكافرون في الآية السابقة عليها . . . . وهؤلاء لم يرتكبوا ظلم الشرك وحده ، ولكن ارتكبوا معه ظلم الصد عن سبيل الله أيضا ، فأمعنوا في الكفر . . أو أمعنوا في الظلم . . ومن ثم يقرر الله بعدله جزاءهم الأخير:

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً } النساء١٦٨

إن الذين كفروا بالله وبرسوله، وظلموا باستمرارهم على الكفر، لم يكن الله ليغفر ذنوبهم، ولا ليدلهم على طريق ينجيهم. - {إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيراً } النساء١٦٩

إلا طريق جهنم ماكثين فيها أبدًا، وكان ذلك على الله يسيرًا، فلا يعجزه شيء.. .

فليس من شأن الله - سبحانه - أن يغفر لأمثال هؤلاء ، بعدما ضلوا ضلالا بعيدا ، وقطعوا على أنفسهم كل طريق للمغفرة . . وليس من شأن الله - سبحانه - أن يهديهم طريقا إلا طريق جهنم . وقد قطعوا على أنفسهم كذلك كل طريق للهدى ، وأوصدوا في وجوه أنفسهم كل طريق إلا طريق جهنم ، فأبعدوا فيه وأوغلوا ، واستحقوا الخلود المؤبد فيها بإبعادهم في الضلال والكفر والصد والظلم ، بحيث لا يرجى لهم من هذا الإبعاد مآب !

وكان ذلك على الله يسيرًا . .

فهو القاهر فوق عباده . وليس بينه وبين أحد من العباد صهر ولا نسب ، يجعل أخذهم بهذا الجزاء العادل المستحق عليهم عسيرا . وليس لأحد من عباده قوة ولا حيلة تجعل أخذه عسيرا على الله أيضا . .

ولقد كان اليهود - كما كان النصارى - يقولون: (نحن أبناء الله وأحباؤه). وكانوا يقولون: (لن تمسنا النار إلا أياما معدودات). وكانوا يقولون: نحن شعب الله المختار . . فجاء القرآن لينفي هذا كله . ويضعهم في موضعهم . . عبادا من العباد . . إن أحسنوا أثيبوا ، وإن أساءوا - ولم يستغفروا ويتوبوا - عذبوا . . (وكان ذلك على الله يسيرًا). .

دعوة الناس للإيمان بالرسول

ومن ثم دعوة شاملة إلى الناس كافة - بعد هذه البيانات كلها - أن هذا الرسول إنما جاءهم بالحق من ربهم .

فمن أمن به فهو الخير . ومن كفر فإن الله غني عنهم جميعا ، وقادر عليهم جميعا ، وله ما في السماوات والأرض مقدمة الوحدة

- جولة مع النصارى من أهل الكتاب -

أعلموا هدانا الله تعالى وإياكم أن ساب محمد بن عبد الله هو ساب لنوح نبى الله وساب لإبراهيم وساب لموسى وعيسى وساب لجميع أنبياء الله . لو كان عندكم ثم تقدير لموسى وعيسى لما سببتم خاتمة دعوتهم دعوة التوحيد موسى أتى بكتاب للتوحيد فحرفتموه وعيسى أتى بكتاب للتوحيد فحرفتموه ومحمد الوحيد من الأنبياء المحفوظ كتابه من التحريف والتبديل ... سترون عيسى عندما يكلم الناس كهلاً كيف سيكون رده على إساءتكم فى حق شقيقه وحبيبه محمد حتماً سترون يا عباد الصليب .

هذا الدرس جولة مع النصارى من أهل الكتاب ، كما كان الدرس الماضي جولة مع اليهود منهم وهؤلاء وهؤلاء من أهل الكتاب، الموجه إليهم هذا الخطاب.

وفي الدرس الماضي أنصف القرآن عيسى بن مريم وأمه الطاهرة من الافتراء وتشردا بعيدا عن أيدي السلطات الرومانية !

وما تزال فكرة "التثليث" تصدم عقول المثقفين من النصارى ، فيحاول رجال الكنيسة أن يجعلوها مقبولة لهم بشتى الطرق ، ومن بينها الإحالة إلى مجهولات لا ينكشف سرها للبشر إلا يوم ينكشف الحجاب عن كل ما في السماوات وما في الأرض !

يقول القس بوطر صاحب رسالة:"الأصول والفروع" أحد شراح العقيدة النصرانية ، في هذه القضية: "قد فهمنا ذلك على قدر طاقة عقولنا . ونرجو أن نفهمه فهما أكثر جلاء في المستقبل ، حين ينكشف لنا الحجاب عن كل ما في السماوات والأرض" .

ولا نريد هنا أن ندخل في سرد تاريخي للأطوار وللطريقة التي تسللت بها هذه الفكرة إلى النصرانية . وهي  كانت إحدى ديانات التوحيد الأساسية . فنكتفي باستعراض الآيات القرآنية الورادة في سياق هذه السورة ، لتصحيح هذه الفكرة الدخيلة على ديانة التوحيد !

{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً } النساء١٧١

يا أهل الإنجيل لا تتجاوزوا الاعتقاد الحق في دينكم، ولا تقولوا على الله إلا الحق، فلا تجعلوا له صاحبةً ولا ولدًا. إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله أرسله الله بالحق، وخَلَقَه بالكلمة التي أرسل بها جبريل إلى مريم، وهي قوله: "كن"، فكان، وهي نفخة من الله تعالى نفخها جبريل بأمر ربه، فَصدِّقوا بأن الله واحد وأسلموا له، وصدِّقوا رسله فيما جاؤوكم به من عند الله واعملوا به، ولا تجعلوا عيسى وأمه مع الله شريكين. انتهوا عن هذه المقالة خيرًا لكم مما أنتم عليه، إنما الله إله واحد سبحانه. ما في السماوات والأرض مُلْكُه، فكيف يكون له منهم صاحبة أو ولد؟ وكفى بالله وكيلا على تدبير خلقه وتصريف معاشهم، فتوكَّلوا عليه وحده فهو كافيكم.. {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيراً وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ } المائدة٧٧

قل -أيها الرسول- للنصارى: لا تتجاوزوا الحقَّ فيما تعتقدونه من أمر المسيح، ولا تتبعوا أهواءكم، كما اتَّبع اليهود أهواءهم في أمر الدين، فوقعوا في الضلال، وحملوا كثيرًا من الناس على الكفر بالله، وخرجوا عن طريق الاستقامة إلى طريق الغَواية والضلال.

فهو الغلو إذن وتجاوز الحد والحق ، هو ما يدعو أهل الكتاب هؤلاء إلى أن يقولوا على الله غير الحق ؛ فيزعموا له ولدا - سبحانه - كما يزعمون أن الله الواحد ثلاثة ..

وقد تطورت عندهم فكرة البنوة ، وفكرة التثليث ، حسب رقي التفكير وانحطاطه . ولكنهم قد اضطروا أمام الاشمئزاز الفطري من نسبة الولد لله ، والذي تزيده الثقافة العقلية , أن يفسروا البنوة بأنها ليست عن ولادة كولادة البشر . ولكن عن "المحبة " بين الآب والابن . وأن يفسروا الإله الواحد في ثلاثة . . بأنها "صفات" لله سبحانه في" حالات" مختلفة . . وإن كانوا ما يزالون غير قادرين على

إدخال هذه التصورات المتناقضة إلى الإدراك البشري . فهم يحيلونها إلى معميات غيبية لا تنكشف إلا بانكشاف حجاب السماوات والأرض .

والله - سبحانه - تعالى عن الشركة ؛ وتعالى عن المشابهة . ومقتضى كونه خالقا يستتبع . . بذاته . . أن يكون غير الخلق . . وما يملك إدراك أن يتصور إلا هذا التغاير بين الخالق والخلق . والمالك والملك . . وإلى هذا يشير النصر القرآني:

( إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ!! أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً)

وإذا كان مولد عيسى - عليه السلام - من غير أب عجيبا في عرف البشر ، خارقا لما ألفوه , فهذا العجب إنما تنشئه مخالفة المألوف . والمألوف للبشر ليس هو كل الموجود . والقوانين الكونية التي يعرفونها ليست هي كل سنة الله . والله يخلق السنة ويجريها , ويصرفها حسب مشيئته . ولا حد لمشيئته .

والله - سبحانه - يقول - وقوله الحق - في المسيح:

ِ( إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ .. )

فهو على وجه القصد والتحديد: (رسول الله). .

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً (١٧١)

شأنه في هذا شأن بقية الرسل . شأن نوح وإبراهيم وموسى ومحمد ، وبقية الرهط الكريم من عباد الله المختارين للرسالة على مدار الزمان . .

(وكلمته ألقاها إلى مريم)

وأقرب تفسير لهذه العبارة ، أنه سبحانه ، خلق عيسى بالأمر الكوني المباشر ، الذي يقول عنه في مواضع شتى من القرآن:إنه (كن . . فيكون). . فلقد ألقى هذه الكلمة إلى مريم فخلق عيسى في بطنها من غير نطفة أب - كما هو المألوف في حياة البشر غير آدم - والكلمة التي تخلق كل شيء من العدم ، لا عجب في أن تخلق عيسى - عليه السلام - في بطن مريم من النفخة التي يعبر عنها بقوله:

(وروح منه). .

وقد نفخ الله في طينة آدم من قبل من روحه . فكان "إنسانًا" . . كما يقول الله تعالى): {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ }ص٧٢

فإذا سوَّيت جسده وخلقه ونفخت فيه الروح، فدبت فيه الحياة، فاسجدوا له سجود تحية وإكرام، لا سجود عبادة وتعظيم؛ فالعبادة لا تكون إلا لله وحده. وقد حرَّم الله في شريعة الإسلام السجود للتحية.. .

وكذلك قال في قصة عيسى: {وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ }الأنبياء٩١

واذكر - أيها الرسول - قصة مريم ابنة عمران التي حفظت فرجها من الحرام، ولم تأتِ فاحشة في حياتها، فأرسل الله إليها جبريل عليه السلام، فنفخ في جيب قميصها، فوصلت النفخة إلى رحمها، فخلق الله بذلك النفخ المسيح عيسى عليه السلام، فحملت به من غير زوج، فكانت هي وابنها بذلك علامة على قدرة الله، وعبرة للخلق إلى قيام الساعة. فالأمر له سابقة . . والروح هنا هو الروح هناك . . ولم يقل أحد من أهل الكتاب - وهم يؤمنون بقصة آدم والنفخة فيه من روح الله - إن آدم إله ، ولا أقنوم من أقانيم الإله . كما قالوا عن عيسى ؛ مع تشابه الحال - من حيث قضية الروح والنفخة ومن

حيث الخلقة كذلك . بل إن آدم خلق من غير أب وأم:وعيسى خلق مع وجود أم . . وكذلك قال الله: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ }آل عمران٥٩

إنَّ خَلْقَ الله لعيسى من غير أب مثلُه كمثل خلق الله لآدم من غير أب ولا أم، إذ خلقه من تراب الأرض، ثم قال له: "كن بشرًا" فكان. فدعوى إلهية عيسى لكونه خلق من غير أب دعوى باطلة؛ فآدم عليه السلام خلق من غير أب ولا أم، واتفق الجميع على أنه عَبْد من عباد الله.. .

ويعجب الإنسان - وهو يرى وضوح القضية وبساطتها - من فعل الهوى ورواسب الوثنية التي عقدت قضية عيسى عليه السلام هذا التعقيد كله ، في أذهان أجيال وأجيال وهي - كما يصورها القرآن - بسيطة بسيطة ، وواضحة مكشوفة .

إن الذي وهب لآدم . . من غير أبوين . . حياة إنسانية متميزة عن حياة سائر الخلائق بنفخة من روحه ، لهو الذي وهب عيسى . . من غير أب . . هذه الحياة الإنسانية كذلك . . وهذا الكلام البسيط الواضح أولى من تلك الأساطير التي لا تنتهي عن ألوهية المسيح , لمجرد أنه جاء من غير أب . وعن ألوهية الأقانيم الثلاثة كذلك ! . . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا:

( فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ. . )

وهذه الدعوة للإيمان بالله ورسله - ومن بينهم عيسى بوصفه رسولا ، ومحمد بوصفه خاتم النبيين - والانتهاء عن تلك الدعاوى والأساطير ، تجيء في وقتها المناسب بعد هذا البيان الكاشف والتقرير المريح . . (إنما الله إله واحد). . تشهد بهذا وحده الناموس . . ووحدة الخلق . ووحدة الطريقة:كن . . فيكون . . ويشهد بذلك العقل البشري ذاته . فالقضية في حدود إدراكه . فالعقل لا يتصور خالقا يشبه مخلوقاته ، ولا ثلاثة في واحد . ولا واحدا في ثلاثة:

(سبحانه أن يكون له ولد). .

والولادة امتداد للفاني ومحاولة للبقاء في صورة النسل . . والله الباقي غني عن الامتداد في صورة الفانين ؛ وكل ما في السماوات وما في الأرض ملك له سبحانه على استواء:

(له ما في السماوات وما في الأرض). .

ويكفي البشر أن يرتبطوا كلهم بالله ارتباط العبودية للمعبود ؛ وهو يرعاهم أجمعين , ولا حاجة لافتراض قرابة بينهم وبينه عن طريق ابن له منهم ! فالصلة قائمة بالرعاية والكلاءة : ( وكفى بالله وكيلا). .

وهكذا لا يكتفي القرآن ببيان الحقيقة وتقريرها في شأن العقيدة . إنما يضيف إليها أراحة شعور الناس من ناحية رعاية الله لهم ؛ وقيامه - سبحانه - عليهم وعلى حوائجهم ومصالحهم ; ليكلوا إليه أمرهم كله في طمأنينة . .

ويمضي السياق في البيان ؛ لتقرير أكبر قضايا التصور الاعتقادي الصحيح ، وهي الحقيقة الاعتقادية التي تنشأ في النفس من تقرير حقيقة الوحدانية . . حقيقة أن ألوهية الخالق تتبعها عبودية الخلائق . . وأن هناك فقط:ألوهية وعبودية . . ألوهية واحدة , وعبودية تشمل كل شيء ، وكل أحد ، في هذا الوجود .

ويصحح القرآن هنا عقيدة النصارى كما يصحح كل عقيدة تجعل للملائكة بنوة كبنوة عيسى , أو شركا في الألوهية كشركته في الألوهية:

لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله - ولا الملائكة المقربون - ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا . فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله ؛ وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ، ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرًا .

لقد عني الإسلام عناية بالغة بتقرير حقيقة وحدانية الله سبحانه ؛ وحدانية لا تتلبس بشبهة شرك أو مشابهة في صورة من الصور ؛ وعني بتقرير أن الله - سبحانه - ليس كمثله شيء . فلا يشترك معه شيء في ماهية ولا صفة ولا خاصية . كما عني بتقرير حقيقة الصلة بين الله - سبحانه - وكل شيء

[ بما في ذلك كل حي ] وهي أنها صلة ألوهية وعبودية . ألوهية الله ، وعبودية كل شيء لله . .
والمتتبع للقرآن كله يجد العناية فيه بالغة بتقرير هذه الحقائق - أو هذه الحقيقة الواحدة بجوانبها هذه - بحيث لا تدع في النفس ظلا من شك أو شبهة أو غموض .
ولقد عني الإسلام كذلك بأن يقرر أن هذه هي الحقيقة التي جاء بها الرسل أجمعون . فقررها في سيرة كل رسول ، وفي دعوة كل رسول ؛ وجعلها محور الرسالة من عهد نوح عليه السلام , إلى عهد محمد خاتم النبيين - عليه الصلاة والسلام - تتكرر الدعوة بها على لسان كل رسول: (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره). .
وكان من العجيب أن أتباع الديانات السماوية - وهي حاسمة وصارمة في تقرير هذه الحقيقة - يكون منهم من يحرف هذه الحقيقة ؛ وينسب لله - سبحانه - البنين والبنات ؛ أو ينسب لله - سبحانه - الامتزاج مع أحد من خلقه في صورة الأقانيم ؛ اقتباسا من الوثنيات التي عاشت في الجاهليات ! ألوهية وعبودية . . ولا شيء غير هذه الحقيقة . ولا قاعدة إلا هذه القاعدة . ولا صلة إلا صلة الألوهية بالعبودية ، وصلة العبودية بالألوهية . .
ولا تستقيم تصورات الناس - كما لا تستقيم حياتهم - إلا بتمحيص هذه الحقيقة من كل غبش , ومن كل شبهة ، ومن كل ظل !
أجل لا تستقيم تصورات الناس ، ولا تستقر مشاعرهم ، إلا حين يستيقنون حقيقة الصلة بينهم وبين ربهم . .

لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلّهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعاً (١٧٢)
هو إله لهم وهم عبيده . . هو خالق لهم وهم مخاليق . . هو مالك لهم وهم مماليك . . وهم كلهم سواء في هذه الصلة ، لا بنوة لأحد . ولا امتزاج بأحد . . ومن ثم لا قربى لأحد إلا بشيء يملكه كل أحد ويوجه إرادته إليه فيبلغه:التقوى والعمل الصالح . . وهذا في مستطاع كل أحد أن يحاوله . فأما البنوة ، وأما الامتزاج فأنى بهما لكل أحد!؟
ولا تستقيم حياتهم وارتباطاتهم ووظائفهم في الحياة ، إلا حين تستقر في أخلادهم تلك الحقيقة:أنهم كلهم عبيد لرب واحد . . ومن ثم فموقفهم كلهم تجاه صاحب السلطان واحد . . فأما القربى إليه ففي متناول الجميع . . عندئذ تكون المساواة بين بني الإنسان , لأنهم متساوون في موقفهم من صاحب السلطان . . وعندئذ تسقط كل دعوى زائفة في الوساطة بين الله والناس ؛ وتسقط معها جميع الحقوق المدعاة لفرد أو لمجموعة أو لسلسلة من النسب لطائفة من الناس . . وبغير هذا لا تكون هناك مساواة أصيلة الجذور في حياة بني الإنسان ومجتمعهم ونظامهم ووضعهم في هذا النظام !
فالمسألة - على هذا - ليست مسألة عقيدة وجدانية يستقر فيها القلب على هذا الأساس الركين , فحسب ، إنما هي كذلك مسألة نظام حياة ، وارتباطات مجتمع ، وعلاقات أمم وأجيال من بني الإنسان .
إنه ميلاد جديد للإنسان على يد الإسلام . . ميلاد للإنسان المتحرر من العبودية للعباد , بالعبودية لرب العباد . . ومن ثم لم تقم في تاريخ الإسلام "كنيسة " تستذل رقاب الناس ، بوصفها الممثلة لابن الله ، أو للأقنوم المتمم للأقانيم الإلهية ؛ المستمدة لسلطانها من سلطان الابن أو سلطان الأقنوم . ولم تقم كذلك في تاريخ الإسلام سلطة مقدسة تحكم "بالحق الإلهي" زاعمة أن حقها في الحكم والتشريع مستمد من قرابتها أو تفويضها من الله !
وقد ظل "الحق المقدس" للكنيسة والباباوات في جانب ؛ وللأباطرة الذين زعموا لأنفسهم حقا مقدسا كحق الكنيسة في جانب . . ظل هذا الحق أو ذاك قائما في أوربا باسم ] الابن [ أو مركب الأقانيم . حتى جاء "الصليبيون" إلى أرض الإسلام مغيرين . فلما ارتدوا أخذوا معهم من أرض الإسلام بذرة

الثورة على "الحق المقدس" وكانت فيما بعد ثورات" مارتن لوثر" و "كالفن" و "زنجلي" المسماة بحركة الإصلاح . . على أساس من تأثير الإسلام ، ووضوح التصور الإسلامي ، ونفي القداسة عن بني الإنسان ؛ ونفي التفويض في السلطان لأنه ليست هنالك إلا ألوهية وعبودية في عقيدة الإسلام . . وهنا يقول القرآن كلمة الفصل في ألوهية المسيح وبنوته ؛ وألوهية روح القدس [ أحد الأقانيم ] وفي كل أسطورة عن بنوة أحد لله ، أو ألوهية أحد مع الله ، في أي شكل من الأشكال . . يقول القرآن كلمة الفصل بتقريره أن عيسى بن مريم عبد لله ؛ وأنه لن يستنكف أن يكون عبد الله . وأن الملائكة المقربين عبيد لله ؛ وأنهم لن يستنكفوا أن يكونوا عبيدا لله . وأن جميع خلائقه ستحشر إليه . وأن الذين يستنكفون عن صفة العبودية ينتظرهم العذاب الأليم . وأن الذين يقرون بهذه العبودية لهم الثواب العظيم:

لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله - ولا الملائكة المقربون - ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا . فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله . وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ، ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرًا . إن المسيح عيسى بن مريم لن يتعالى عن أن يكون عبدا لله . لأنه - عليه السلام - وهو نبي الله ورسوله - خير من يعرف حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية ؛ وأنهما ماهيتان مختلفتان لا تمتزجان . وهو خير من يعرف أنه من خلق الله ؛ فلا يكون خلق الله كالله ؛ أو بعضا من الله ! وهو خير من يعرف أن العبودية لله - فضلا على أنها الحقيقة المؤكدة الوحيدة - لا تنقص من قدره . فالعبودية لله مرتبة لا يأباها إلا كافر بنعمة الخلق والإنشاء . وهي المرتبة التي يصف الله بها رسله ، وهم في أرقى حالاتهم وأكرمها عنده . . وكذلك الملائكة المقربون - وفيهم روح القدس جبريل - شأنهم شأن عيسى عليه السلام وسائر الأنبياء - فما بال جماعة من أتباع المسيح يأبون له ما يرضاه لنفسه ويعرفه حق المعرفة ؟!

(ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا). .

فاستنكافهم واستكبارهم لا يمنعهم من حشر الله لهم بسلطانه . . سلطان الألوهية على العباد . . شأنهم في هذا شأن المقرين بالعبودية المستسلمين لله . .

فأما الذين عرفوا الحق ، فأقروا بعبوديتهم لله ؛ وعملوا الصالحات لأن عمل الصالحات هو الثمرة الطبيعية لهذه المعرفة وهذا الإقرار ؛ فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله .

( وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا). .

وما يريد الله - سبحانه - من عباده أن يقروا له بالعبودية ، وأن يعبدوه وحده ، لأنه بحاجة إلى عبوديتهم وعبادتهم ، ولا لأنها تزيد في ملكه تعالى أو تنقص من شيء . ولكنه يريد لهم أن يعرفوا حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية ، لتصح تصوراتهم ومشاعرهم , كما تصح حياتهم وأوضاعهم . فما يمكن أن تستقر التصورات والمشاعر ، ولا أن تستقر الحياة والأوضاع ، على أساس سليم قويم ، إلا بهذه المعرفة وما يتبعها من إقرار ، وما يتبع الإقرار من آثار . .

يريد الله - سبحانه - أن تستقر هذه الحقيقة بجوانبها التي بيناها في نفوس الناس وفي حياتهم . ليخرجوا من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده . ليعرفوا من صاحب السلطان في هذا الكون وفي هذه الأرض ؛ فلا يخضعوا إلا له ، وإلا لمنهجه وشريعته للحياة , وإلا لمن يحكم حياتهم بمنهجه وشرعه دون سواه . يريد أن يعرفوا أن العبيد كلهم عبيد ؛ ليرفعوا جباههم أمام كل من عداه ؛ حين تعنو له وحده الوجوه والجباه . يريد أن يستشعروا العزة أمام المتجبرين والطغاة ، حين يخرون له راكعين ساجدين يذكرون الله ولا يذكرون أحدا إلا الله . يريد أن يعرفوا أن القربى إليه لا تجيء عن صهر ولا نسب . ولكن تجيء عن تقوى وعمل صالح ؛ فيعمرون الأرض ويعملون الصالحات قربى إلى الله . يريد أن تكون لهم معرفة بحقيقة الألوهية وحقيقة العبودية ، فتكون لهم غيره على سلطان الله في

الأرض أن يدعيه المدعون باسم الله أو باسم غير الله فيردون الأمر كله لله . . ومن ثم تصلح حياتهم وترقى وتكرم على هذا الأساس . .

إن تقدير هذه الحقيقة الكبيرة ؛ وتعليق أنظار البشر لله وحده ؛ وتعليق قلوبهم برضاه ; وأعمالهم بتقواه ؛ ونظام حياتهم بإذنه وشرعه ومنهجه دون سواه . . إن هذا كله رصيد من الخير والكرامة والحرية والعدل والاستقامة يضاف إلى حساب البشرية في حياتها الأرضية ؛ وزاد من الخير والكرامة والحرية والعدل والاستقامة تستمتع به في الأرض . . في هذه الحياة . . فأما ما يجزي الله به المؤمنين المقرين بالعبودية العاملين للصالحات ، في الآخرة ، فهو كرم منه وفضل في حقيقة الأمر . وفيض من عطاء الله.

وفي هذا الضوء يجب أن ننظر إلى قضية الإيمان بالله في الصورة الناصعة التي جاء بها الإسلام ؛ وقرر أنها قاعدة الرسالة كلها ودعوة الرسل جميعا

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُواْ وَاسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلُيماً وَلاَ يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً (١٧٣)

؛ قبل أن يحرفها الأتباع ، وتشوهها الأجيال . . يجب أن ننظر إليها بوصفها ميلادا جديدا للإنسان ؛ تتوافر له معه الكرامة والحرية ، والعدل والصلاح ، والخروج من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده في الشعائر وفي نظام الحياة سواء .

والذين يستنكفون من العبودية لله ، يذلون لعبوديات في هذه الأرض لا تنتهي . . يذلون لعبودية الهوى والشهوة . أو عبودية الوهم والخرافة . ويذلون لعبودية البشر من أمثالهم , ويحنون لهم الجباه . ويحكمون في حياتهم وأنظمتهم وشرائعهم وقوانينهم وقيمهم وموازينهم عبيدا مثلهم من البشر هم وهم سواء أمام الله . . ولكنهم يتخذونهم آلهة لهم من دون الله . . هذا في الدنيا . . أما في الآخرة (فيعذبهم عذابا أليما ، ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرًا). .

إنها القضية الكبرى في العقيدة السماوية تعرضها هذه الآية في هذا السياق في مواجهة انحراف أهل الكتاب من النصارى في ذلك الزمان . وفي مواجهة الانحرافات كلها إلى آخر الزمان .

سبحان الملك القادر .. سبحان ربى العظيم . فبعد هذا البيان النقلى والعقلي يتضح جلياً أن رسل الله تعالى نور واحد من مشكاة واحدة . فسببتم المسيح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، سببتموه يا بقر لما تعرضتم لرسول الله . أكدتم كفركم بروح الله لما أسأتم لأخاه محمد بن عبد الله .. فوا عجبا أين ذهبت عقول باعثي الحرية فى العصور الهمجية .. علم محمد مهما كابرتم سيخرج البشر من كل عصر همجي أرست أركانه أفكاركم الشريرة أوما عرفتم حقاً من محمد ؟

حار فكري

د.عبد المعطي الدالاتي

حارَ فكري.. لستُ أدري ما أقولْ
أيُّ طُهرٍ ضمَّه قلبُ الرسولْ
أيُّ نورٍ قد تجلَّى للعقولْ

أنتَ مشكاة الهدايةْ.. أنتَ نبراسُ الوصولْ

أيُّ مدحٍ كان كُفْواً للشمائلْ
يا رسولاً بشَّرَتْ فيه الرسائلْ!
أيُّ كونٍ نبويٍّ فيك ماثلْ!!
أنت نورٌ.. أنت طهرٌ.. أنت حَقٌّ هَدَّ باطلْ

قد تَبِعنا سُنة الهادي المطاعْ
فنجونا من عِثارٍ وضَيَاعْ
وشدَوْنا في سُوَيْعاتِ السَّماعْ
((طلعَ البدرُ علينا من ثنيّات الوداع))

.*.*.*.*.*.*.*.*.*.*.*.*.*

## الفصل السادس : الساخر من محمد ساخرٌ من جميع الأنبياء

وفى هذا الفصل نذكر تفاضل محمد على سائر الأنبياء والرسل فى معجزاته عليهم سلام الله أجمعين
سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله *** والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله
سبحان من أيد أنبيائه ورسله بالآيات الباهرات والمعجزات المفحمات تأييداً منه ونصرة لهم ... فالله هو الخالق المالك المدبر سبحانه
خلق الخلق على أقسام متفاوتة لا يعلمها أحدُ سواه .
ففريقاً أسعده .. وفريقاً أشقاه
وفريقاً أفقره .. وفريقاً أغناه
وفريقاً أماته .. وفريقاً أحياه
ولما أرسل تعالى رسله فى أقوامهم أيدهم تعالى بمعجزات تثبت صدق ما أرسلهم به ... فموسى بعث فى قوم يعتقدون فى السحر والسحرة فأيده بعصاه .. وعيسى بعث فى قومٍ برعوا فى الطب فأبرأ بإذن الله من تحيروا فى علاجه .. ومحمد بعث فى أهل اللغة والمعلقات فأيده الله تعالى بالقرآن .
المعجزة هي خرق لقوانين الكون، ويؤيد الله سبحانه وتعالى بها رسله.
وقد يخلط الناس بين المعجزة والكرامة، ولكن هناك فرقا بينهما، فرغم أن كل منهما أمر خارق للعادة إلا أن المعجزة يظهرها الله على أيدي الأنبياء والمرسلين، أما الكرامة فهي أمر يظهره الله على أيدي بشر غير الأنبياء.
وفي المعجزات عبر وإيمان وعقيدة خالصة، فاز المصدق بها والمقر .

### معجزات نبي الله نوح عليه السلام

فكان لنوح التنور والطوفان .. هذه هي معجزة نوح ، لم تكن معجزة التنور الذي فار منه الماء وحده وإنما حياة نوح ألف سنة إلا خمسين معجزة كذلك
وبناء السفينة وما احتاجه من زراعة الشجر وانتظار خشبه عشرات السنين معجزة.
وركوب السفينة مع الحيوانات على اختلاف أنواعها معجزة.
والطوفان الهادر معجزة، والهبوط معجزة.
إنها معجزات النبي نوح عليه السلام وليست قصة حياته.

{فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ }المؤمنون٢٧
فأوحينا إليه أن اصنع السفينة بمرأى منا وبأمرنا لك ومعونتنا، وأنت في حفظنا وكلاءتنا، فإذا جاء أمرنا بعذاب قومك بالغرق، وبدأ الطوفان، فنبع الماء بقوة من التنور -وهو المكان الذي يخبز فيه- علامة على مجيء العذاب، فأدخِلْ في السفينة من كل الأحياء ذكرًا وأنثى؛ ليبقى النسل، وأدخل أهلك إلا مَن استحق العذاب لكفره كزوجتك وابنك، ولا تسألني نجاة قومك الظالمين، فإنهم مغرقون لا محالة. وفي هذه الآية إثبات صفة العين لله سبحانه بما يليق به تعالى دون تشبيه ولا تكييف.. {فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ }المؤمنون٢٨
فإذا علوت السفينة مستقرًا عليها أنت ومن معك آمنين من الغرق، فقل: الحمد لله الذي نجَّانا من القوم الكافرين.

معجزات نبي الله صالح عليه السلام

ورغت ناقة صالح وصاح جبريل فتمخضت صخرة لصالح بناقة وولدها في معجزة فريدة من نوعها .

{ إنا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر * ونبّئهم أن الماء قسمة بينهم، كلّ شرب محتضر * فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر * فكيف كان عذابي ونذر * إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتضر} القمر ٢٧-٣١.

وجاءت ليلة الغدر، كانت الناقة المباركة تنام وهي تضم لصدرها طفلها الصغير الذي استدفأ بها، واستعدّ المجرمون التسعة لجريمتهم وعلى رأسهم قدار بن سالف. لعنه الله، وخرجوا من جوف الظلام وفي نفوسهم الخيانة، وكان زعيمهم قدار بن سالف قد شرب كثيرا من الخمر، حتى لم يعد يرى ما أمامه وهجم الرجال التسعة على الناقة فنهضت واقفة ونهض طفلها فزعا، وامتدت الأيدي القاتلة إليها للقضاء عليها، وكان أوّل من سطا على الناقة هو قدار بن سالف، فعرقبها أي ضربها في عرقوبها فسقطت على الأرض، ثم ابتدروها بأسيافهم يقطعونها فلما رأى ذلك طفلها، شرد عنهم فعلا إلى الجبل هناك ورغا ثلاث مرات.

ولما علم صالح عليه السلام بما حدث خرج غاضبا على قومه، وقال لهم: ألم أحذركم أن تمسوا الناقة. قالوا: قتلناها فائتنا بالعذاب واستعجله لنا ألم تقل لنا أنك من المرسلين؟

فقال لهم صالح عليه السلام:{ تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب} هود ٦٥، أي غير يومهم ذلك.

فلم يصدقوه أيضا في هذا الوعد الأكيد، بل إنهم لما أمسوا هموا بقتله وأرادوا، فيما يزعمون أن يلحقوه بالناقة، فأقسموا أن يهجموا عليه في داره فيقتلوه ولكن الله حمى نبيّه صالحا عليه السلام منه ونجاه.

وقال الله عز وجل:{ قالوا تقاسموا بالله لنبيّتنّه وأهله ثم لنقولنّ لوليه ما شهدنا مهلك أهله وانّا لصادقون}. النمل ٤٩.

وأصبحت ثمود اليوم الأوّل من أيّام النظرة الثلاثة _ التي أنظرهم بها صالح_ ووجوههم مصفرّة، فلما أمسوا قالوا: ألا قد مضى يوم من الأجل ثم أصبحوا في اليوم الثاني من أيّام التأجيل، ووجوههم محمرّة وفي الثالث من أيّام المتاع اسودّت وجوههم. فلما أمسوا قالوا: ألا قد مضى الأجل. وليس هناك شيء من العذاب.

وفي فجر اليوم الرابع انشقت السماء عن صيحة جبارة، انقضّت الصيحة على الجبال فهلك فيها كل شيء حي، وارتجفت الأرض رجفة جبّارة فهلك فوقها كل شيء.

هلكوا جميعا في صرخة واحدة، أما الذين آمنوا بسيّدنا صالح فكانوا قد غادروا المكان مع النبي صالح عليه السلام ونجّاهم الله.

## معجزات خليل الله ونبيه إبراهيم عليه السلام

ولِمن يقدموا المعقول على المنقول جاءت آية إبراهيم لترد كيد كل مكابر ومعاند ... كيف النار لم تحرق يا عقلانيين ويا منطقيين ؟

أجيبوا أو اخرسوا وموتوا غيظاً ... لأن المنقول مقدمٌ على كل معقول وغير معقول ... النار ما أذت الرسول .. إبراهيم الخليل .

النار لا تحرق النبي

قال تعالى:{ قالوا حرّقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين* قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم* وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين} الأنبياء ٦٨-٧٠.

إبراهيم الخليل عليه السلام نبي الله، وهو خليل الرحمن، وأبو الأنبياء الأكبر من بعد نوح عليهما السلام، ولد إبراهيم عليه السلام في أرض الكلدانيين في العراق، أما أبوه فهو "آزر" كما ورد في القرآن الكريم، وكان قوم إبراهيم عليه السلام الذين ولد فيهم يعبدون الكواكب السيّارة والأصنام، وقد دلت الآثار التي أكتشفت في العراق على صحة ما عرف في التاريخ من عبادتهم للأصنام الكثيرة، كما ورد في القرآن الكريم حتى كاد أن يكون لكل منهم صنم خاص به سواء الأغنياء أو الفقراء منهم في ذلك.

وقد عاب إبراهيم عليه السلام على قومه في العراق شركهم بالله وعبادتهم الأصنام، وجادل أباه وقومه في ذلك، ثم أراد أن يلفت أنظارهم إلى باطل ما هم عليه من عبادة غير الله بما جاء به من حجج مقنعة وقوية وقيامه بتكسيره أصنامهم إلا كبيرهم، ولكن لم يرجعوا عن كفرهم وضلالهم، وإنما قرروا قتله بإلقائه في النار.

إلى أن جاءت معجزة خروجه من النار ونجاته منها.وكان قد جادل قومه عن شركهم

( قال:أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم ؟ أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ؟!)

وهي قولة يظهر فيها ضيق الصدر ، وغيظ النفس ، والعجب من السخف الذي يتجاوز كل مألوف.

عند ذلك أخذتهم العزة بالإثم كما تأخذ الطغاة دائما حين يفقدون الحجة ويعوزهم الدليل , فيلجأون إلى القوة الغاشمة والعذاب الغليظ:

( قالوا:حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين). .

فيالها من آلهة ينصرها عبادها ، وهي لا تملك لأنفسها نفعا ولا ضرا ؛ ولا تحاول لها ولا لعبادها نصرا !

(قالوا:حرقوه)ولكن كلمة أخرى قد قيلت . . فأبطلت كل قول ، وأحبطت كل كيد . ذلك أنها الكلمة العليا التي لا ترد:

( قلنا:يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم). .

فكانت بردا وسلاما على إبراهيم . .

كيف?

ولماذا نسأل عن هذه وحدها . و(كوني)هذه هي الكلمة التي تكون بها أكوان ، وتنشأ بها عوالم ، وتخلق بها نواميس:(إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له:كن فيكون).

فلا نسأل:كيف لم تحرق النار إبراهيم ، والمشهود المعروف أن النار تحرق الأجسام الحية ? فالذي قال للنار:كوني حارقة . هو الذي قال لها:كوني بردا وسلاما . وهي الكلمة الواحدة التي تنشيء مدلولها عند قولها كيفما كان هذا المدلول . مألوفا للبشر أو غير مألوف .

قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (٧٠) وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (٧١) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلّاً جَعَلْنَا صَالِحِينَ (٧٢) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (٧٣)

إن الذين يقيسون أعمال الله سبحانه إلى أعمال البشر هم الذين يسألون:كيف كان هذا ? وكيف أمكن أن يكون ؟ فأما الذين يدركون اختلاف الطبيعتين ، واختلاف الأداتين ، فإنهم لا يسألون أصلا ، ولا يحاولون أن يخلقوا تعليلا . علميا أو غير علمي . فالمسألة ليست في هذا الميدان أصلا . ليست في ميدان التعليل والتحليل بموازين البشر ومقاييس البشر . وكل منهج في تصور مثل هذه المعجزات غير منهج الإحالة إلى القدرة المطلقة هو منهج فاسد من أساسه ، لأن أعمال الله غير خاضعة لمقاييس البشر وعلمهم القليل المحدود .

إن علينا فقط أن نؤمن بأن هذا قد كان ، لأن صانعه يملك أن يكون . أما كيف صنع بالنار فإذا هي برد وسلام ؟ وكيف صنع بإبراهيم فلا تحرقه النار . . فذلك ما سكت عنه النص القرآني لأنه لا سبيل إلى إدراكه بعقل البشر المحدود . وليس لنا سوى النص القرآني من دليل .

وما كان تحويل النار بردا وسلاما على إبراهيم إلا مثلا تقع نظائره في صور شتى . ولكنها قد لا تهز المشاعر كما يهزها هذا المثل السافر الجاهر . فكم من ضيقات وكربات تحيط بالأشخاص والجماعات من شأنها أن تكون القاصمة القاضية ، وإن هي إلا لفتة صغيرة , فإذا هي تحيي ولا تميت ، وتنعش ولا تخمد ، وتعود بالخير وهي الشر المستطير .

إن : ( يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم) لتتكرر في حياة الأشخاص والجماعات والأمم ; وفي حياة الأفكار والعقائد والدعوات . وإن هي إلا رمز للكلمة التي تبطل كل قول , وتحيط كل كيد ، لأنها الكلمة العليا التي لا ترد !

( وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين). .

وقد روي أن الملك المعاصر لإبراهيم كان يلقب "بالنمرود" وهو ملك الآراميين بالعراق . وأنه قد أهلك هو والملأ من قومه بعذاب من عند الله . تختلف الروايات في تفصيلاته , وليس لنا عليها من دليل . المهم أن الله قد أنجى إبراهيم من الكيد الذي أريد به ، وباء الكائدون له بخسارة ما بعدها خسارة (فجعلناهم الأخسرين)هكذا على وجه الإطلاق دون تحديد !

فأين حجج الملاحدة العقلية والمنطقية والفلسفية ؟

إبراهيم الأمة إبراهيم الحنيف إبراهيم المستسلم لله

ترك زوجه فى الصحراء لأمر ربه

أمر بذبح ولده فامتثل

إنه الخليل صاحب المعجزات

جد محمد صاحب البراق

ضربا وولده إسماعيل أروع أمثلة الإسلام

{ فلما أسلما وتلّه للجبين} الصافات ١٠٣.

قيل: أسلما:أي استسلما لأمر الله وعزم على ذلك فما أن ألقاه إلى وجهه:

{ وناديناه أن يا إبراهيم* قد صدّقت الرؤيا، إنا كذلك نجزي المحسنين* إن هذا لهو البلاء المبين* وفديناه بذبح عظيم}. الصافات ١٠٤-١٠٨.

هذا هو الإسلام الحقيقي، الذي ضرب فيه إبراهيم وإسماعيل ابنه المثل العظيم، فكان جزاء الله لهما عظيما، لأنهم أحسنوا عبادة الله، وأحسنوا طاعة الله، ونجحوا في اختبار صعب شمل المصاعب التي تهزم قوى الإنسان وتجعله يخرّ صريعا أمامها، ولكن بقدر ما كان للأب من إيمان مدهش وصبر عظيم وتسليك قانع راض بهذا القدر كان للابن الغلام الصغير.

إن إبراهيم عليه السلام كان معجزة إيمانية سلوكيّة، وإسماعيل ضرب مثلا في الطاعة فكان مدهشا في رباطة جأشه ووصوله إلى مدى بعيد الطاعة.

إن الموقف كله معجزة، ولم يكن الكبش وحده هو المعجزة، الأب، الابن، الكبش، مشيئة الله، كل هذه الأطراف صنعت معجزة هائلة لن تنساها البشريّة.

## معجزة نبي الله العزير عليه السلام

نبي الله عزير أعاده الله بعد موته مائة عام آية لرد بنى إسرائيل عن إهمالها وجحودها لأوامر الله ... وفعلها الله مع غير الأنبياء معجزات وتأييدات لأنبيائه وصالحي الأقوام السالفة كما فعل ربنا بأصحاب الكهف .. فأين المنطق والمعقول فيمن عاد بعد موته بمائة سنة وفيمن إستيقظوا من نومةِ استمرت ما يزيد على الثلاثمائة عام ... إنه المنقول الواجب التصديق .

جلس عزير عليه السلام شابا وسط القوم وشرع يقرأ التوراة عن ظهر قلب وهم يراجعون عليه في صحف التوراة، وظل يقرأ ويقرأ وهم يزدادون خشوعا حتى انتهى منها دون أن يخطئ في حرف واحد من حروفها، أو يتردد في آية واحدة من آياتها أو كلماتها.

شهد الجميع بأنه العزير، وفرحوا به، ونظر بعضهم في المجلس فوجد آية عظيمة من آيات الله، لقد جلس العزير في هذا المجلس وفيه بنوه وبنو بنيه وهم شيوخ وقد شاب شعرهم وشابت لحاهم، وقوّست السنون ظهورهم وأحنتها بشدة، بينما يجلس عزير شابا في الأربعين أسود الشعر، قوي البنية، منتصب القامة، فكانت آية عظيمة، وكان عزير عليه السلام آية بما حدث له وحدث معه من مشاهد اختصه الله بها حينما قال له: { ولنجعلك آية للناس} .

حقا انه آية في موته وهو في سن الأربعين وآية في بعثه بعد مائة سنة، ورؤيته مشهد إعادة خلق حماره من جديد والعظام تتحرّك أمامه واللحم يكسو جسم الحمار من جديد، وطعامه لم يتغيّر، ولم تجففه الشمس ولا الهواء بل ظل طازجا، وقد جاءت قصة عزير في القرآن الكريم تحكي عن الآية التي جعلت فيه، وأخذت منه درسا وعظة لكي يعلم من لا يعلم أن الله على كل شيء قدير وأنه سبحانه عز وجل قادر على أن يحيي الموتى فهو الذي خلقها، وأماتها، وأنشأها مرّة أخرى، وهو خالق الطعام وقادر على إبقائه مائة عام دون أن يتبخر أو يتخثر أو تفوح رائحته كما يحصل خلال أيام قليلة بين يدي البشر، وهو القادر على خلق حمار عزير بعد أن أماته مائة عام وهو الذي صوّره أمام عبده عزير كي يؤمن الذين في قلوبهم تردد بأن الله على كل شيء قدير، فالخلق خلقه والكون كونه سبحانه وتعالى عز وجل، ليس كمثله شيء، واحد أحد فرد صمد.

ونقرأ قصة العزير في سورة البقرة. قال تعالى:

{أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىَ يُحْيِـي هَـَذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } البقرة٢٥٩

أو هل رأيت -أيها الرسول- مثل الذي مرَّ على قرية قد تهدَّمت دورها، وخَوَتْ على عروشها، فقال: كيف يحيي الله هذه القرية بعد موتها؟ فأماته الله مائة عام، ثم ردَّ إليه روحه، وقال له: كم قدر الزمان الذي لبثت ميتًا؟ قال: بقيت يومًا أو بعض يوم، فأخبره بأنه بقي ميتًا مائة عام، وأمره أن ينظر إلى طعامه وشرابه، وكيف حفظهما الله من التغيُّر هذه المدة الطويلة، وأمره أن ينظر إلى حماره كيف أحياه الله بعد أن كان عظامًا متفرقة؟ وقال له: ولنجعلك آية للناس، أي: دلالة ظاهرة على قدرة الله على البعث بعد الموت، وأمره أن ينظر إلى العظام كيف يرفع الله بعضها على بعض، ويصل بعضها ببعض، ثم يكسوها بعد الالتئام لحمًا، ثم يعيد فيها الحياة؟ فلما أتضح له ذلك عِيانًا اعترف بعظمة الله، وأنه على كل شيء قدير، وصار آية للناس..

## معجزات نبي الله سليمان عليه السلام

{وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ }النمل١٥
ولقد آتينا داود وسليمان علمًا فعملا به، وقالا الحمد لله الذي فضَّلنا بهذا على كثير من عباده المؤمنين. وفي الآية دليل على شرف العلم، وارتفاع أهله.

{وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ }النمل١٦
وورث سليمان أباه داود في النبوة والعلم والملك، وقال سليمان لقومه: يا أيها الناس عُلِّمنا وفُهِّمنا كلام الطير، وأعطينا مِن كل شيء تدعو إليه الحاجة، إن هذا الذي أعطانا الله تعالى إياه لهو الفضل الواضح الذي يُمَيِّزنا على مَن سوانا.

{وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ }النمل١٧
وجُمِع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير في مسيرة لهم، فهم على كثرتهم لم يكونوا مهمَلين، بل كان على كل جنس من يَرُدُّ أولهم على آخرهم؛ كي يقفوا جميعًا منتظمين.

{حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ }النمل١٨
حتى إذا بلغوا وادي النمل قالت نملة: يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يهلكنَّكم سليمان وجنوده، وهم لا يعلمون بذلك.

{فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ }النمل١٩
فتبسم ضاحكًا من قول هذه النملة لفهمها واهتدائها إلى تحذير النمل، واستشعر نعمة الله عليه، فتوجَّه إليه داعيًا: ربِّ ألْهمْني، ووفقني، أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديَّ، وأن أعمل عملا صالحًا ترضاه مني، وأدخلني برحمتك في نعيم جنتك مع عبادك الصالحين الذين ارتضيت أعمالهم.

{فَلَمَّا جَاء سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ }النمل٣٦
فلمَّا جاء رسول الملكة بالهديَّة إلى سليمان، قال مستنكرًا ذلك متحدثًا بأنْعُم الله عليه: أتمدونني بمالٍ تَرْضية لي؟ فما أعطاني الله من النبوة والملك والأموال الكثيرة خير وأفضل مما أعطاكم، بل أنتم الذين تفرحون بالهدية التي تُهدى إليكم؛ لأنكم أهل مفاخرة بالدنيا ومكاثرة بها.

وهذا نبي الله سليمان المعجزة المتحركة على الأرض إعجاز فى الحياة وفى الممات سبحان الله . من المعلوم أن سليمان ممن ملكوا الأرض وبالتوحيد عمرها فهل تخيلت جيش سليمان عليه السلام ؟ جواسيسه الجن ومدرعاته الفيلة الأسد من جنده النمور من كتائبه الريح من آلات حصاره الأرض بجميع مخلوقاتها تحارب مع سليمان لنشر رآية التوحيد فى أرض الله ... نبينا خيره الله تعالى هل يكون لك يا محمد ملكُ سليمان ؟

فتواضع الحبيب واختار أن يكون مسكيناً

اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني فى زمرة المساكين

نبي الله سليمان عاش حياته مجاهداً منافحاً عن دين التوحيد

فكانت جميع الأرض فى حكمه تدين بلا إله إلا الله

وقضى سليمان سنواته الباقية من حياته يقود رعيته بالعدل، ويتقرّب إلى ربه بالعبادة، وقد اختار لعبادته مكانا ببيت المقدس،لا يجرؤ أحد على الدنو منه ما دام هو قائم يصلي في المحراب.

فلما علم أنه حان حينه، وانتهى أجله، توكأ على عصاه، وخرج إلى المسجد الأقصى، فدخل المحراب، واتجه إلى الله مرتكزا على عصاه، فقبضه ملك الموت، وظل جثمانه واقفا تسنده العصا أياما، والناس والجن لا يدرون بموته، ولا يجرؤون على الاقتراب منه في محرابه، حتى تآكلت

العصا، لقد أكلتها حشرة الأرض، فانكسرت العصا، ووقع الجثمان على الأرض فشاع الخبر، وشيّعته بنو إسرائيل إلى مثواه، وعادوا من قبره يرددون: سبحانك اللهم! تؤتي الملك من تشاء، وتنزع الملك ممن تشاء.

هكذا كانت معجزات سليمان عليه السلام فهو يكلم النمل والطير والحيوان، ويسخر الرياح والجن بأمر ربه، وعندما يموت يموت هكذا، إنها معجزات عظيمة وملك لم يؤت لأحد من بعد سليمان عليه السلام.

أيوب الصابر عليه السلام

قال تعالى: {واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب* اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب} ص ٤٢,٤١.

ذكر المؤرخون روايات كثيرة عن أيوب، وذكر المفسرون كذلك.. وأيوب هو نبي الله من نسل إبراهيم عليه السلام، وقد تزوج من ذرية يوسف بن يعقوب فتاة أسمها رحمة كانت مثله صلاحا وتقوى، جازت زوجها في عبادته لله عز وجل، وفي حمده وشكره له ، وفي تقربه إليه.

وقد اشتهر أيوب بين الناس بالصبر، وقصته مشهورة، ولنبدأ مع أيوب الغني، فقد كان رجلا غنيا، ذا مال كثير، بسط الله له الرزق، وأفسح له طريق الثراء، حتى كان يملك قرية كاملة في دمشق تسمى "البثنية" وهي قرية تقع بين دمشق وأذرعات، ويملك ما فيها من مزارع خضراء منبسطة فسيحة، وله فيها بساتين مزهرة، وله بها منشآت وديار.

كانت الأبقار والشياه الحلوب، ترتع في مزارعه، وتنيخ في مرابضه الإبل الخفاف، والنياق الولود، وتسرح بأرضه الخيل والبغال والحمير.

ولقد أفاض الله برزقه على عبده الصالح أيوب ففوق ما رزقه من نعمة المال، رزقه نعمة أخرى جزيلة محبوبة، تلك نعمة الأولاد كم البنات والبنين.

فقد كمل له بذلك ما تمنّاه كل امرئ لنفسه من متع الدنيا ورفاهية الحياة، ولذاذة العيش، ونضرة النعيم.

فهل كان أيوب بما أعطاه الله من نعم الدنيا وبهجة الحياة منعما مرفها، ينعم بجاه المال ويهنأ بخلف من البنين والبنات، ونسى كل ما عداه؟ والحق يقال عكس ذلك، فلم يكن أيوب كذلك، فلم يبخل على نفسه وعياله، وكان لا يحب كنز المال.

كان أيوب ذا مال، ولكن كانت أمواله لمن حوله قبل أن تكون لنفسه، وكان منها زكاة وهبات وعطايا كان برا بكل من حوله! يرعى غلمانه وخدمه قبل أن يرعى أهله، فلكل رجل من أتباعه زوجة ودار ومتاع، ولكل غلام مدّخر من المال.

وكان لا يطعم طعاما وهو يعلم بمكان جائع يشتهي الطعام!

وكان لسانه لا يكف عن ذكر الله والحمد والتسبيح لربه ولا يفتر جنانه عن التفكير في الله عز وجل.

وتحدث الناس عن أيوب، ولهجت ألسنتهم بالدعاء له والثناء عليه، وعمرت قلوبهم بحبه والإخلاص له! وكذلك أهل السماء من الملائكة ذكروا أيوب ذكرا حسنا.

كل هذا أغاظ إبليس، كثرة ذكر أيوب والثناء عليه، وإبليس أقسم أن يغوي البشر أجمعين، وبسبب ذلك طرده ربه من الجنة جزاء عصيانه، فقال كلمته المعروفة: رب، بما أغويتني وطردتني بسبب آدم لأزينن لذريته في الأرض، ولأغوينهم أجمعين.

واستطرد إبليس قائلا: إلا عبادك المخلصين.

وكان أيوب عليه السلام من عباده المخلصين.

وكانت محنة أيوب وقصة مرضه المشهورة هي محنته، ولعل أشهر ما ذكر عن هذه المحنة كانت هذه القصة التي جاء فيها:

تحدّث الملائكة،ملائكة الأرض فيما بينهم عن الخلق وعبادتهم، قال قائل منهم: ما على الأرض اليوم خير من أيوب، هو أعظم المؤمنين إيمانا، وأكثرهم عبادة لله، وشكرا لنعمته ودعوة له. وسمع

الشيطان ما يقال... فساءه ذلك، وطار إلى أيوب محاولا إغواءه، ولكن أيوب بقي، قلبه هو الصفاء لله والحب لله.

وقد كان أيوب عليه السلام محصنا بإيمانه ضد وسوسة الشيطان، فما استطاع إبليس أن يغريه بشيء مما يغري به الأغنياء! وما قدر على أن يدفع به إلى ما كان يدفع إليه أمثاله من الأثرياء!!

حاول إبليس عن طريق شياطين البشر أن يحرّض أيوب على ارتكاب المعاصي، فأتاه بشرذمة من الناس يزيّنون له اللهو والمجون والمتعة المحرّمة، ويدعونه إلى ترك التقشف، والى التهاون في العبادة لينعم نفسه بمباهج الدنيا، ويمتعها بما أوتي من نعم وجاه ومال.

ولكن قلب أيوب كان تقيّا نقيّا، فلم يستجب لما زيّن له؛ وكانت نفسه مؤمنة ورعة، فلم تسمع ما دعيت إليه.

كانت متعة أيوب عليه السلام تكمن في أشياء كثيرة، كانت متعته في أن يكفل أيتاما مات عنهم عائلهم، وكانت بهجته في أن يساعد بماله أرملة ذهب عنها رجلها، أو فقير أضرّ به فقره، أو عاجزا أقعده عجزه، فيشعر بالسعادة لسعادتهم ويهنأ لهنائهم، ويشكر الله على أن هيأ له كل هذه السعادة وكل هذا الهناء.

وطال الأمد بإبليس دون أن يستطيع الوصول إلى غايته من استمالة أيوب ببلاء لم يكن منتظرا، سرّ له إبليس وفرح فعاود مع أيوب نشاطه من جديد، ونعود إلى أشهر رواية عن أيوب ومحنته فنقول: حين يئس الشيطان من إغواء أيوب، قال لله تعالى:

يا رب إن عبدك أيوب الذي يعبدك ويقدسك لا يعبدك حبا، وإنما يعبدك لأغراض.

يعبدك ثمنا لما منحته من مال وبنين، وما أعطيته من ثروة وعقار، وهو يطمع أن تحفظ عليه ماله وثراءه وأولاده، وكأن النعم العديدة التي منحتها له هي السر في عبادته، انه يخاف أن يمسها الفناء أو تزول.. وعلى ذلك فعبادته مشوبة بالرغبة والرهبة، يشيع فيها الخوف والطمع.. وليست عبادة خالصة ولا حبا خالصا.

وقد ذكرت الرواية أن الله تعالى قال لإبليس:

إن أيوب عبد مؤمن خالص الإيمان.. وليكون أيوب قبسا من الإيمان ومثالا عاليا في الصبر.. قد أبحتك ماله وعقاره.. افعل ما تريد، ثم انظر إلى ما تنتهي.

وهكذا انطلقت الشياطين فأتت على أرض أيوب وأملاكه وزروعه ونعمه ودمّرتها جميعا.. وانحدر أيوب من قمة الثراء إلى حضيض الفقر فجأة.. وانتظر الشيطان أيوب.. وقال أيوب عليه السلام عن المال: عارية لله استردها.. ووديعة كانت عندنا فأخذها، نعمنا بها دهرا، فالحمد لله على ما أنعم، وسلبنا إياها اليوم، فله الحمد معطيا وسالبا، راضيا وساخطا، نافعا وضارا، وهو الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، ويضر من يشاء، ويذل من يشاء، ثم خرّ أيوب عليه السلام ساجدا وترك إبليس وسط دهشته المخزية.

وعاد الشيطان يقول لله تعالى: يا رب.. إذا كان أيوب لم يقابل النعمة إلا بالحمد، والمصيبة إلا بالصبر، فليس ذلك إلا اعتدادا بما لديه من أولاد.. انه يطمع أن يشتدّ بهم ظهره ويسترد بهم ثروته. وتستطرد الرواية فتقول: إن الله أباح للشيطان أولاد أيوب.. فزلزل عليهم البيت الذي يسكنون فيه فقتلهم جميعا.

أنبياء الله لأحمد بهجت ص ١٧١ .

الله أعطى.. والله أخذ.. فله الحمد معطيا وسالبا، ساخطا وراضيا، نافعا وضارا.

ثم خرّ أيوب عليه السلام ساجدا وترك إبليس وسط دهشته المخزية.

وعاد إبليس يدعو الله، أن أيوب لم يزل صابرا لأنه معافى في بدنه، ولو أنك سلطتني يا رب على بدنه.. فسوف تكف عن صبره.

وتقول الرواية أن الله أباح جسد أيوب للشيطان يتصرف فيه كيف يشاء.. فضرب الشيطان جسد أيوب من رأسه حتى قدميه، فمرض أيوب مرضا جلديا راح لحمه يتساقط ويتقيّح.. حتى هجره الأهل والأصحاب.. ولم يعد معه إلا زوجته..

ومرت الأيام، وتتابعت الشهور، وأيوب تزداد حالته سوءا،حتى لم يعد يستطيع أحد أن يقترب منه لعفن قروحه، ونتن رائحتها، فبرم الناس به، ونفروا منه، وانقطعوا عن زيارته، وتذمّر أهله من جيرته وظلت زوجته هي الوحيدة التي تخدمه، وتقضي له حاجاته.

ومرت السنون وأهل أيوب لا يستطيعون على جيرته صبرا، ولا يحتملون له قربا، وجهروا باستيائهم، وأظهروا تذمّرهم بالأقوال والأفعال، فلم تجد رحمة بدا من أن تعرش لزوجها عريشا في ظاهر المدينة وتنقله إليه.

وانتقل أيوب عليه السلام الذي كان يملك الضياع، ويسكن القصور إلى عريش من القش على قارعة الطريق، ورغم ذلك لم يتركه الناس لحاله، بل كانوا إذا مرّوا عليه أظهروا تذمرهم، وأبدوا تأففهم. وقالوا: لو كان رب هذا له حاجة فيه لما فعل به ذلك.

وهكذا ظل أيوب تمر عليه السنة تلو السنة وهو جسد ملقى في عريشه لا يصدر عنه حركة إلا حركة لسانه في فمه بذكر الله، ولا يسمع منه إلا صوت يردد اسم الله.

كانت رحمة زوجة أيوب تقوم بخدمة الناس لتكسب لها ولأيوب من طعامهما، وما يقوم بأودهما. ثم تعود إليه في نهاية اليوم بما تيسر لها الحصول عليه من طعام تطعمه وتسقيه، وتقضي الليل بجانبه؛ فإذا أصبح الصباح عاودت ما فعلته بالأمس.

ولكن هذه الحالة لم تدم لاشمئزاز الناس الذين كانت تقوم بخدمتهم، لعلمهم أنها تقوم على خدمة أيوب المبتلى، وعلى غسل جروحه وتضميد قروحه، فأظهروا لها الامتعاض من خدمتها لهم، ثم طردوها من خدمتهم.

فأصبحت "رحمة" بلا عمل وسدّت منافذ الكسب في وجه رحمة!

وفكرت رحمة وهداها تفكيرها إلى أن تذهب مع الصباح إلى سوق في ظاهر المدينة، ويدها قابضة على حزمة ملفوف بها شيء يبدو أنها تحرص عليه، وتعول من ورائه على خير كثير.

وبلغت رحمة السوق، واتجهت إلى الجانب الذي تعرض فيه حاجات النساء من زينة وعطر وملبس، وفتحت لفافتها بيد مرتعشة، وجلست مع البائعات، وكانت بضاعتها ضفيرة من الخيوط الذهبية الطويلة الناعمة، كانت بالأمس نصف شعرها، فباعتها إلى أحد النساء وأخذت ثمنها.

وابتاعت رحمة بثمن شعرها طعاما وشرابا، وعادت إلى زوجها تطعمه وتسقيه، فقد كانت برّة وفية بزوجها.

وبعد أن نفد ثمن شعرها ما بقي لها شيء تبيعه.

ولكن أيوب كان على صلابته وقوته، ويئس الشيطان فكر في رحمة فذهب إليها وملأ قلبها باليأس حتى ذهبت إلى أيوب تقول له :

حتى متى يعذبك الله، أن المال والعيال والصديق والرفيق، أين شبابك الذاهب وعزك القديم؟

وأجاب أيوب امرأته: لقد سوّل لك الشيطان أمرا.. أتراك تبكين على غرفات وولد مات؟

قالت: لماذا لا تدعو الله أن يزيح بلواك ويشفيك ويكشف حزنك؟

قال أيوب: كم مكثنا في الرخاء؟!!

قالت رحمة: ثمانين سنة.

قال أيوب: كم لبثنا في البلاء والمرض؟

قالت سبع سنين.

قال: أستحي أن أطلب من الله رفع بلائي، وما قضيت فيه مدّة رخائي.

لقد بدأ إيمانك يضعف يا رحمة، وضاق بقضاء الله قلبك.. لئن برئت وعادت إلي القوة لأضربنّك مئة عصا.. وحرام بعد اليوم أن آكل طعاما من يديك أو أشرب شرابا أو أكلفك أمرا.. فاذهبي عني.

وذهبت عنه زوجته وبقي أيوب جسدا صابرا وحيدا، يحتمل ما لا تحتمله الجبال.. وأخيرا فزع أيوب إلى الله داعيا متحننا لا متبرما، ودعا الله أن يشفيه.

ماذا قال أيوب في دعائه يا ترى؟ لقد قال القرآن الكريم أن أيوب نادى ربه فقال:

{أني مسني الضرّ وأنت أرحم الراحمين} الأنبياء ٨٣.

وجاءت الاستجابة سريعة من الله عز وجل، ونزل وحي الله على أيوب:{ اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب}. ٤٢.

وضرب أيوب الأرض برجله الضعيفة كما أمره الله، فانفجرت عيون من ماء عذب زلال بارد وصاف، فاغتسل أيوب بماء احدى هذه العيون التي فجرها له الله سبحانه عز وجل، فإذا بجلده الدامي المتقرّح يصبح سليما نظيفا جميلا، وشرب أيوب من ماء عين أخرى، فإذا به سليم معافى، قد سرت في جسمه القوّة، ودبّ النشاط..!!

وكانت احدى معجزات الله القادر على كل شيء الذي يقول للشيء كن فيكون.

وجلس أيوب وقد استردّ صحته، وعافيته، ورونقه وجماله، في حلة قشيبة من عند الله، فشكر الله على ما ابتلاه، وعلى ما أنعم به عليه.

وكان قد أقسم أن يضرب امرأته مائة ضربة بالعصا عندما يشفى، وها هو قد شفي، وكان الله سبحانه وتعالى يعرف أنه لا يقصد ضرب امرأته، ولكي لا يرجع عن يمينه أو يكذب فيها أمره الله أن يجمع حزمة من أعواد الريحان عددها مائة، ويضرب بها امرأته ضربة واحدة، وبذلك يكون برّ في قسمه ولم يكذب. { وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث، إنا وجدناه صابرا، نعم العبد انه أوّاب} ص ٤٤.

رحم الله أيوب العبد الصابر.

## معجـــزات موســـــــى صلى الله عليه وســـــــلم :

أرسل الله تعالى موسى عليه السلام وأخاه هارون إلى فرعون وقومه ،، وكان فرعون قبل مولد موسى قد اضطهد العبرانيين ،، وهم ( بنو إسرائيل ) ،، وذلك لأن الكهنة قد أخبروه بأن زوال ملكه سيكون على يد مولود من بني إسرائيل ،، فأمر بقتل كل مولود ذكر ،، واستحيا الإناث ،، قال الله تعالى : [ وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ] ،، فلما وضعت أم موسى مولودها أوحى الله تعالى إليها أن أرضعيه ،، فأرضعته ثلاثة أشهر ،، ولما خافت من انكشاف أمرها أوحى الله إليها أن تلقيه في اليم ،، فوضعته في صندوق وألقته في النيل إيمانا منها بوعد الله سبحانه ،، فساقه الماء إلى قصر فرعون ،، وكان مطلاّ على النيل ،، فالتقطته ابنة فرعون وأدخلته إلى القصر ،، فلما رأته ( آسية ) زوجة فرعون رضي الله تعالى عنها ،، طلبت من فرعون ألا يذبحه ،، فاستجاب فرعون لطلبها ،، وتربّى موسى عليه السلام في البلاط الفرعوني ..

ولما كلف الله موسى عليه السلام بالرسالة أيده بكثير من المعجزات ،، وكان من أبرز تلك المعجزات معجزتان تحدى بهما ما كان سائدا ومنتشرا آنذاك من السحر وهما : ( العصا واليد ) حيث أبطل الله تعالى بهما سحر السحرة ،، وأقام الحجة على فرعون وملأه ،، قال الله تعالى : [ وما تلك بيمينك يا موسى * قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهشّ بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى * قال ألقها يا

موسى * فألقاها فإذا هي حية تسعى * قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى * واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى ]

وقد أشار القرآن الكريم إلى معجزات موسى عليه السلام بقوله تعالى :[ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فسئل بني إسرائيل]

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : ( هي : العصا ،، واليد ،، والسنين ،، والبحر ،، والطوفان ،، والجراد ،، والقمّل ،، والضفادع ،، والدّم ..

قال الله تعالى : [ فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمّل والضفادع والدّم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ]

( ١ ) العصا : وهي انقلاب عصاه حية تسعى ،، وابتلاعها حبال وعصيّ سحرة فرعون ..

( ٢ ) اليد : وهي إدخال يده في جيبه ،، وإخراجها بيضاء من غير سوء ،، أي من غير برص ولا مرض ..

( ٣ ) فلق البحر : وذلك عندما أوحى الله إلى موسى عليه السلام أن يخرج ليلا ببني إسرائيل من مصر في اتجاه الأرض المقدسة في فلسطين ،، وأن يضرب لهم في البحر طريقا يبسا ،، فلما لحقهم فرعون وجنوده ،، ودخلوا البحر وراءهم ضمّ الله الماء بعضه إلى بعض ،، فأغرق فرعون وجنوده ونجى موسى ومن معه ..

( ٤ ) السنين : وهي سنوات القحط والجدب التي أتت على مصر ،، بسبب قلة ماء النيل وانحباس ماء المطر ،، مما أدى إلى نقص الثمرات ..

( ٥ ) الطوفان : وهو ارتفاع منسوب ماء النيل ،، والفيضان الذي أدّى إلى إتلاف الزرع وتهدّم المساكن ..

( ٦ ) الجراد : حيث أرسله الله تعالى عليهم بكثرة ،، فلم يُبق زرعا ولا ثمرا ولا شجرا إلا أتلفه ..

( ٧ ) القمّل : حيث سلط الله تعالى عليهم هذه الحشرة المعروفة .. وقيل : هي صغار الجراد .. وقيل : البقّ ،، فانتشرت فيهم وأقضّت مضاجعهم ..

( ٨ ) الضفادع : سلط الله عليهم الضفادع ،، فكثرت فيهم ،، ونغصت معيشتهم ،، فكانت تسقط في أطعمتهم ويجدونها في فرشهم وملابسهم ..

( ٩ ) الدم : حيث استحال الماء في مصر إلى دم ،، فكانوا إذا رفعوا الكأس ليشربوا وجدوه مختلطا بالدم .. وقيل : ابتلاهم الله بالرعاف .. وقيل : أصيبوا بالدمّل هم وبهائمهم ..

كما أيد الله تعالى موسى عليه السلام بمعجزات كثيرة غير الذي ذكرنا ،، منها : ضرب المقتول بجزء البقرة وعودة الحياة إليه ،، وإخباره عن القاتل ... وتظليل الغمام لبني إسرائيل ... وإنزال المنّ ،، وهو شراب حلو ،، والسلوى : وهو طائر لذيذ ،، وغير ذلك من المعجزات الباهرات التي قصّها علينا القرآن الكريم ...

فسبحان ربي ربّ العزة والجلال وتعالى عما يصفون ،،، إنما أمره إذا أراد شيئا إنما يقول له كن فيكون ،،، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون ،،، فعال لما يريد ،،، يمهل ولا يهمل ،،، العزيز الجبار الكبير العلي المنتقم ،،، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ..

*********

## معجزات نبي الله عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام

قال تعالى: { فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريّا} مريم ٢٤.
قال تعالى: { فأشارت إليه قالوا كيف نكلّم من كان في المهد صبيا} مريم ٢٩.
تأخرت مريم ابنة عمران عن صاحباتها يوما، فلما ذهبت تملأ جرّتها من الينبوع وجدت نفسها وحيدة، وأحست وحشة ورهبة، واضطرب جسمها فجأة، فشعرت بالخوف، وأقبلت على الماء مسرعة تردد أدعية الصلاة، وإذا شاب قوي، وسيم الطلعة، جميل الهيئة، ينظر إليها كأنما خرج من الأرض.
خافت مريم، وأصابها الذعر، وتوقعت شرا ينزل بها فقالت: { إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيّا}. مريم ١٨.
ذلك الشاب الجميل كان جبريل عليه السلام، فلما رأى جبريل عليه السلام انزعاجها قال لها: {إنما أنا رسول ربك إليك لأهب لك غلاما زكيا}. مريم ١٩.
احتارت مريم في أمره، وخافت أن يكون بشرا أراد بها سوءا، وأرادت الهرب، فهبط عليها الهام من الله عز وجل، وإذا هي واقفة بثبات واطمئنان، ثم رأت صفا من الملائكة عن يمينها، وصفا عن شمالها، فهدأت نفسها، وذهب خوفها.
قالت الملائكة: { يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقرّبين} آل عمران ٤٥.
قالت مريم متوجهة إلى الله عز وجل:
{ رب أنّى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر} آل عمران٤٧.
قال جبريل عليه السلام:
{ كذلك الله يخلق ما يشاء، إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون}. فى سياق هذه القصة الرائعة يقول: الأستاذ / سيد قطب رحمه الله تعالى فى تحفته الموسومة < في ظلال القرآن >
تلقت مريم هذا النبأ العظيم بخوف وفرح، إن الملائكة تبشرها بولد يكون نورا وهدى للناس، ورسولا إلى بني إسرائيل، يا له من شرف عظيم.
رفعت مريم رضوان الله عليها رأسها أمام جبريل عليه السلام وقالت: هأنذا أمة الله. ليكن ما يريد الله. تقدّم جبريل عليه السلام، ونفخ في جيبها، ثم اختفى عنها مع الملائكة بعد أن وهبها وديعة القدّوس الأعلى.
أحيطت مريم العذراء بسر هائل، لم تعهده امرأة سواها من قبل فالجنين يتحرّك في بطنها، وأمرها صائر إلى الفضيحة، وهي العذراء الصالحة التي عاشت عمرها طاهرة نقيّة.
لم تطق مريم البقاء بحالتها هذه في الناصرة، فأسرعت بالعودة إلى جبال حبرون، لتكشف سرّها إلى مثلها، تثق فيها، وتطمئن إليها، وتلاقت مريم مع خالتها "أليصابات" فألقت إليها بسرّها الرهيب و"أليصابات" خالة مريم وامرأة زكريا عليه السلام.
كانت أليصابات زوجة زكريا قد حملت هي أيضا، بعد أن استجاب الله لدعاء زوجها، فروت كل منهما قصتها وتحدّثتا بغرابة حملهما، وكانت "أليصابات" العجوز قد حملت بيحيى عليه السلام، ومكثت مريم وخالتها أليصابات معا ثلاثة أشهر في هذا البيت الهادئ على سفح الجبل وقد سمعت مريم وأليصابات وهما نائمتان على سرير واحد نداء سماويا ألهمهما أن الطفل عيسى ويحيى سيشتركان معا في إتمام القصد الإلهي، ونزل هذا الخبر على قلبيهما بردا وسلاما.
وعادت العذراء المباركة إلى الناصرة، وهي الفتاة الباسمة المشرقة، فقد أصبحت تعيش في عالم جديد أكثر اتصالا بالله، تفكر طويلا بفرح ممزوج بالخوف.
انتفخ بطنها، وبدأت تفطن إلى الريبة التي تخامر قلوب المحيطين بها، فكانت تفكر في ذلك طويلا، وأخيرا استقرّ عزمها على أن تكشف سرّها إلى ابن عمّها يوسف النجار، وكان أشد الناس برّا بها وحرصا عليها، فأرسلت له وألقت إليه بسرها الذي كان حملا ثقيلا عليها.

وقع هذا الخبر على يوسف، وقوع الصاعقة، فشك في أمرها، وهو أعلم الناس بعفتها وطهارتها، وعاد إلى منزله، وأوى إلى فراشه شارد الفكر مضطرب الفؤاد، فطار النوم من عينيه، وعصر الحزن قلبه.

وفي هدوء الليل هبط الوحي الإلهي على ذلك الرجل المعذب والقلب الجريح، وأنبأه الحقيقة العظمى، فقام من نومه، وقد آمن بحقيقة مريم العذراء، وأسرع إليها في منزل عمتها ليعتذر لها عن ريبته وشكه فيها، ثم عرض عليها أن يضمها في بيته ليستر أمرها، ويحظى بشرف رعايتها كما يرعى الزوج زوجته.

أذعنت مريم لإلحاح عمتها فقبلت هذا العرض وذهبت إلى بيت يوسف، فأتمّت فيه مدّة الحمل.

لما صارت في الشهر التاسع، ورأى يوسف سوء حالتها، أشفق عليها، وبذل المستحيل ليخفي أمرها، ويمنع سوء القالة عنها، فقرّر السفر بها لتضع مولودها، بعيدة عن الناصرة وأهلها.

أمر القيصر، وهو ملك بلاد الشام في ذلك الوقت، أمر بحصر عدد السكان، وكتابة أسمائهم في سجلات، وهدّد كل من يتخلف عن تدوين اسمه، وأسماء عائلته بالعقاب الشديد.

فسافر الناس من الشمال والجنوب إلى القدس، لتدوين أسمائهم، فكنت ترى الطريق مزدحمة بالمسافرين.

مالت الشمس إلى الغرب، وإذا وقعت العين على ركب المسافرين، الذين جاؤوا من بلاد الجليل في الشمال وقد بدا عليهم أثر التعب، وأضناهم السفر الطويل تجد من بين هؤلاء المسافرين فتاة قروية هي مريم العذراء على دابة وقد أمسك بمقودها رجل هو يوسف النجار الذي كان يبدي اهتماما عظيما بها.

جاءا معا إلى القدس، ليقيّدا اسميهما في سجلات المحاكم، ولعلهما أرادا الاختفاء عن قومها خشية الفضيحة، وقت الولادة.

اقترب الركب المبارك من "بيت لحم" وهي مدينة فلسطينية، وشعرت مريم بمقدمات الوضع، فمال يوسف النجار بها إلى بيت لحم، وأنزلها بالقرب من كهف كبير، وقد استعمله الرعاة من قديم الزمان مربطا للماشية والأغنام، فجلست مريم بجوار جذع نخلة، وذهب ابن عمها إلى القدس، ليستأجر لها مكانا خاليا، وما كان هناك مكان يصلح لراحة حبلى في شهرها الأخير، لكثرة الوافدين على المدينة في هذا الوقت.

فما كان منه إلا أن أخذها إلى مكان خال بجوار نخلة يمر من تحتها جدول صغير من الماء.

كانت مريم العذراء وحيدة هناك بجوار النخلة، إنها نخلة معمّرة، وأمامها جدول صغير من الماء العذب يسري ماؤه، فقاست مريم حرارة الوحدة وقت الولادة، وأجاءها المخاض إلى جذع النخلة، فوضعت ابنها البكر، وقامت إلى الجدول وغسلته وقمّطته، ثم اتجهت به إلى الكهف، وفي هذا المكان الهادئ نام المسيح نومته الأولى، ودخل إلى العالم بهذه الصورة المتواضعة كما يدخل أي مولود عادي من عامة الناس، وقد استقبلته السماء بمظاهر الترحيب والبشر، فشع نور على مهد هذا الوليد المبارك، وكانت أمه بعد هذا المجهود الشاق قد استسلمت لضعف ألمّ بها، فرأت مظاهر الحفاوة والتكريم لهذا المولود، وسمعت ترتيل الملائكة الذين جاؤوا يحفون بالمولود الجديد، يسبّحون ويهللون ويهتفون بالتحية لمولده، وشاهدت هذا النور الذي انبثق من السماء إلى الأرض، يعلن لملايين البشر فجر الخلاص من الظلم والاستبداد، وظلام الجهل والضلال.

أفاقت مريم من ضعفها، وعاد إليها نشاطها، فإذا طفلها ينظر إليها نظرة العطف والتساؤل، وإذا قلبها مفعم بالذكريات الأليمة، والصور البشعة، وإذا هي نهب للتفكير في ساعة لقاء أهلها وذويها.

كيف ترد على التهم التي ستنهال عليها؟! ظلت تفكّر في ذلك كثيرا، فانتابها موجة من الضيق، ونكست رأسها تحاول إبعاد هذه الوساوس عنها. قالت: { يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيّا} يا الهي؛ أنت عليم بحالي فألهمني الرشاد، وخلصني مما أقاسيه.

كانت مريم حقا في حيرة شديدة، لا تستطيع البقاء بمولودها في هذا المكان بدون طعام، ولا تستطيع أن تعود به إلى ذويها في الناصرة، ولا إلى أقربائها في بيت لحم، فيرموها بالسوء، ويقذفوها بالتهم أشكالا وألوانا.

أظلمت الدنيا في عينها، وساءت الحياة أمامهما، وبينما هي في غمرة من ذلك سمعت صوتا يناديها: يا مريم، لاتحزني!! قد جعل ربك تحتك ماء سريّا وهزي إليك بجزع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلي من الرطب، واشربي من الماء، وتوكلي بعد ذلك على الله فهو نعم المولى، ونعم النصير.

سمعا مريم هذا النداء السماوي يتردد على أذنها، فكان بردا وسلاما على قلبها، أعاد إليها الأمن والثقة، وأذهب عنها الخوف والاضطراب فقامت مريم إلى الجدول وشربت، وهزت بجذع النخلة وجمعت ما وقع منها من رطب، ثم أقبلت على الطفل وأشرق وجهها بمحياه، فانزاح عنها الكابوس الثقيل، وكانت قد سمعت حديث الناس حول ظهور النجم الأكبر، وتساؤلهم عن آيات ظهور المسيح المنتظر الذي بشرت به التوراة.

وبينما هي كذلك جاء يوسف النجار إليها في لهفة وحسرة، فوجدها في أتم صحة، تغسل الخرق، وتنشرها على أشعة الشمس، وقد حماها الله من كل سوء، فلما نظر إليها يستفسر عن حالها أشارت إلى المولود، فأسرع يوسف إليه، ووقف برهة يتأمل ذلك الوجه المشرق الجميل، ونحن نتصور ما يجول في رأس هذا الرجل المؤمن من الأفكار، بعدما رأى من آيات الله، وما سمع من حديث القوم، فنعرف السر فيما فعله بعد ذلك، حينما وهب كل وقته،وبذل كل جهده لرعاية هذا الوليد الخارق لناموس الحياة وأمه السيّدة العذراء.

ونتصوره أيضا يعود إلى مريم، وقد نكّس رأسه هيبة وإجلالا ليسألها عملا يؤديه، أو خدمة يقدمها. حقا!؟ إن يوسف النجار كان رجلا صالحا تقيا نبيلا، كشف الله عن بصيرته، وألهمه الحقيقة والصواب.

ونحن نتصور مريم تقضي مدة النفاس في هذا المكان الخلائي الهادئ، فنجدها هانئة به، وقد راضت نفسها على الإقامة فيه، وكان يوسف النجار يذرع الأرض كل يوم ويقطع طريقها بين الكهف الذي ولد فيه المسيح وبين القدس، حيث يقضي حوائجها، ويشتري لها الخبز والطعام، فإذا عاد من المدينة وجد تمرا كثيرا، جاءت به هذه النخلة التي شبّ عمرها، واخضرّت أوراقها، بعد أن أصابها الكبر ونخرها السوس.

انتهت مدة نفاس مريم العذراء، وحان موعد الرحيل إلى المدينة، فعاود مريم القلق، وانتابها الوسواس من جديد.

كان يوسف يحزم الأمتعة استعدادا للرحيل، ومريم غارقة في همومها ودعائها تطلب العون من الله، فسمعت هاتفا يهتف بها: يا مريم؛ صومي اليوم عن الكلام، فلا تكلمي أحد من الناس، والله يتولاك برعايته.

كان الهاتف بهذا الأمر هو جبريل عليه السلام، فصدعت للأمر، ونذرت الصوم قالت:

{إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيّا}، مريم ٢٦.

ولما فرغ يوسف النجار من حزم الأمتعة، حملها على دابته ثم نظر إلى مريم، ودعاها للركوب، فركبت دون أن تحرك شفتيها بكلمة واحدة.

اتجهت مريم بالطفل إلى جبال حبرون، وجاءت به إلى قومها تحمله، قالوا: يا مريم؛ لقد جئت شيئا فريّا، وأمرا منكرا!؟

سكتت مريم ولم تقل شيئا للدفاع عن نفسها، فأيقنوا أنها ارتكبت خطيئة، وقالوا:

{ يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيّا} مريم ٢٨.

تكلمي يا مريم ودافعي عن نفسك. كيف جئت بهذا الغلام؟!

كانت مريم صائمة لا تستطيع الكلام، فلما ألحوا عليها وكثر كلامهم وسؤالهم لها، اتخذت قرارا صامتا أصابهم الدهشة الشديدة!!

كانت مريم صائمة عن الكلام، لا تستطيع الكلام، فلما ألحوا عليها وكثر سؤالهم لها: أشارت إلى الطفل ليكلموه، انه أمر عجيب، كيف تطلب مريم شيئا خارقا لم نعتد عليه، إنها تطلب معجزة، تريد أن يتكلم هذا الطفل الملفوف في قطعة من القماش.

قالوا في دهشة واستغراب: { كيف نكلم من كان في المهد صبيا}.

كيف نكلم هذا الطفل الذي يكفينا سماع صوت بكائه بصعوبة شديدة من ضعفه وطفولته المبكرة.

لقد ولد منذ أيام قليلة، فهل يعقل إنسان هذا الذي تريده مريم، إنها تريد المستحيل.

ولكن مريم كانت بحاجة إلى معجزة كي يصدقها الناس، إذ كيف يصدق الناس أن طفلا أنجب بغير أب، وفي هذا الأمر اتهام للعرض والشرف، حتى أنهم قالوا إن أمها كانت طاهرة شريفة وأبوها لم يكن يوما من الأيام سيء الخلق حتى تأتي هي بهذا الفعل المشين.

انصرفت مشيئة الله أن يكون الرد معجزة، لأن الإقناع في مثل هذه المواقف يحتاج إلى معجزات ومعجزات، والمعجزة والشيء الخارق هنا أن يعتدل الطفل في فراشه ويعرف الناس بنفسه ويدافع عن أمه وما أثير حولها من عبارات الشك والطعن في شرفها وعرضها.

تكلم عيسى المسيح عليه السلام، بعد أن قالوا: { كيف نكلم من كان في المهد صبيا}.

قال عيسى وهو ملفوف في رباط الأطفال وملفوف بخرق الفراش.. قال:

{ إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا* وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا* وبرّا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيّا* والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا* ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون} مريم ٣٠-٣٤.

وكان حديثه في المهد معجزة عظيمة.

آل عمران٤٩

ويجعله رسولا إلى بني إسرائيل، ويقول لهم: إني قد جئتكم بعلامة من ربكم تدلُّ على أني مرسل من الله، وهي أني أصنع لكم من الطين مثل شكل الطير، فأنفخ فيه فيكون طيرًا حقيقيا بإذن الله، وأَشفي مَن وُلِد أعمى، ومَن به برص، وأُحيي من كان ميتًا بإذن الله، وأخبركم بما تأكلون وتدَّخرون في بيوتكم من طعامكم. إن في هذه الأمور العظيمة التي ليست في قدرة البشر لدليلا على أني نبي الله ورسوله، إن كنتم مصدِّقين حجج الله وآياته، مقرِّين بتوحيده.

{إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ }المائدة١١٠

إذ قال الله يوم القيامة: يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك إذ خلقتك من غير أب، وعلى والدتك حيث اصطفيتها على نساء العالمين، وبرأتها مما نُسِب إليها، ومن هذه النعم على عيسى أنه قوَّاه وأعانه بجبريل عليه السلام، يكلم الناس وهو رضيع، ويدعوهم إلى الله وهو كبير بما أوحاه الله إليه من التوحيد، ومنها أن الله تعالى علَّمه الكتابة والخط بدون معلم، ووهبه قوة الفهم والإدراك، وعلَّمه التوراة التي أنزلها على موسى عليه السلام، والإنجيل الذي أنزل عليه هداية للناس، ومن هذه النعم أنه يصوِّر من الطين كهيئة الطير فينفخ في تلك الهيئة، فتكون طيرًا بإذن الله، ومنها أنه يشفي الذي وُلِد أعمى فيبصر، ويشفي الأبرص، فيعود جلده سليمًا بإذن الله، ومنها أنه يدعو الله أن يحييَ الموتى فيقومون من قبورهم أحياء، وذلك كله بإرادة الله تعالى وإذنه، وهي معجزات باهرة تؤيد نبوة عيسى عليه السلام، ثم يذكِّره الله جل وعلا نعمته عليه إذ منع بني إسرائيل حين همُّوا بقتله، وقد جاءهم

بالمعجزات الواضحة الدالة على نبوته، فقال الذين كفروا منهم: إنَّ ما جاء به عيسى من البينات سحر ظاهر.

ويقول العلامة الأستاذ / سيد قطب رحمة الله تعالى عليه :

لقد شاء الله أن يبدأ الحياة البشرية بخلق آدم من تراب ـ وسواء كان قد جبله مباشرة من التراب أو جبل السلالة الأولى التي انتهت إليه من تراب ، فإن هذا لا يقدم ولا يؤخر في طبيعة السر الذي لا يعلمه إلا الله . سر الحياة التي لابست أول مخلوق حي , أو لابست آدم إن كان خلقه مباشرة من التراب الميت ! وهذه كتلك في صنع الله . وليست واحدة منهما بأولى من الأخرى في الوجود والكينونة . . . .

من أين جاءت هذه الحياة ؟ وكيف جاءت ؟ إنها قطعا شيء آخر غير التراب وغير سائر المواد الميتة في هذه الأرض . . شيء زائد . وشيء مغاير . وشيء ينشىء آثارا وظواهر لا توجد أبدا في التراب ولا في مادة ميتة على الإطلاق . .

هذا السر من أين جاء ؟ إنه لا يكفي أننا لا نعلم لكي ننكر أو نعذر ! كما يفعل الماديون في لجاجة صغيرة لا يحترمها عاقل فضلا عن عالم !

نحن لا نعلم . وقد ذهبت سدى جميع المحاولات التي بذلناها ـ نحن البشر ـ بوسائلنا المادية لمعرفة مصدرها . أو لإنشائها بأيدينا من الموات !

نحن لا نعلم . . ولكن الله الذي وهب الحياة يعلم . . وهو يقول لنا:إنها نفخة من روحه . وإن الأمر قد تم بكلمة منه . (كن . فيكون). .

ما هي هذه النفخة ؟ وكيف تنفخ في الموات فينشأ فيه هذا السر اللطيف الخافي على الأفهام؟ ما هي ؟ وكيف ؟ هذا هو الذي لم يخلق العقل البشري لإدراكه ، لأنه ليس من شأنه . إنه لم يوهب القدرة على إدراكه . إن معرفة ماهية الحياة وطريق النفخة لا يجديه شيئا في وظيفته التي خلقه الله لها ـ وظيفة الخلافة في الأرض ـ إنه لن يخلق حياة من موات . . فما قيمة أن يعرف طبيعة الحياة ، وماهية النفخة من روح الله ، وكيفية اتصالها بآدم أو بأول سلم الحياة الذي سارت فيه السلالة الحية ؟ والله ـ سبحانه ـ يقول:إن النفخة من روحه في آدم هي التي جعلت له هذا الامتياز والكرامة ـ حتى على الملائكة ـ فلا بد إذن أن تكون شيئا آخر غير مجرد الحياة الموهوبة للدود والميكروب ! وهذا ما يقودنا إلى اعتبار الإنسان جنسا نشأ نشأة ذاتية ، وأن له اعتبارا خاصا في نظام الكون ، ليس لسائر الأحياء !

وعلى أية حال فهذا ليس موضوعنا هنا ، إنما هي لمحة في سياق العرض للتحرز من شبهة قد تقوم في نفس القارىء لما عرضناه جدلا حول نشأة الإنسان !

المهم هنا أن الله يخبرنا عن نشأة سر الحياة ؛ وإن لم ندرك طبيعة هذا السر وكيفية نفخه في الموات . .

وقد شاء الله ـ بعد نشأة آدم نشأة ذاتية مباشرة ـ أن يجعل لإعادة النشأة الإنسانية طريقا معينا . طريق التقاء ذكر وأنثى . واجتماع بويضة وخلية تذكير . فيتم الإخصاب , ويتم الإنسال . والبويضة حية غير ميتة والخلية حية كذلك متحركة .

ومضى مألوف الناس على هذه القاعدة . . حتى شاء الله أن يخرق هذه القاعدة المختارة في فرد من بني الإنسان . فينشئه نشأة قريبة وشبيهة بالنشأة الأولى . وإن لم تكن مثلها تماما . أنثى فقط . تتلقى النفخة التي تنشىء الحياة ابتداء . فتنشأ فيها الحياة !

أهذه النفخة هي الكلمة ؟ آلكلمة هي توجه الإرادة ؟ آلكلمة:(كن)التي قد تكون حقيقة وقد تكون كناية عن توجه الإرادة ؟ والكلمة هي عيسى ، أو هي التي منها كينونته؟

كل هذه بحوث لا طائل وراءها إلا الشبهات . . وخلاصتها هي تلك:أن الله شاء أن ينشىء حياة على غير مثال . فأنشأها وفق إرادته الطليقة التي تنشىء الحياة بنفخة من روح الله . ندرك آثارها ، ونجهل

ماهيتها . ويجب أن نجهلها . لأنها لا تزيد مقدرتنا على الاضطلاع بوظيفة الخلافة في الأرض ، ما دام إنشاء الحياة ليس داخلا في تكليف الاستخلاف!

والأمر هكذا سهل الإدراك . ووقوعه لا يثير الشبهات !

وهكذا بشرت الملائكة مريم بكلمة من الله اسمه المسيح عيسى بن مريم . . فتضمنت البشارة نوعه ، وتضمنت اسمه ونسبه . وظهر من هذا النسب أن مرجعه إلى أمه . . ثم تضمنت البشارة كذلك صفته ومكانه من ربه: (وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين) . . كما تضمنت ظاهرة معجزة تصاحب مولده (ويكلم الناس في المهد) . . ولمحة من مستقبله ( وكهلا) . . وسمته والموكب الذي ينتسب إليه: (ومن الصالحين) . .

فأما مريم الفتاة الطاهرة العذراء المقيدة بمألوف البشر في الحياة ، فقد تلقت البشارة كما يمكن أن تتلقاها فتاة . واتجهت إلى ربها تناجيه وتتطلع إلى كشف هذا اللغز الذي يحير عقل الإنسان:

( قالت:رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر ؟) . .

وجاءها الجواب ، يردها إلى الحقيقة البسيطة التي يغفل عنها البشر لطول الفتهم للأسباب والمسببات الظاهرة لعلمهم القليل ، ومألوفهم المحدود:

( قال:كذلك الله يخلق ما يشاء . إذا قضى أمرا فإنما يقول له:كن فيكون) . .

وحين يرد الأمر إلى هذه الحقيقة الأولية يذهب العجب ، وتزول الحيرة ، ويطمئن القلب ; ويعود الإنسان على نفسه يسألها في عجب:كيف عجبت من هذا الأمر الفطري الواضح القريب!!

وهكذا كان القرآن ينشىء التصور الإسلامي لهذه الحقائق الكبيرة بمثل هذا اليسر الفطري القريب . وهكذا كان يجلو الشبهات التي تعقدها الفلسفات المعقدة ، ويقر الأمر في القلوب وفي العقول سواء .

.وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ (٤٨) وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِئُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِـي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ( ٤٩ )

ثم يتابع الملك البشارة لمريم عن هذا الخلق الذي اختارها الله لإنجابه على غير مثال ؛ وكيف ستمضي سيرته في بني إسرائيل . . وهنا تمتزج البشارة لمريم بمقبل تاريخ المسيح ، ويلتقيان في سياق واحد ، كأنما يقعان اللحظة ، على طريقة القرآن:

(ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل) . .

والكتاب قد يكون المراد به الكتابة ؛ وقد يكون هو التوراة والإنجيل ، ويكون عطفهما على الكتاب هو عطف بيان . والحكمة حالة في النفس يتأتي معها وضع الأمور في مواضعها , وإدراك الصواب وإتباعه . وهي خير كثير . والتوراة كانت كتاب عيسى كالإنجيل . فهي أساس الدين الذي جاء به . والإنجيل تكملة وإحياء لروح التوراة ، ولروح الدين التي طمست في قلوب بني إسرائيل . وهذا ما يخطىء الكثيرون من المتحدثين عن المسيحية فيه فيغفلون التوراة ، وهي قاعدة دين المسيح - عليه السلام - وفيها الشريعة التي يقوم عليها نظام المجتمع ؛ ولم يعدل فيها الإنجيل إلا القليل . أما الإنجيل فهو نفخة إحياء وتجديد لروح الدين ، وتهذيب لضمير الإنسان بوصله مباشرة بالله من وراء النصوص . هذا الإحياء وهذا التهذيب اللذان جاء المسيح وجاهد لهما حتى مكروا به كما سيجيء .

(ورسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله ، وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله . وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم . إن في ذلك لآية لكم . إن كنتم مؤمنين) . .

ويفيد هذا النص أن رسالة عيسى - عليه السلام - كانت لبني إسرائيل ، فهو أحد أنبيائهم . ومن ثم كانت التوراة التي نزلت على موسى - عليه السلام - وفيها الشريعة المنظمة لحياة الجماعة

الإسرائيلية ، والمتضمنة لقوانين التعامل والتنظيم ، هي كتاب عيسى كذلك ، مضافا إليها الإنجيل الذي يتضمن إحياء الروح وتهذيب القلب وإيقاظ الضمير.

والآية التي بشر الله أمه مريم أنها ستكون معه ، والتي واجه بها بالفعل بني إسرائيل هي معجزة النفخ في الموات فيدخله سر الحياة ، وإحياء الموتى من الناس ، وإبراء المولود الأعمى ، وشفاء الأبرص ، والإخبار بالغيب - بالنسبة له - وهو المدخر من الطعام وغيره في بيوت بني إسرائيل ، وهو بعيد عن رؤيته بعينه . .

وحرص النص على أن يذكر على لسان المسيح - عليه السلام - كما هو مقدر في غيب الله عند البشارة لمريم ، وكما تحقق بعد ذلك على لسان عيسى - أن كل خارقة من هذه الخوارق التي جاءهم بها ، إنما جاءهم بها من عند الله . وذكر إذن الله بعد كل واحدة منها تفصيلا وتحديدا ؛ ولم يدع القول يتم ليذكر في نهايته إذن الله زيادة في الاحتياط !

وهذه المعجزات في عمومها تتعلق بإنشاء الحياة أو ردها ، أو رد العافية وهي فرع عن الحياة . ورؤية غيب بعيد عن مدى الرؤية . . وهي في صميمها تتسق مع مولد عيسى ؛ ومنحه الوجود والحياة على غير مثال إلا مثال آدم - عليه السلام - وإذا كان الله قادرا أن يجري هذه المعجزات على يد واحد من خلقه ، فهو قادر على خلق ذلك الواحد من غير مثال . . ولا حاجة إذن لكل الشبهات والأساطير التي نشأت عن هذا المولد الخاص متى رد الأمر إلى مشيئة الله الطليقة ولم يقيد الإنسان الله - سبحانه - بمألوف الإنسان!

(وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠) إِنَّ اللّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٥١)

وهذا الختام في دعوة عيسى - عليه السلام - لبني إسرائيل يتكشف عن حقائق أصيلة في طبيعة دين الله ، وفي مفهوم هذا الدين في دعوة الرسل جميعا - عليهم الصلاة والسلام - وهي حقائق ذات قيمة خاصة حين ترد على لسان عيسى - عليه السلام - بالذات ، وهو الذي ثار حول مولده وحقيقته ما ثار من الشبهات ، التي نشأت كلها من الانحراف عن حقيقة دين الله التي لا تتبدل بين رسول ورسول .

فهو إذ يقول: (ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم). . يكشف عن طبيعة المسيحية الحقة . فالتوراة التي تنزلت على موسى - عليه السلام - وهي تتضمن التشريع المنظم لحياة الجماعة وفق حاجة ذلك الزمان ، وملابسات حياة بني إسرائيل ] بما أنها ديانة خاصة لمجموعة من البشر في فترة من الزمان ] - هذه التوراة معتمدة في رسالة المسيح عليه السلام ؛ وجاءت رسالته مصدقة لها ، مع تعديلات تتعلق بإحلال بعض ما حرم الله عليهم ، وكان تحريمه في صورة عقوبات حلت بهم على معاص وانحرافات, أدبهم الله عليها بتحريم بعض ما كان حلالا لهم . ثم شاءت إرادته أن يرحمهم بالمسيح عليه السلام ، فيحل لهم بعض الذي حرم عليهم .

ومن هذا يتبين أن طبيعة الدين - أي دين - أن يتضمن تنظيما لحياة الناس بالتشريع ; وألا يقتصر على الجانب التهذيبي الأخلاقي وحده ، ولا على المشاعر الوجدانية وحدها , ولا على العبادات والشعائر وحدها كذلك . فهذا لا يكون دينا . فما الدين إلا منهج الحياة الذي أراده الله للبشر ؛ ونظام الحياة الذي يربط حياة الناس بمنهج الله .

ولا يمكن أن ينفك عنصر العقيدة الإيمانية ، عن الشعائر التعبدية ، عن القيم الخلقية , عن الشرائع التنظيمية ، في أي دين يريد أن يصرف حياة الناس وفق المنهج الإلهي . وأي انفصال لهذه المقومات يبطل عمل الدين في النفوس وفي الحياة ؛ ويخالف مفهوم الدين وطبيعته كما أراده الله .

وهذا ما حدث للمسيحية . فإنها لعدة ملابسات تاريخية من ناحية ؛ ولكونها جاءت موقوتة لزمن - حتى يجيء الدين الأخير - ثم عاشت بعد زمنها من ناحية . . قد انفصل فيها الجانب التشريعي التنظيمي عن الجانب الروحاني التعبدي الأخلاقي . . فقد حدث أن قامت العداوة المستحكمة بين اليهود والمسيح عليه السلام وأنصاره ومن اتبع دينه فيما بعد ; فأنشأ هذا انفصالا بين التوراة

المتضمنة للشريعة والإنجيل المتضمن للإحياء الروحي والتهذيب الأخلاقي . . كما أن تلك الشريعة كانت شريعة موقوتة لزمن خاص ولجماعة من الناس خاصة . وكان في تقدير الله أن الشريعة الدائمة الشاملة للبشرية كلها ستجيء في موعدها المقدور .

وعلى أية حال فقد انتهت المسيحية إلى أن تكون نحلة بغير شريعة . وهنا عجزت عن أن تقود الحياة الاجتماعية للأمم التي عاشت عليها . فقيادة الحياة الاجتماعية تقتضي تصورا اعتقاديا يفسر الوجود كله ، ويفسر حياة الإنسان ومكانه في الوجود ؛ وتقتضي نظاما تعبديا وقيما أخلاقية . ثم تقتضي - حتما - تشريعات منظمة لحياة الجماعة ، مستمدة من ذلك التصور الاعتقادي ، ومن هذا النظام التعبدي ، ومن هذه القيم الأخلاقية . وهذا القوام التركيبي للدين هو الذي يضمن قيام نظام اجتماعي ، له بواعثه المفهومة ، وله ضماناته المكينة . . فلما وقع ذلك الانفصال في الدين المسيحي عجزت المسيحية عن أن تكون نظاما شاملا للحياة البشرية ، واضطر أهلها إلى الفصل بين القيم الروحية والقيم العملية في حياتهم كلها ، ومن بينهما النظام الاجتماعي الذي تقوم عليه هذه الحياة . وقامت الأنظمة الاجتماعية هناك على غير قاعدتها الطبيعية الوحيدة . فقامت معلقة في الهواء . أو قامت عرجاء !

ولم يكن هذا أمرا عاديا في الحياة البشرية ، ولا حادثا صغيرا في التاريخ البشري . . إنما كان كارثة:كارثة ضخمة ، تنبع منها الشقوة والحيرة والانحلال والشذوذ والبلاء الذي تتخبط فيه الحضارة المادية اليوم .سواء في البلاد التي لا تزال تعتنق المسيحية - وهي خالية من النظام الاجتماعي لخلوها من التشريع - أو التي نفضت عنها المسيحية وهي في الحقيقة لم تبعد كثيرا عن الذين يدعون أنهم مسيحيون . . فالمسيحية كما جاء بها السيد المسيح ، وكما هي طبيعة كل دين يستحق كلمة دين , هي الشريعة المنظمة للحياة ، المنبثقة من التصور الاعتقادي في الله ، ومن القيم الأخلاقية المستندة إلى هذا التصور . . وبدون هذا القوام الشامل المتكامل لا تكون مسيحية . ولا يكون دين على الإطلاق ! وبدون هذا القوام الشامل المتكامل لا يقوم نظام اجتماعي للحياة البشرية يلبي حاجات النفس البشرية ، ويلبي واقع الحياة البشرية , ويرفع النفس البشرية والحياة البشرية كلها إلى الله .

وهذه الحقيقة هي أحد المفاهيم التي يتضمنها قول المسيح عليه السلام:

( ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم ). . إلخ . .

وهو يستند في تبليغ هذه الحقيقة على الحقيقة الكبرى الأولى:حقيقة التوحيد الذي لا شبهة فيه:

( وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون . إن الله ربي وربكم فاعبدوه . هذا صراط مستقيم ). .

فهو يعلن حقيقة التصور الاعتقادي التي قام عليها دين الله كله:المعجزات التي جاءهم بها لم يجيء بها من عند نفسه . فما له قدرة عليها وهو بشر . إنما جاءهم بها من عند الله . ودعوته تقوم ابتداء على تقوى الله وطاعة رسوله . . ثم يؤكد ربوبية الله له ولهم على السواء - فما هو برب وإنما هو عبد - وأن يتوجهوا بالعبادة إلى الرب , فلا عبودية إلا لله . . ويختم قوله بالحقيقة الشاملة . . فتوحيد الرب وعبادته , وطاعة الرسول والنظام الذي جاء به: (هذا صراط مستقيم). . وما عداه عوج وانحراف . وما هو قطعا بالدين . .)

يلتفت الخطاب إلى عيسى بن مريم - على الملأ ممن ألهوه وعبدوه وصاغوا حوله وحول أمه - مريم - التهاويل . . يلتفت إليه يذكره نعمة الله عليه وعلى والدته ؛ ويستعرض المعجزات التي آتاها الله إياه ليصدق الناس برسالته ، فكذبه من كذبه منهم أشد التكذيب وأقبحه ؛ وفتن به وبالآيات التي جاءت معه من فتن ؛ وألهوه مع الله من أجل هذه الآيات ، وهي كلها من صنع الله الذي خلقه وأرسله وأيده بالمعجزات:

إذ قال الله:يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك . إذ أيدتك بروح القدس , تكلم الناس في المهد وكهلا . وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل . وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني ، فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني . وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني . وإذ تخرج الموتى بإذني . وإذ

كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم:إن هذا إلا سحر مبين . وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي ، قالوا:آمنا واشهد بأننا مسلمون . .

إنها المواجهة بما كان من نعم الله على عيسى بن مريم وأمه . . من تأييده بروح القدس في مهده ، وهو يكلم الناس في غير موعد الكلام ؛ يبرى ء أمه من الشبهة التي أثارتها ولادته على غير مثال ؛ ثم وهو يكلمهم في الكهولة يدعوهم إلى الله . . وروح القدس جبريل - عليه السلام - يؤيده هنا وهناك . . ومن تعليمه الكتاب والحكمة ؛ وقد جاء إلى هذه الأرض لا يعلم شيئا ، فعلمه الكتابة وعلمه كيف يحسن تصريف الأمور ، كما علمه التوراة التي جاء فوجدها في بني إسرائيل ، والإنجيل الذي آتاه إياه مصدقا لما بين يديه من التوراة . ثم من إيتائه خارق المعجزات التي لا يقدر عليها بشر إلا بإذن الله . فإذا هو يصور من الطين كهيئة الطير بإذن الله ؛ فينفخ فيها فتكون طيرا بإذن الله - لا ندري كيف لأننا لا ندري إلى اليوم كيف خلق الله الحياة ، وكيف يبث الحياة في الأحياء - وإذا هو يبرى ء المولود أعمى - بإذن الله - حيث لا يعرف الطب كيف يرد إليه البصر - ولكن الله الذي يهب البصر أصلا قادر على أن يفتح عينيه للنور - ويبرى ء الأبرص بإذن الله ، لا بدواء - والدواء وسيلة لتحقيق إذن الله في الشفاء ، وصاحب الإذن قادر على تغيير الوسيلة ، وعلى تحقيق الغاية بلا وسيلة - وإذا هو يحيي الموتى بإذن الله - وواهب الحياة أول مرة قادر على رجعها حين يشاء - ثم يذكره بنعمة الله عليه في حمايته من بني إسرائيل إذ جاءهم بهذه البينات كلها فكذبوه وزعموا أن معجزاته هذه الخارقة سحر مبين ! ذلك أنهم لم يستطيعوا إنكار وقوعها - وقد شهدتها الألوف - ولم يريدوا التسليم بدلالتها عنادا وكبرا . .وكذلك تكفل الله تعالى بحمايته منهم فلم يقتلوه - كما أرادوا ولم يصلبوه . بل توفاه الله ورفعه إليه . . كذلك يذكره بنعمة الله عليه في إلهام الحواريين أن يؤمنوا بالله وبرسوله ؛ فإذا هم ملبون مستسلمون ، يشهدونه على إيمانهم وإسلامهم أنفسهم كاملة لله:(وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي . قالوا:آمنا واشهد بأننا مسلمون). .

إنها النعم التي آتاها الله عيسى بن مريم ، لتكون له شهادة وبينة . فإذا كثرة من أتباعه تتخذ منها مادة للزيغ ؛ وتصوغ منها وحولها الأضاليل - فها هو ذا عيسى يواجه بها على مشهد من الملأ الأعلى ، ومن الناس جميعا ، ومنهم قومه الغالون فيه . . ها هو ذا يواجه بها ليسمع قومه ويروا ؛ وليكون الخزي أوجع وأفضح على مشهد من العالمين!

معجزات خاتم الأنبياء والمرسلين .. محمد بن عبد الله .. صلى الله عليه وسلم .

## معجزات مع النبات و الحيوان و الجماد

### ١. انشقاق القمر

قال تعالى:{ اقتربت الساعة وانشق القمر* وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر* وكذبوا واتبعوا أهواءهم، وكل أمر مستقر*} القمر ١-٣. كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى الأنبياء جميعا، أن يتحملوا تبعات رسالاتهم، ومن تبعات هذه الرسالات ومسؤولياتها الشاقة هو جدل

الكفار وطرحهم أسئلة تحتاج إلى أعجاز من الله سبحانه عز وجل، وكم أعطى الله عز وجل لأنبيائه من المعجزات والآيات، ومنهم موسى عليه السلام، فقد شق له البحر، وجعل عصاه ثعبانا ضخما يبطل سحر السحرة، ويزعج فرعون ومن معه، وجعل له الجبل يطير في الهواء.. وصالح الذي أتاه الناقة.. وغير ذلك.. وهنا نجد أن القرآن قد أورد كل هذه المعجزات في قصصه. ومما روي أن أهل مكة شأنهم شأن غيرهم من الأمم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية أو معجزة، فأراهم عليه السلام القمر شقين!!

قال رجل اسمه مطعم من أهل مكة: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين أو جزئين جزء على هذا الجبل، وجزء على هذا الجبل.

ترى ماذا قال الكفار عن هذه المعجزة العظيمة؟ أجعلتهم يؤمنون بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، أم يصرّون على كفرهم؟ لم يصروا على كفرهم فقط بل انهم اتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا حجتهم الواهية، قالوا: إن محمدا قد سحرنا!! ظنوا أن هذا سحر، ورفضت عقولهم الإيمان فنزل قول الله عز وجل:{ اقتربت الساعة وانشق القمر}.

## ٢.الدعاء ونزول المطر

كانت مكة بيئة صحراوية لا ماء فيها ولا أنهار وتعتمد اعتمادا كبيرا على المطر، وكذلك كانت المدينة الا أن المدينة كان بها بعض الآبار لكنها لم تكن تكفي الا لشرب الناس فقط، ومن هذه الآبار "بئر حاء" الذي اشتراه أبو طلحة الأنصاري وأعطاه هديّة للمسلمين، وذلك عندما نزلت الآية الكريمة التي تقول:{ لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبون}.

ومرت بالمدينة أيام أصاب المسلمين قحط شديد، بسبب قلة المطر، فدخل رجل المسجد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم على المنبر يخطب في الناس، فظل الرجل يمشي حتى جاء في مواجهة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقال للرسول: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع لنا الله يغيثنا.

لقد طلب الرجل من رسول الله صلى الله عليه وسلم الغوث بالدعاء الى أن ينزل الله المطر عليهم.

رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وقال: "اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا". رواه البخاري.

كان أنس بن مالك في المسجد، مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة، فقال أنس:( والله ما في السماء من سحاب ولا قزعة ولا شيء، وما بيننا جبل سلع، وهو جبل داخل المدينة، فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت، ثم أمطرت، والله ما رأينا الشمس ستة أيام) ومرت الأيام الستة وفي يوم الجمعة التالي دخل رجل آخر من الباب نفسه الذي دخل منه الرجل في الجمعة السابقة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب في الناس وفقال الرجل للرسول: يا رسول الله هلكت الأموال، وانقطعت السبل ادع الله أن يمسكها.

أي أن الأمطار، من شدتها، قطعت الطرق، وبدأت تؤذي الماشية والزرع، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال:" اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والجبال، ومنابت الشجر" تاريخ الطبري ج٣ ص ٧١، سيرة ابن هشام ج٣ ص ٣٥٥، السيرة الحلبية ج٣ ص ١٠.

والآكام التي يقصدها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث هي التلال الصغيرة المرتفعة. وما ان انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الدعاء المبارك حتى انقطع المطر وخرج الناس يمشون في الشمس.

وكانت هذه معجزة نزول المطر بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم.

### ٣.الماء ينبع من أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم الكثيرة الذي يدل على صدق نبوته ورسالته، فالإنسان يعرف دائما ويعقل أن الماء له منابع منها الآبار والأنهار، وفي هذه المعجزة يروي أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الماء كان ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قال أنس رضي الله عنه:( رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد حانت صلاة العصر، والتمس الناس الماء للوضوء، فلم يجدوه، وكان عددهم قرابة ثلاثمائة رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتي رسول الله بماء للوضوء في إناء، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في ذلك الإناء، وأمر الناس أن يتوضؤوا).

يقول أنس:(فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه، فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم) فسأل رجل أنسا راوي القصة فقال: كم كنتم يا أنس؟ قال أنس : زهاء ثلاثمائة رجل.

هذه معجزة ظاهرة، لا يستطيع بشر أن يأتي بها، وقد اختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي معجزة تدل على صدق نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، إذ شهدها الناس في مكان عام وبعدد كبير بلغ الثلاثمائة رجل تقريبا.

### ٤. بئر الحديبية وفيضان الماء

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدا مكة لزيارة بيت الله الحرام، وكان ذلك في السنة السادسة من الهجرة، وكان رسول الله لا يبغي حربا ولا قتالا ولكنه دعا المسلمين للنصرة والنجدة ودعا من حوله من قبائل الأعراب خشية أن تعترضه قريش بحرب، أو يصدوه عن البيت ، فتثاقل عنه الأعراب وقبائلهم، فخرج بمن معه من المهاجرين والأنصار، ومن لحق به من العرب ليس معهم من السلاح إلا السيوف في أغمادها وساق معه الهدي، وهو الماشية التي أراد إهداءها لمكة من النعم وأحرم بنيّة العمرة وهي الطواف والسعي بين الصفا والمروة فقط.

والفرق بين الحج والعمرة أن العمرة تجوز للإنسان في السنة كلها، بينما الحج له وقت معروف من السنة، مع زيادة بعض الأعمال.

وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بأقصى الحديبية، وهي مكان أو موضع بينه وبين مكة مسافة قريبة، سميّت مرحلة واحدة من السير.

ولما علمت قريش اعترضت على دخوله صلى الله عليه وسلم مكة ومنعته من ذلك وجاءت الأخبار تقول أن كفار قريش قتلوا الرجال الذين أرسلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للاستئذان في دخول مكة ومن بين هؤلاء عثمان بن عفان، فبايع المسلمون الرسول صلى الله عليه وسلم، عندما نادى المنادي قائلا: أيها الناس، البيعة البيعة! فثاروا إلى رسول الله، وهو تحت الشجرة فبايعوه على القتال حتى النصر، ولذلك فقد أطلق عليهم أهل بيعة الرضوان وأنزل الله فيهم قوله تعالى:{ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا} الفتح ١٨. وفي هذا اليوم العظيم يوم الحديبية، حدثت معجزة عظيمة من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كان بالحديبية بئر ماء استطاع أصحاب أهل بيعة الرضوان وكان عددهم ألفا وأربعمائة رجل، استطاعوا أن ينزحوا الماء من البئر حتى لم يبق فيها ما يملأ كأس ماء واحدة، ولذلك فقد خاف الناس العطش من قلة الماء، فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء عليه السلام، وجلس على حافة البئر، فطلب قليلا من الماء فجيء به إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فتمضمض منه، ومجّ ما تمضمض به في البئر وأصحابه ينظرون.

وما هي إلا لحظات حتى بدأ البئر يضخ الماء فيعلو ويعلو فأخذ الناس يسقون الإبل والماشية ويشربون هم ويملؤون أوانيهم بالماء، وأدوات حمل الماء عندهم، ونحن نعرف أن عددهم كان ألفاً وأربعمائة رجل، وهم من الصالحين ومن الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه عندما أطاعوا رسوله الكريم وبايعوه على التضحية بأرواحهم في سبيل دينهم ودعوة محمد صلى الله عليه وسلم. وكانت هذه معجزة وآية نبوية صادقة تدل على مكانة رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه عند ربه، لأنه رسول الله حقا وصدقا..

## ٥. انقياد الشجر له عليه السلام

جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري صحابي مشهور يعرفه المسلمون جيدا، كان صادقا وفيا لدينه ولرسوله صلى الله عليه وسلم وها نحن نسمع هذه المعجزة التي رواها جابر بن عبد الله في صحيح البخاري ومسند أحمد، ترى ماذا قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه؟

قال: سرنا مع النبي صلى اله عليه وسلم حتى نزلنا واديا واسعا رحبا، فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته، فسرت خلفه، واتتبعته بإداوة فيها ماء، أو إناء فيه ماء، فنظر عليه السلام فلم ير شيئا يستتر به وإذا شجرتان بشاطئ الوادي، فانطلق عليه الصلاة والسلام إلى أحدهما فأخذ ببعض أغصانها وقال:"انقادي عليّ بإذن الله" فانقادت معه كالبعير المخشوش ( أي الملجم بعود في عظم الأنف لينقاد به البعير) الذي يصانع قائده حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بعضا من أغصانها وقال:" انقادي عليّ بإذن الله" فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده حتى إذا كان بالمنتصف فيما بينهما لاءم بينهما، وجمع بينهما أي جمعهما، وقال عليه الصلاة والسلام:"التئما عليّ بإذن الله" فالتأمتا.

قال جابر: فخرجت أعدو بشدّة مخافة أن يحس بقربي فيبعد، فجلست أحدث نفسي فحانت مني التفاتة، فإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم مقبل وإذا الشجرتان افترقتا، وقامت كل واحدة منهما على ساق...

هذه هي احدى معجزات النبي الخارقة للعادة التي لا تكون إلا لنبي من الأنبياء عليهم السلام. فالشجرة استجابت وأطاعت أمر رسول الله، انه أمر خارق للعادة.

## ٦. حنين الجذع لرسول الله صلى الله عليه وسلم

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اعتاد حين يخطب في المسلمين أن يخطب على جذع نخلة.. وذات يوم جاءت امرأة من الأنصار وكان لها غلام يعمل نجارا.

فقالت يا رسول الله إن لي غلاما نجارا أفآمره أن يتخذ لك منبرا تخطب عليه؟ قال: بلى.

فصنع له الغلام منبرا، فلما كان يوم الجمعة وقف رسول الله يخطب على المنبر الجديد المصنوع من الخشب فسمع عليه السلام جذع النخلة يئن كما يئن الصبي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:" إن هذا بكى لما فقد من الذكر".

وجاءت رواية أخرى لهذه القصة في صحيح البخاري تقول: فصاحت النخلة (جذع النخلة) صياح الصبي ثم نزل صلى الله عليه وسلم فضمه إليه يئن أنين الصبي الذي يسكن.

قال صلى الله عليه وسلم:" كانت تبكي (النخلة) على ما كانت تسمع من الذكر عندها". إذن فحنين الجذع شوقا الى سماع الذكر وتألما لفراق الحبيب الذي كان يخطب اليه واقفا عليه وهو جماد لا روح له ولا عقل في ظاهر الأمر. هذه معجزة بكل المقاييس تخالف ما اتفق عليه أن الجماد لا يتحرّك ولا يشعر، وفي الحقيقة فإنها كائنات تسبّح بحمد الله عز وجل، وهي من الكائنات التي لا نسمع تسبيحها. بل سمعها الأنبياء بمعجزة وآية من الله عز وجل. وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد جاء بمعجزة كهذه لا يقدر عليها بشر مثله، ولم تؤت لأحد من البشر الذين هو منهم، فان ذلك دليل على صدق وعظم نبوته عليه السلام.

## ٧. سلام الشجر وتسبيح الحصى في يديه

انحصرت الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، والفاروق عمر رضي الله عنه وعثمان ذي النورين رضي الله عنه.

وفي هذه القصة المعجزة التي رواها الحافظ أبي بكر البيهقي رواه أحمد رضي الله تعالى عنهما عن سويد بن يزيد السلمي قال: سمعت أبا ذر الغفاري رضي الله عنه يقول: لا أذكر عثمان إلا بخير بعد شيء رأيته، وبيّن ذلك الخبر الذي رآه فقال:

كنت رجلا أتبع خلوات رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرأيته يوما جالسا وحده فاغتنمت خلوته فجئت حتى جلست إليه، فجاء أبو بكر فسلم عليه ثم جلس عن يمين رسول الله، فجاء عمر وجلس عن يمين أبي بكر، ثم جاء عثمان فجلس عن يمين عمر، وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع حصيات فأخذهن في كفه فسبّحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين جذع النخل، ثم وضعهن فخرسن أي سكتن، ثم أخذهن فوضعهن في كف أبي بكر فسبّحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النخل، ثم وضعهن فخرسن، ثم تناولهن فوضعهن في يد عمر فسبّحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين جذع النخل، ثم وضعهن فخرسن، ثم تناولهن فوضعهن في يد عثمان فسبّحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النخل، ثم وضعهن فخرسن، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:" هذه خلافة النبوة".

فهذه معجزة عظيمة من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ذات شقين أولهما: أن الحصى يسبّح في أيدي الخلفاء الراشدين. والثاني أن الخلافة فعلا انحصرت في أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وذي النورين عثمان ووصلت إلى علي رضي الله عنهم.

## ٨. شكوى البعير للرسول صلى الله عليه وسلم

كان الأنصار في المدينة يستخرجون الماء من البئر بواسطة الإبل فانظر إلى هذه القصة التي يرويها أنس بن مالك رضي الله عنه فقال: كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يستخرجون الماء من البئر عليه، انه استصعب عليهم فمنعهم من استخدامه أي منعهم من استخدامه في هذا العمل. فجاء الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: انه كان لنا جمل نستخرج عليه الماء من البئر، وانه استصعب علينا وعصانا ومنعنا أن نكلفه بهذا العمل وقد عطش الزرع والنخيل. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه:"قوموا" فقاموا فدخل البستان الذي فيه البعير أو المكان المحاط بالجدران الذي يأوي إليه البعير في وقت راحته، وكان الجمل في ناحية، فمشى النبي صلى الله عليه وسلم نحوه، فقال الأنصار: انه صار مثل الذي به داء الكلب، أي أنه مسعور، وإنا نخاف صولته عليك يا رسول الله.

فقال عليه الصلاة والسلام:"ليس عليّ منه بأس" أي أني لا أخاف منه، فلما نظر الجمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أقبل نحوه حتى خرّ ساجدا بين يديه، فأخذ رسول الله بناصيته أذل ما كانت قط حتى أدخله في العمل. فقال له أصحابه: يا رسول الله هذه بهيمة لا تعقل، تسجد لك ونحن أحق أن نسجد لك فقال صلى الله عليه وسلم:" لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها".

وجاءت قصة أخرى في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل يوما مع بعض أصحابه حائطا من حيطان الأنصار، فإذا جمل قد أتاه فجرجر وذرفت عيناه، فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم سراته وظفراه فسكن وهدأ. فقال صلى الله عليه وسلم:" من صاحب الجمل؟" فجاء فتى من الأنصار قال: هو لي يا رسول الله. فقال له عليه الصلاة والسلام:" أما تتقي الله في هذه البهيمة التي ملّكها الله لك؟ انه شكا إليّ أنك تجيعه وتدئبه". أي أنك تواصل عليه العمل ليل نهار دون انقطاع.

هكذا كانت معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنها آية من آيات النبوة ومعجزة من عظيم معجزاتها التي تثبت كل يوم وفي كل زمان أن رسالة محمد حق وأنه رسول الله صدقا وحقا.

## الصخرة و الفتح العظيم

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: عرضت لنا ونحن نقوم بحفر الخندق صخرة لا تأخذ فيها المعاول، فاشتكينا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء وأخذ المعول من سلمان الفارسي رضي الله عنه، وقال:{ بسم الله} ثم ضربها فنثر ثلثها. وخرج نور أضاء بين لابتي المدينة. فقال:" الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني الساعة". ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر. فبرقت برقة من جهة فارس أضاءت ما بين لابيتها فقال:" الله أكبر.. أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض من مكاني هذا، أي مدائن كسرى، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليهم فأبشروا بالنصر". ثم ضرب الثالثة، وقال:" بسم الله" قطعت بقية الصخرة وخرج نور من جهة اليمن أضاء ما بين لابتي المدينة حتى كأنه مصباح في جوف ليل مظلم فقال:" الله أكبر.. أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة".

## ٩. أعطيت مفاتيح الشام

تحدث الرسول صلى الله عليه وسلم عن معجزات ستحدث بعد سنوات طويلة من وفاته صلى الله عليه وسلم، ولأنه كان آخر رسول، وخاتم الأنبياء فان معجزاته تتجدد مع الزمن.

ماذا حدث بعد أن قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ هذا ما سنعرفه بعد أن نحدد تاريخ حديثه هذا عن فتح الشام، فقد قال كلمته هذه في السنة الخامسة للهجرة. في هذا الزمن بالتحديد كانت القوة في العالم يملكها فريقان هما : الفرس والروم، والروم في الغرب والفرس في الشرق، وكان الروم يحتلون بلاد الشام وما فوقها، أما الفرس فمكانهم في إيران وأجزاء من العراق، وقد وقع بينهما معارك كبرى، تمنى المسلمون أن ينتصر فيها الروم على الفرس لأن الفرس كانوا وثنيين يعبدون الشمس والأصنام والنار وغير ذلك، أما الروم فكانوا أهل كتاب فهم نصارى يدينون بدين المسيحية. وجاءت الأنباء على غير ما يهوى المسلمون، فقد غلب الفرس الروم وحزن المسلمون حزنا شديدا ونزل القرآن الكريم بمعجزة تنبأت بانتصار الروم بعد بضع سنين، وأخبرهم في الوقت نفسه بخب هزيمة الروم فقال عز وجل: { الم* غلبت الروم* في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون}. الروم ١-٣.

من الذي يستطيع أن يتنبأ بنتيجة حرب ستقع بعد تسع سنوات؟ وما الذي كان يضمن أنه خلال هذه السنوات التسع لن يحدث صلح بين الروم والفرس، فلا تقع بينهما حرب، أو تقع الحرب مرة أخرى ويهزم الروم أيضا؟ والتاريخ يقول لنا أن الروم قد هزمت مرتين، ولكن الله تعالى هو عالم بالغيب، فبعد تسع سنين غلب الروم الفرس ألد أعدائهم وأقوى قوة على وجه الأرض معهم. ولكي يفتح المسلمون الشام عليهم أن يهزموا الروم، ولذلك فقد أيد الله المسلمين بنصره يوم اليرموك بعد عشرات السنين من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أعطيت مفاتيح الشام"، وبعد سنوات بعيدة من وفاته وخروجه من الدنيا، ترى ماذا حدث يوم اليرموك؟

## ١٠. تجهيز الجيوش للشام

بعد الانتهاء من حروب الردة، وتسيير خالد بن الوليد من اليمامة إلى العراق في سنة ١٣ للهجرة، جهز الصديّق الجيوش إلى الشام، فبعث عمرو بن العاص إلى فلسطين، وسيّر يزيد بن أبي سفيان إلى الشام، وأبا عبيدة بن الجرّاح، وشرحبيل بن حسنة، آمرا إياهم أن يتجهوا إلى الشام عن طريق تبوك البلقاء حتى بلاد الشام. الكامل في التاريخ ج٢ ص ٢٧٦.

وكان عدد كل لواء من هذه الألوية الأربعة ثلاثة آلاف، ثم توالت النجدات فيما بعد وجعل أبو بكر الصديق لكل منهم ولاية يتولاها، فصار عمرو بن العاص واليا على فلسطين، ويزيد واليا على دمشق، وعمر بن العاص واليا على حمص، وشرحبيل بن حسنة واليا على الأردن. بلغ هذا الأمر هرقل ملك الروم، وأراد أن يحارب الأمراء كل واحد على حدة حتى يهزمهم واحداً واحدا ولكن عمرا تنبّه لذلك. لقد وجد أمامه جيشا روميا يبلغ التسعين ألفا من الجنود، فأرسل وإخوانه الأمراء إلى أبي بكر أمير المؤمنين في المدينة فأرسل أبو بكر رسالة إلى خالد بن الوليد، وقال للمسلمين في المدينة كلمته المشهورة عن خالد:( والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد).

وكتب أبو بكر الصديق لخالد بن الوليد وقال له:( سر حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك) ففعل خالد ذلك سريعا وعبر الجبال بجيش المسلمين ليصل المدد مبكرا لإخوانه في الشام ولما وصل خالد إلى الشام، فرح المسلمون به، وزاد جدهم ويقينهم بالنصر، واشتد غب الروم بمجيئه، حتى اهتز ملكهم هرقل وقال عندما علم بمجيء خالد: ألم أقل لكم لا تقاتلوهم لا طاقة بكم على هؤلاء. غضب أصحاب هرقل وقالوا له: قاتل ولا تخف الناس، واقض الذي عليك. وأصبح الجو مهيئا للقتال، وقال قادة جيش الروم لملكهم هرقل: لقد أتتك العرب وجمعت لك جموعا عظيمة، وهم يزعمون أن نبيهم محمدا، أخبرهم أنهم سينتصرون على أهل هذه البلاد، ولقد جاءوك بأبنائهم ونسائهم تصديقا لمقالة نبيهم. وبث الله فيهم الرعب حتى أنهم أشاعوا أن خالدا في يده سيف منزل من السماء، أعطاه له رسول الله، فلا يقاتل به قوما إلا انتصر عليهم. واستعد الطرفان للمعركة الروم في حيرة وارتباك ورعب مما يسمعون، والمسلمون على يقين وثقة من نصر الله لهم لأنهم يتذكرون ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم:" أعطيت مفاتيح الشام".

بلغ عدد جيش الروم مائتين وأربعين ألف مقاتل، منهم ثمانون ألفا مقيدين بالسلاسل كي لا يفروا أثناء المعركة، والمسلمون: سبعة وعشرون ألفا وجاء خالد بتسعة آلاف ليبلغوا ستة وثلاثين ألفا تقريبا.

ووقف خالد بن الوليد بين الجنود يقول لهم: ( إن هذا يوم من أيام الله، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي، أخلصوا جهادكم، وأريدوا الله بعملكم، فان هذا يوم له ما بعده).

وأرسل هرقل جاسوسا من رجاله يستطلع أحوال المسلمين فعاد إليه قائلا: هم بالليل رهبان، وبالنهار فرسان، ولو سرق ابن ملكهم لقطعوا يده، ولو زنى لرجم، لإقامة الحق فيهم.

فقال القائد: لئن كنت صادقا، لبطن الأرض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها، ولوددت أن حظي من الله أن يخلي بيننا وبينهم، فلا ينصرني عليهم، ولا ينصرهم علي.

وقسم خالد جيشه كتائب سميت كراديس، كل كردوس مجموعة ضخمة من الرجال والخيل، لكي يحارب الروم على شكل موجات هائلة لا تنتهي. وقسم خالد بن الوليد الكراديس إلى ثلاثة أقسام هي:

القلب: وكان قائده أبو عبيدة بن الجراح وعدده ثمانية عشر كردوسا وعلى كل كردوس أمير.
الميمنة: وكان قائدها عمرو بن العاص ومعه أحد عشر كردوسا وعلى كل كردوس قائد أو أمير.
الميسرة: وكان قائدها يزيد بن أبي سفيان ومعه تسعة كراديس وعلى كل كردوس أمير. وأمر خالد المقداد بن عمرو أن يقرأ على المسلمين سورة الأنفال لأن بها آيات الجهاد، فبدأ يقرأ ويمر بين صفوف المسلمين المتراصّة الصامتة والتي تستمع إلى قول الله تعالى بإيمان شديد.

وقد شهد اليرموك ألفا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم نحو مئة من أهل بدر، وكان أبو سفيان يسير فيقف على الكراديس، فيقول: الله.. الله.. إنكم زادة العرب وأنصار الإسلام، وإنهم زادة الروم وأنصار الشرك والكفر، اللهم إن هذا يوم من أيامك، اللهم أنزل نصرك على عبادك.

وبينما كان خالد يرتب ويفتش بين الجنود سمع رجلا من المسلمين يقول: ما أكثر الروم وأقل المسلمين. فقال خالد على الفور: (بل ما أقل الروم وأكثر المسلمين، إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال).

هكذا بث فيهم خالد روح القتال والجهاد وجعل الخوف والقلق يتسرّب إلى قلوب أعدائه من الروم. ونشب القتال بين المسلمين والروم، والتحم الناس، وتطارد الفرسان، وبينما هم على ذلك اذ قدم البريد من المدينة المنوّرة، فسألوه الخبر فلم يخبرهم إلا بخير، وأخبرهم عن مدد قادم ولكن البريد جاء بخبر وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في يوم الاثنين ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣ هجرية وتأمير أبي عبيدة قائدا على جيش المسلمين، فأبلغ الأمر خالدا، وأخبره بوفاة أبي بكر، وأخبره بأن الجند لم تخبر بعد، فقال خالد ( أحسنت فقف) وأخذ الكتاب وجعله مخفيا حتى لا يشعر به الجنود، فيصيبهم قلق. كان القتال عنيفا، وظل على هذه الحال حتى تضعضع الروم وسارع خالد بقلب الجيش، حتى كان بين خيلهم وجنودهم وكان جنود الروم لا يدري ما العمل، فمكان القتال واسع للمطاردة، ضيق في الهروب، وهربت خيلهم في الصحراء، وتفرّقت في البلاد، بينما قضى خالد وجنوده على جنودهم الذين هربوا وتراجعوا إلى خنادقهم، ولكن خالد لم يتركهم فاقتحم عليهم خنادقهم، وبايع عكرمة بن أبي جهل على الموت مع أربعمائة فارس منهم ضرار بن الأزور وقاتلوا وقتل منهم رجال فاستشهدوا وجرح آخرون، وانتهت المعركة بالنصر والاستشهاد لثلاثة آلاف من المسلمين منهم عكرمة وابنه وغيرهم. وفتحت الشام، وتحققت المعجزة النبوية الشريفة التي جاءت على لسانه عليه الصلاة والسلام:" أوتيت مفاتيح الشام" وأبصر المسلمون قصورها الحمر كما أبصرها الرسول عند الصخرة، أما مفاتيح فارس فلنذهب إليها.

## ١١. مفاتيح فارس

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض من مكاني هذا، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليهم فأبشروا بالنصر". أطلقت هذه المعجزة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة الخامسة من الهجرة، وتحققت في سنة ستة عشر للهجرة، أي بعد احدى عشر سنة من قولها عليه السلام، ولكن كيف حدثت المعجزة

العظيمة وهي دخول جيش المسلمين عاصمة أكبر قوة في العالم وقتها مع الروم الذين هزموا في اليرموك بالشام، إنها المدائن عاصمة كسرى ملك الفرس، وما كان أحد يظن أن يعبر المسلمون أنهارا لكي يفتحوا المدائن، ولكن عقيدة المسلمين كانت متأكدة من ذلك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إن أمتي ظاهرة عليهم" وبشرهم بالنصر قائلا:" فأبشروا بالنصر".

وبدأت إرهاصات تحقيق هذه المعجزة بعد فتح سعد بن أبي وقاص بلدا يقال لها بهرسير بالقرب من بغداد، وبعد أن دخل سعد بن أبي وقاص بهرسير طلب السفن ليعبر بالناس إلى المدائن، فلم يقدر على شيء، ووجدهم قد ضموا السفن، فأقام ببهرسير أياما، حتى جاءه رجال من كفار الفرس، فدلوه على مخاضة يعبر من خلالها النهر ولكنه أبى وتردد في ذلك.

ورأى سعد بن أبي وقاص رؤيا أن خيول المسلمين اقتحمتها، فعبرت، فعزم على العبور لتأويل رؤياه، وجمع الناس وخطب فيهم فقال لهم بعد أن حمد الله وأثنى عليه: إن عدوكم قد اعتصم منكم في البحر، فلا تخلصون إليه، وهم يصلون إليكم إذا شاءوا، فيناوشونكم في سفنهم، وليس وراءكم شيء تخافون منه، وقد رأيت من الرأي أن تبادروا جهاد العدو بنيتكم قبل أن تحصركم الدنيا، ألا إني قد عزمت على قطع وعبور هذا البحر إليهم. فقالوا جميعا: نعبر معك فافعل ما شئت. فدعا الناس للعبور ثم قال: من يبدأ منكم ويحمي لنا الشاطئ لكي لا يمنعونا من العبور؟ فخف اليه وأسرع عاصم بن عمرو وهو بطل من أبطال المسلمين وجاء وراءه ستمائة رجل من أهل النجدات، فجعل عليهم عاصم أميرا، فسار بهم حتى وقف على شاطئ دجلة.

وعندئذ قال سعد: من يجيء معي لنمنع الشاطئ ونحميه من عدوكم ونحميكم حتى تعبروا؟

فخف إليه أسرع ستون بطلا، فتقدمهم سعد إلى حافة النهر وهو يقول باسما لمن تردد حوله: أتخافون؟! ثم تلا قول الله عز وجل:{ وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا}آل عمران ١٤٥.

ثم رفع سعد بن أبي وقاص فرسه فاقتحم النهر، واقتحم إخوانه معه. فلما رآهم الفرس وما صنعوا، جهزوا للخيل التي تقدمت خيلا مثلها، واقتحموا عليهم دجلة، ثم اقتربوا من عاصم بعدما اقترب من شاطئهم؛ فقال عاصم لأصحابه: الرماح الرماح! أشرعوها، واضربوهم من عيونهم، فطعن المسلمون الفرس في أعينهم، فمن لم يقتل منهم أصيب في عينيه، وتزلزلت بهم خيولهم، حتى فرّت عن الشاطئ. وصعد الستون على الشاطئ الآخر شاطئ الفرس وتلاحق خلفهم بقية الستمائة من كتيبة عاصم بن عمرو. ولما رأى سعد بن أبي وقاص أن عاصما على الشاطئ قد حماها ومنع الناس من أذى الفرس أذن للناس في اقتحام النهر وقال: قولوا: نستعين بالله ونتوكل عليه؛ حسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وتلاحق معظم الجند، وركبوا الموج، وقد هاج النهر وماج والناس يتحدثون وهم عائمون على الخيل لا يكترثون ولا يهتمون بشيء، كما يتحدثون ويتسامرون في مسيرهم على الأرض وكان سعد بن أبي وقاص وراءهم يسايره في الماء سلمان الفارسي، فعامت بهم الخيل، وسعد يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل! والله لينصرن وليه، وليظهرن دينه، وليهزمن عدوه.

هذه الكلمات التي قالها الرسول في بشراه المعجزة بأنه أعطي مفاتيح فارس.

ومضى سعد يقول وهو في الماء: وليهزمن الله عدوه، إن لم يكن في الجيش بغي أو ذنوب تغلب الحسنات.

فقال له سلمان الفارسي: ذللت لهم والله البحور كما ذلل لهم البر، أما والذي نفس سلمان بيده ليخرجن منه أفواجا كما دخلوه أفواجا. وملأ فرسان المسلمين نهر دجلة خيلا ورجالا حتى ما يرى الماء من الشاطئ أحد، ثم خرجوا من الماء، والخيل تنفض أعرافها صاهلة بالنصر، فلما رأى الفرس ذلك انطلقوا لا ينظرون خلفهم فرارا من المسلمين، وظل المسلمون يطاردونهم حتى وصلوا الى القصر الأبيض في المدائن، وهو قصر ملكهم، وقد وجدوا فيه قوما وجنودا قد تحصنوا يريدون القتال فعرض عليهم المسلمين ثلاثة حلول، يختارون منها أيها شاءوا قالوا: وما هن؟ فقال لهم المسلمون:

١. الإسلام، فان أسلمتم فلكم ما لنا وعليكم ما علينا.

٢. الجزية.

٣. وان أبيتم فالحرب والقتال.

فقالوا لا حاجة لنا في الأولى ولا في الآخرة ولكن الوسطى وهي الجزية.

ودخل سعد بن أبي وقاص المدائن، عاصمة كسرى والفرس وآخر معاقلهم، وانتهى به الأمر إلى إيوان كسرى ونظر سعد لضخامته وما فيه من فرش ومجوهرات، وأقبل ينظر في محتويات الإيوان والقصر وهو يقرأ قول الله تعالى: {كم تركوا من جنات وعيون* وزروع ومقام كريم* ونعمة كانوا فيها فاكهين* كذلك وأورثناها قوما آخرين} الدخان ٢٥-٢٨.

وصلى سعد في القصر صلاة الصبح ثماني ركعات، لم يفصل بينهن، واتخذ الإيوان مسجدا وجعله مصلى للمسلمين، وكان فيه تماثيل من الجص، ولم يلقها المسلمون، وتركوها على حالها، وأتم الصلاة في المدائن، إذ نوى سعد الإقامة بها، وكانت أول جمعة له فيها في صفر سنة ست عشرة. وتحقق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعجزته التي قال فيها:" الله أكبر.. أعطيت مفاتيح فارس والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض من مكاني هذا"، وتحققت المعجزة.

أما صنعاء..

## ١٢. أعطيت مفاتيح اليمن

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" الله أكبر.. أعطيت مفاتيح اليمن والله اني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا".

رأى الرسول عليه الصلاة والسلام في ضربته الثالثة أبواب صنعاء من الخندق في المدينة، وكانت معجزة تحققت في سنة ١١ هجرية بعد ست سنوات من قول الرسول. ولكن كيف تحققت المعجزة؟ هذا ما سنراه في يوم صنعاء.

كانت صنعاء عاصمة اليمن، يحكمها رجل يقال له قيس بن عبد يغوث ويحتلها الفرس.

وكان "بآذان" أميرا من قبل الفرس على اليمن، ولكنه لما أسلم أسلمت اليمن أقره الرسول صلى الله عليه وسلم على إمارة اليمن حتى مات، فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل ابنه شهرا واليا على صنعاء، وجعل معاذ بن جبل معلما ينتقل من كل ولاية من هذه الولايات بعد أن جعل لكل واحدة منها واليا.

وحدث قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أن قام رجل من قبيلة عنس بن قحطان، اسمه الأسود العنسي، وكان كاهنا، فتنبأ، وقال: إنني أنا نبي، وتابعه قوم من أعراب اليمن، فقوي واشتد بهم ساعده، واقتحم بهم بلاد نجران في الجزيرة العربية، وأصبحت نجران تحت قيادته، ودخل في جماعته قبيلة من كهلان تسمى مذحج، وكثر ماله، واشتد أمره، ثم قصد صنعاء في اليمن، فقاتل أميرها شهرا كاملا فقتله، وهزم قوما من العجم كانوا فيها يسمون الأبناء، ثم تزوج بامرأة شهر بن بآذان، وجعل أمره يشتهر بين الناس شهرة عظيمة، وصار لا يصل إلى قوم إلا انضموا إليه خوفا منه على أنفسهم وأولادهم. وكتب آمر الولايات للرسول صلى الله عليه وسلم بشأن الأسود العنسي وما يصنع بالناس هناك، فأرسل عليه الصلاة والسلام كتابا إلى من بصنعاء، يأمرهم فيه بالقيم على دينهم، والتمسك به، والنهوض إلى الحرب، ومواجهة الأسود العنسي بكل الطرق كي يتخلصوا من شروره. عمل القوم بأمر رسول الله، ولكنهم وجدوا أن الأمر صعب عليهم، لأن الأسود العنسي قوي ولديه جنود يبطشون بالناس. وبينما هم على هذه الحال علموا أن الأسود العنسي قد تغير على قائد جيشه وهو قيس بن عبد يغوث، وأضمر له الشر، ولكن قيسا دافع عن نفسه أمامه وقال له: أنت أعظم من نفسي وأجل عندي من أن أحدث نفسي بك، فعفا عنه وقال له: قبلت توبتك.

انتهز الأبناء من أتباع المسلمين الفرصة ودعوا قيس للفتك به فلبّى ووافق، وذهبوا إلى زوجته التي تزوجها بعد قتل زوجها شهر بن بآذان، فتعاونت معهم وقالت: والله ما خلق الله شخصا أبغض إليّ منه، ما يقوم لله على حق ويظلم الناس، فإذا عزمتهم فأعلموني الخبر. ولما جاء كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، ووصل كتابه إلى أهل نجران، فتجمعوا وأرادوا قتال الأسود العنسي، ولكنهم فوجئوا بقتله في قصره بمساعدة زوجته، وما أن طلع الفجر حتى أعلنوا أمرهم، وفرّ أصحابه، وجعلوا يترددون بين صنعاء ونجران، وذهب الخبر إلى المدينة، وقد توفي رسول الله، ورغم أن قيس بن عبد يغوث رشيس جند الأسود العنسي ساهم في قتله، إلا أنه عاد إلى الارتداد عن الإسلام، وجمع جنود الأسود العنسي الهاربين، وأراد أن يقتل رؤساء الأبناء المسلمين، ولكنه لم يستطع، وسيطر على صنعاء، وطرد من هم أتباع المسلمين من العجم. وانضمت إليه عوام القبائل من منطقة حمير، واطمأن بصنعاء كما كان الأسود العنسي مطمئنا بها. ولكن الأبناء من العجم المسلمين، استنهضوا أنفسهم، والقبائل التي بقيت على الإسلام، وخرج فيروز على رأسهم، فحارب قيسا عند صنعاء وأجلاه عنها، وخرج هاربا في جنده حتى وصل إلى المكان الذي قتل فيه الأسود العنسي، وجاء جيش المسلمين من المدينة بقيادة المهاجر بن أمية، وخلفه عكرمة بن أبي جهل بجيشه أيضا وهزم الله المرتدين، وأسر قيس وعمرو بن معد يكرب وأخذهما المسلمين إلى المدينة فتابا وعفا عنهما أبو بكر وعادا إلى قومهما مؤمنين، وأعطى الله مفاتيح اليمن للمسلمين وتحققت المعجزة التي نبأ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

## معجزات الطعام و الشراب

### ١٣. قدح اللبن وأبوهريرة

كان أبوهريرة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من أهل الصقّة وهم فقراء ليس لهم مال ولا أهل ولاجاه، ويحكي أبو هريرة هذه المعجزة فيقول: والله إني كنت أشعر بالجوع الشديد، وكنت أضع الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدت يوما على طريقهم الذي يخرجون منه فمرّ أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله عز وجل، وما سألته إلا ليطلب مني أن أتبعه إلى داره فيطعمني، فلم يفعل أبو بكر، فمرّ عمر رضي الله عنه فسألته عن آية من كتاب الله تعالى وما سألته إلا ليطلب مني أن أتبعه إلى داره فيطعمني، فلم يفعل، ومرّ الرسول عليه الصلاة والسلام، فعرف ما في وجهي، وتبين له ما في نفسي فقال:" يا أبا هريرة" قلت: لبيك يا رسول الله فقال:" الحق" فلحقت به وعند داره استأذنت فأذن فوجدت لبنا في قدح، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: من أين لكم هذا اللبن؟

فقالوا: أهداه لنا فلان أو آل فلان، قال الرسول ينادي أبا هريرة: "أبا هرّ". قلت لبيك يا رسول الله. قال:"انطلق إلى أهل الصفة فادعهم لي".

فقال أبو هريرة: وأهل الصفة هم أضياف الإسلام لم يأووا إلى أهل، ولا مال، فإذا جاءت هدية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ منها وبعث إليهم منها، وأحزنني ذلك وكنت أرجو أن أشرب من اللبن على الفور شربة أتقوى بها بقية يومي وليلتي، وقلت: أنا الرسول المرسل إليهم من الرسول صلى الله عليه وسلم فإذا جاء القوم كنت أنا الذي أعطيهم، وقلت ما يبقى من هذا اللبن بعد أن يشربوا معظمه إن لم يكن كله؟

هكذا كان الجوع يتملك من أبي هريرة حتى انه خشي أن لا يجد من قدح اللبن هذا ما يكفيه شربة واحدة إذ سيشاركه فيه أهل الصفة وهو عدد لا بأس به.

قال أبو هريرة: ولم يكن أمامي شيء غير طاعة الله ورسوله، فانطلقت إلى أهل الصقّة فدعوتهم فأقبلوا واستأذنوا فأخذوا مجالسهم من البيت، بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" يا أبا هريرة خذ قدح اللبن فأعطهم" فأخذت القدح فجعلت أعطيهم فيأخذ الرجل القدح فيشرب حتى يروى، ثم يرد القدح بعد أن يروى حتى وصلت إلى آخرهم، ثم توجهت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفعت إليه فأخذ قدح اللبن بيده وقد بقي قليل من فضلة، ثم رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه ونظر إلى أبي هريرة وابتسم، وقال: "أبا هريرة". فقال أبوهريرة: لبيك يا رسول الله. قال عليه الصلاة والسلام: "بقيت أنا وأنت". فقال أبو هريرة: صدقت يا رسول الله. قال عليه الصلاة والسلام:"فاقعد واشرب". جلس أبو هريرة وأمسك بقدح اللبن، فشرب، ولما رفع أبو هريرة القدح عن فمه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم:"اشرب" فيشرب أبو هريرة وكلما رفع القدح أعاده له رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا:" اشرب" وظل يقول له:" اشرب اشرب" حتى ارتوى أبو هريرة رضي الله عنه تماما وذهب عن نفسه الجوع الذي أصابه بألم شديد في أمعائه وقال له رسول الله صلى الله غليه وسلم:" اشرب يا أبا هريرة" فقال أبو هريرة: لا والذي بعثك بالحق ما أجد له فيّ مسلكا، قال:" ناولوني القدح". فأعطى أبو هريرة القدح لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي آية النبوة المحمدية، إذ أن قدحا من اللبن لا يكاد يروي رجلا أو غلاما صغيرا، أصبح في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يروي جماعة من الناس كلهم أصابهم الجوع.

إنها معجزة من معجزاته صلى الله عليه وسلم، ثم يأتي الأدب النبوي فينتظر صلواته وسلامه عليه أن يشرب الجميع فيشرب هو من القدح.

## ١٤. إناء السمن يمتلئ بعد فراغه

كان أنس بن مالك خادما مطيعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت أمه أم سليم رضوان الله عليها صحابية قريبة من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم تأخذ منه الطعام ان كان في وفرة وان توفر لها ترسل هذا الطعام إلى بيت رسول الله.

ويحكي أنس بن مالك قصة بل هي معجزة حسية رآها بنفسه فقال: كانت لأمي أم سليم شاة فظلت تحلبها وتجمع منها السمن حتى جمعت من سمنها عكة أو إناء فملأت الإناء ثم بعثت به ربيبة لها أو خادمة فقالت: يا ربيبة اذهبي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الإناء أو هذه العكة يأكل منها، فانطلقت بها ربيبة حتى أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله هذه العكة أو هذا الإناء مليء بالسمن بعثت بها إليك أم سليم. فقال عليه الصلاة والسلام: "افرغوا لها عكتها" أي أفرغوا هذا الإناء، فأفرغت العكة من السمن، وأعيدت إلى ربيبة فارغة فانطلقت بها عائدة إلى دار أم سليم ولم تكن أم سليم في دارها، فعلقت ربيبة الإناء أو العكة في وتد في الحائط ولما جاءت أم سليم وجدت العكة أو الإناء قد امتلأت إلى آخرها وبدأت تقطر بالسمن الذي فاض منها فقالت أم سليم: يا ربيبة أليس أمرتك أن تنطلقي بها إلى رسول الله؟ ألم أقل لك اذهبي بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

قالت ربيبة: بلى فعلت وان لم تصدّقيني فسلي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

استغربت أم سليم الأمر، واصطحبت ربيبة معها وانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يجلس، ولما بلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: يا رسول الله إني بعثت مع ربيبة عكة مملوءة بالسمن فهل جاءت بها؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على الفور:" قد فعلت قد جاءت".

قالت أم سليم: والذي بعثك بالحق، ودين الحق إنها ممتلئة بالسمن والسمن يقطر منها. فقال أنس بن مالك صاحب الرواية: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" يا أم سليم أتعجبين إن كان الله أطعمك كما أطعمت نبيه، كلي وأطعمي".

عادت أم سليم إلى دارها، فقسّمت الإناء حتى لا يقطر سمنا وتركت فيه ما أكل منه دارها شهرا أو شهرين.

وهذه معجزة أخرى من المعجزات المحمدية، لأنها لم تحدث للبشر كما حدثت لرسول الله صلى الله عليه وسلم. الإناء يمتلئ سمنا بعد إفراغه ويبارك الله فيه.

## ١٥. الطعام القليل يشبع الكثير من الناس

كان أبو طلحة الأنصاري من أكثر الصحابة حظا في إسلامه، فتزوج مسلمة سبقته في الإسلام، ودعته للزواج منها وكان مهر أم سليم من أغلى المهور لو علم الناس قيمته، إذ أنه تقدم للزواج من أم سليم ولم يدخل الإسلام بعد، فقالت أم سليم: مهري إسلامك، أي دخولك في الإسلام. وأسلم أبو طلحة ودخل الإسلام وحسن إسلامه وتزوج أم سليم وأحسن معاشرتها ومعاملتها فعاشا في هناء في ظل ازدهار دعوة الحق في المدينة، ويروي أنس بن مالك رضي الله عنه قصة جميلة هي بحق معجزة من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم.

قال أنس: قال أبو طلحة لأم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا أعرف فيه الجوع، فهل عندك شيء؟ لقد أحس أبو طلحة أن الرسول صلى الله عليه وسلم جائع وعرف ذلك من صوته.

قالت أم سليم: نعم. وبدأت تعد أقراصا من خبز الشعير ثم لفت الخبز ساخنا في خمار لها، لعد أم لفت الخبز ببعضه ثم أعطت أم سليم الخبز لأنس خادم النبي صلى الله عليه وسلم وأرسلته به إلى النبي عليه الصلاة والسلام. ذهب أنس بن مالك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ومعه الناس، فلما دخل أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسلك أبو طلحة؟ فقال أنس: نعم يا رسول الله.

فقال عليه السلام لمن معه من الناس:" قوموا" وانطلق رسول الله مع أصحابه الى دار أبي طلحة الأنصاري، فلما رآهم أبو طلحة قال: يا أم سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليس عندنا ما نطعمهم فقالت: الله ورسوله أعلم، فلما أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" هلمّ يا أم سليم ما عندك؟" فأتت بذلك الخبز، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفتت الخبز، ففتت أم سليم الخبز في عكة ووضعت عليه السمن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء أن يقول ثم قال: "ائذن لعشرة" أي عشرة رجال. فأذن لعشرة من الرجال فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا. ثم قال:" ائذن لعشرة". فأذن لعشرة من الرجال فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا. ثم قال:" ائذن لعشرة". فأذن لعشرة من الرجال فأكلوا حتى شبعوا، وظل على هذه الحال حتى أكل القوم جميعا، وكانوا سبعين أو ثمانين رجلا.

أليست هذه معجزة عظيمة من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم؟

بلى وربي إنها معجزة عظيمة بحق، فمن عدد قليل من الخبز يطعم ثمانون رجلا ويشبع كل واحد منهم شبعا كاملا، هكذا كانت معجزات النبي صلى الله عليه وسلم واحدة تلو الأخرى. من حديث أنس في صحيح البخاري.

## ١٦. كثرة الطعام

تكررت وتعددت معجزات تكثير الطعام والشراب، فبلغت عشرات المرات، في ظروف مختلفة ومواقف مختلفة، ومناسبات عديدة لكل مناسبة وقتها وظروفها. ومما روى أبو هريرة عن شيء من هذه المعجزات، ما حدث في تبوك، وغزوة تبوك كلنا يعرف أنها كانت مشقة وعسرة، فقد خرج

الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون في جو شديد الحر، ومشوا في طريق وعر بين الجبال والصخور، حتى انه صلوات الله وسلامه عليه كان لا يجد ما يكفي من الإبل ما يحمل عليه رجاله وجنوده، ورغم تبرّع عثمان بن عفان وأهل الخير والكرم من المسلمين إلا أن ذخيرة الجيش الإسلامي وزاده من الطعام كانت قليلة لأبعد حد يتخيّله الإنسان.

فقد قال أبو هريرة: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها (وهي غزوة تبوك) فنفذ زاد المسلمين واحتاجوا إلى الطعام، ولم يكن أمامهم سوى الإبل والجمال التي يركبوها، فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في نحر الإبل وذبحها ليأكلوا منها، فأذن لهم صلى الله عليه وسلم، لما وجدهم في حاجة شديدة إلى الطعام.

وقد بلغ هذا الخبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاعترض على هذا الأمر لما فيه من أذى للمسلمين ولعلمه بوعورة الطريق وبعده عن المدينة مما يجعل العودة شاقة بل مستحيلة وتعرّض المسلمين وحياتهم للخطر لو قطعوا هذه المسافة مشيا على الأقدام بعد قتال وجهاد ضد الكفار في تبوك.

فجاء عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إبلهم التي تحملهم وتبلغهم عدوهم ينحرونها؟

أي أن هذا الأمر يحتاج إلى إعادة النظر، ووضع عمر رضي الله عنه حلا أمام رسول الله وقال: ادع الله على بقايا الطعام، ادع الله عز وجل فيها بالبركة.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أجل يا عمر" ودعا ببقايا الطعام فجاء الناس بما بقي معهم فجمعت ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه أن يبارك فيها ودعاهم بأوعيتهم فملأوها بزاد وطعام كثير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أني عبد الله ورسوله ومن لقي الله عز وجل بها غير شاك دخل الجنة".

وهكذا كانت معجزات تكثير الطعام متوالية تأتي متكررة في مناسبات عدة.

## ١٧. نعجة أم معبد

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا من مكة إلى المدينة، بعدما أذن الله سبحانه وتعالى له بالهجرة، فلما قال الرسول لأبي بكر رضي الله عنه في داره:" إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة" قال أبو بكر ( الصحبة يا رسول الله) فقال عليه الصلاة والسلام:" الصحبة" خرج الرسول من خوخة في بيت أبي بكر إلى أن وصلا غار ثور وأمر أبو بكر ابنه عبد الله أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهارا ثم يأتيهما مساء بما كان في ذلك اليوم من الخبر، كما أمر أبو بكر عامر بن فهيرة مولى أبي بكر وراعي غنمه أن يرعى غنمه نهارا ثم يريحها عليهما مساء، ليسقيهما من لبنها، وإذا جاءهما عبد الله أو أخته أسماء بطعام اتبع عامر بن فهيرة أثرهما بالغنم حتى يختفي أثرهما ولا يتبعهما أحد فيعرف مكان الرسول وأبو بكر الصديق في الغار، غار ثور. وأقام الرسول صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر ثلاثة أيام، وطلبهما المشركون طوال ثلاثة الأيام، ولما مضت ثلاثة أيام، وسكن الناس عنهما، ويأسوا من العثور عليهما، أتاهما عبد الله بن أريقط الذي استأجراه

بالراحلتين، فقدم أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أفضلهما، وقال: ( اركب فداك أبي وأمي)، ومضى الصديقان الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصدّيق رضي الله عنه في طريقهما المبارك إلى المدينة. وفي الطريق مروا بخيمة أم معبد، وهي عاتكة بنت خالد من قبيلة خزاعة. مر الرسول صلى الله عليه وسلم على خيمتها ومعه أبو بكر، وكانت امرأة تجلس في خيمتها، تختبئ في قبة الخيمة، ثم تسقي وتطعم المارّة، فسألها الرسول وصاحبه لحما وتمرا يشترونه منها، فلم يجدا عندها شيئا، وكان الرسول وصاحبه يشعران بجوع شديد فنظر الرسول صلى الله عليه وسلم فوجد شاة بالقرب من الخيمة، فقال عليه السلام:" ما هذه الشاة يا أم معبد؟" قالت: شاة أو نعجة خلفها الجهد والمرض عن الغنم، فقال:" هل بها لبن" قالت: هي أضعف من أن تدر لبنا.

قال عليه الصلاة والسلام:" أتأذنين لي أن احلبها؟". قالت متعجبة: بأبي أنت وأمي! إن رأيت بها حلبا فاحلبها. فدعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح بيده على ضرعها، فسمّى الله تعالى، ودعا لها في شأنها، فامتلأ ضرعها ودرّت واجترّت، وطلب الرسول صلى الله عليه وسلم بإناء يشرب فيه هو وأصحابه، فحلب فيه حتى امتلأ عن آخره، فشرب الجميع حتى أم معبد، وشرب الرسول وأصحابه من اللبن حتى رووا، ثم استراحوا وشربوا لبنا أيضا، ثم حلب الرسول في الإناء مرة أخرى حتى ملأه عن آخره، وتركه مليئا باللبن عندها، وقبل أن يغادر المكان عليه السلام، بايعها على الإسلام.

هكذا كانت شاة أم معبد الضعيفة المجهدة معجزة لأنها سقت كل هذا الجمع بعد أم مسح عليه السلام على ضرعها ودعا ربه فسقى أصحابه وشرب هو وترك عندها لبنا. ولما جاء زوجها يسوق أغناما عجافا ضعيفة، رأى عندها لبنا فتعجّب وقال: من أين لك هذا يا أم معبد، والشاة عازب حيال، ولا حلوب في البيت؟

قال: لا والله، إلا أنه مرّ بنا رجل مبارك، من حاله كذا وكذا. فقال زوجها: صفيه يا أم معبد، فوصفته له وصفا دقيقا في كلام طويل. قال أبو معبد: هذا والله صاحب قريش، الذي ذكر لنا من أمره في مكة.

هكذا كانت معجزاته في الطعام والشراب صلى الله عليه وسلم.

## سدرة المنتهى

قال تعالى:{ ثم دنا فتدلى* فكان قاب قوسين أو أدنى* فأوحى إلى عبده ما أوحى* ما كذب الفؤاد ما رأى* أفتمارونه على ما يرى* ولقد رءاه نزلة أخرى* عند سدرة المنتهى* عندها جنة المأوى* إذ يغشى السدرة ما يغشى* ما زاغ البصر وما طغى* لقد رأى من آيات ربه الكبرى}. النجم ٨-١٨.

### ١٨. السدرة

السدرة هي شجرة نبق عظيمة هائلة، لم تكن على الأرض ولكنها كانت في السماء، بعد السماء السابعة، وهي أكبر من أي شجرة ضخمة رأيتها في الدنيا ملايين المرات، والسدرة شجرة ينتهي إليها كل ما يصعد على الأرض من أعمال الناس والأرواح، ثم يقبض أو يؤخذ من عندها، وينتهي إليها كل ما يهبط من أعلى فيؤخذ منها.

بعد أن عرفنا السدرة، وعرفنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد رأى في رحلة الإسراء ما رأى في السماء السابعة، بعد هذا كله صعد به جبريل إلى ما بعد السماء السابعة، صعد به إلى معجزة عظيمة، اتجه إلى سدرة المنتهى، وقبل أن يصل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السدرة رأى نهرا صافيا جميلا نصبت عليه خيام مرصّعة باللؤلؤ والياقوت وعلى حافتيه طيور جميلة خضراء عليها نضرة النعيم، فقال عليه الصلاة والسلام: "يا جبريل إن هذا الطير لناعم".

قال جبريل: يا محمد إن الذي يأكل هذا الطير أنعم منه. ثم قال جبريل: يا محمد؛ أتدري أي نهر هذا؟

فقال عليه الصلاة والسلام: "لا". قال جبريل: هذا نهر الكوثر الذي أعطاك الله اياه.

ثم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم نهرا آخر يسمى نهر الرحمة فاغتسل فيه، فغفر الله له ما تقدم من ذنبه، وما تأخر؛ ثم رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجنة، ورأى الرسول صلى الله عليه وسلم بها أنهارا من ماء صاف جميل، وأنهارا من لبن لم يتغير طعمه، وأنهارا من عسل مصفى.

وقال عليه الصلاة والسلام:" إن الله تعالى أعدّ لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر".

وخرج النبي عليه الصلاة والسلام من الجنة، فلقيه ملك، فرحّب به كما رحّبت به الملائكة من قبل، ولكنه كان عابسا لم يبتسم له كما ابتسمت الملائكة، فعجب عليه السلام وقال: " يا جبريل من هذا الملك، الذي قال لي مثل ما قالت الملائكة، ولم يضحك، ولم أر منه من البشر مثل الذي رأيت منهم" ؟.

فقال جبريل: هذا مالك خازن النار.. أما انه لو ضحك إلى أحد من قبلك، أو كان ضاحكا إلى أحد من بعدك لضحك إليك، ولكنه لا يضحك.

فقال عليه السلام لجبريل:" ألا تأمره أن يريني النار؟" فقال جبريل: بلى. ثم نادى جبريل مالكا فقال له: أر محمد النار. فكشف مالك عن النار غطاءها ففارت.. وارتفعت، حتى ظن الرسول أنها ستأتي على كل ما يرى، فيها غضب الله ونقمته، لو وضعت فيها الحديد والحجارة لأكلتها. فقال عليه الصلاة والسلام:" يا جبريل مره ليردّها إلى مكانها" فأمر جبريل عليه السلام مالكا أن يردها.

فقال مالك للنار: أخبي فرجعت النار إلى مكـــانها الذي خرجت منه، وردّ عليها غطاءها. ومالك: هو رئيس الملائكة القائمين على النار والعذاب يوم القيامة وقد ذكر اسمه في القرآن لقوله تعالى: { ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك، قال إنكم ماكثون} الزخرف ٧٧.

وقد مرت برسول الله صلى الله ليه وسلم رائحة طيبة فقال لجبريل: " ما هذه الرائحة ؟".

قال جبريل: هذه رائحة ماشطة بنت فرعون وأولادها!! كان من أخبارها في الدنيا أن سقط من يدها المشط الذي تمشط به شعر بنت فرعون فمالت على المشط وأخذته وقالت: باسم الله.. فقالت بنت فرعون: من الله هذا؟ أهو أبي فرعون؟ قالت الماشطة: لا.. انه ربي، وربك، ورب أبيك. قالت بنت فرعون: أولك رب غير أبي فرعون؟!

قالت الماشطة: نعم، ربي، وربك ورب أبيك.. الله عز وجل. وبلغ الخبر فرعون، فدعاها، فقال لها: ألا رب غيري؟!

قالت: نعم.. ربي وربك الله عز وجل، فغضب فرعون، وأمر بنار عظيمة، فأوقدت، فألقى فيها أولادها ما عدا طفلا رضيعا، فأمرها فرعون، أن تقذف بنفسها في النار، فتقاعست قليلا من أجل ولدها الرضيع، فناداها الرضيع قائلا: يا أمّه! قعي ولا تقاعسي فانك على الحق، أي أدخلي ولا تخافي.. فانطلقت الماشطة الأم إلى النار فأحرقتها، وتلك الرائحة الطيّبة رائحتها في الآخرة. ووصل الرسول صلى الله عليه وسلم سدرة المنتهى، فإذا به يرى مفاجأة، فقد رأى جبريل على حقيقته، رأى السدرة وقد ملأها من نور الله الخلاق عز وجل ما يحير العقل ويدهشه من العجب والجمال..

وسمع من جبريل عليه السلام مفاجأة، قال له جبريل: يا محمد، في مثل هذا المقام يترك الصاحب إلى صاحبه؛ الخليل إلى خليله، والحبيب إلى حبيبه.

قال جبريل: إلى هنا ينتهي عروجي، لا أستطيع التقدم ولو تقدمت بعد ذلك قيد شعرة لاحترقت، فتقدم أنت إلى خليلك وحبيبك، فما منّا إلا له مقام معلوم.

ووجد الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه يسمو في عالم النور القدسي حتى صار من الله الخلاق عز وجل كما جاء في القرآن الكريم قريبا جدا، قال عز وجل: { ثم دنا فتدلى* فكان قاب قوسين أو أدنى}.

ولما اقترب الرسول صلى الله عليه وسلم من الله عز وجل فكلمه الله عند ذلك فقال له: سل.. فقال محمد صلى الله عليه وسلم:" انك اتخذت إبراهيم خليلا، وكلمت موسى تكليما، وأعطيت داود ملكا عظيما، وألنت له الحديد وسخرت له الجبال. وأعطيت سليمان ملكا، وسخرت له الجن والأنس والشياطين، وسخرت له الرياح، وجعلت له ملكا لا ينبغي لأحد من بعده.علمت عيسى التوراة والإنجيل، وجعلته يبرئ الأكمه والأبرص، ويحيى الموتى بإذنك، وأعذته وأمه من الشيطان الرجيم، فلم يكن للشيطان عليهما سبيل".

فقال له الرب عز وجل:" وقد اتخذتك خليلا، وأرسلتك للناس كافة وبشيرا ونذيرا، وشرحت لك صدرك، ووضعت عنك وزرك الذي أنقض ظهرك.. وجعلت أمتك خير أمة أخرجت للناس وأعطيتك سبعا من المثاني لم يعطها نبي قبلك، وأعطيتك نهر الكوثر، وأعطيتك ثمانية أسهم هي: الإسلام، والهجرة، والجهاد، والصلاة، والصدقة، وصوم رمضان، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وجعلتك فاتحا، وخاتما للمرسلين.

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم:" فضلني ربي بست: أعطاني فواتح الكلام وخواتيمه، وجوامع الحديث، وأرسلني إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا، وقذف في قلوب أعدائي الرعب من مسيرة شهر، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا". ومن خلال هذه المعجزة العظيمة الصعود إلى السماء والوصول إلى سدرة المنتهى، فرض الله سبحانه

حينئذ على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أمته خمسين صلاة في اليوم والليلة، ولما أوحى الله إلى عبده ما أوحى رجع فلقيه موسى عليه السلام حيث هو في السماء السادسة فقال: بم أمرت يا محمد؟

قال عليه الصلاة والسلام:" بخمسين صلاة".

قال موسى: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف. فقد لقيت من بني إسرائيل شدّة.

فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ربه عز وجل وسأله التخفيف فوضع عنه عشرا، أي خفف الخمسين إلى أربعين ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: بكم أمرت؟

قال عليه الصلاة والسلام:" بأربعين صلاة".

قال موسى: فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فقد لقيت من بني إسرائيل شدة، وتعلا، فرجع الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ربه عز وجل فسأله التخفيف، فخفف عنه عشرا، فرجع إلى موسى، وظل يرجع الرسول صلى الله عليه وسلم ويسأله التخفيف حتى أصبحت خمس صلوات في اليوم والليلة... فقال له موسى: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فقد لقيت من بني إسرائيل شدّة..

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم:" قد رجعت إلى ربي حتى استحييت، فما أنا براجع إليه". وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد رجع إلى ربه فخفف إلى الثلاثين والعشرين والعشر صلوات في اليوم والليلة حتى وصل إلى خمس صلوات في اليوم والليلة، وما أن قال:" استحييت، فما أنا براجع إليه" حتى سمع عليه السلام مناديا يقول: أما انك كما صبّرت نفسك على خمس صلوات فإنهن يجزين عنك خمسين صلاة، فان كل حسنة بعشرة أمثالها، فرضي محمد صلى الله عليه وسلم كل الرضا.

## ١٩. العودة إلى مكة

عاد الرسول صلى الله عليه وسلم من فوق السماء السابعة فعاد حتى هبط إلى السماء الدنيا، فنظر إلى أسفل منه، فرأى وهجا ودخانا وسمع أصواتا، فقال عليه السلام:" من هؤلاء يا جبريل؟"

قال جبريل: هذه الشياطين تحوم على قلوب بني آدم كي لا يتفكروا في ملكوت السماوات والأرض، ولولا ذلك لرأوا العجائب..

وظلّ الرسول صلى الله عليه وسلم يهبط إلى الأرض حتى بلغ بيت المقدس، فوجد الأنبياء مجتمعين فيه ينتظرون الصلاة فحيّاهم عليه الصلاة والسلام فحيّوه، ولما حانت الصلاة قام النبيون لأدائها، فجاء جبريل، أخذ بيد النبي صلى الله عليه وسلم إلى موقف الإمام، وأشار إليه أن يصلي بهم فصلى بهم... والغالب أنها كانت صلاة الصبح، وفي إمامته عليه الصلاة والسلام للأنبياء تشريف له عليه الصلاة والسلام وإعلاء لقدره على سائر الأنبياء.

ثم ركب الرسول عليه الصلاة والسلام البراق بعد أن خرج من بيت المقدس، فركب البراق وعاد إلى مكة والناس نيام فلما أصبح الصبح، وصحت مكة، وعلت الشمس، شمس الضحى، أخبر عليه

السلام الناس بما حدث معه، وأول من رآه أبو جهل، وكان كثيرا ما يستهزئ بالنبي صلى الله عليه وسلم، فجاءه أبو جهل وقال له مستهزئا: أراك ممعنا في تفكير عميق، فهل حدث لك شيئ جديد؟

قال رسول صلى الله عليه وسلم:"نعم".

قال أبو جهل: وما هو؟

فقال عليه السلام:" إنني أسري بي الليلة" أي انتقلت وسافرت.

قال أبو جهل: إلى أين؟!

فقال عليه الصلاة والسلام:" إلى بيت المقدس".

ففتح أبو جهل فمه من الدهشة وقال: ثم عدت إلينا؟!

فقال عليه الصلاة والسلام في ثقة واطمئنان: "نعم"

كان أبو جهل يسخر من الرسول صلى الله عليه وسلم، ويقول: هذا يزعم أنه يكلم من السماء.. وكان هو وجماعته قد أكثروا من ترديد هذا الكلام حتى نسوه لفترة فلما سمع أبو جهل أن الرسول قد سافر ليلا من مكة إلى بيت المقدس، والعكس في الليلة نفسها مع أنهم يسافرون لها في شهر، أراد أبو جهل أن يستغل هذه المعجزة التي لم يصدقها للسخرية من محمد، والإساءة له أمام الناس، كي ينصرفوا عنه إذ أنه يقول ما لا تقبله العقول..

ظنّ أبو جهل أنه بإمكانه أن يكذب الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه يقول أشياء لا يقبلها عقله هو، وأراد أن يجمع الناس لأنه يتوقع أن يتراجع محمد صلى الله عليه وسلم عما قاله والذي لا يصدقه، ولما خاف أن ينكر محمد صلى الله عليه وسلم ما قاله أمام الناس قال له: أرأيت يا محمد إن أنا دعوت قومك أتحدثهم بما حدثتني به؟ أتقول لهم ما قلت لي؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" نعم".

فنادى أبو جهل بأعلى صوته: يا معشر كعب بن لؤي.

فجاء الناس إليه، فقال أبو جهل للرسول صلى الله عليه وسلم: حدّث قومك بما حدثتني به.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إني أسري بي الليلة".

فقالوا: إلى أين؟

فقال عليه الصلاة والسلام:" إلى بيت المقدس".

فقالوا: ثم أصبحت الآن بيننا بعد كل هذا السفر؟!!

قال عليه الصلاة والسلام:" نعم".

وهنا هاج القوم، وصاروا يضربون كفا على كف، ويضع بعضهم يده على رأسه عجبا لكذب محمد صلى الله عليه وسلم كما يظن ويدّعي. وصاروا يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى قال له رجل منهم اسمه المطعم بن عدي: والله يا محمد لقد كان أمرك فيما مضى أمرا هيّنا، أما اليوم فقد أمعنت في الكذب بما لا تصدقه العقول.. إننا نركب الإبل إلى بيت المقدس فنظل شهرا في الذهاب وشهرا في العودة ثم تزعم أنك سافرت هذا السفر في ليلة واحدة؟ واللات والعزى لا أصدقك، وما كان هذا الذي تقوله يحدث أبدا..!!

وقال بعضهم في استهزاء: وماذا رأيت في بيت المقدس؟

فقال عليه السلام:" قابلت عددا من الأنبياء منهم إبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وصلّيت بهم وكلمتهم".

وكذب الكفار الرسول صلى الله عليه وسلم وسخروا منه، وقالوا: لو أن أبا بكر سمع صاحبه محمدا يقول ما يقول اليوم لكذبه، ولا نصرف عنه، وكف عن مناصرته وتأييده؛ وإذ انصرف عنه، وكف عن مناصرته، انصرف الكثيرون معه عن محمد، فيهون شأنه ويضعف أمره، فجرى أحدهم يبحث عن أبي بكر في كل مكان حتى وجده في أحد مجالس قريش، فقال له هل سمعت ما يقول صاحبك يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: وما ذاك الذي يقول صاحبي؟

قال الرجل: يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس، ثم أصبح بيننا!!

فقال أبو بكر: أوقد قال ذلك؟

قال الرجل: نعم واللات والعزى لقد قال ذلك.

قال أبو بكر: لئن كان قد قال ذلك فوالله لقد صدق.

فقال الرجل في عجب ودهشة: أتصدقه أنه ذهب إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح.

قال أبو بكر: نعم إني أصدقه حتى لو قال أبعد من ذلك. أصدقه أن الخبر يأتيه من السماء في ساعة من ليل أو نهار. أفلا أصدقه فيما هو أقل من ذلك عجبا؟!!!

وقام أبو بكر والرجل وبعض من كانوا معه، وذهبوا إلى حيث يجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتحدث عن الإسراء، فلما وصلوا إلى هناك سمعوا المطعم بن عدي يقول: يا محمد: إن كنت ذهبت الليلة إلى بيت المقدس ودخلته وصليت فيه، فلا بدّ أنك شاهدته، وعرفت معالمه: من أبواب وجدران وغيرها، فصفه لنا.. ثم أضاف المطعم بن عدي قائلا: إننا نعرف أنك لم تذهب قبل هذه الليلة إلى بيت المقدس، فإذا وصفته لنا الآن كان ذلك دليلا قاطعا على أنك زرته الليلة!!!.

وهنا أحس رسول الله صلى الله عليه وسلم في حيرة شديدة تعتريه، وأن كربا أو غما لا مثيل له يستولي عليه.. انه لم يذهب إلى بيت المقدس قبل هذه الليلة وحين ذهب إليها في إسرائه كان في شغل بما أنعم الله عليه من إيمان وآيات كبرى. لم يهتم بتأمل الحوائط والنوافذ والأبواب وغير ذلك من الأشياء البسيطة، كيف يعي لذلك ومعه البراق، وهو معجزة وعجب عجاب، وكان معه جبريل وهو رسول رب العالمين إليه، والوقت غير مناسب لأن ينشغل الرسول صلى الله عليه وسلم أو ينشغل ضميره بالمباني وغيرها من هذه الأشياء. فقد رأى من آيات ربه ما رأى، انشغل بكل هذه

الآيات، وعاد من السماء السابعة إلى الأولى، وهبط من الأولى إلى أرض بيت المقدس كل هذه المعجزات الكبرى لم تجعله يلتفت إلى شيء من هذا القبيل حوله.

والأهم من ذلك أنه عليه السلام قد عجز ولم يجد ما يجيب به على سؤالهم.

ولما رأى هؤلاء الكفار أنه عليه السلام سكت ولم يجب، استعدوا للسخرية والتكذيب، وكان أبو بكر الصديق قد ذهب إلى بيت المقدس كثيرا وله دراية به.. وكان إلى جانب ذلك لا يشك في صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه عليه السلام قد زار حقا في تلك الليلة بيت المقدس، ولا جدال في ذلك. فلما رأى أبو بكر توقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإجابة، ورأى القوم يوشكون أن يرفعوا أصواتهم بالسخرية والاستهزاء والتكذيب، قال أبو بكر للرسول صلى الله عليه وسلم: صفه لي يا رسول الله، فاني قد جئته وزرته عدة مرّات.

وقد رغب أبو بكر من هذا أن يقطع ألسنتهم ويمنعهم من السخرية، وأن يأتي بالدليل على صدق إسرائه.

وعند ذلك حدثت المعجزة، وأراد الله أن ينصر نبيه صلى الله عليه وسلم، فرفع بيت المقدس وجعله في بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبصيرته، فظهر له بيت المقدس واضحا وجليّا، فقال عليه السلام: باب منه مكانه كذا، فصاح أبو بكر فرحا وقال: صدقت يا رسول الله أشهد أنك أنت رسول الله.. واستمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" وباب منه في موضع كذا.." فيعود أبو بكر ويقول في حماسة وفرح: صدقت يا رسول الله، أشهد أنك رسول الله وظل أبو بكر يقول ذلك في كل فقرة، ولذلك فقد سمي أبو بكر من هذا اليوم باسم الصدّيق رضوان الله عليه.

سكت أبو جهل والكفار وعلموا أن رسول الله لم ولن يهزم أمامهم، ولكنهم عادوا إلى التضليل والكذب وقال أحدهم: يا قوم؛وألم يخبركم الوليد بن المغيرة، فان ما سمعناه اليوم من محمد إن هو إلا السحر بعينه. وأسرع بعضهم يغيّر مجرى الحديث فقال: يا محمد؛ إن كنت ذهبت الليلة إلى بيت المقدس حقا فان لنا عيرا ذهبت بتجارتنا إلى بلاد الشام، فهل تستطيع أن تخبرنا أين مكانها الآن من الطريق؟

لقد وصفت لنا بيت المقدس، ولعلك تعرف مكان قافلتنا الآن فأين هي الآن من مكة؟ فأخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه مرّ بهذه القافلة بوادي كذا وهو متوجه إلى الشام، فخافوا من منظر البراق وجماله، لأن البراق كان سيره صوت مخيف، فأزعج القوم، وجعل جمالهم تنفر وتهرب هنا وهناك، فهرب منهم بعير فدلهم الرسول صلى الله عليه وسلم على مكانه. فلما عادت القافلة، وحكى لها الكفار ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم عنهم، صدقوه، وصدقوا ما قاله عليه السلام. وقال رجل آخر للرسول صلى الله عليه وسلم: إن لنا قافلة أخرى ذهبت إلى الشام فدلنا على مكانها في الطريق.

فقال عليه السلام:" مررت بهذا الإبل وأنا قادم في مكان كذا وكذا، وفيها جمل عليه غرارتان: غرارة سوداء وغرارة بيضاء، فلما حاذيتهم نفرت العير، أي أن الإبل خافت وذعرت من حس البراق، وصرع بعير وانكسر".

فلما عادوا إلى مكة أخبروا بصدق ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم. ورغم ذلك قالوا: هذا هو السحر.

وعاد أحدهم يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم: وان لنا إبلا، فأخبرنا بمكانها ومتى تجيء؟ فقال عليه الصلاة والسلام:" تأتيكم هذه العير يوم كذا يقدمها جمل أورق عليه غطاء من الصوف الأحمر وغرارتان."

فلما كان وصول القافلة خرجت قريش لتنظر هل يصدق موعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لا يصدق، وكاد النهار ينتهي وأوشكت الشمس على المغيب، فقال أحد الكفار ساخرا: ها هو ذا اليوم ينتهي، ولم تقدم القافلة، ولم تجيء، اليوم بطل سحر محمد..

وما كاد الرجل يتم كلمته حتى صاح أحد المؤمنين المسلمين: الله أكبر هذه طلائع القافلة قد ظهرت.

وقدمت القافلة، وفي مقدمتها جمل أورق عليه غطاء من الصوف الأحمر وغرارتان كما وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولكن الكفار وقريشا مع كل هذه المعجزات ظلوا على ضلالهم وسخريتهم وتكذيبهم.

وبقيت في أذهاننا معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم حية لا ننساها أبدا.

## البـراق الـعجيب

قال تعالى:{ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا، انه هو السميع البصير} الإسراء ١.

### ٢٠. البداية

كان الرسول صلى الله عليه وسلم في بداية دعوته، فلم يمض وقت طويل على بدء دعوته المباركة حتى عزه ربه بمعجزات أثارت في كفار مكة الدهشة والعجب، وكان لها أثر واضح بين الذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الذين لم يؤمنوا به. هذه المعجزة هي معجزة الإسراء والمعراج والذي كان البراق من أعاجيبها.

وقبل أن نتحدث عن البراق نسأل أنفسنا عن الإسراء والمعراج ما هو الإسراء؟ ما هو المعراج؟

الإسراء هو انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم ليلا من مكة إلى بيت المقدس، ثم عودته إلى مكة في الليلة نفسها. في حين أن هذه المسافة يقطعها الناس في شهر ذهابا وشهر في العودة. أما المعراج وهو صعوده عليه الصلاة والسلام من بيت المقدس إلى السماوات العلا إلى سدرة المنتهى حيث أوحى الله إليه ما أوحى، ثم هبوطه إلى بيت المقدس في ليلة الإسراء نفسها. كان لهذه المعجزة الكبرى معجزة الإسراء والمعراج حكايات عجيبة ومواقف طريفة سنسمعها واحدة تلو الأخرى: فبينما كان الرسول صلى الله عليه وسلم نائما بجوار الكعبة ذات ليلة أتاه جبريل بدابة بيضاء جميلة أكبر من الحمار وأقل من الحصان إنها البراق العجيب.

وقد كانت البراق دابة يركبها الأنبياء قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما أراد النبي صلى الله عليه وسلم ركوبها نفرت وهاجت. فصاح جبريل (مه يا براق! ما يحملك على هذا! فوالله ما ركبك قط أكرم على الله منه). فاستحيا البراق وهدأت ثورته وسكن مكانه.

وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم البراق فكان سيره غاية في السرعة والانسياب فلا اضطراب ولا قلقلة في سيره، مما أشعر الرسول صلى الله عليه وسلم بالراحة والاطمئنان، فكأنه مستقر على فراش ساكن وسرير ناعم. وقد ذكر أنه كان من سرعته ما يثير العجب حتى أنه يضع حافره في كل خطوة عند منتهى البصر، وكان دائما مستوي السير فلا يعلو ولا يهبط حتى إذا قابلته عقبة مرتفعة، قصرت رجلاه الأماميتان وطالت الخلفيتان.. وإذا قابله واد منخفض طالت رجلاه الأماميتان وقصرت رجلتاه الخلفيتان..!!.. وهكذا توفرت للرحلة معجزات ما بعدها معجزات.

أما جبريل عليه السلام فكان يسير بجناحيه إلى جانب البراق مؤنسا ورفيقا للرسول صلى الله عليه وسلم، كانت وجهتهما بيت المقدس حيث يوجد المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله.

## ٢١. مشهد في الطريق

وفي الطريق تعددت المشاهد وفي هذا المشهد تظهر امرأة جميلة متبرّجة بكل أنواع الزينة، حاسرة على ذراعيها تنادي: يا محمد انظرني أسألك، فلم يلتفت إليها صلى الله عليه وسلم، ثم سار عليه السلام ما شاء الله له أن يسير، فقال جبريل للرسول: أما سمعت شيئا في الطريق؟ فقال عليه السلام:" بينما أنا أسير إذا بامرأة حاسرة على ذراعيها عليها من كل زينة خلقها الله تقول: يا محمد انظرني أسألك! فلم أجبها، ولم أقم عليها..".

قال جبريل: تلك الدنيا، أما أنك لو أجبتها، لو أقمت عليها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة، وأما الشيء الذي ناداك من جانب الطريق فهو إبليس.

ثم قدّم جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم إناءين في أحدهما خمر، وفي الآخر لبن، وقال له: اختر ما شئت، فاختار رسول الله إناء اللبن فشربه، وأعرض عن الخمر، ولم تكن الخمر قد حرّمت في الإسلام حينئذ، فلما اختار الرسول اللبن قال له جبريل: هديت إلى الفطرة، ولو شربت الخمر لغويت وغويت أمتك. فقال الرسول صلى الله عليه وسلم:" الله أكبر الله أكبر".

وقد قصد جبريل عليه السلام بهذا أن الخمر كانت في أصلها عصيرا طيّبا أو نقيعا نافعا للبدن؛ ثم تحوّلت عن هذا الأصل الطيب النافع في اللون والطعم والريح وتحول كل هذا من شيء طيب نافع مفيد للجسم والبدن إلى عصير خبيث يذهب بالعقل، ويدمّر الجسم، ويفسد الإرادة، ويتلف البدن، والأدهى من ذلك كله أنه يوقع العداوة والبغضاء بين الناس..

فلو أن الرسول قد شرب الخمر لكان ذلك قبولا منه لشيء صار خبيث، ورفضا لكل ما هو طيب نافع، وتفضيلا للخبيث على الطيب، وهذا لا يقبله منطق رسول الله ودعوته وخلقه الكريم، فهو لا يهوى الخبائث، بل يدعو للطيّب والطاهر وبذلك يثبت عليه السلام على الأصل النافع الطيّب..
واللبن الذي اختاره صلى الله عليه وسلم شراب أصيل لم يتغيّر لونه ولم يتحول إلى شراب خبيث يذهب العقول كالخمر، فهو نافع للصحة والبدن، فلما شربه صلى الله عليه وسلم آثر الصالح على الفاسد وهذ سنة الله التي فطر الله الناس عليها، وهي سنن دائمة الوجود باقية بقاء الناس لما فيها من نفع للناس أجمعين، ولذا فقد قال له جبريل عليه السلام: هديت إلى الفطرة، فما فعله رسول الله من

شربه للبن هو منهج يسير على سنة الله في خلقه، الذين يعيشون الآن على وجه المعمورة والذين خلو من قبل.

نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند بيت المقدس، وصلى بالأنبياء إماما، وربط البراق بحلقة باب المسجد.

## ٢٢. مشاهد المعراج

### المشهد الأول

قدم لرسول الله صلى الله عليه وسلم معراج جميل والمعراج "سلم" لم تر الخلائق مثله، فصعد الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه جبريل فوق المعراج حتى بلغا السماء الأولى، وهي سماء الدنيا، وطلب جبريل من ملائكة هذه السماء أن يفتحوا له أبوابها، فناداه مناد: من أنت؟ فقال: أنا جبريل. قال المنادي: ومن معك؟ قال جبريل: معي محمد. قال: أوقد بعث محمد؟ قال جبريل: نعم.

وفتح له، فتحت لهما السماء والدنيا، ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا رجل تام الخلقة عن يمينه أسودة (أرواح)، وعن يساره أسودة. فإذا نظر إلى التي عن يمينه تبسم، وقال: روح طيبة اجعلوها في عليين فيفتح باب ويخرج منه ريح طيبة، فتدخل فيه، وإذا نظر إلى التي على يساره حزن وقطّب جبينه وقال: روح خبيثة اجعلوها في سجيّن، فيفتح باب ويخرج منه ريح خبيثة، فتدخل فيه.

سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا الشخص التام الخلق وعن هذه الأسودة، وعن هذين البابين فقال جبريل عليه السلام: أما الشخص التام الخلقة فهو أبوك آدم.

وأما هذه الأسودة عن يمينه وعن يساره فهي أرواح بنيه؛ أهل يمينه هم أهل الجنة، وأهل شماله هم أهل النار، فإذا نظر إلى أهل الجنة تبسم وإذا نظر إلى أهل النار حزن وابتأس.

وأما البابان فالباب الذي إلى اليمين باب الجنة، والباب الذي إلى اليسار باب جهنّم.

رحّب آدم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال: مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح.

فردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم التحية بأحسن منها. ومضى الى مشهد آخر من مشاهد المعراج. التي تعدّ درسا من دروس الدعوة العظيمة وقدوة حميدة للناس أجمعين.

## المشهد الثاني

نظر الرسول صلى الله عليه وسلم فرأى موائد كثيرة، عليها لحم مشرّح جيّد ولا يقربها أحد، وموائد أخرى عليها لحم نتن كريه الرائحة وحول هذا اللحم النتنة أناس يتنافسون على الأكل منها ويتركون اللحم المشرّح الجيّد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ومن هؤلاء يا جبريل"؟

قال جبريل: هذا حال ناس من أمتك يتركون الحلال الطيّب فلا يطعمونه، ويأتون الحرام الخبيث فيأكلونه!!.

## المشهد الثالث

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجد ناسا شفاههم كمشافر الإبل، فيأتي من يفتح أفواههم، فيلقي فيها قطعا من اللحم الخبيث، فيضجون منها إلى الله لأنها تصير نارا في أمعائهم فلا يجيرهم أحد حتى تخرج من أسفلهم فقال عليه الصلاة والسلام:" من هؤلاء يا جبريل"؟

قال جبريل: هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى بالباطل ظلما، إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا.

## المشهد الرابع

رأى الرسول صلى الله عليه وسلم طريقا ممتدا إلى النار يمر فيه آل فرعون، فيعرضون على النار غدوّا وعشيّا، وأثناء مرورهم يجدون على الطريق أقواما بطونهم منتفخة مثل البيوت، كلما نهض أحدهم سقط يقول: اللهم أخر يوم القيامة، اللهم لا تقم الساعة فيطؤهم آل فرعون بأقدامهم، فقال عليه السلام:" من هؤلاء يا جبريل"؟

قال جبريل: هؤلاء هم الذين يتعاملون بالربا من أمتك.

{ولا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس}.

## المشهد الخامس

مضى الرسول فرأى أقواما يقطع اللحم من جنوبهم ثم يقال لكل منهم:

كل من هذا اللحم كما كنت تأكل لحم أخيك ميتا.

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم:" من هؤلاء يل جبريل"؟

قال جبريل: هؤلاء هم الذين يغتابون الناس من أمتك، كان كل منهم يأكل لحم أخيه ميتا.

## المشهد السادس

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد أقواما تضرب رؤوسهم بالصخر كلما ضربت تحطمت، وكلما تحطمت عادت كما كانت فترضخ من جديد بالصخر فتتحطم.. وهكذا، فقال عليه الصلاة والسلام:" من هؤلاء يا جبريل"؟

قال جبريل عليه السلام: هؤلاء من أمتك هم الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة.

## الـمـشـهـد الـسا بــع

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد أقواما يسترون عوراتهم من الأمام والخلف برقاع وهم يسرحون كما تسرح الإبل. يأكلون الضريع والزقزم ورضف جهنم وحجارتها؛ فقال عليه السلام:" من هؤلاء يا جبريل"؟

قال جبريل عليه السلام: هؤلاء هم الذين لا يؤدون صدقات أموالهم، وما ظلمهم الله تعالى شيئا، وما الله بظلام للعبيد.

## الـمـشـهـد الـثـا مـن

في هذا المشهد يأتي رسول الله على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها هو يزيد عليها، وذلك دليل على كثرة الذنوب التي ارتكبها والمعاصي التي اقترفها، ومع ذلك فهو يزيد منها ويثقل على نفسه بالذنوب فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"ما هذا يا جبريل"؟

قال جبريل: هذا الرجل من أمتك تكون عليه أمانات الناس، لايقدر على أدائها وهو يزيد عليها أمانات أخرى، وقد دعا الإسلام إلى ردّ الأمانات.

## الـمـشـهـد الـتـا سـع

في هذا المشهد الذي لو تخيّلناه لكان مرعبا بحق، ولكنه يعبر بصدق عن دور اللسان في حياة المؤمن، فقد مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أقوام تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد، كلما قرضت عادت كما كانت لا يفر عنهم من ذلك شيء وهذا جزاء من يتكلم بالشر، ويخوض فيه بين الناس فلما رأى رسول الله ذلك قال لجبريل:" ما هذا يا جبريل"؟

قال جبريل: هؤلاء خطباء الفتنة.

## المشهد العاشر

هذا المشهد يثير في نفوسنا الراحة ويبعث فيها الاطمئنان والسكينة، فقد مرّ الرسول على أقوام يحصدون في يوم؛ كلما حصدوا عاد كما كان. وكثرة الحصاد والمحصول على هذا الوجه رمز لجزاء الله سبحانه الذي لا يتناهى، فلما رآهم رسول الله صلى الله ليه وسلم على ذلك سأل جبريل:" ما هذا يا جبريل"؟

قال جبريل: هؤلاء هم المجاهدون في سبيل الله، تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف.

ولذلك يشبه الله العمل الصالح في الآية:{ كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء}.

## المشهد الحادي عشر

هذا مشهد من مشاهد الجنة التي وعد بها المتقون والصالحون، فقد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم على واد فسيح، فهبت عليه منه ريح باردة طيبة، ورائحة مسك أزكى من مسك الأرض، وسمع من جهته صوتا، فقال عليه السلام:" يا جبريل.. ما هذا الريح الطيبة الباردة؟ وما هذا المسك؟. وما هذا الصوت؟".

قال جبريل: هذا صوت الجنة تقول: رب ائتني بما وعدتني، فقد كثرت غرفي، واستبرقي، وحريري، وسندسي، ولؤلؤي، ومرجاني وفضتي، وذهبي، وأكوابي، وصحافي، وأباريقي، وكؤوسي، وعسلي ومائي، وخمري، ولبني، فائتني بما وعدتني.

فقال عز وجل: لك كل مسلم ومسلمة، ومؤمن ومؤمنة، ومن آمن بي وبرسلي، وعمل صالحا، ولم يشرك بي شيئا.. ولم يتخذ من دوني أندادا.. ومن خشيني فهو آمن، ومن سالني أعطيته، ومن أقرضني جزيته، ومن توكل عليّ كفيته، إني أنا الله لا اله إلا أنا لا أخلف الميعاد وقد أفلح المؤمنون، وتبارك الله أحسن الخالقين.

قالت الجنة: قد رضيت..

## المشهد الثاني عشر

هذا المشهد عن جهنم أعاذنا الله من شرها، ومنعنا من لهيبها، وجنبنا غيظها وفورانها، فقد جاء صلى الله عليه وسلم على واد فسيح، فسمع صوتا منكرا، ووجد ريحا خبيثة فقال:" ما هذه الريح يا جبريل؟ وما هذا الصوت؟".

قال جبريل: هذا صوت جهنم تقول: يا رب ائتني بما وعدتني فقد كثرت سلاسلي، وأغلالي، وسعيري، وحميمي، وضريعي، وغسّاقي، وعذابي، وقد بعد قراري، واشتد حرّي، فائتني بما وعدتني.

فقال لها رب العزة: لك كل مشرك ومشركة، وكافر وكافرة، وكل خبيث وخبيثة، وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب.

قالت النار قد رضيت.

أعاذنا الله من شرها، وجنّبنا المعاصي وحبّب إلينا الطاعات حتى نكون من أهل الجنة بعيدا عن النار وعذابها.

هذه مشاهد السماء الأولى، ترى ماذا في السماء الثانية، هذا ما سنعرفه في الصفحات التالية.

## من السماء الثانية إلى السابعة

صعد جبريل إلى السماء الثانية وقد صحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستفتح كما فعل في السماء الأولى.. فقال خازن السماء الثانية:

من هذا الذي معك يا جبريل؟

فقال جبريل: هذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال: أوقد بعث؟

قال جبريل: نعم.

فقال: حيّاه الله من أخ، ومن خليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة، ونعم المجيء جاء.

دخل النبي صلى الله عليه وسلم فإذا بشابين، فسأل جبريل:" من الشابان يا جبريل؟".

قال جبريل: هذان عيسى بن مريم، ويحيى بن زكريا عليهما السلام، وكل منها ابن خالة الآخر، فلما رأيا النبي صلى الله عليه وسلم قالا: مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح، فحيّاهما عليه السلام، ثم صعد جبريل إلى السماء الثالثة برسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتح، فقالوا: من هذا؟ قال جبريل: أنا جبريل، فقالوا: من معك؟ قال جبريل: محمد رسول الله. قالوا: أوقد أرسل إليه؟ قال جبريل: نعم. قالوا: حيّاه الله من أخ وخليفة، فنعم الأخ، ونعم الخليفة، ونعم المجيء جاء.

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو برجل قد فضّل على الناس في الحسن والجمال، فقال عليه السلام:" من هذا يا جبريل الذي فضّل على الناس في الحسن؟".

قال جبريل: هذا أخوك يوسف عليه السلام.

فحيّاه الرسول صلى الله عليه وسلم فلما رآه يوسف عليه السلام قال: مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح.

ثم صعد به جبريل إلى السماء الرابعة فاستفتح، ففتح له ولقي تحية وترحيبا كعادته فإذا هو برجل عليه علامات الوقار والجلال، ورفعة الشأن فقال عليه السلام:" من هذا يا جبريل؟".

قال جبريل: هذا إدريس نبي الله عليه السلام رفعه الله مكانا عليّا فلما رآه إدريس عليه السلام قال: مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح، فردّ عليه السلام التحيّة.

ثم صعد النبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء الخامسة فاستفتح ففتح له، ولقي من التحيّة ما اعتاد عليه في السماوات السابقة، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم فإذا هو برجل جالس وحوله قوم يقصّ عليهم من أمر الله ما شاء الله؛ فقال: "من هذا يا جبريل؟".

فقال جبريل عليه السلام: هذا المحبب إلى قومه هارون بن عمران، وهؤلاء بنو إسرائيل، فلما رأى هارون محمدا عليه الصلاة والسلام قال: مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح، فحيّاه الرسول عليه السلام.

ثم صعد به جبريل إلى السماء السادسة فاستفتح، ففتحت السماء له، ورحّب به عليه السلام ولما دخل عليه السلام فإذا برجل جالس فمرّ به فبكى الرجل، فقال الرسول عليه السلام:" يا جبريل من هذا؟". قال جبريل: هذا موسى ابن عمران.فقال عليه السلام:" فماله يبكي؟".

قال جبريل: انه يقول: تزعم بنو إسرائيل أني أكرم بني آدم على الله عز وجل، وهذا رجل من بني آدم قد فاقني في رتبته، فلو أنه بنفسه لما اهتممت، ولكنه مع كل نبي أمّته.

ثم صعد به جبريل عليه السلام إلى السماء السابعة فاستفتح ففتحت له، ودخل عليه السلام فإذا به يرى البيت المعمور، وهو بيت في السماء السابعة يقوم في سمت الكعبة الشريفة في أرضنا هذه يدخله كل يوم للصلاة فيه سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلى يوم القيامة، ورأى عليه السلام رجلا أحسن ما يكون الرجال قد أسند ظهره الى البيت المعمور فقال عليه السلام:" من هذا الرجل يا جبريل؟".

قال جبريل: هذا أبوك إبراهيم عليه السلام، خليل الرحمن. فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فردّ عليه الخليل السلام.

ورأى الرسول صلى الله عليه وسلم حول إبراهيم الخليل قوما جلوسا بيض الوجوه أمثال القراطيس.. وقوما في ألوانهم شيء، فدخلوا نهرا اغتسلوا فيه، فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء، ثم دخلوا نهرا آخر، فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلصت ألوانهم، فصارت مثل ألوان أصحابهم، فجاءوا فجلسوا إلى أصحابهم.

فقال عليه السلام:" يا جبريل من هؤلاء البيض الوجوه؟ ومن هؤلاء الذين في ألوانهم شيء؟ وما هذه الأنهار التي دخلوا فيها فجاءوا وقد صفت ألوانهم؟".

قال جبريل: أما هؤلاء البيض الوجوه فقوم لم يلبسوا إيمانهم بظلم، أي أنهم أخلصوا دينهم لله؛ فليس في قلوبهم شيء من شك أو ميل إلى الإثم والبغي، فكان إيمانهم نقيا صافيا.

وأما هؤلاء الذين في ألوانهم شيء؛ فقوم خلطوا عملا صالحا، وآخر سيئا، فتابوا فتاب الله عليهم.

وأما الأنهار فهي: نهر الرحمة، ونهر النعمة، والثالث: شراب طهور.

هذه هي معجزة الإسراء والمعراج، معجزة مشاهد الطريق العظيمة، ومشاهد العروج إلى السماء معجزة الخروج من مكة ليلا والوصول إلى بيت المقدس في لحظات سريعة، وكان البراق هو الأداة التي سخرها الله ضمن أدوات انصرفت مشيئته أن تكون، فكان لونه معجزة، يضع قدمه في محل رؤيا العين أو على امتداد البصر خافت من حس أقدامه الإبل وهربت في الصحراء ولم يكن البراق الشيء العجيب الوحيد، بل ما شاهده الرسول صلى الله عليه وسلم يعد معجزات متعددة واحدة تلو الأخرى تقدم النصح والإرشاد للناس أجمعين. وترد قول كل جاحد ومكابر ومعاند

ستبقى معجزات نبينا جلية واضحة ممتدة إلى أن يرث الله تعالى الأرض وما عليها

فلا تبديل لخلق الله ورغمت أنوف الجاحدين .

*.*.*.*.*.*.*.*.*.*.*.*.*.*

## الفصل السابع : ماذا ينقمون من أمة التوحيد ؟

قبل أن أواصل تعريفكم باليسير عن محمد لآبد أن أعرج على حال البشرية بغير محمد .. وبغير منهج محمد سلفاً وخلفاً .. ما يكون حالها من خلال هذه السطور الرائعة وهذه المعادلة الرائعة والتي سطرها : د. لطف الله بن ملا عبد العظيم خوجه .

يقول حفظه الله تعالى :
لدينا معادلة، أو مقدمات ونتيجة، أو حقائق.. كيفما قدرت فعبر:
خلق الله تعالى الناس فريقين: مؤمنين، وكافرين. هذه حقيقة لا شك فيها، دل عليها مثل قوله تعالى: {هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن}.
وكتب على هذين الفريقين الصراع والحرب مدة الحياة الدنيا.. يبتدئها الفريق الكافر، دل عليها مثل قوله تعالى: {ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا}.
وهذا الآية وإن نزلت في قوم من الكافرين في عهد النبوة، بيد أنه لا يعني حصر هذا العداء والمقاتلة فيهم؛ إذ لا وجه للحصر، لأن طبع الكفار واحد، فهم يترصدون بالمؤمنين، ويصدونهم عن دينهم،

ذكر ذلك ربنا تعالى عن أقوام: نوح، وهود، وصالح، وشعيب، وإبراهيم إلى محمد صلى الله عليه وسلم: {ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا}.
وإلى هذا الزمان، والزمان الآتي إلى آخره، هذا الحرب والصراع باق، والأخبار النبوية عن الملاحم التي تكون وقت نزول عيسى عليه السلام بين المسلمين والروم شاهد على هذا.

فإذا ثبت الأمران:
- أن الله تعالى خلق الناس فريقين: مؤمنين، وكافرين.
- وأن الكافرين يتربصون بالمؤمنين بالعدواة والبغضاء.
- فهل يستغرب بعده: أن يسخروا من النبي صلى الله عليه وسلم، أو دينه، أو المؤمنين؟.

فقد سخر إخوانهم السابقون من النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في مواطن كثيرة، ذكر الله تعالى منها ما ذكر، فقال:{إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون * وإذا مروا بهم يتغامزون * وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين * وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون}.
وكانت مجالسهم مليئة بالاستهزاء والسخرية بآيات الله تعالى، كما قال تعالى: {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً}النساء١٤٠.
وقلدهم في ذلك إخوانهم المنافقون؛ فالمنافقون إخوان الكافرين، فسخروا بالصحابة، فأنزل الله تعالى كفرهم، فقال:{قل أبا الله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم}.

لا عجب أن تسخر الصحف الدنمركية وغيرها من الصحف الأوربية من الإسلام ومن رسوله مجددا، وأن يكونوا فعلوا ذلك من قبل، وأن يكرروه فيما يأتي، فلا ينتظر منهم إلا ذاك، وأكثر:
- أليس إخوانهم في الملة هم الذين فتكوا بالمسلمين في سيربرنتشا، فتكوا بأكثر من سبعة آلاف مسلم، قتلوهم صبرا في عشية وضحاها، بينهم أطفال، وشيوخ، ونساء، وزمنى، ومرضى، قتلوا لأنهم قالوا: ربنا الله ؟.
- أليس إخوانهم الذين احتلوا العراق، وقتلوا عشرات الألوف، وهدموا المساجد، واستباحوها بأقدامهم، وقتلوا المستجيرين اللاجئين إلى حماها، وهم الذين فعلوا في أفغانستان مثل ذلك؟.
- أليس إخوانهم الذين احتلوا بلاد المقدس، وهم يقتلون، ويذلون، ويستبيحون كل شيء ؟.
فهؤلاء مثلهم، هل كنا نظن أنهم سيكونون خيرا منهم، وألطف، وأرأف بالمسلمين وأرحم، إنما هم كما قال تعالى: {قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفوا صدورهم أكبر}.

* * *

هي حقيقة مرة، وهو كلام قد لا يحب سماعه بعض الناس، خصوصا المتقربين منهم إلى الغرب، سواء بنشاط سياسي، أو اقتصادي تجاري، أو ثقافي، أو حتى ديني، أو أولئك الذين يقيمون في البلاد الغربية؛ الذين يرون فيه إحياءً لفكرة صراع الحضارات، وتأييدا لصمويل هنتغتون في نظريته.
لكن كرههم لهذه المعادلة القرآنية، وهذه الحقيقة الربانية لا يلغيها ولا يمحوها، ولا يذهبها من الوجود؛ لأنها واقعة حية، وإن تعامى عنها بعضهم، فالصراع موجود مذ توعد الشيطان، وصار له سبيل إلى بني آدم، وقدرة على الغواية.. مذ أمهل إلى يوم الدين، وسيبقى حتى يهلك الشيطان.

وحبنا وكرهنا لن يغير من هذا الواقع شيئا، فالأحرى أن نحسن التعامل معه بحيطة وفهم، بدلا من محاولة يائسة فاشلة لطمسها. فالذين يبشرون بالتعايش مع هؤلاء المحاربين، ويدندون حوله، والذين يدعون إلى التسامح ويظنون أنها أماني ممكنة، وأهدافا قريبة: هم واهمون ؟.

- واهمون؛ لأن القرآن أخبرنا بغير ذلك؛ أخبر أن الكفار المحاربين لا يتركون المؤمنين وحال سبيلهم، بل يترصدون، ويتربصون، ويصدون، وينفقون أموالهم في كل ذلك.

- واهمون؛ لأن الغرب الذي يرفع شعار التعايش والتسامح، يرفعه ثم يناقضه:
- o فسياسيوه يرفعونه ثم يسيرون الجيوش لغزو واحتلال بلاد المسلمين، للفتك والقتل.
- o ومثقفوه ينظرون لهذه الاعتداءات، ويعززون الرأي العام بنظرياتهم حيال الردع.
- o واقتصاديوه يمولون الحرب، ويتربصون بالعوائد والثروات المسلوبة من الأمة.

- كيف يكون تعايشا وسلاما، وزمام الأمر بيد السياسيين والاقتصاديين، يشنون الحروب طمعا في الثروة والكنوز، في أية لحظة، وتحت أي مبرر ؟.

- كيف يكون تعايشا مع محاربين معتدين، يستحلون الأرض، والدم، والمال ؟.

التعايش والسلام مع المسالمين منهم غير المحاربين ممكن وهدف صحيح، لكن هؤلاء ليس بأيديهم شيء من الأمر، ولا حول لهم ولا قوة، حتى لو اعترضوا لم يقدموا شيئا، كما اعترضوا على حرب العراق !!.. فلن يسمع لهم؛ فالقرار بأيدي الأثرياء، والسياسيين، والعسكريين.

هذا التعايش والسلام قد حصل مرارا، لكن في تاريخ المسلمين، لما حكموا فكانت رعاياهم من اليهود، والمسيحيين، والبوذيين، والهندوس، والوثنيين، في أحسن حال، لم يمارس عليهم ضغط، ولم يكرههم أحد على الإسلام، ولم يضطهدوا دينيا. (وراجعوا إن شئتم تاريخ الدولة العثمانية وحياة متأخرى فاتحينا العظام أمثال محمد الفاتح وجده بايزيد الصاعقة . إقروا التاريخ فإن فيه العبر... ضل قوماً ليسوا يدرون الخبر )

لكن التعايش والسلام وهم وسراب، تحت حكم جبابرة عنيدين محاربين، هدفهم الإذلال والسيطرة على الثروة والعباد، وهذا هو الحال اليوم، ومن لم يعرف فتلك مصيبة أعظم. ( فلا فرق بين شيوعية أو ديمقراطية أو علمانية أو رأسمالية أو إشتراكية كلها وجوه إبليسية وخطط شيطانية خاطها إبليس وحده على من عمى عليهم طريق الوحدانية وإفراد ربنا بالعبودية والربوبية والألوهية طلباً وقصداً وتوكلاً وإستعانة . أفيقوا بنوا جنسى لا يغرنكم زخرف القول زورا )

* * *

إذن، ما معنى هذا ؟.

هل معناه: أن نحمل السلاح فندخل في مشروع تأديب هؤلاء المستهزئين الساخرين ؟.

كلا، ليس هذا هو هدف الكلام، وليس هو المطلوب، ونحن بدأنا الكلام بحقيقة قرآنية، واقعية، وتاريخية، هي: انقسام الناس إلى مؤمنين وكافرين، وأن الكافرين يظهرون العداوة للمؤمنين؛ لذا فلا يستغرب منهم أن يسخروا بالنبي صلى الله عليه وسلم، وبآيات الله، وبالمؤمنين.

وكان المقصود: بيان أن علاج هذه الظاهرة العدوانية، لا يكون بمد يد التسامح إلى أولئك الظلمة الفجرة، الذين أساؤوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ونداءهم نداء هينا لينا، والسفر إليهم للمحاورة والمناظرة، لإظهار السماحة، والتقرب إليهم بالضحك والابتسامة، إنما في أمر آخر هو: إظهار الغضب والسخط على ما فعلوه، بكافة الطرق السلمية، التي ليس فيها اعتداء:

- فمن ذلك: مقاطعة تجارتهم، والتعامل معهم، شراء، ووكالة، واستيرادا وتصديرا.
- ومنها: مقاطعة السفر إلى بلادهم، وترك الإقامة فيها لمن قدر على الانتقال إلى بلد آخر.
- ومنها: سحب السفراء، والتمثيل الدبلوماسي، ولو بالتهديد، وإلا فبالاستنكار الشديد.
- ومنها: تسخير القنوات الفضائية لبيان هذا الإجرام، والرد المناسب عليه، لتكن قضية الساعة.
- ومنها: بيان سماحة المسلمين مع المخالفين عبر التاريخ، عكس المخالفين مع المسلمين.
- ومنها: مقاطعة المثقفين وأصحاب الفكر لجلسات الحوار والمناقشة مع المفكرين الغربيين، وإظهار الغضب، ما لم يبرءوا من هذا العدوان الشنيع.
- ومنه: قيام المربين والمعلمين بالتركيز على سيرته صلى الله عليه وسلم بتوازن، فقد عامل بالرحمة، وهو الأصل والأغلب، ولم يمنعه ذلك من الشدة والقسوة، كما فعل مع ابن خطل. فلا يجوز عرض سيرته كأنه لا شدة فيها، أو عرضها وكأنه لا رحمة فيها، فالطرفان ذميم.
- ومنها: كف الشباب والفتيات عن تقليد العوائد والانحرافات الغربية، فلا يجوز تقليد أقوام يسخرون من المؤمنين، ودينهم، ونبيهم، حتى لو لم يسخروا ما جاز، فكيف وقد فعلوا ؟.

كل يظهر غضبه ونصرته للنبي صلى الله عليه وسلم بالقدر الذي يقدر؛ ابتداء من الحاكم إلى العالم، إلى المثقف والداعية، إلى التاجر، إلى المعلم والمربي، إلى الشباب والفتيات.. فليست المناصب، ولا الأموال والتجارات، ولا المتع الدنيوية أعز علينا من الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ودينه. لكن لما هنّا بهذا التكالب على الدنيا، وأردنا العزة بها أذلنا الله، وأي ذل أكبر من هذا الذي نحن فيه، يستباح كل شيء عندنا، ولم نفعل شيئا، ولم نحرك ميتا.

إيانا والتماهي مع شعار التسامح، فنصبح كالشاة تكتفي بأن تبعر في وجه الذئب، يجيء لافتراسها، فإنما المؤمنون أسد، يلدون أسدا، وهم أرحم الناس لضعيف، صادق، عادل، لو كان كافرا، وهم أشد الناس على جبار، كاذب، ظالم، لو كان مسلما.

فلنكن مؤمنين .. وإيانا أن نجعل من الذي يتخذ الشدة مع هذه الجرأة على المقام النبوي، بالموقف والكلمة، ليس العدوان: وكأنه قد تجاوز حده، وفعل خلاف السيرة النبوية. فإن الله تعالى قد جعل النار والعذاب على المستهزئين، ووصفهم فلم يصفهم إلا بالكفر، وهذا منتهى الشدة والغضب، فما على المؤمن إذا اتبع نهج القرآن من شيء.

ولنعلم أن كل ضعف منا، ظهر في صورة تسامح مطلق، حتى في حال العدوان الجريء الخطير: فإنه قد جعل منهم أقواما جرءاء على استباحة كل محرم منا، ولن يكفهم إلا مواقف حادة، تتناسب مع استهزاء حاد، وسخرية حادة، يعلمون فيها أننا أمة أبية.
والله أعلم. نصحت فوفيت وعادلت ووازنت فجزيت خيراً دكتور : لطف الله . ولكن ليتسع المجال لتصور آخر لفعال الغرب فيه إتفاقات مع معادلتك وهناك ثم إختلافات يسيرة لنتأمل ولنستقرأ حال القوم وفيما يفكرون وكيفما يفكروا ؟

حرب المقدســـــات.. مدخل صدام الحضـارات

عبد العزيز مصطفى كامل

الطابع العقائدي للصراع مع الغرب وحلفائه، تزداد حدته وشدته يومًا بعد يوم، ليأخذ صورة (حرب مقدسات) تدور رحاها في ميادين الديانات والاعتقادات التي تدين وتعتز بها جماهير الأمة الإسلامية. والأمثلة لا حصر لها... فالمسجد الأقصى يهدد بالهدم ..والكعبة يتوعد الموتورون بسحقها بقنبلة نووية.. والقرآن يمزق ويحرق ويبال عليه في معسكرات الاعتقال والإذلال، ويتجرأ المجرمون

فيضعون (قرآنا) كاملًا بديلًا، أطلقوا عليه اسم "فرقان الحق"..! أمّا الرسول الأكرم المعظم صلى الله عليه وسلم فإن رمم الأمم استمرؤوا سبه والاستهزاء به، والسخرية من دينه، والانتقاص من قدره وقدر أصحابه وأتباعه وحملة شريعته وأنصار دعوته، مع الإمعان في المطاردة والتضييق والحصار المادي والمعنوي لكل من يحاول أن يرفع رأسًا بهذا الدين في أي أمر ذي بال في حياة الناس، ناهيك عن إهدار الدماء المسلمة بلا أي ثمن مع أنّها أغلى عند الله من أي ثمن .

منذ زمن ليس بالطويل، يلحظ من يراقب العلاقة بين الشرق الإسلامي والغرب النصراني، أنّ هناك استدراجًا واستغضابًا واستفزازًا متعمدًا للمسلمين، يتنامى ويتنوع بصورة مطردة، في شكل غزوات عسكرية، أو حملات ثقافية وإعلامية، أو محاصرات اقتصادية، وأخيرًا... تهجمات دينية. وأصبحنا لا نكاد نرى مكانًا في العالم الإسلامي غير مستهدف بجل أو كل تلك التحديات .

وتتجاوز حملة الاستغضاب والاستدراج فتخرج من النطاق الجغرافي للعالم الإسلامي لتنتقل إلى المسلمين المواطنين أو المستوطنين في أكثر بلدان العالم الغربي بغرض إشعار كل مسلم في العالم أنّه تحت المواجهة بشكل أو بآخر، إما أمنيًا أو اقتصاديًا أو حضاريًا أو عسكريًا أو سياسيًا أو ثقافيًا !..

من اللافت للنظر أيضًا أنّ من يستغضبون عموم المسلمين اليوم، ليسوا من أبناء طائفة واحدة من النصارى، حتى يقال إنّ بينهم وبين المسلمين ثأرًا أو قضية، ولكن عداء أولئك يصدر من جميع طوائفهم، بروتستانتية كانت أو كاثوليكية أو أرثوذكسية، مع قدر غير قليل من التعاون الجلي والخفي مع اليهود؛ فهؤلاء جميعًا مع اختلاف بعضهم مع بعض إلى حد أنّهم يلعن بعضهم بعضًا، ويكفّر بعضهم بعضًا؛ إلاّ أنهم يجتمعون في هذا المسار، مسار التحدي والاستكبار. فمن الجرائم المتواترة والمتكاثرة للبروتستانت من الأمريكيين والبريطانيين والأستراليين والدانمركيين والنرويجيين، إلى جحود الكاثوليك من الفرنسيين والإيطاليين والأسبان، إلى أحقاد الأرثوذكس من الروس والصرب، إلى تعاون هؤلاء جميعًا وتواطئهم مع حثالات اليهود في الشرق والغرب؛ فالهجمة اليوم عامة، وهي مستأنفة تمثل امتدادًا لهجمات استعمارية بروتستانتية وكاثوليكية وأرثوذكسية ويهودية طالت غالب أوطان المسلمين على مدى ما مضى من قرن ونصف. والآن تمتد لتشمل العالم الإسلامي دفعة واحدة لإغضابه دفعة واحدة، ودفعه إلى الارتباك والارتجال.. طمعًا ـ ربّما ـ في إحداث (فوضى خلاّقة ) دولية ...!

إنّها عولمة من نوع جديد: سبق أن أطلقت عليها (عولمة للغضب) حيث تهدف إلى تدويل الغضب الإسلامي بعد إيقاظه! وإلى تثوير العالم الإسلامي بغرض توريطه في صدامات لم يستعد لها .

لقد نجحت عولمة الغضب في صهر العالم الإسلامي كله في بوتقة غضبية واحدة، بعد تلك الجريمة النكراء الشنعاء التي تطاول فيها سفهاء الروم من سكان أوروبا على النبي الكريم المرسل إلينا وإليهم وإلى النّاس أجمعين صلى الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا وذلك عندما نشرت الرسوم البذيئة أول مرة منذ عامين وأصبحنا نسمع عن (عالم إسلامي) يقابله (عالم غربي) في مجال السياسة، ولأول مرة في التاريخ المعاصر، تحدث على مستوى المسلمين (انتفاضة عالمية) تعم كل مكان، وتشمل كل نَسَمَة مسلمة تشـهد لله بالوحدانية وللنبي بالرسالة .

لقد تصور بعضنا لفترة أنّ الصراع اختُصر مع أمريكا وحليفتها (إسرائيل) وأنّ الغرب ليس أمريكا فقط، فإذا بالمسلمين (يفاجئون) بأنّ الغرب عالم واحد وموقف واحد، ويناصر بعضه بعضًا {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} سورة الأنفال: من الآية ٧٣.

فهل نحن بصدد دخول عملي في (عولمة) (صدام الحضارات )؟! وهل ما يحدث هو تدشين مبكر لملاحم عالمية جديدة لا يعلم مداها إلاّ الله..؟ !

إنّ الفساد الذي يتهدد الأرض كلها اليوم بحماقات الغرب المحادِّ لله ورسله مُرشح للتعميم والتدويل... فساد في الاعتقاد وفساد في الأخلاق وفساد في الإعلام وفساد في المجتمعات وفساد في الأسر وفساد في العلاقات وفساد في البيئات، وكل هذا يريدون عولمته لأنّه يمثل نموذج الحضارة (الأخير) الذي ينبغي أن يسدل عليه مشهد (نهاية التاريخ)، ولو أدى صدام الثقافات والحضارات وصراعها .

أليس هذا ما تؤمن به وتدعو إليه وتسير فيه الصقور والنسور الحاكمة في أمريكا وبريطانيا وأستراليا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا... والبقر المنتفش والدجاج المتوحش في كل من الدانمرك والنرويج وإسبانيا...؟! تحت دفع ممن يركبونهم ركوب الحمير من صناع الفتن ومشعلي الحروب !

دعك من الشعوب، في التهائها وغفلاتها، فهي تُستَغَل وتُستغفَل من كبرائها وزعمائها، لتساق إلى أتون مواجهة، قد لا ترضى بها ولا توافق عليها، وآخر ذلك: إعادة هجوم الرسول في ١٧ صحيفة دانماركية، ثم الاستعداد لنشر فيلم يسيء إلى القرآن والإسلام من إنتاج شركة هولندية .

إنّ التحذير يتنامى من تفجير (صدام الحضارات) كلما تجددت فصول من مسلسل عولمة الغضب، ونحن في حاجة إلى أن نعيد قراءة تلك الأطروحة، أو النظرية المسماة بذلك الاسم (صدام الحضارات) لنتدبر شأننا، وننظر إلى مواضع خطانا، ونحكم بعين البصيرة على هذه النظرية الخطيرة التي احتفى بها الغرب منذ أكثر من عقد ونصف، أهي أسطر في كتاب فكري... أو تخطيط لانقلاب دولي، ضد العالم الإسلامي..؟

## صراع الحضارات: نظرية أم إستراتيجية؟

صاحب هذه النظرية أو من أصَّل لها بالمعنى الأدق هو المفكر اليهودي: (صموئيل هنتنجتون) أستاذ العلوم السياسية في جامعة هارفارد الأمريكية وأستاذه هو المؤرخ اليهودي (برنارد لويس) المؤسس للفكرة، وقد صاغ) هنتنجتون) أطروحته لأول مرة في شكل مقالة نشرت في صيف عام ١٩٩٣ م في دورية (فوريجن أفيرز)، وكان ذلك بعد سقوط الاتحاد السوفييتي وانتهاء الحرب الباردة التي رأى الغرب بعدها أنّ عدوه الشيوعي قد توارى، ليبدأ البحث عن عدو جديد، ثم ألّف) هنتنجتون) كتابًا في الموضوع ذاته بعنوان) صدام الحضارات ...إعادة صنع النظام العالمي (والعنوان نفسه يشي بأنّ الأمر ليس مجرد نظرية، بل هو إستراتيجية بل توجه نحو صنع سياسة عملية. فقد تضمن أفكارًا هي أقرب إلى الخطط، وفرضيات يراد تحويلها إلى حتميات .

ولْنُعِد التأمل في أهم مرتكزات ومنطلقات ذلك الكتاب/ النظرية/ الإستراتيجية:

١. الدين هو أهم العوامل التي تميز بين الحضارات، وهو العامل الأهم في صراعات المستقبل .

٢. القرارات التي تصدر عن المنظمات الدولية ينبغي أن تخدم مصالح الغرب، ولكنها تقدم في صورة إرادة المجتمع الدولي .

٣. المجتمعات الإسلامية لا تحدد هويتها إلا بالإسلام (الأصولي)، ورفض العلمانية الغربية هو أكبر الحقائق الاجتماعية في بلاد المسلمين طوال القرن العشرين .

٤ . الكتل الاقتصادية الإقليمية المتنافسة هي صيغة الاقتصاد العالمي في المستقبل .

٥. الصراعات العسكرية بين الحضارتين الإسلامية والغربية استمرت عدة قرون وسوف تستمر وتزداد في المستقبل، وقد تكون أكثر قساوة .

٦. الازدياد السكاني للعالم الإسلامي سيشكل مشكلات لأوروبا بسبب الهجرات المتزايدة صوب الغرب . ( لذا فمن الضرورى أن تكون أهم ركائز الدول المانحة تحديد النسل ومحاربة العفة فى شكل محاربة الحجاب والختان والنهوض بالمرأة بأن تترك تربية اولادها رجال المستقبل وأن تنزل لمزاحمة الرجالة فى أتوبيسات النقل العام وتأخذ البطاطس من السوق لتعدها للتسوية فى غفلة من رئيسها المباشر للعمل و حتى لا يغضب عليها زوجها ويوافق على ذهابها لحفلة عيد ميلاد صديقها فى العمل ياالا الأسف هل هكذا تكرم المرأة فى عالمكم ؟ )

٧. أطراف العالم الإسلامي هي مناطق صدام بين الإسلام وغيره من الأديان: في الجنوب (جنوب السودان - نيجيريا - الصومال - إريتريا - إثيوبيا) في الشمال: (البوسنة - كوسوفا - ألبانيا "مع الصرب"- أرمينيا "مع أذربيجان" - روسيا مع "أفغانستان"- باكستان "مع الهند" - الفلبين "مع الجنوب الإسلامي الفلبيني"، فحدود العالم الإسلامي حدود دامية .

٨. حروب المستقبل ستشهد تحالفًا وتضامنًا بين حضارات ضد حضارات . ( نعم والله وفى هذا إشارات نبوية هامة جداً لآبد أن تستوقفنا منبهرين بعظمة هذا الرسول المبين صلى الله عليه وسلم وسيكون لنا وقفة معها بعد إيراد هذا البحث . )

٩. الحضارة الغربية تعيش مرحلة القمة الآن، اقتصاديًا وعسكريًا .

١٠.. الغرب سيسيطر على بقية العالم عن طريق المؤسسات الدولية .

ثم يخلص الكاتب إلى توصيات، قال" :إنّ على الغرب أن يتبناها لمواجهة صراعات المستقبل ."

وقد قسم السياسات الموصى بها إلى قسمين :

سياسة على المدى الطويل، وسياسة على المدى القصير .

أمّا على المدى القصير، فقد قدم التوصيات التالية :

- على الغرب أن يسعى إلى تعاون أوثق داخل دول الحضارة الغربية، وخاصة بين دول أوروبا وأمريكا الشمالية .

- ضرورة السعي لدمج دول شرق أوروبا وأمريكا اللاتينية في المجتمع الغربي واستغلال التقارب الثقافي (الديني) في هذا .

- السعي للحفاظ على علاقات تعاونية أوثق بين كل من روسيا واليابان .

- منع تطور الصراعات المحلية داخل الحضارة الغربية إلى صراعات كبيرة .

- العمل على الحد من توسع القوة العسكرية للدول الإسلامية والكونفوشية (الصين وكوريا وفيتنام واليابان .).

- عدم السعي إلى تخفيض القوة العسكرية الغربية، مع أهمية الاحتفاظ بقوة عسكرية في شرق وجنوب آسيا ( إندونيسيا ـ باكستان ـ أفغانستان ـ الخليج .)

- استغلال الخلافات بين الدول الإسلامية والكونفوشية والهندوسية .

- دعم الجماعات المتعاطفة مع القيم والمصالح الغربية (الليبراليين) في دول الحضارات الأخرى .

- تقوية دور المؤسسات الدولية التي تعكس مصالح الغرب وقيمه وتمنحها الشرعية .

أمّا على المدى الطويل، فملخص مقترحات (هنتنجتون) كانت هي :

أنّ على الحضارة الغربية أن تحتفظ بقوتها العسكرية والاقتصادية، وتعمل في الوقت نفسه على مقاومة محاولات الحضارات الأخرى في السعي للحصول على أسباب القوة الاقتصادية والعسكرية، مع أهمية أن تفهم دول الحضارة الغربية المنطلقات الدينية والفلسفية التي تدفع الحضارات نحو مصالحها .

عندما نعيد قراءة أحداث الأعوام القليلة الماضية، وخاصة منذ بدأت الألفية الثالثة، نكاد نرى مجموع أفكار صراع الحضارات في خلفية تلك الأحداث جميعًا، وخاصة ما يتعلق منها بالعالم الإسلامي أو ما اصطلحت أمريكا على تسميته مؤخرًا بـ" الشرق الأوسط الكبير"، حيث اندلعت حروب عسكرية، ودشنت حملات أمنية وإعلامية، وشنت هجمات ثقافية على خلفيات حضارية أو دينية صريحة، فرأينا اجتياح أفغانستان الذي راح ضحيته نحو عشرين ألفا من المدنيين العزل ثُم ما تبع ذلك من دعم عصابة الإفساد الحاكمة هناك، وقتال حلف الناتو الشعب كله لتثبيت ذلك النظام الظالم العميل بالقوة، ثم ما حدث في العراق ولا يزال يحدث بعد الغزو الذي استند إلى كذب صريح على العالم كله، قتل خلاله ما لا يقل عن ١٢٠ ألفًا من المدنيين، غير عشرات الآلاف الذين راحوا ضحايا الاقتتال الأهلي الحادث بسبب ذلك الغزو، وما قتل قبلهم من الأطفال الذين بلغوا ما يزيد عن مليون طفل عراقي أثناء الحصار الذي استمر ١٣ عامًا، ولا ننسى قضية الشيشان التي قايضوا عليها روسيا، وبلاد البلقان المسلمة التي يطردون منها الصرب ليحتلها (ناتو) الغرب، والسودان المستهدف بالتقسيم المصلحي بين الفرقاء الغربيين، والصومال الذي يضنون عليه بأي نوع من الاستقرار تحت زعامة إسلامية مسالمة، وكذلك لبنان المرشح للتفجير الطائفي من جديد، وفلسطين التي يتصيدون ويصفون رموزها وقادتها وشعبها بانتظام معلن أمام سمع وبصر العالم، مستكثرين عليها بعد ما يقرب من ستة

عقود من الاحتلال، مجرد سلطة (حكم ذاتي) نظيف ونزيه اختاره الشعب، لا لشيء إلاّ لأنّه يحمل قضية (الإسلام) في برنامجه الانتخابي (الديمقراطي)! فأدخلوا الفلسطينيين في دوامة حصار متوحش لا يعرف معنى الإنسانية والآدمية .

إنّ هذه كلها فصول تتوالى لجر المسلمين في أنحاء متفرقة من العالم إلى صدام حقيقي مع الغرب، يحدد قادته زمانه ومكانه وعنوانه الذي باسمه يثور ويدور .

ويجيء هجوم الرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم، في فصولها السابقة واللاحقة، وكذلك الموجه المتوقعة من الاستغضاب بسبب الفيلم الهولندي المسيء للقرآن.. لتشب النّار في الزيت، ضمن مسلسل هجومي صدامي متواصل .

ليست مصادفات :

لا يمكن لـرشيد أن يفسر ذلك التسلسل العدائي بالمصادفات أو محض الاتفاقات، ولا يمكن كذلك أن يتفهم عاقل ذلك الإجماع المتواطئ المستفز من أكثر دول الغرب بإعادة نشر الرسوم المسيئة في الأزمة الأولي ثم صمته عن جريمة الدانمارك الثانية الآن بإعادة نشرها في ١٧ صحيفة دانماركية، ثم تطاول وزير داخلية ألمانيا هو الآخر ومناداته بإعادة نشر الرسوم في كل الصحف الأوروبية مع الإصرار على عدم الاعتذار في كل مرة بصورة فجة ووقحة، إيغالًا في التحدي الجماعي لسائر شعوب العالم الإسلامي، مع أنّنا لم نسمع عن حملة غربية ضد مقدسات عباد البقر أو النّار أو الأحجار أو حتى عُباد الشيطان .!

إنّ توحيد أوروبا لمواقفها يجيء لتعجيز أو تشتيت الموقف الإسلامي الموحد، بتكثير عدد البلدان التي سيتعين على المسلمين مقاطعتها اقتصاديًا أو دبلوماسيًا .

يساورني شك يكاد يقترب من اليقين منذ البداية، بأنّ تحريك فتنة الأزمات الأخيرة كلما خمدت، إنّما تلعب فيه أصابع ماهرة في خبثها، وبعيدة في مراميها، تريد المزيد من تهييج الغرب ضد المسلمين والعرب، ولا أستبعد اليهود، وإن كنت لا أُغفل غلاة النصـارى من ذوي الاتجـاه اليميني الديني الإنجيلي، ومنهم الحزب الحاكم في الدانمارك، فالأحداث ليست مجرد تفاعلات وتداعيات؛ فالفريقان الصهيونيان اللذان يكادان يتطابقان في أهدافهما ووسائلهما وعقائدهما، يتركان كل حين آثارًا تشير إلى تعمد الاستغضاب وتجديد التصعيد .

على وجه الخصوص؛ فإن بصمات اليهود قتلة الأنبياء في الحمـلة على سيـد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه لا تكاد تخطئها العين، وإذا كان قدر الأنبياء أن يكون لكل نبي عدوا من المجرمين؛ فإنّ أعداء نبيينا صلى الله عليه وسلم، كان اليهود ولا يزالون في مقدمتهم. وهناك قرائن واضحة تدل على أنّ ظل الصهيونية يهودية كانت أو مسيحية لم يكن بعيدًا عن أجواء تلك الأزمة في كل فصولها.

فالصحيفة الدانمركية التي تولت كبر هذه الفتنة ونفخت في كيرها في المرة الأولى وهي صحيفة (يولاند بوسطن) يتوسط عنوانها الرسمي نجمة داوود اليهودية، بلون أصفر يميزها عن الحروف الإنجليزية في الكلمتين المكتوبتين باللون الأسود، مع شيء من التحوير في تلك النجمة.

وقد شاع أنّ رئيس تحرير الصحيفة الدانماركية التي نشرت الرسوم، وكذا رئيس تحرير الصحيفة النرويجية اللتين نشرتا الرسوم الشائنة في المرة الأولى، من أعضاء (المؤتمر اليهودي العالمي) الذي يدير شؤون الفتن في العالم، وإذا صح هذا تكون الكثير من ملامح ومعالم الصورة قد وضحت .

ويتضح الأمر أكثر إذا عُلم أنّهما من الناشطين مع مركز (سايمون فيزنتال) اليهودي في أمريكا، والمختص بوضع الاستراتيجيات الدولية لخدمة أهداف اليهود والدفاع عنها .

إنّ أول من بدأ جرائم الاعتداء العلني على شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنوات الأخيرة هم اليهود، حيث أقدمت امرأة يهودية إسرائيلية على نشر رسوم لها، صورت فيها ـ قاتَلها اللهُ ولعنَها ـ النبي صلى الله عليه وسلم في صورة خنزير، وكتبت على جسده باللغة العربية اسم النبي صلى الله عليه وسلم، وسمحت بعض الصحف بنشرها، لتنتشر بعد ذلك في بعض صحف العالم، وقد ثارت وقتها ضجة من الاحتجاج الإسلامي في أنحاء متفرقة من العالم، وكعادته انبرى بعض الغربيين يؤيدون والبعض الآخر يفلسفون، وآخرون يعتذرون، ليسكّنوا الحمية ويميِّعوا القضية، وكان على رأس هؤلاء وقتها الرئيس الأمريكي السابق (بيل كلينتون)، لكن بلاد كلينتون نفسها الولايات المتحدة تسلمت من اليهود راية التحدي لمقدسات المسلمين بعد ذلك، عندما أقدم جنودها مرات متعددة على دهس ووطء المصحف الشريف بالأحذية وتمزيقه بل ...التبول عليه ـ قاتلهم الله ولعنهم ـ ثم جاء حمار بشري في شكل وزير إيطالي هو) ربرتو كالديرولي) وزير (الإصلاح) في إيطاليا ليرتدي قميصًا عليه الرسوم المسيئة متحديًا جميع المسلمين في العالم، وقبل ذلك كان أحد مهاويس أمريكا وهو الصحفي (ريتش لوري) قد طالب بضرب مكة بقنبلة نووية! وذلك في مقال نشرته له مجلة (ناشيونال ريفيو)، وقد كرر الدعوة نفسها السيناتور الأمريكي (توم تانكريدو)!! وكأنّ القوم يتناوبون على امتهان مقدساتنا ودوس كرامتنا .

وفي تناغم آخر مع السلوك الشائن في أمريكا وأوروبا، كان مجند يهودي إسرائيلي قد أقدم بعد جريمة الدانمرك على كتابة شتائم نابية على جدران أحد المساجد في إحدى مدن فلسطين في ١٥ فبراير 2006، يسب فيها رسول صلى الله عليه وسلم بألفاظ وقحة؛ فلما ثار المواطنون المسلمون وتظاهر بعضهم احتجاجًا؛ تدخلت الشرطة الإسرائيلية، فأطلقت عليهم النيران الحية! ثم تكررت الفعلة الشنعاء بعد ذلك بثلاثة أيام من جندي آخر في مسجد آخر !!

إنّ هذه الشرارات الصغيرة الحقيرة التي يتوالى إشعالها، هي التي يمكن أن تنشئ النيران الكبيرة الخطيرة، وهذا هو ما يراهن عليه مشعلو الفتن وسماسرة الحروب؛ فقد يصدر تصريح، أو يبدر تصرف أو ينشر مقال أو رسم أو مشهد مسيء، فإذا هو يضخم ويعظم إعلاميا حتى يضيء سماء العالم الإسلامي بوهج الغضب وشهب التثوير، وهم يعلمون أنّنا لسنا بحمير حتى نُستغضَب فلا نغضب أو نُستثار فلا نثور .

هؤلاء الساعون إلى إيقاد نار الحروب يريدونها محارق عالمية في معارك "مقدسة" بين تحالف يهودي مسيحي؛ ضد ائتلاف كنفوشي إسلامي، يترجم المراد حرفيًا من المصطلح التوراتي) محور الشر)، الذي روج له الرئيس الأهوج (جورج دبليو بوش)، ولولا أنّ الله تعالى يطفئ من نارهم ما يشاء، لقلنا: على الأرض العفاء منذ زمن طويل﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة المائدة: من الآية ٦٤]، إنّنا لا نستند في ترجيح (تعمد) الاستغضاب الصهيوني يهوديًا كان أو نصرانيًا إلى ظن أو تخمين، بل نستند الى يقين نطق

به القرآن المبين، عن عداوتهم وجراءتهم على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الدين الذي جاء به، كفرًا وحسدًا، لا جهلًا وغفلة، حيث قال تعالى} :وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا (45)مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ] {سورة النساء: ٤٥-٤٦]، وهم لن يستمروا في الطعن في ديننا فقط؛ بل سيقاتلوننا عليه في حروب دينية صريحة يحركون فيها أولياءهم من المشركين، كما حدث كثيرًا في التاريخ} وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا] {سورة البقرة: من الآية ٢١٧[،} لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا] {سورة المائدة: من الآية ٨٢]؛ فهم العدو الأول الظاهر للمسلمين في الزمان كله والمكان كله، منذ مبعث النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم، وحتى يخرج آخرهم في جيوش الأعور الدجال اليهودي .

إنّ هذا كله يؤكد، أنّ معركتنا مع اليهود، لم نأخذها بعدُ مأخذ الجد، حيث تركنا هذا العدو المتجبر فقط للمستضعفين في فلسطين، ويااليتنا وقفنا معهم إذ يذودون عن الأمة كلها، ولكن يكتفي بعضنا في معظم الحالات بموقف المتفرجين المحوقلين... والبعض يأخذ موقف المتواطئين المتورطين في التآمر على هؤلاء المرابطين!

( وبالمرابطين ومع المرابطين لا ينتهي الحديث ولا تنتهي الإشارات النبوية وكنا قد وعدنا إن بإنتها هذا البحث سنعرج على أن الحروب القادمة حروب تحالفية وفى هذا إشارات نبوية هامة لآبد أن تستوقفنا ونستلهم منها المسلك الصحيح الأقوم .

حروب المستقبل ستشهد تحالفًا وتضامنًا بين حضارات ضد حضارات . ( نعم والله وفى هذا إشارات نبوية هامة جداً لآبد أن تستوقفنا منبهرين بعظمة هذا الرسول المبين صلى الله عليه وسلم إذ يقول : ٤٢٢٧ - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِى شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ عَنِ الأَوْزَاعِىِّ عَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ قَالَ مَالَ مَكْحُولٌ وَابْنُ أَبِى زَكَرِيَّا إِلَى خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ وَمِلْتُ مَعَهُمَا فَحَدَّثَنَا عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ قَالَ قَالَ لِى جُبَيْرٌ انْطَلِقْ بِنَا إِلَى ذِي مِخْمَرٍ - وَكَانَ رَجُلاً مِنْ أَصْحَابِ النبي صلى الله عليه وسلم - فَانْطَلَقْتُ مَعَهُمَا فَسَأَلَهُ عَنِ الْهُدْنَةِ فَقَالَ سَمِعْتُ النبي صلى الله عليه وسلم يَقُولُ « سَتُصَالِحُكُمُ الرُّومُ صُلْحًا آمِنًا ثُمَّ تَغْزُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا فَتُنْصَرُونَ وَتَغْنَمُونَ وَتَسْلَمُونَ ثُمَّ تَنْصَرِفُونَ حَتَّى تَنْزِلُوا بِمَرْجٍ ذِي تُلُولٍ فَيَرْفَعُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الصَّلِيبِ الصَّلِيبَ فَيَقُولُ غَلَبَ الصَّلِيبُ . فَيَغْضَبُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَيَقُومُ إِلَيْهِ فَيَدُقُّهُ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَغْدِرُ الرُّومُ وَيَجْتَمِعُونَ لِلْمَلْحَمَةِ » . وهو كما عند ابن ماجة برقمه .

وعند البخاري رحمه الله تعالى في باب الجزية.

٣٢١٢ - حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِىُّ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَلاَءِ بْنِ زَبْرٍ قَالَ سَمِعْتُ بُسْرَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا إِدْرِيسَ قَالَ سَمِعْتُ عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم فِى غَزْوَةِ تَبُوكَ ، وَهْوَ فِى قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ فَقَالَ « اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يدي السَّاعَةِ ، مَوْتِى ، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، ثُمَّ مُوتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا ، ثُمَّ فِتْنَةٌ لاَ يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلاَّ دَخَلَتْهُ ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِى الأَصْفَرِ فَيَغْدِرُونَ ، فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً ، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا » .

وابن ماجة فى باب الفتن .

٤١٧٨ - حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَلاَءِ حدثني بُسْرُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ حدثني أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلاَنِىُّ حدثني عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ الأَشْجَعِىُّ قَالَ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ فِى غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِى خِبَاءٍ مِنْ أَدَمٍ فَجَلَسْتُ بِفِنَاءِ الْخِبَاءِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم « ادْخُلْ يَا عَوْفُ » . فَقُلْتُ بِكُلِّى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « بِكُلِّكَ » . ثُمَّ قَالَ « يَا عَوْفُ احْفَظْ خِلاَلاً سِتًّا بَيْنَ يَدَىِ السَّاعَةِ إِحْدَاهُنَّ مَوْتِى » . قَالَ فَوَجَمْتُ عِنْدَهَا وَجْمَةً شَدِيدَةً . فَقَالَ « قُلْ إِحْدَى ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ثُمَّ دَاءٌ يَظْهَرُ فِيكُمْ يَسْتَشْهِدُ اللَّهُ بِهِ ذَرَارِيَّكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ وَيُزَكِّى بِهِ أَمْوَالَكُمْ ثُمَّ تَكُونُ

الأَمْوَالُ فِيكُمْ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلَّ سَاخِطًا وَفِتْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ لاَ يَبْقَى بَيْتُ مُسْلِمٍ إِلاَّ دَخَلَتْهُ ثُمَّ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِى الأَصْفَرِ هُدْنَةٌ فَيَغْدِرُونَ بِكُمْ فَيَسِيرُونَ إِلَيْكُمْ فِى ثَمَانِينَ غَايَةٍ تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا » .

وعند أبى دواد فى باب الخراج .

٣٠٣٧ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ حَدَّثَنَا سُهَيْلُ بْنُ أَبِى صَالِحٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم « مَنَعَتِ الْعِرَاقُ قَفِيزَهَا وَدِرْهَمَهَا وَمَنَعَتِ الشَّامُ مُدْيَهَا وَدِينَارَهَا وَمَنَعَتْ مِصْرُ إِرْدَبَّهَا وَدِينَارَهَا ثُمَّ عُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ » . قَالَهَا زُهَيْرٌ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ لَحْمُ أَبِى هُرَيْرَةَ وَدَمُهُ .

سنأخذكم بعد الشرح لاستقراء عجيب لأحداث التاريخ السالف الذكر والإشارات النبوية المعتبرة جداً رغم أنف دعاة السلام فى كل مكان .

وكم أود أن أنصح وأرشد وأعلم لنفسي ولغيري ، قد يكثر خطأي ولكن أستلهم الفائدة فأفيدوني هل إستقرآئى صحيح ؟

## الاستقراء من السنة النبوية والأحداث السياسية الحالية.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {ستصالحكم الروم} وفي روايةٍ أخرَى قال: {تصالحون الروم صلحًا آمنًا حتى تغزوا أنتم وهم عدوًّا من ورائهم، فتنصرون وتسلمون وتغنمون وتنصرفون حتى تنزلوا بمرج ذي تلول، فيقول قائل من الروم: غلب الصليب، ويقول قائل من المسلمين: بل الله غلب، فيثور المسلم إلى صليبهم وهو منه غير بعيدٍ فيدقه، وتثور الروم إلى كاسر صليبهم فيضربون عنقه، ويثور المسلمون إلى أسلحتهم فيقتتلون، فيكرم الله تلك العصابة من المسلمين بالشهادة، فتقول الروم لصاحب الروم: كفيناك العرب، فيغدرون فيجتمعون للملحمة فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كلّ غاية اثنا عشر ألفًا} وفي روايةٍ أخرَى قال: {فعند ذلك تغدر الروم وتكون الملاحم فيجتمعون إليكم فيأتونكم في ثمانين غاية مع كل غاية عشرة آلاف} (صحَّحه ابن حبان والحاكم والذهبي والألباني والأرنؤوط) وقد يكون فتح فارس (إيران) ضمن هذه الحرب أو قبلها، وكثير من النصارى يعود بعد هذه الحرب مع المسلمين مسلمين، بعدها تكون الملحمة الكبرَى.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {فسطاط المسلمين يوم الملحمة الكبرى بأرضٍ يُقال لها (الغوطة) فيها مدينة يُقال لها (دمشق) خير منازل المسلمين يومئذ} (صحيح الجامع) وقال: {لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيشٌ من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافُّوا قالت الروم: خلُّوا بيننا وبين الذين سُبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلّي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدًا ويُقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله ويفتتح الثلث لا يُفتنون أبدًا فيفتتحون قسطنطينية فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علَّقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان إنَّ المسيح قد خلفكم في أهليكم فيخرجون وذلك باطل، فإذا جاؤوا الشام خرج، فبينما هم يعدّون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم فأمّهم فإذا رآه عدوّ الله ذاب كما يذوب الملح في الماء فلو تركه لانذاب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته} (صحيح مسلم) وفي تفصيل أكثر لأحداث الملحمة الكبرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {...وتكون عند ذاكم القتال ردّةٌ شديدة فيشترط المسلمون شرطة -(وهي طائفة من الجيش تقدم)- للموت لا ترجع إلاّ غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفيء هؤلاء وهؤلاء كلٌّ غير غالب وتفنَى الشرطة، ثمَّ يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلاّ غالبة فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفيء هؤلاء وهؤلاء كلٌّ غير غالب وتفنَى الشرطة، ثمَّ يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلاّ غالبة فيقتتلون حتى يمسوا فيفيء هؤلاء وهؤلاء كلٌّ غير غالب وتفنى الشرطة، فإذا كان اليوم الرابع

نهد إليهم بقية أهل الإسلام فيجعل الله الديرة -(الدائرة)- عليهم -(على الروم)- فيقتلون مقتلة إمّا قال: لا يُرَى مثلها وإمّا قال: لم يُرَ مثلها، حتى إنّ الطائر ليمرّ بجنباتهم فما يخلفهم حتى يخرّ ميتا، فيتعادّ بنو الأب كانوا مائة فلا يجدونه بقي منهم إلاّ الرجل الواحد، فبأيّ غنيمةٍ يُفرح أو أيّ ميراثٍ يُقسم...} (صحيح مسلم)

ثمَّ تُفتح القسطنطينية (اسطنبول)؛ يفتحها ٧٠ ألفًا من بني إسحاق بالتهليل والتكبير (بلا قتال).

قال النبي صلى الله عليه وسلم: {سمعتم بمدينة جانبٌ منها في البَرّ وجانبٌ في البحر؟} قالوا: نعم يا رسول الله، (يعني القسطنطينية؛ وهي اسطنبول) قال: {لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفًا من بني إسحاق فإذا جاؤوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم، قالوا: لا إله إلاّ الله والله أكبر فيسقط أحد جانبيها. قال ثور -راوي الحديث-: لا أعلمه إلاّ قال: الذي في البحر، ثمَّ يقولوا الثانية لا إله إلاّ الله والله أكبر فيسقط جانبها الآخر، ثمَّ يقولوا الثالثة لا إله إلاّ الله والله أكبر فيفرّج لهم فيدخلوها، فبينما هم يقتسمون المغانم إذ جاءهم الصريخ فقال: إنَّ الدجّال قد خرج فيتركون كلّ شيء ويرجعون} (رواه مسلم).

وروى الحاكم في مستدركه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: {الملحمة العظمى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال في سبعة أشهر} سكت عنه الحاكم والذهبي.

اليوم فتحت مصر بخاطرها قناة السويس لبارجات أمريكا وأوربا بهذا الصلح وهذه الهدنة ..أقامة السعودية وأغلب دول الخليج قواعد عسكرية للروم بهذا الصلح وهذه الهدنة . قطر تحولت لولاية أمريكية بهذا الصلح وهذه الهدنة . أصبحت عمان محمية بريطانية بهذا الصلح وهذه الهدنة ... السياسيون العرب قد يكونوا مشغولون بنهبهم عن هذه الأمور ولكنها إرادة الله الكونية وتصديق لإخبارات خير البرية

سياسيونا يظنونهم أصدقاء سلام ومخدوعين فيهم وهذه هى حقيقة البلية ... يا سياسيونا استرشدوا سياستكم من إخبارات نبيكم وليس من أفكار وضعية أكلت الأخضر واليابس لتطبيقها قهراً وقسراً من شيوعية وعلمانية وليبرالية وديمقراطية ... ماذا فعلت الشيوعية فى العالم فى الحروب العالمية ؟ أكثر من ٥٠٠ مليون ما بين قتيل وشريد بسبب إرادة الطواغيت إجبار الناس على التصديق بأن الإنسان قرد يا للعار يا للخيبة .

ولنشر الديمقراطية فيما يسمى بالعصر الحديث الآن أكثر من ١٥٠ مليون قتيل ومشرد فى العراق وفلسطين والصومال والسودان وسوق الدعارة فى لبنان وإندونيسيا والفلبين وأفغانستان والشيشان وكوسوفا والبوسنة والهرسك وسراييفو ... كم من مقبرة جماعية .. كم من هجمة بربرية لإرساء الديمقراطية . يسب الخالق وتحيد شريعته بسبب موضوعيات بشرية قوانين وضعية ونترك السلسبيل العذب المنزل من خالق الإنسان والحيوان والجماد الصانع البارئ المصور من خلق الإنسان وفهمه وعدله وركبه بأي عقول ترعووا وبأى لغة تفهموا ؟

هذه هى الحرب ومتاريسها وآلتها . وأما ميدانياً فاليوم توثقت التحالفات وانقسم العالم إلى ما يشبه معسكرين ... فروسيا لم تنسى بلشفيتها ولم تنسى أمجاد ظنتها تليدة أقامتها بمعسكرات الموت والقتل والتشريد فتزعمت معسكر يظن الناس أنه وهمي ولكنه قائم وتحالفاته على قدم وساق ترأست روسيا المعسكر الشرقي ونراها والصين تنافحان عن مجوس إيران ومهابيل البعث فى سوريا ... إذن فالمعالم واضحة .. تحالف بين العرب والروم ضد روسيا والنمر الصيني ومجوس إيران وبقايا البعثيين ... الأجواء مستعرة لهذه الأحداث وما فلح مجلس أمم أو مجلس أمن أو المجالس الحقوقية ولا حتى فسحة الست أم للو .

وهل هناك علامات جلية تصوب ما أشرت إليه ؟

مَنَعَتِ الْعِرَاقُ قَفِيزَهَا وَدِرْهَمَهَا وَمَنَعَتِ الشَّامُ مُدْيَهَا وَدِينَارَهَا وَمَنَعَتْ مِصْرُ إِرْدَبَّهَا وَدِينَارَهَا ثُمَّ عُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ ...نقول وبالله الحول والقوة اللهم نعم وإنها لأشارات نبوية قائمة على أرض الواقع وقد قدمنا الحديث الشريف الذى يشير إليها ، من حصار العراق وقد مضى الحصار والآن العراق

محتل .. ولا ينكر هذا إلا جاحد مكذب .. العراق حوصر واحتل والشام تحركت لحصاره آلة الحرب الأمريكية على رأسهم البارجة (كول ) وهى الآن واقفة على سواحل الشام لبدأ الأجتياح ، وحتماً سيتحقق الشطر الثالث من الحديث وستحاصر مصر .. وأنا أقول إن مصر محاصرة بالفعل يا سادة، ولا سيادة لها على أرضها وكذا كل بلاد المسلمين ، لا سيادة لهم فى أوطانهم ، لا سيادة لهم فى تعاليمهم ، لاسيادة لهم فى خيرات أنعم الله تعالى بها عليهم .

الميودست تزعموا العالم الميودست ذهبوا لنهب ذهب العراق ليهدموا بعدها المسجد الأقصى وليبنوا الهيكل وينثروا الذهب لنزول مسيخهم الدجال .. والفرات ينحسر وهم ينتظرون نهب جبل الذهب .

والآمة فى وهنّ

أمة محمد فى مصر واقفة فى طابور العيش ..

وفى المغرب فى مناقشة إصلاحات نون النسوة ...

وفى تونس منتظرة الإذن والتصريح بالصلاة فى المسجد ..

وأن يسمح للمسلمة بلبس حجابها قربة إلى الله

وفى الخليج فى متابعة مؤشر البورصة ...

وفى ليبيا إشتراكية لحل المشكلة وإنشاء دولة إسراطين ..

والتفكر فى الرافضة المساكين وإعطائهم حقهم المزعوم فى الشمال الإفريقي بعودة الدولة العبيدية الكافرة

وفى سوريا تنام تحت عباءة المجوس ...

فلا فرق بين من يقول بتناسخ الآرواح وبين من يقول بعصمة لإنسان بعد الرسول ..فأين أصحاب العقول ؟

وفى لبنان من قواد لقواد ولا أعرف دعارة سيمون أسمر ستودى بهم إلى أين ؟

وأخرتها شو بدك يا أزعر ؟

وعن فلسطين لا تسل ولا عن العراق

الكل فى عراك

وحسبنا الله ونعم الوكيل

يا سادتى تكرارهم الإساءة علامة عندى بأن الأمر مدبر

علامة عندي بأن لسان حال شيطانهم يقول : هل بقى فى أمة محمد نفسٌ تدافع به عن محمد أم نزود عليها الحصارات والضغوط والقيود .. إن كان ما هدها ما سبق من حروب عالمية وسيطرات إستعمارية نهبية. هل مازالوا مهتمين لأمر محمد ؟ هل مازالوا ملتفين حول منهج محمد ؟

هل نحتل فلسطين جديدة لننسيهم دين الإرهاب ؟

هل ندمر عراق جديدة لإرساء الديمقراطية ؟

هل نسيتم دين محمد أم بقى منه قدر ؟

هذا ما ينشدونه من الإساءة

هل نسيتم محمد خلف لهثكم فى صراعات الحياة ؟

*.*.*.*.*.*.*.*.*.*.*.*.*.*

الفصل الثامن : التبليغ عنه نصرة

لا نصرة حقيقية للرسول صلى الله عليه وسلم إلا بنصرة محابه وسنته وصورته وسيرته وسريرته،

تنصره عندما تنصر ما أوذي وعودي لأجله ، تنصره عندما تحمل على عاتقك ما أهمه وشغله ، تلك نصرته حقاً وصدقاً وتأسياً وإقتداء وإتباع ، من ذلك ما ذكره الإمام القيم شمس الدين ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى فى كتابه وتحفته الموسومة (( مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ))

إذ يقول قدس الله روحه وأنار ضريحه :

ما رواه الترمذي من حديث أبي جعفر الرازي عن الربيع بن انس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع ) قال الترمذي هذا حديث حسن غريب رواه بعضهم فلم يرفعه .

وإنما جعل طلب العلم من سبيل الله لأن به قوام الإسلام كما أن قوامه بالجهاد، فقوام الدين بالعلم والجهاد ،ولهذا كان الجهاد نوعين جهاد باليد والسنان وهذا المشارك فيه كثير والثاني الجهاد بالحجة والبيان وهذا جهاد الخاصة من أتباع الرسل وهو جهاد ألائمة وهو أفضل الجهادين لعظم منفعته وشدة مؤنته وكثرة أعدائه قال تعالى في سورة الفرقان وهي مكية ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلتطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا فهذا جهاد لهم بالقرآن وهو أكبر الجهازين وهو جهاد المنافقين أيضا، فإن المنافقين لم يكونوا يقاتلون المسلمين بل كانوا معهم في الظاهر وربما كانوا يقاتلون عدوهم معهم ومع هذا فقد قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } التحريم٩

يا أيها النبي جاهد الذين أظهروا الكفر وأعلنوه، وقاتلهم بالسيف، وجاهد الذين أبطنوا الكفر وأخفوه بالحجة وإقامة الحدود وشعائر الدين، واستعمل مع الفريقين الشدة والخشونة في جهادهما، ومسكنهم الذي يصيرون إليه في الآخرة جهنم، وقَبُح ذلك المرجع الذي يرجعون إليه. ومعلوم أن جهاد المنافقين بالحجة والقرآن والمقصود أن سبيل الله هي الجهاد وطلب العلم ودعوة الخلق به إلى الله ولهذا قال معاذ رضى الله عنه: عليكم بطلب العلم فإن تعلمه لله خشية ومدارسته عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد .

ولهذا قرن سبحانه بين الكتاب المنزل والحديد الناصر كما قال تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ } الحديد٢٥

لقد أرسلنا رسلنا بالحجج الواضحات، وأنزلنا معهم الكتاب بالأحكام والشرائع، وأنزلنا الميزان؛ ليتعامل الناس بينهم بالعدل، وأنزلنا لهم الحديد، فيه قوة شديدة، ومنافع للناس متعددة، وليعلم الله علمًا ظاهرًا للخلق من ينصر دينه ورسله بالغيب. إن الله قوي لا يُقْهَر، عزيز لا يغالَب. فذكر الكتاب والحديد إذ بهما قوام الدين كما قيل :

فما هو إلا الوحي أو حدُ مرهفٍ % تميل ظباهُ اخدعاً كل مايلِ
فهذا شفاءُ الداءُ من كلِ عاقلٍ % وهذا دواء الداء من كل جاهلِ

ولما كان كل من الجهاد بالسيف والحجة يسمى سبيل الله فسر الصحابة رضى الله عنهم

قوله تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً } النساء٥٩

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، استجيبوا لأوامر الله تعالى ولا تعصوه، واستجيبوا للرسول صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من الحق، وأطيعوا ولاة أمركم في غير معصية الله، فإن اختلفتم في شيء بينكم، فأرجعوا الحكم فيه إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، إن كنتم تؤمنون حق الإيمان بالله تعالى وبيوم الحساب. ذلك الردُّ إلى الكتاب والسنة خير لكم

من التنازع والقول بالرأي، وأحسن عاقبة ومآلا. أما الأمراء والعلماء فإنهم المجاهدون في سبيل الله هؤلاء بأيديهم وهؤلاء بألسنتهم.

فطلب العلم وتعليمه من أعظم سبيل الله عز وجل قال كعب الأحبار: طالب العلم كالغادي الرايح في سبيل الله عز وجل .

وجاء عن بعض الصحابة رضى الله عنهم إذا جاء الموت طالب العلم وهو على هذه الحال مات وهو شهيد .

وقال سفيان بن عيينة: من طلب العلم فقد بايع الله عز وجل .

وقال أبو الدرداء : من رأى الغدو والرواح إلى العلم ليس بجهاد فقد نقص في عقله ورأيه .

وكذا ما رواه الترمذي حدثنا محمود بن غيلان ،حدثنا أبو أسامة ،عن الأعمش ،عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة.

قال الترمذي هذا حديث حسن قال بعضهم ولم يقل في هذا الحديث صحيح ،والحديث رواه مسلم في صحيحه من أوجه، عن الأعمش، عن أبي صالح قال الحاكم في المستدرك هو صحيح على شرط البخاري ومسلم .

وقد تقدم حديث أبي الدرداء في ذلك والحديث محفوظ وله اصل ،وقد تظاهر الشرع والقدر على أن الجزاء من جنس العمل، فكما سلك طريقا يطلب فيه حياة قلبه ونجاته من الهلاك، سلك الله به طريقا يحصل له ذلك ،وقد روى من حديث عائشة رواه ابن عدي ،من حديث محمد بن عبد الملك الأنصاري، عن الزهري، عن عروة ،عنها مرفوعا ولفظه أوحى الله إلى انه من سلك مسلكا يطلب العلم سهلت له طريقا إلى الجنة .

إن النبي دعا لمن سمع كلامه ووعاه وبلغه بالنضرة، وهي البهجة ونضارة الوجه وتحسينه، ففي الترمذي وغيره من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : نضر الله إمرءٌ سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها، فرب حامل فقه إلى من هو افقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم، إخلاص العمل لله، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم.

وروى هذا الأصل عن النبي ابن مسعود ومعاذ بن جبل وأبو الدرداء وجبير بن مطعم وانس بن مالك وزيد بن ثابت والنعمان بن بشير.

قال الترمذي حديث ابن مسعود حديث حسن صحيح وحديث زيد بن ثابت حديث حسن ،وأخرج الحاكم في صحيحه حديث جبير بن مطعم والنعمان بن بشير، وقال في حديث جبير على شرط البخاري ومسلم ،ولو لم يكن في فضل العلم إلا هذا وحده لكفى به شرفا، فإن النبي دعا لمن سمع كلامه ووعاه وحفظه وبلغه ،وهذه هي مراتب العلم أولها وثانيها سماعه وعقله، فإذا سمعه وعاه بقلبه أي عقله، واستقر في قلبه ،كما يستقر الشيء الذي يوعى في وعائه ولا يخرج منه.

وكذلك عقله هو بمنزلة عقل البعير والدابة ونحوها، حتى لا تشرد وتذهب ،ولهذا كان الوعي والعقل قدرا زائدا على مجرد إدراك المعلوم.

المرتبة الثالثة: تعاهده وحفظه ،حتى لا ينساه فيذهب. ( وذاك بمدارسته ومناقشته والتعايش به وترغيب الناس فيه وأن لا نجاة لأحد إلا بالعلم الرباني الشريف ولا مين يؤخذا منه هذا العلم أنقى وأصفى من معين الرسول وصحبه وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .. والفئة الغالبة المنصورة طائفة الحق .. أهل السنة والجماعة .. بفهم السلف الصالح )

المرتبة الرابعة: تبليغه وبثه في الأمة ليحصل به ثمرته ومقصوده، وهو بثه في الأمة ،فهو بمنزلة الكنز المدفون في الأرض الذي لا ينفق منه ، وهو معرض لذهابه فإن العلم ما لم ينفق منه ويعلم فإنه يوشك أن يذهب ،فإذا انفق منه نما وزكا على الإنفاق ،فمن قام بهذه المراتب الأربع دخل تحت هذه الدعوة النبوية المتضمنة لجمال الظاهر والباطن ،فإن النضرة هي البهجة والحسن الذي يكساه الوجه

من آثار الإيمان، وابتهاج الباطن به ،وفرح القلب وسروره والتذاذه به، فتظهر هذه البهجة والسرور والفرحة نضارة على الوجه ،ولهذا يجمع له سبحانه بين البهجة والسرور والنضرة ،كما في قوله تعالى: {فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً }الإنسان١١

فوقاهم الله من شدائد ذلك اليوم، وأعطاهم حسنًا ونورًا في وجوههم، وبهجة وفرحًا في قلوبهم، فالنضرة في وجوههم والسرور في قلوبهم، فالنعيم وطيب القلب يظهر نضارة في الوجه ،كما قال تعالى : {تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ } المطففين٢٤

ترى في وجوههم بهجة النعيم، والمقصود أن هذه النضرة في وجه من سمع سنة رسول الله ووعاها وحفظها وبلغها ،فهي اثر تلك الحلاوة والبهجة والسرور الذي في قلبه وباطنه ،وقوله رب حامل فقه إلى من هو افقه منه، تنبيه على فائدة التبليغ ،وان المبلغ قد يكون افهم من المبلغ ،فيحصل له في تلك المقالة ما لم يحصل للمبلغ ،أو يكون المعنى أن المبلغ قد يكون افقه من المبلغ ،فإذا سمع تلك المقالة حملها على أحسن وجوهها واستنبط فقهها وعلم المراد منها، وقوله ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم إلى آخره ،أي لايحمل الغل ولا يبقى فيه مع هذه الثلاثة فإنها تنفى الغل والغش وهو فساد القلب وسخايمه ،فالمخلص لله إخلاصه يمنع غل قلبه ويخرجه ويزيله جملة ،لأنه قد انصرفت دواعي قلبه وإرادته إلى مرضاة ربه فلم يبق فيه موضع للغل والغش، كما قال تعالى: {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ }يوسف٢٤

ولقد مالت نفسها لفعل الفاحشة، وحدَّثت يوسفَ نفسُه حديث خطرات للاستجابة، لولا أن رأى آية من آيات ربه تزجره عمَّا حدثته به نفسه، وإنما أريناه ذلك؛ لندفع عنه السوء والفاحشة في جميع أموره، إنه من عبادنا المطهرين المصطفَين للرسالة الذين أخلصوا في عبادتهم لله وتوحيده.

فلما أخلص لربه صرف عنه دواعي السوء والفحشاء، فانصرف عنه السوء والفحشاء ،ولهذا لما علم إبليس انه لا سبيل له على أهل الإخلاص استثناهم من شرطته التي اشترطها للغواية والإهلاك، فقال {إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ }الحجر٤٠

إلا عبادك الذين هديتهم فأخلصوا لك العبادة وحدك دون سائر خلقك.

قال تعالى : {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ }الحجر٤٢

لكن سلطانك على مَن اتبعك مِنَ الضالين المشركين الذين رضوا بولايتك وطاعتك بدلا من طاعتي. فالإخلاص هو سبيل الخلاص ،والإسلام هو مركب السلامة ،والإيمان خاتم الأمان ،وقوله ومناصحة أئمة المسلمين هذا أيضا مناف للغل والغش ،فإن النصيحة لا تجامع الغل ،إذ هي ضده فمن نصح الائمة والأمة فقد برئ من الغل، وقوله ولزوم جماعتهم ،هذا أيضا مما يطهر القلب من الغل والغش ،فإن صاحبه للزومه جماعة المسلمين يحب لهم ما يحب لنفسه ،ويكره لهم ما يكره لها ،ويسوؤه ما يسؤهم ،ويسره ما يسرهم ،وهذا بخلاف من انحاز عنهم واشتغل بالطعن عليهم والعيب والذم لهم، كفعل الرافضة والخوارج والمعتزلة وغيرهم، فإن قلوبهم ممتلئة نحلا وغشا ،ولهذا تجد الرافضة ابعد الناس عن الإخلاص ،وأغشهم للائمة والأمة، وأشدهم بعدا عن جماعة المسلمين ،فهؤلاء اشد الناس غلا وغشا بشهادة الرسول والأمة عليهم، وشهادتهم على أنفسهم بذلك، فإنهم لا يكونون قط إلا أعوانا وظهرا على أهل الإسلام ،فأي عدو قام للمسلمين كانوا أعوان ذلك العدو وبطانته ،وهذا أمر قد شاهدته الأمة منهم ،ومن لم يشاهد فقد سمع منه ما يصم الأذان، ويشجي القلوب، وقوله فإن دعوتهم تحيط من ورائهم هذا من أحسن الكلام وأوجزه وأفخمه معنى ،شبه دعوة المسلمين بالسور والسياج المحيط بهم المانع من دخول عدوهم عليهم ،فتلك الدعوة التي هي دعوة الإسلام، وهم داخلونها،و لما كانت سورا وسياجا عليهم أخبر أن من لزم جماعة المسلمين أحاطت به تلك الدعوة التي هي دعوة الإسلام ،كما أحاطت بهم ،فالدعوة تجمع شمل الأمة، وتلم شعثها ،وتحيط بها، فمن دخل في جماعتها أحاطت به وشملته .

ثم إن النبي أمر بتبليغ العلم عنه ،ففي الصحيحين من حديث عبد الله ابن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار. وقال : ليبلغ الشاهد منكم الغائب روى ذلك أبو بكرة ،ووابصة بن معبد، وعمار بن ياسر، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وأسماء بنت يزيد بن السكن، وحجير، وأبو قريع، وسرى بنت نبهان، ومعاوية بن حيدة القشيري، وعم أبي حرة ،وغيرهم.

فأمر بالتبليغ عنه لما في ذلك من حصول الهدى بالتبليغ ،وله أجر من بلغ عنه ،وأجر من قبل ذلك البلاغ ،وكلما كثر التبليغ عنه تضاعف له الثواب، فله من الأجر بعدد كل مبلغ، وكل مهتد بذلك البلاغ، سوى ماله من اجر عمله المختص به، فكل من هدى واهتدى بتبليغه فله أجره لأنه هو الداعي إليه، صلى الله عليه وسلم، ولو لم يكن في تبليغ العلم عنه إلا حصول ما يحبه لكفى به فضلا، وعلامة المحب الصادق ،أن يسعى في حصول محبوب محبوبه، ويبذل جهده وطاقته فيها، ومعلوم انه لا شيء أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، من إيصاله الهدى إلى جميع الأمة، فالمبلغ عنه ساع في حصول محابه، فهو اقرب الناس منه، وأحبهم إليه، وهو نائبه وخليفته في أمته وكفى بهذا فضلا وشرفا للعلم وأهله.

ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم، قدم بالفضائل العلمية في أعلا الولايات الدينية وأشرفها، وقدم بالعلم بالأفضل على غيره.

فروى مسلم في صحيحه من حديث ابي مسعود البدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم إسلاما أو سنا وذكر الحديث فقدم في الإمامة تفضيله العلم على تقدم الإسلام والهجرة ،ولما كان العلم بالقرآن أفضل من العلم بالسنة لشرف معلومه على معلوم السنة قدم العلم به. ثم قدم العلم بالسنة على تقدم الهجرة، وفيه من زيادة العمل ماهو متميز به، لكن إنما راعى التقديم بالعلم ثم بالعمل، وراعى التقديم بالعلم بالأفضل على غيره ،وهذا يدل على شرف العلم وفضله ،وإن أهله هم أهل التقدم إلى المراتب الدينية .

فيا شرف المنزلة من أن تكون حبيب رسول الله، نائب عن حبيب الله مقتبس من هدى رحمته التى هى للعالمين قائمة ليوم الساعة ويا لشرف أن تحمل لواء الرحمة أنت رحمة النبى على جميع الخلق .. فهل ينتصر للحبيب بأكثر مما يحبه ويهتم لأجله صلى الله عليه وسلم .

وهذا الآتي مبحثاً غاية فى الروعة يعرفنا كيف نكون مسلمين منتصرين لهدى رحمة الله للعالمين ، وهو للأستاذ الفاضل والداعية المصلح : أنس إبراهيم الدغيم ...فكن مسلماً كن مقتدياً كن متأسياً كن متبعاً تكن لرسول الله منتصراً .

## الفصل التاسع : كُنْ مُسْلِماً

### كُنْ مُسْلِماً (١)

أيّها المسلم: هاأنذا أهبك من رحيق فكري فلا ترغب عنه فالحكمة ضالّةُ المؤمن، حيث وجدها فهو أولى بها ومن أوتيها فقد أوتيَ خيراً كثيراً، فلا يقعدنَّ بك العجزُ عن دخول ميدان الأفكار، فإنه خيرُ منزلٍ تنزله.

واعلم أنّ الله أمرك بالتّفكّر، وطالبك بالتدبّر، فقف نفسَكَ على أمر مولاك، وطالبْ نفسَك بما طلبه منك، ففي الأولى النّجاة، وفي الثانية حلاوةُ الحياة.

أيها المسلم: إنّك خليفة الله في أرضه ومظهر ألوهيّته فيها ((وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون)) .
واعلمْ أنّك مؤتمنُهُ على رسالته، ووصيُّهُ على أمانته ((إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا)) .

أيّها المسلم: لقد خلع الله عليك خلعة الخلافة وحمّلك عبأ الأمانة، فأدّ الأمانة وأحسن الخلافة، واستعملْ نفسَكَ فيما يرضيه.
وإنّك سفيرُه إلى خلقِه، وحاملُ سِفره في خليقته، فلا تشتغلْ بما خُلِقَ لأجلك، واشتغلْ بما خُلقتَ لأجله.
فإنّ قيامك بما أوكلَ إليكَ هو عينُ الصّواب، ووقوفكَ على ما طُلبَ منك دليلٌ على أنّك من أولي الألباب.
((إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها)) .
فلا تكنْ كالذي آتاهُ الله الآياتِ فانسلخَ منها فأتبعه الشّيطانُ فكان من الغاوين.
ولكنْ واجه بنور إيمانك الوقادِ ليل السّامريّ.
فلن تدخلَ حضرةَ الحقّ إلا إذا تبرّأتَ من "مِساس".
وكنْ كما الشّجرةُ الطّيّبةُ، أصلُها ثابتٌ وفرعُها في السّماء، تؤتي أكلَها كلَّ حينٍ بإذنِ ربّها.
ولا تكن كشجرةٍ خبيثةٍ اجتُثّتْ من فوق الأرض ما لها من قرار.

قطيرةٌ أنا لكنّي الخضمُّ إذا --- درجتُ فيما يريدُ اللهُ من درجِ
لا بل أنا قدرةٌ تحيا إرادتُها --- لولا الإرادةُ لم أخرج ولم ألجِ
أنا الخليفةُ جلّ الشّأنُ وانطلقتْ --- منه الرّسالاتُ تمضي بالهدى وَتجي

فلا تهتمَّ بمرارةِ الأيّام والأوقات، فإنّ حلاوةَ الإيمان أكبر وجوارُ الله ينسي كلَّ رزيّة. واحتملْ آلامَكَ في قلبك الكبير، واحتسبْ جراحاتِكَ وعذاباتِكَ قُرُباتٍ على باب الحبيب الأوّل.
(لقد اختارك الله لتحمل هذه الأمانة الكبرى، ولتكونَ مستودعَ نورِ الله وموضعَ تلقّي فيضه والمركز الذي تتّصل فيه السّماء بالأرض، إنّ اختيارَ الله هذا لَفضلٌ لا يعدلُهُ فضل، فضلٌ عظيمٌ يربى على كلّ ما يبذله المؤمن من نفسه وماله وحياته، ويربى على متاعبِ الطّريق وآلام الكفاح وشدائد الجهاد) .

أيّها المسلم: لا بأسَ عليكَ إذا جعتَ، فكِسرةٌ من خبزِ رضاه تقيمُ صُلبَك ما عشتَ وتشدُّ أوَدَكَ ما حييت.
ولا بأسَ عليك إذا ظمئتَ، فشربةٌ من كفّ عطفِه تكفيك، فإنّ وِردَهُ لَذّةٌ للشّاربين.
ولا ضيرَ عليكَ إذا عريت، فإنّ خِلعتَهُ التي خلعها عليك، هي أجملُ ثوبٍ ترتديه.
(ما ضرَّ من كَسَرهُ عِزّي، إذا جبرهُ فضلي، إنّما تليقُ خِلعةُ العِزِّ ببدن الانكسار، أنا عندَ المنكسرةِ قلوبُهم من أجلي) .
فلا تتبرّمْ بقضاءِ مولاكَ فيك وإنْ كانَ ظاهرُهُ محزناً، ففي خفاياهُ الخيرُ قائمْ.
ولا تضجرْ بقدرِ الله عليك وإنْ كانَ وافدُهُ موهناً، ففي طواياهُ اللّطفُ سالم.
فإنّه سبحانه (ربّما أعطاكَ فمنَعَك، وربّما منعك فأعطاك) ، وقد قال الحبيبُ المصطفى صلّى اللهُ عليه وسلّم: «عجباً للمؤمن! لا يقضي اللهُ قضاءً إلا كان خيراً له، إنْ أصابتهُ ضرّاءُ صبر فكان خيراً له، وإنْ أصابتهُ سرّاءُ شكر فكانَ خيراً له، وليسَ ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن» .

أيّها المسلم: (دينك، دينك، إنّما هو لحمُكَ ودمُك) لا تبعْه فتخسرَ الدّنيا والآخرة، وتصبحَ بضاعةً مزجاة، لا كيلَ لك عند ربّك.
فإنّ فيه مفازكَ بالنّعيم، وجوازَك إلى دارِ المُقامة.
فليكنْ طعامُكَ وشرابُكَ من هذا الدّين، وشهيقُكَ وزفيرك من هذا الدّين، حتّى لا تخسرَ كرسيَّ خلافتك.
(الدّنيا مجازٌ، والآخرةُ وطن، وإنّما تُطلبُ الأطمارُ في الأوطان) .

أيّها المسلم: كلّما شردَ قلبُكَ عن الطّريق القويم، ومالَ عن الصّراطِ المستقيم، فاغسلْهُ بماءِ الرّجوع إلى مولاه. واصبغْ كلّ جارحةٍ فيك بدهونِ الإيمان وتوجّهْ إلى مولاكَ وقلْ (إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) ، حينها تفوزُ في الدّارين، وليكنِ اللهُ في قلبكَ في حركاتِكَ وسكناتِك، وفي جَلَواتكَ وفي خَلَواتك فإنّه (مَنْ وطّنَ قلبَهُ عندَ رَبِّهِ سكنَ واستراح) .
وليكنْ طعامُكَ تسبيحاً وشرابُكَ تسبيحاً ونومُكَ عبادةً وصلاتُكَ معراجاً إلى قبّةِ كأسِه وحياتُكَ بما فيها لله ربّ العالمين ((قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين)) .
فإذا كان لك هذا فاعلمْ أنّه لو رُميتَ في نارِ عالِمكَ لعادتْ النّارُ برداً وسلاماً عليك، فإنّه (مَن تلمّحَ حلاوةَ العافية، هانتْ عليه مرارةُ الصّبر) .

أيّها المسلم: العالمُ لك، فانصبْ خيمة إيمانِكَ فيه، واضربْ أطنابَها في مقاماتِ الوجود، فلقد ارتضاكَ اللهُ لرسالته، وأقامكَ في منزلِ كرامتِه، فلا ترغبنّ عنه فيحيلك، ولا تصرفْ قلبَكَ عنهُ فيقيلك،
وارغبْ عن نفسِكَ إليه، وأعرضْ عن الأغيارِ وأقبلْ عليه، واستمعْ إلى لطائفِ الرّقائق تحملُها هواتفُ الحقائق:
(يا عبدي: نريدُ منكَ أنْ تريدَنا ولا تريدَ معنا، ونريدُ منكَ أنْ تختارنا ولا تختارَ علينا، ونرضى لك أنْ ترضانا ولا ترضى سوانا.
ويحَك: إنّا أجللنا قدرَكَ أنْ نشغلَكَ بأمرِ نفسِك فلا تصغّرْ قدرَك.
يا مَنْ رفعناه: لا تنزلنَّ بحوالتِكَ على غيرِنا،
ويا مَن أعززناه: أنتَ عندَنا أجلُّ مِن أنْ نشغلَكَ بغيرِنا.
لحضرتي خلقتُك، وإليها خطبتُك، وبجواذبِ عنايتي إليها جذبتُك، فإنِ اشتغلتَ بنفسِكَ حجبتُك، وإن اتّبعتَ هواها طردتك، وإنْ خرجتَ عنها قرّبتُك، وإنْ توددتَ إليّ بإعراضِكَ عمّا سوايَ أحببتُك) .
فكمْ في طوايا هذا النّداءِ من بَوحٍ رقيقْ، وفي خفاياه من همسٍ عتيقْ، ينبعثُ من مجالِ الكمالِ ومجاليه، إلى مَحالِّ النقصِ ليرفعَهُ ويُعليه.
فيهِ من الخيرِ ما ظهر حتّى كادَ أنْ يغيبْ، ورقَّ حتّى كأنّهُ عَرفُ طِيبْ.
هتفتْ بِهِ أوتارُ الغيوبْ، فحريٌّ أنْ يستقرَّ وافدهُ في زجاجاتِ القلوبْ... قولاً من ربٍّ رحيم.
أيّها المسلم: فيكَ نفخةٌ مِن روحِ الله ((ونفخت فيه من روحي)) ويكفيكَ هذا شرفاً، أسجَدَ لك الملائكَ، وسخَّر لك الأملاكَ، فاحتملكَ منهُ عَرفُ الهداية، واشتملكَ من لَدُنهُ طرفُ العناية، فصرتَ بفضلِهِ أهلاً للإمامةِ والولاية، فارقَ بنفسِكَ عن بَدأةِ الصّلصالِ والفخّار، لتكونَ أهلاً لمنازلِ الأبرارْ، وجرّدْ نفسَكَ عنْ سِوى الله في دارِ العبادة، لتكونَ كفئاً في هذه الدّنيا للقيادةِ والسّيادة.
إنّكَ قبضةٌ من طينِ هذا العالم، ولكنّكَ قبلَ ذلكَ مهبطُ السِّرِّ ومُجتمعُ الحقائق، فلا يذهبنَّ بك الخطأُ بعيداً:

وتحسبُ أنّكَ جِرمٌ صغيرٌ --- وفيكَ انطوى العالمُ الأكبرُ

أيّها المسلم: مكانُكَ في القمّة، فلا تختَرْ على القمّةِ قيعانَ الضيّاع، ولا تنزلنَّ بك همّتُكَ إلى أسفلَ مِن قدميك، وأوقفْ نفسَكَ على عزائمِ الأمور، فإنّما خُلقتَ لتسبحَ في فضاءاتِ الله صباحَ مساء:

فطرةُ الحرِّ لا تُطيقُ مُقاماً -- فَألفِ السّيرَ دائباً كالنّسيم
ألفُ عينٍ تشقُّ صخرَكَ فاضربْ -- بعدَ غَوصٍ في الذّاتِ ضربَ الكليم

واعلمْ بأنّ العالمَ لكَ بمائهِ وترابه، فلا تحصرْ نفسَكَ في كوخِ عجزكَ ودَعتك، ولكن انشرْ من أنفاسِ إيمانِكَ ما يُطيّبُ عناصرَ الأرض، ولوّنْ بطيفِ همّتِك جوهرَ الخليقة، وأقمْ في حمى القلوبِ صروحَ الحقيقة، واعلمْ أنَّ المؤمنَ القويَّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضّعيف.
فلا ترفع الرّاية البيضاءَ ما دامَ سيفُ إيمانكَ معك، فإذا ألقيتَهُ فالنّارُ أولى بك، حينها لا ينجيك، أرفعتَ الرّاية أمْ لم ترفعها!!!
(يا مَنْ غُذّيَ بألبانِ البرّ، وقُلّبَ بأيدي الألطاف، كلُّ الأشياءِ شجرةٌ وأنتَ الثمرة، وصورةٌ وأنتَ المعنى، وصدفٌ وأنتَ الدُّر) .
أيّها المسلم: إذا ضاقتْ عليك الأرضُ بما رحبتْ، واجتمعتْ عليكَ أطرافُ الدُّنيا فادخلْ غارَ فكرتِكَ الصّحيحة فإنّهُ غارُ حِراء، وإذا حاربَكَ أهلُ الباطلِ وتَبِعوك بسيوفِ منكرهم فلا تحزنْ فأنت في غارِ ثور، إنّه بدايةُ الطّريق، ثمّ هاجرْ إلى الله تجدِ المدينة بانتظارك، تلك هي حضرةُ الرّحيق الختوم فادخلْها، وإذا خفتَ أن يُنالَ منك، فأْوِ إلى كهفِ العناية، ينشرْ لك اللهُ من رحمته ويهيّئ لك من أمركَ يسرا.
وإذا تلجلجَ قلبُكَ واضطربْ فالجأْ إلى محرابِ ذكرِ الله ((ألا بذكر الله تطمئن القلوب)) .

عليكَ وحدَكَ بعدَ اللهِ فاعتمدِ --- وانهضْ بعبئِكَ لا تلوي على أحدِ
ألستَ حرّاً وزادُ الحرِّ همّتُهُ الـ --- قعساءُ في رخوِ عيشٍ كانَ أو كَبَدِ
فاكبحْ تردّدَها واقدحْ توقّدّها --- وإنْ خبوتَ فلُذْ باللهِ واتّقِدِ
ولا تقلْ شختُ خفقُ القلبِ ما فتئتْ --- تدعوكَ جذوتُهُ الحرّى إلى الصّددِ
شمِّرْ وقلْ باسمِكَ اللّهمّ منطلقاً --- وإنْ وَنَيتَ فإنّ الله في المدَدِ
وأحي قلبَكَ بالذّكرِ الدءوب وصُنْ --- أنفاسَ نفسِكَ من رينٍ ومن نكدِ
وانفضْ يديكَ من الجاهِ السِّفاه ولا --- تلجأْ إلى غيرِ ذاتِ الخالقِ الصّمدِ

## كُنْ مُسْلِماً (٢)

أيّها المسلم: إنّما أُريدُ لكَ الهداية، وهاأنذا أهبُكَ مفاتيحَ الحقيقة، فخذها بقوّة حتّى لا تُعييكَ أقفالُ العالم، وإنّي أنبّئُكَ بما ستلاقيه، فقِفْ على كلماتي وعِ ما أنا قائلُهُ لك، فإنّهُ لا ينبّئُكَ مثلُ خبير.
أيّها المسلم: لا ترضَ لكرامتِكَ ثمناً، وحاذرْ أنْ تعرضَها في سوقِ البيع، فإنّها الجذوةُ التي تملأُ صدركَ بأسبابِ الحياةِ والنّصر، وإنّها عطيّةُ اللهِ لك ومِنحتُهُ التي شرّفَكَ بها فلا تساومْ على ما في صدركَ من السّرِّ العظيم، فإنّهُ سبحانَهُ القائل ((ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)) .

فما بالُكَ بنفسِكَ وأنتَ خيرُ الآدميّين:

مَنْ يُصيِّرْ حُسنَهُ رهنَ المزادْ --- يسرعِ الشّرُّ لهُ من كلِّ وادْ

فلا تخفِرْ ذمّةَ اللهِ فيكَ ولا تضيّعْ هبتَهُ سدىً، وأحطها بالعنايةِ والمداراة، فإنّ في ضياعها الخسرانَ المبين.
واعلمْ أنّهُ لا سيادةَ بلا كرامة، وأنّهُ إذا سقطتْ كرامتُك لم تكنْ أهلاً للخلافة في الأرض.
واعلمْ أنّ (النّيابة الإلهيّة في هذه الدّنيا هي أعلى درجاتِ الرُّقيّ الإنسانيّ ونائب الحقّ (الله) خليفة الله في الأرض، وهي أكملُ ذاتٍ تطمحُ إليها الإنسانيّة، وهي معراجُ الحياةِ الرّوحيّ) .
فلا تنقضْ عهدكَ مع الله فيخلو مقامُك، وتنزلكَ الدّنيا في سافلِ أدراكِها، فإنّ هذا من انطماس عين بصيرتك، وفيه الهوان في الدّنيا والخزيُ يومَ يقوم النّاسُ لربِّ العالمين:

أنتَ نورٌ فأضئ للعالمينْ --- بلهيبٍ منكَ أذكِ الآخرينْ

أيّها المسلم: لا تبتئسْ إذا ما عشتَ فقيراً، فإذا صفتِ الرّوح من الخطأ، وبرئتِ الجوارحُ من الانقيادِ وراءه فذلك هو الغنى، فإنّ رسولَ الله صلّى اللهُ عليه وسلّم يقول: «ليسَ الغنى عن كثرةِ العَرَض، ولكنّ الغنى غنى النّفس» .
فإذا أدركتَ جوهرَ هذا الكلام، وقعَ في قلبكَ معنى الرّضا بالقضاء، فإذا ما تحسّستْ منك الجوارحُ بردَ الرّضا فذلك هو الغنى الحقّ.
ولقد أغناكَ اللهُ من عنده يومَ أنْ نسبَكَ إليه، فلا تخترْ على اللهِ أحداً، وقبلكَ من أهلِه فلا ترغبْ عنهُ بدلاً، فإنّ ثراءَ القلبِ وسرورَهُ في جوارِ محبوبِهِ الأوحدْ، وإنّ غنى الرّوح في وقوفها على بابِ الفردِ الصّمدْ.

رفعَكَ بالنّسبةِ وأغناكَ بالمحبّة، وجللكَ بالقربِ والقَبول، فهلْ ترى بعدُ غنىً أكبرَ من هذا أو ثراءً أبعدْ:

وممّا زادني شرفاً وتيهاً --- وكدتُ بأخمصي أطأُ الثّريّا
دخولي تحتَ قولِكَ يا عبادي --- وأن صيّرتَ أحمدَ لي نبيّا

فإذا أحببتَ أنْ تكونَ غنيّاً فكنْ فقيراً إلى الله، منكسراً على بابه، متذلّلاً في أعتابه.
فإنَّ الفقرَ إليهِ سبحانَهُ هو رأسُ الغنى، لأنَّ رضاهُ سبحانَهُ هو أجلُّ المنى، ولنْ تحوزَ رضاهُ إلا بالفقرِ إليه، ووقوفِكَ بالاضطرار عليه.
(يا عبدي تقرّبْ إليّ بما ليسَ فيَّ، قالَ: وما الذي ليسَ فيك يا ربّ، قال: الذّلُّ والافتقار).
فإذا رغبتَ أنْ يُمكّن لك في مجالِ القربْ، وأنْ تُقبلَ واحداً من رُوّادِ دارِ الحبّ، فطهّرِ القلبَ من سواه، وأشهدْهُ في كلِّ الأمورِ مولاه، وأوقفْهُ على حبِّ المحسنِ الوهّابِ جلَّ علاه.
ولقد سُئلَ يحيى بنُ معاذٍ رضي اللهُ عنه عن الفقر فقال: (حقيقتُهُ ألا يُستغنى بغير الله)، فمكّنْ هذه الحقيقة في قلبك، فإذا ما اقترنَ معها اليقينُ وصحبَها التّسليمُ، وجدتَ قلبَكَ حينَها وقد غشيثْهُ وارداتُ السّعادةِ وأمّنتْهُ عائداتُ السّلام.
ولنْ تصلَ إلى منازلِ الغنى والثّراء، إلا إذا سلكتَ طريقَ الفقرِ والإقواء، فإنّه (إذا صحَّ الافتقارُ إلى الله صحّ الغنى بالله، لأنّهما حالان لا يتمُّ أحدهما إلا بالآخر) .

ولقد أقرَّ اللهُ هذه الحقيقةَ في عباده، وأجراها مجرى الغُنيةِ لقاصدي وداده، فقال سبحانه ((يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد)) .

أيّها المسلم:

إذا عاشَ الفقيرُ بقلبِ ليثٍ --- فليسَ يضيرهُ أنْ قلَّ مالُ
وإنْ عاشَ الغنيُّ على الدّنايا --- ففوقَ عظامِهِ ترسو النّعالُ

فلا تنظرْ إلى من أثقلتْ جيوبَهم رذائلُ الدّراهمُ والدّنانير، فأنتَ عندَ اللهِ أكبرُ قدراً.
(إنّكَ فرعٌ من شجرةٍ ضخمةٍ باسقةٍ عميقةِ الجذور، كثيرةِ الفروع وارفةِ الظّلال... الشّجرة التي غرسَها أوّلُ المسلمين... إبراهيمُ عليهِ السّلام) .

أيّها المسلم: إذا سُقِيَ القمحُ بماءِ الهوان، فارغبْ عن صافناتِ سنابله، ولا تجعلْ منهُ خبزَ يومك، وعِشْ على خبزِ الشّعير يكفِكَ مُؤنة، ولئِن أثّرَ في جنبِك حصيرُ الفاقة، فذلكَ خيرُ لك من أنْ تستندَ على أرائِكِ الجبناء، ولا تخلِقْ أديمَ وجهك، واحفظْ ماءَ مُحيّاك من أنْ يُبتَذَل، فلقدْ كرّمَهُ الله، وصوّره فأحسنَ تصويرَه، وخلقَهُ في أحسنِ تقويم، وتذكّرْ وقتاً قلتَ فيه (إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أنا مِنَ المُشْرِكِينَ)، فلا تبذلْ ماءَ وجهِكَ أمام الأغيار، فلقدْ كفاكَ اللهُ من عنده.
ما أكثرَهم أولئك الذين ينتظرونَ منك تلكَ اللّحظة التي يَرونكَ فيها مُلقىً على أعتابهم، تستجدي منهم خبزَ يومك، وتضعُ همّتَك عندَ أقدامهم، وتخفضُ رأسَكَ في حضرتِهم، وتصيرُ كالّذي قيلَ فيه:
كالطّيرِ غايتُهُ التقاطُ الحبِّ في ظلِّ القصورْ هو طائرٌ لكنّهُ لمْ يدرِ تحليقَ النّسورْ أيّها المسلم:
كنْ مسلماً... تُدركْ بعونِ الله غاياتِ الكمالْ كُنْ في ضميرِ الكونِ قرآناً و صوتاً من بلالْ أوصِلْ حبالَكَ بالإلهِ... تَعِزّ هاتيكَ الحبالْ لا تنسِفُ الرّيحُ الجبالَ... فَكُنْ بعزمِكَ كالجبالْ واكتبْ بحبرِ الحبِّ والإيمان... ديوانَ الرّجالْ أيّها المسلم: ليكنِ العالمُ بيتَك، الأرضُ فراشُهُ والسّماءُ سقفُه، وأنتَ صاحبُ الدّار، القيِّمُ على ما فيها، تعمرُها بصادقِ العزيمة، وتملأ أركانَها بواثقِ الهمّة.
كُنْ كالشّاهين، لا يعرفُ غيرَ الفضاءِ مأوى، لا يعنيهِ أوافقتْ جناحيهِ الرّياحُ أوْ لم توافقْ... فإنّهُ يطير.
ولا تخفضْ جناحَكَ أمام ريح العالم، فإنَّ مَهيصَ الجناح مخذول، وإنّكَ الأجدرُ بالتّنقّل في مِضمارِ الفضاء.
ولا تضعفْ أمامَ النّوائب، أو تنهزم أمام الهموم، فإنّ الطّريق جِدُّ طويلةٌ، لا مسلكَ فيها للضّعفاء، وإنّما هي وقفٌ للّذين أبرموا ميثاقَهم مع الله فاشترى منهم أرواحَهم بأنَّ لهم الجنّة، واعلمْ أنّ سلعة الله غالية، فإذا أردتَ الحسناءَ فأدْلِ بمهرِك، وكنْ دائماً (كالنّسرِ المخلوق لطبقاتِ الجوِّ العليا، ويحملُ دائماً من أجلِ هذه الطّبقاتِ ثقلَ جناحيهِ العظيمين) .
فإذا أدركتَ جوهر حقيقتك في هذا الوجود، وعرفتَ فحوى رسالتِكَ في هذه الحياة، هانتْ عليك كلُّ مصيبة، واضمحلّتْ أمامَ سرايا إيمانكَ جيوشُ النّوائب، ووقفتَ نفسَكَ لله.
(إنَّ الخلاصَ عن طريق الصّومعةِ سهلٌ يسير، ولكنَّ الإسلامَ لا يريدُه، لأنَّ الخلافة في الأرض والقيادةَ للبشرِ طرفٌ من المنهجِ الإلهيِّ للخلاص، إنّهُ طريقٌ أشقّ، ولكنّهُ هو الذي يحققُ إنسانيّة الإنسان، أي انتصارَ النّفحةِ العلويّة في مكانه وهذا هو الانطلاق، انطلاق الرّوح إلى مصدرها الإلهيِّ، وتحقيقُ حقيقتها العلويّة، وهي تعملُ في الميدان الذي اختاره لها خالقُها الكريم) .

أيّها المسلم: إنّ مصدرَ قوّتك هو إيمانُكَ الصّادقُ بالله، ومنبعَ ثقتك بنفسك هو ثقتُكَ بالله، فإذا آمنتَ بهِ حقاً أذكى فيكَ الإيمانُ نارَ القوّةِ الكاملة، وطافَ بك أطوارَ الجلالِ الرّفيع، وسلكَ بك مسالكَ الجمالِ البديع، فتعودُ بعدَ هذه الرّحلةِ بقلبٍ حُرٍّ وثّابْ، بريءٍ من الأغيارِ وعبدٍ للملكِ الوهّابْ.
وَاعلمْ أنّكَ (إذا آمنتَ لمْ ترجعْ بمقدارِ نفسِكَ، ولكن بمقدارِ القوّةِ الّتي أنتَ بها مؤمن) .

أيّها المسلم: كلَّ يومٍ تتَفتّقُ ملايينُ الأزهارِ من أكمامها لتقولَ لك: هكذا انطلقْ، وتبعثُ بأريجِها في مسالكِ الحياةِ والأرضِ لتقولَ لكَ: هكذا انتشِرْ، وتنشرُ من طيبِها أطيبَهُ لتقولَ لك: هكذا كُن.

يقظةُ الذّاتِ لا أراها بِدَيرٍ --- لا وَلا تُجتَلى لَدى المحرابِ
إنْ تَضِقْ بالجهادِ في الأرضِ ذرعاً --- فحرامٌ مسراكَ فوقَ السّحاب
ليسَ مِن خيفةِ المماتِ نجاةٌ --- إنْ ترَ الذّاتَ هيكلاً من ترابِ

أيّها المسلم: ستتعبُ كثيراً كثيراً، وسترمِيكَ طوائفُ الأرضِ بالحجارةِ.... ولكنْ لا بأسَ، فعمّا قريبٍ ستركبُ بُراقَ الرِّضا والقَبول، فوَطِّنْ قلبَكَ في بيتِ الإيمان، ووثّقْ أقفالَهُ بالصّبّرِ والمصابرة، وحقّقْ أركانَهُ بالحبِّ فإنَّ الله مانِعُكَ.
وارتفاعُ الإنسانِ من ثقلِ الأرضِ... بروحٍ إلى السماءِ جلالُ وعلى الحرِّ أنْ يُغِذَّ طموحَ الـ .... عزمِ سَعياً لِتُدركَ الآمالُ أيّها المسلم: إذا نامتْ عيناكَ فلا ينامنّ قلبُك، فالعالَمُ بانتظارك، فأنتَ السِّراجُ الّذي يهَبُهُ نوراً يمشي به، فإذا نقصَ زيتُ سراجك فخذْ من إيمانكَ بالله وَقوداً جديداً وانطلقْ، وانظرْ إلى ذاتِكَ فاخترْ لها منزلاً مباركاً في الوجود:
فإذا تبيّنَ مسلمٌ في ذاتِهِ شرفَ المكانة أخلقْ بِهِ في الدّهرِ أنْ يختارَ في الدُّنيا مكانَهْ أيّها المسلم: ألا ترى انبعاثَ القطرِ من قلبِ السّحاب؟ وانطلاقَ البرعمِ من قلبِ الحجر؟ وجريَ الجدولِ الفراتِ من رحمِ التّراب في أعلى الجبل؟ وتفتّقَ الأزهار من أكمامها بعد اختباء؟!! كنْ مثلَ هذا وذاك، يكنْ لك العالمُ عبداً مطيعاً!!!
وكُنْ مع اللهِ ولله، حينَها تقول للشّيء كنْ فيكون:

ومعدِنُهُ ترابيٌّ ولكنْ --- جَرَتْ في لفظهِ لغةُ السّماءِ

أجل أيّها المسلم: قُدْ ركبَ العالم، وكنْ أميرَ القافلة، وخُذْ من الزّادِ ما يكفيك، فالسّفرُ طويلٌ والعقبةُ كؤود و((إن خير الزاد التقوى)) .
واعلمْ أنّكَ ملاحَقٌ على كلِّ المحاور، ومُحاربٌ في كلِّ حين، ومُحاصرٌ وأنتَ على أريكتك، ومُتَّهمٌ وأنتَ في عِقرِ دارك، لأنّ عندَكَ شيئاً لا يعرفُهُ الآخرون، وفيكَ سرّاً يمتدُّ إلى مئاتِ السّنين والحقائق.
ولأنّكَ مَصوغٌ من الطّين المشويِّ على نارِ ((ألست بربكم)) ، ولأنّكَ مصنوعٌ على عينِ مولاك.
((ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير)) .

أيّها المسلم: كنْ كالبحر، السّكونُ سِمتُهُ وطابعهُ، ولكنَّ الموجَ يهدُرُ في حناياه، فإذا ما استباحَ شاطئَكَ غريبٌ آذنْتهُ أمواجُكَ بالحرب.
ولقد كان نبيُّكَ المصطفى هادئاً هدوءَ البحر، فإذا ما اشتدَّ العراكُ واحمرّتِ الحدق، لاذَ المسلمون بظهرِهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلّم.

أيّها المسلم: (قُلْ آمنتُ باللهِ ثمَّ استقمْ) ، وأشغِلِ العالّم بحقيقتِكَ الطّاهرة، وأشعِلْ فيه شموسَكَ النّيرات، واجعلْ من نفسِكَ سفينة نوحٍ الّتي تأخذُ بيدِ هذا العالم الغريق إلى برِّ الرّحمة والنّجاة، حينَها تصيرُ مطاعاً في الأرض، ويُؤدّى إليكَ خَراجُ النّفوس:

مَنْ علا تكبيرُهُ مِن غيرِ تاجْ --- ألزمَ التّيجانَ تقديمَ الخَراجْ

أيّها المسلم: (لا إله: هي بدايةُ التّطهير، وإلا الله: هي بدايةُ التّعمير) ، فكنْ أنتَ رائداً في عمران الطّهارة، ورسالةً في طهارةِ العمران، وأقِمْ صرحَ المجدِ على أركانِ الإيمان فإنّها الأركانُ الثّابتةُ التي لا تُنقض: ((لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه)) . ولا تشيّدْ بروجَ عزّكَ على شفا جُرفٍ هارٍ، فإنَّ في هذا مذهبةً لعزّكَ ولك، لا تصنع الأشياءَ بقلبٍ بارد، فحرارةُ إيمانِكَ أجدرُ بالصّناعة، وأحرِقْ مَن حولَكَ بنارِ قلبِكَ المؤمن الطّاهر، فلطالما اكتويتَ أنتَ بها، فإنّما يزدادُ العودُ بالإحراقِ طيباً، ولقد ينشرُ من طيبِهِ على ما جاورَه.

واعلمْ أنّهُ لا تتأتّى لك حرارةُ الإيمانِ إلا بإثباتِ ذاتِكَ في ميزانِ الحياة، لا بالرّكون إلى الضّعفِ والدّعة فليسَ هذا من شأنِ المؤمنِ الحقِّ الذي استخلفَهُ اللهُ في الأرض:
فحرارةُ الإيمانِ في القلبِ المَشوقِ إلى النّضالْ وَسراجُ ليلِ الفكرِ (لا معبودَ إلا ذو الجلالْ) فإذا ما انتشرَ صقيعُ العجزِ في أوصالِك، وثقُلتْ همّتُكَ عن النّهوض بما أوكِلَ إليك، وركنتَ إلى فراش راحتِك، فاطردْ هذا كلّهُ بهذا الدّعاء:

ياربِّ إنّا موقنونَ بعجزنا --- فأدِمْ علينا قوّةَ الإيمان
وامنحْ قلوبَ المسلمينَ حرارةً --- كحرارةِ الآياتِ في القرآن

أيّها المسلم: ثقيلةٌ هي المهمّة التي أوكلتْ إليك، وعظيمةٌ تلك الأمانةُ التي ألقيت على كاهلك، فكنْ أهلاً لها وأحيِ مواتَ القلوب، بوارداتِ همّتكَ المؤمنة الصّادقة.
خُذْ بأيدي الغرقى في لُجّةِ هذا العالم، واصعدْ بهم إلى سماواتِ الفكر والحياةِ الهانئة، وأشعلْ لهم من زيتِ قلبك المؤمن سراجَ الهداية الذي ينوّرُ لهم السُّبُل ويأخذُ بهم من الظّلمات سائراً بهم في مسالكِ النّورانيّةِ الرّفيعة، وأعمِلْ إيمانَكَ في الأمور يُكتبْ لها النّجاح:

قُمْ فَشيّدْ عالماً دونَ مثيلْ --- وخُضِ النّارَ وأقدِمْ كالخليلْ

واعلمْ أنّكَ مؤتمنٌ على كلِّ نفْسٍ في هذه الأرض أن تعطيَها حاجَتَها من الهداية والنّصيحة والمعاشرةِ الحسنة التي تدلّها من خلالها على الله سبحانه وتعالى وعلى الله قصدُ السّبيل:

لا تُضيعْ لمحةً من العمرِ هدرا --- وَارتفعْ عن كثافةِ الأرض قدرا
وَتَقَدّسْ بحملِ همِّ البرايا --- وَاسألِ اللهَ فوقَ صبركَ صبرا

أيّها المسلم: لا يجفّنَّ ماءُ الحبِّ في قلبك فتهلك، فإنّهُ دمُكَ الذي يجري في أوصالك، وهو معدِنُ كلِّ جودْ، وهو في كرمةِ الحضرةِ الإلهيّةِ عنقودْ، وأصلُ الحلالِ الطّيّبْ، ونائلُ الخيرِ الوافرِ الصّيِّبْ، ومادّةُ الجمالْ، وأرومةُ الجلالْ، ونقطةُ السّرِّ في التّكوينْ، وتسنيمٌ من سِدرةِ ربِّ العالمينْ.

يخطرُ على الأرواحِ فَتُسرُّ بذكرِه، وعلى القلوبِ فتأتمرُ بأمرِهِ، فلا تسفكْهُ من أوصالكَ، ولا تخرجْهُ من عروقك، فإنّه لقلبكَ غذاء، ولروحكَ حياة، فإذا رغبتَ عنهُ استبدلَ بكَ اللهُ قوماً يحبّهم ويحبّونه.
إنّه جوازُ سفركَ إليهِ سبحانه، والشّهادةُ الأولى على أنّكَ من أهله، أقصدُ الحبَّ الذي يجعلُ المرَّ حلواً والترابَ تبراً كما وصفُه بذلك مولانا جلال الدّين الرّومي رحمه الله.
واعلمْ أنّ حبَّ الله هو راسمُ خطاكَ على طريق الرّضا والقبول وإنّه العودةُ بالرّوح إلى أوّلِ العهد:

نقّلْ فؤادَكَ حيثُ شِئتَ من الهوى --- ما الحبُّ إلا للحبيبِ الأوّل
كم منزلٍ في الأرضِ يألفُهُ الفتى --- وحنينُهُ أبداً لأوّلِ منزلِ

فإذا سألتني: ما هو الحبُّ، قلتُ لك: (هو رحلةُ الذّاتْ، من المحوِ إلى الإثباتْ)، فإذا قلتَ لي: ماذا يعني من المحو إلى الإثبات، قلتُ لك: أيْ أنْ تمحوَ ذاتَكَ من أجلِ إثباتها عندَ من تحبّ.

أيّها المسلم: إنّ الفراشة تصطلي نارَ الشّموع، لكي تحتضنَ شعاعاتِ النور البارزةَ منها، فكنْ تلميذَها الفذّ، وأحرقْ ذاتَكَ في نارِ حبِّه عزّ وجلّ حتّى تبلغَ حضرتَه، فلنْ تصلَ بغيرِ احتراق، واعلمْ بأنّكَ لن تدخلَ حضرةَ أنسِه، حتّى تذوبَ في نارِ قُدسِه.. حينَها أبشِرْ بالقَبول:

ما لي سوى روحي وباذلُ نفسِهِ --- في حبِّ من يهواهُ ليسَ بمسرفِ
فلئن رضيتَ بها فقد أسعفتني --- يا خيبة المسعى إذا لم تُسعفِ
فالوجدُ باقٍ والوصالُ مماطلي --- والصّبرُ فانٍ واللّقاءُ مسوّفي
أهفو لأنفاس النّسيم تعلّة --- ولوجهِ من نقلتْ شذاهُ تشوّفي
لو أنّ روحي في يدي ووهبتها --- لمبشّري بقدومكم لم أنصفِ
ولقد أقولُ لمن تحرّشَ بالهوى --- عرّضتَ نفسكَ للبلى فاستهدفِ
أنت القتيلُ بأيِّ من أحببتَهُ --- فاخترْ لنفسك في الهوى من تصطفي

## كُنْ مُسْلِماً (٣)

أيّها المسلم: إذا ما أشرقتْ شمسُ الطبيعة من أفقها، غطّتْ بنورها أرضَ الوجود، حينَها لا مكانة لظلمةٍ ولا موطن لعتمة.
وكذلك عندما تسطعُ شمسُ الحقيقةِ على القلب، تصيرُ كلُّ ذرّةٍ فيه هي محلاً لآيةٍ أو مستقراً لعناية.
وإذا أراد الله بقلبٍ خيراً صرفَ عنهُ شموسَ الأغيار، وأقصى عنهُ طوارقَ الوجودْ، ثمّ أضاءه بلطائف الأنوار، وأقامه مقامَ الشّهودْ.
فهنيئاً لقلبٍ بسطَ عليه اللهُ من نوره فأضاءتْ حناياه، ومسحَ عليه بكفِّ عطفه فاطمأنّت خلاياه، وقذفَ فيه سبحانه سرّاً من أسراره فانكشفتْ خفاياهُ عن أحلى من صورة البدر.
أجلْ، إنّه الحبّ: السّرُّ الذي يقذفُ به ربّي على القلبِ القنوطِ اليؤوس، فإذا هو بعدَ ذلك روضةُ الأمل ودوحةُ الرّضا.
وإنّهُ السّرُّ الذي تتلوّنُ به الأرضُ ثوباً أزهريّاً وتفوحُ بهِ عطراً سرمديّاً، ولمْ تكنْ قبلَ ذلك غير قفرةٍ لا تحيا فيها بسمةٌ ولا تبسمُ فيها حياة، وهو السّرُّ الذي يفيضُ له الرّملُ ماءً في هاجرةِ النّهار، ولمْ يكنْ قبلَ ذلك غيرَ سرابٍ بِقيعةٍ يحسبُهُ الظمآنُ ماءً، حتّى إذا جاءهُ لمْ يجدْهُ شيئاً:

الموتُ لا يمحو رجالَ اللهِ من هذا الوجودْ الحبُّ في دمهم تلوّنَ بالثّباتِ وبالخلودْ مهما يكن جريانُ هذا العصرِ جبّاراً عنيفا فالحبُّ يجرفُهُ ولكنْ سيلُهُ يبدو لطيفا الأمسُ والغدُ ليس وجهتنا التي نسعى إليها الحبُّ أزمنةٌ بلا أسماءَ نطلقُهُ عليها ما الحبُّ؟ ما هو؟ إنّه وثباتُ أوقاتِ الصّفا في نفحةِ الوحي الأمين على فؤادِ المصطفى ما الحبُّ؟ سكرةُ وردةٍ خلعَ الجمالُ عِذارَها لعبَ النّسيمُ بها عليهِ فقطّعتْ أزرارَها الحبُّ في ساحِ الجيوش هو المقدّمُ وَالنّبيهْ والحبُّ في الحَرمِ الشّريفِ هو المشرّعُ والفقيهْ اِسألْ بهِ متسكّعاً خلفَ الهوادجِ والقوافلْ بين الألوفِ من المنازلِ والألوفِ من المراحلْ الحبُّ ليسَ مغنّياً، الحبُّ إبداعُ الأغاني أوتارُهُ نورُ الحياةِ وَقوْسُهُ نارُ المعاني أجَلْ، إنّهُ الطّلُّ الرّخيُّ والقطرُ الصّفيُّ الذي يجلو عن فؤادكَ غبارَ الهمِّ الشَّرود، ليستقبلَ بعدَ ذلك نَديَّ الحياةِ الهانئةِ وعَبَقَ الإيمانِ الأذفَر.

حبُّهُ وحدَه سبحانه، هو الذي يوقِظُ الفجرَ من رقدتِه، ويكشفُ سُتورَ الظّلامِ بإقبالِ الأنوار، ويقذفُ نورَ الصّبح من بين ثنايا اللّيلِ وطواياه، وهو الذي يرسلُ إشراقة الضّحى من قلبِ الموت، وهو الذي يخرجُ زهورَ الحياةِ من أكمامِ العدم، تهزُجُ له الأطيارُ في أسحارِها، وتُصلّي الأوراقُ في أشجارِها، وتسبّحُ الطّيّباتُ في أزهارِها، وترتّلُ الأمواهُ قرآنُ الجمالِ والجلالِ في بحارِها:

لولا الغرامُ لما ناحتْ مطوّقةٌ --- على قضيبٍ ولا طيرٌ على بان

حبُّه وحدَه: هو الذي يصنعُ دمَ الحياةِ من حديدِ السّيوف، ويُطلقُ النّدى من أتونِ الحمم، ويخلقُ في كلِّ مسلمٍ قلبَ محمّدٍ عليهِ الصّلاةُ والسّلام.

إنّهُ بلسمُ الجراحِ النّازفة، وترياقُ القلوبِ الرّاعفة... إنّهُ حبُّ الله:

يا ربّ هام العاشقون بعشقهم --- وتمايلوا بتمايلِ النّغماتِ
وَتخاطَرَتْ أرواحُهم في ليلها --- وتسامرتْ بأطايبِ اللّمحاتِ
وبقيتُ وحدي لا رفيقَ لوحشتي --- إلا دموعَ العينِ والزّفراتِ
فأتيتُ أعتابَ الجلالةِ باسطاً --- كفَّ الضّراعةِ ساكنَ النّظراتِ
وشربتُ من خمرِ العنايةِ شَربةً --- قدسيّةً عُلويّةَ الكاساتِ
أسقطتُ في محرابِ حبِّكَ هاتفاً --- يا سيّدي أحرقْ بذاتِكَ ذاتي

(الحبُّ: هذه الكلمةُ التي ما تكادُ تُذكر، حتّى تُضوِّأ جوانبَ النّفسِ البشريّة، وتهزّها هزّاً لتستريحَ على مهادٍ من العواطفِ النّبيلة، ترشُّها كلمةُ الحبِّ بالعبير، وتنثرُ حولها الياسمين، لا يرضى المحبُّ إلا أن يغتسل بماءِ السّماء... بالماءِ الطّهور... تسكبُهُ عليه يدٌ حانية، ليتسامى فوقَ الدّيم، يرفُّ كالحلم الوضيء، يتوضّأُ بالمسك، ويضمُّ من يحبُّ داخلَ دائرةِ العطر ويحومُ به عبرَ سحابةٍ ورديّة لا أحلى ولا أجمل) .

إنّهُ ندى الإيمان المتساقطُ من المحلِّ الرّفيع على القلبِ الفقير، وإنّه النّورُ النّازلُ من قبّةِ الكأسِ الأوفى إلى القلبِ الطّهور، ولنْ يطهرَ قلبٌ ويصفو إلا بذينِك الوافدَيْن.

إنه بردُ اليقين الذي يثلجُ حنايا النّفس ويزكّيها، ويُنوّرُ أركانَ القلبِ ويطيّبُه، فإذا ما تحسّستهُ الجوارحُ والأعضاء واستباحتْ وإراداتْ هداهُ أركانَ الجسد، هَتَفَتْ كلُّ خليّةٍ فيه (لا إله إلا الله)، وكلُّ حجيرةٍ فيه (محمدٌ رسول الله)، واستقرّتْ خلجاتُ النّفس على وارداتِ صدى (ألا بذكرِ اللهِ تطمئنُّ القلوب):

ما في الصِّحاب أخو وَجدٍ نُطارحُهُ --- إلا محبٌّ له في الرّكبِ محبوبُ
كأنّما يوسفٌ في كلِّ راحلةٍ --- له وفي كلِّ بيتٍ منه يعقوبُ
نحنُ قومٌ والحمدُ لله سرّاً --- بلْ وجهراً عن رؤيةِ الغيرِ تُبنا

للهِ... ما للحبِّ في قلوبِ أصحابِه، تراهم به سُكارى، وما همْ بسكارى، ولكنّ بعضَ الحبِّ عيد، فإذا ما سَفَرَ الصُّبحُ، هاجتْ منهم القلوبْ، أو تهادى النّسيمُ بين الأزاهير... ذكروا المحبوبْ، غابوا عن سواه، فما شهدوا إلا إيّاه، فاستراحوا إلى عذاباتِ المجاهدة، وكذلك المحبّ (يهربُ إلى العزلةِ والخلوةِ بمحبوبه والأنس بذكره، كهربِ الحوتِ إلى الماءِ والطّفلِ إلى أمّه) .

فرّغوا قلوبهم من الأغيار، وأقاموها مقامَ المشاهدةِ والمراقبة، وجعلوا منها حرماً حراماً على من سواه سبحانه، فتلمّسوا في العذابِ لأجلِهِ النّعيمَ المقيم، وبادروهُ بالرّضا والتّسليم، وطربتْ منهم القلوبُ فهو مقصودُهم، وطابتِ الأرواحُ بقربِه فهو منشودُهم، وعزفوا عن ليلى ولُبنى وأمُّوا بالقربِ بابَه، واحتملوا عذاباتِهم وأشواقَهم قاصدينَ أعتابَه، إنّهم قومٌ هاجروا من اللهِ وإليه، خُلقوا لأجلِهِ فكانوا لِما خُلقوا له، (الطّيورُ تطيرُ إلى الجهات، وهم يطيرونَ عن الجهات) .

فَنِيَتْ سرائرُهم في الحقّ، وغابتْ ظواهرُهم عن الخلق، أولئك هم هديّةُ السّماءِ للأرض، وسفراءُ الأرض إلى السّماءْ، لهم عندَ ربّهم بيوتٌ من ذهبٍ، لا تعب فيها ولا نَصَب، ولهم وحدهم منازلُ السّعداء.

ولقد كان المصطفى صلّى اللهُ عليه وسلّم يقول: «اللّهم اجعلْ حبّكَ أحبَّ إليَّ من أهلي ونفسي وولدي ومن الماءِ البارد» .

العارفونَ بأنّكَ المطلوبُ همْ --- في نعمةٍ وعنايةٍ يا ربّ همْ
وَفَّوْا بنذرِ القربِ فاشتاقتْ إلى --- لُقياهمُ عدنٌ وشاقتْ حورُهمْ
طلبوكَ فارتاحتْ سرائرُهم إلى --- تعبِ الطّلابِ وإنّ هذا حالُهمْ
خلصوا إليكَ بغيرِ مالٍ أو جَنى --- عَرَضٍ وحينَ يَروكَ ذلك مالُهمْ
يغنيكَ عن وصفِ الجزاءِ قليلُهُ --- إذْ قالَ جلَّ عُلاهُ (عرّفها لهمْ)

فاعلم أيّها المسلم: أنّ (المعرفة بساطٌ لا يطأُ عليه إلا مقرّب، والمحبّةُ نشيدٌ لا يطربُ عليهِ إلا مغرم) ، فاستجمعْ أقطارَ حسّكَ ونفسك وأوْكلْها إلى الحبيبِ الأوّل، فمنْ عرفَ اللهَ أحبّهُ الله، وفي هذا المفازُ والوصول:

هنيئاً لعبدٍ طيّبَ الحبُّ قلبَهُ --- وقامَ له من سرِّ ذلك حالُ
هم القومُ أدناهم إليهِ حبيبُهم --- لمعناهُ فيهِ رونقٌ وظلالُ
إذا جئتَ للوادي رأيتَ خيامَهم --- ولاحَ لأسلوبِ الجمالِ مثالُ
يئنّونَ ليلاً من صميمِ قلوبِهم --- وللشّوقِ في طيِّ القلوبِ نصالُ
تراهم على الأعتابِ باللّهفِ خضّعاً --- تُحطُّ لهم حولَ الرِّحابِ رِحالُ
خِفافٌ إذا يدعوهمُ الحبُّ للهوى --- ولكن لأقوالِ السِّوى ثِقالُ
فهم ضمنَ أبراجِ النّجومِ نجومُها --- وهم للجبالِ الرّاسياتِ جبالُ

أيّها المسلم: "قلْ هو اللهُ أحد"، (فإنّ في ذلك عقيدةً للضّمير، وتفسيراً للوجود، ومنهجاً للحياة) . وكن مع الله، فإنّ معيّتَهُ سبحانه سياجٌ للنفس من الزّلل، ومنعةٌ للقلبِ أنْ يتحوّل، وحصنٌ للحقيقة، وإقامةٌ للطّريقة، وإذا كنتَ معه فقد أويتَ إلى ركنٍ شديد، لا يضرّكَ بعدها من خالفك، وانظرْ إلى النبيِّ الكليمِ موسى عليهِ السّلام، كيفَ فازَ بالمرادِ ونالَ المنى، عندما قال سبحانه في حقّه (إنّكَ بأعيننا)، فأقِمْ قلبَكَ في حمى (لا تحزنْ إنَّ الله معنا):

أيُدركني ضيمٌ وأنتَ ذخيرتي --- وأُظلمُ في الدّنيا وأنتَ نصيري
وَلا حاميَ المملوكِ إلا أميرُهُ --- وهاأنا مملوكٌ وأنتَ أميري

واعلمْ أنّهُ إنّما جُبلتِ القلوبُ على حبٍّ من أحسنَ إليها، وموالاةِ من أنعمَ عليها، فلا تأوِ إلى غيرهِ سبحانه، ولا تركنْ إلى سواه، ومن ذا أكرمُ من اللهِ وأعظم، وهو المحسنُ الوهّاب البرّ، الذي أعطى وتفضّل، ووهبَ فأجزل، وقرّبَ ووَصَل، واعلمْ أنّك:
(ما أحببتَ شيئاً إلا كنتَ له عبداً، وهو لا يحبُّ أنْ تكونَ لغيرهِ عبداً) .
فوجِّهْ إليهِ الخواطرْ، وصفِّ له السّرائرْ، وأقبِلْ عليه بالودادْ، وناجِهِ من عمق الفؤاد:

دائماً في القلب حاضرْ
يا مُرجّى كلِّ ذاكرْ
ساهرٌ في طرفي وقلبي
فيك يا مولاي ساهرْ
دائماً في بابك العالي مقيمٌ ومسافرْ
صارَ سرّي مثلَ جهري
أنتَ في الحالين ظاهرْ
فارحم القلبَ المعنّى
يا عليماً بالسّرائرْ

أيّها المسلم: كنْ عبَدَهُ الأمين، يستعملْكَ في أشرفِ الأمور، ولا تعارضْ أمرَهُ فيقيلك، فالعبدُ الآبِقُ مطرودٌ من بيتِ الرّحمة، وكن معه كأنكَ تراه، فتلك أشرفُ صحبةٍ، وذلك الفوزُ العظيم، واعلمْ بأنّهُ (لا نهاية لمذامِّك إذا أرجعكَ إليك، ولا تفرغُ مدائحُك إذا أظهر جودَهُ عليك) ، فلا تغفلْ عن ربّكَ طرفة عينٍ ولا أقلَّ من ذلك ولا أكثر حتى لا يكلكَ إلى نفسكَ، ففي ذلك الخسرانُ، فإذا أظهر جودَه عليك فذلك عينُ الرّضا والرّضوان، حينها تصيرُ كلُّ ذرّةٍ فيك هي محلاً لآيةٍ ومستقرّاً لعناية:

وإذا العبدُ لاذَ بالله نجّاهُ --- فولّى الشّيطانُ عنه وأبلسْ
بين مدٍّ وبين جزرٍ يظلُّ الـ --- حرُّ من عفوِ ربّهِ ليس ييأسْ
بعتُ نفسي لبارئي مستبيناً --- واعياً راضياً ولا أتملّسْ
واشتراني له ومن باع غيرَ --- اللهِ مهما استوفى يُغرُّ ويبخسْ

أيّها المسلم: إذا شابتْ دمكَ الأهواء ولوّنتهُ نزعاتُ التراب، فأهرقه من أوصالك واستبدلْ به دماً صافياً يهزُّ العالمَ بجريانه، واعلم بأنّهُ لا يكون لك دمٌ جديدٌ إلا بالحبّ، فالحبُّ صانعُ الحياة:

لكَ نارُ القلبِ والدمعُ غذاءْ
نضِّرِ البستانَ من شمسٍ وماءْ
افطمنْ روحَكَ من درِّ الرّجيمْ
تشركِ الأملاكَ في قربِ الرّحيمْ

أيّها المسلم: ليكنْ خلقُكَ القرآن، كما كان نبيّكَ المصطفى صلّى الله عليه وسلّم، ولتكنْ شهورُ عمركَ كلّها شهرَ رمضانْ، وكلّ ليلةٍ من ليالي عمركَ العابرة ليلة القدر، حينها يبدأ التّغييرُ، ويبدأ البناءُ والتّعمير ((إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)) .
ولا تغرنّك الحياةُ الدّنيا فهي أقلُّ من أن تنالَ من قلب مؤمن، ولتكن الدّنيا في كفّك والآخرةُ في قلبك: ((وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك)) .
فانتصرْ لروحكَ على التّراب، وأوقدْ في قلبكَ شهاباً من الحبِّ، فلنْ تصلَ إلا بهذا الشّهابْ:
الجسمُ في بنيانهِ بالرّوح يكتسبُ الحياةُ لكن حياةُ الرّوح في قربِ الحبيبِ وفي رضاهْ فاحرصْ على القربِ أكثرَ من حرصكَ على الحياة، ولا تُفضّلْ أمراً من الدّنيا على طلبِ القربِ منه سبحانه، فإنّ في قربهِ وفي رضاه وجدانَ الفضيلة، وفي جفاهُ سبحانه انقطاعَ الوسيلة، فاخترْ لنفسِكَ الأولى، فذلكَ أحرى بكَ وأوْلى.
(للهِ ما أحلى زماناً تسعى به الأقدامُ على أرضِ الاشتياق) .
ومن طلب المحبوبَ، هان عنده المطلوب، فبذر روحَه قبل ماله، حتّى يقيلَ في أفياءِ المحبوبِ وظلاله، وتحقّرَ بما لديه من الغالي والزّهيد، ليتّصلَ بمحبوبِ الفؤاد، فإنّ وصلَ محبوبهِ عنده عيدْ، وزادَ بالبذلِ وأسرفْ، لأنّهُ (مَنْ لم يباشرِ الهجيرَ في طِلابِ المجدِ، لم يقلْ في ظلالِ الشّرفْ) .
فسبحانَ الذي هانتْ في سبيله المهجْ، وسُلِكَ إليهِ كلُّ سبيلٍ وفجّ، وبادرَ أفئدةَ أحبابِهِ بطيّبِ الشّذا والأرجْ، فليسَ على باذلِ نفسِهِ في حبّهِ من حرجْ، سبحانه وتعالى.
مطلوبُ القلوب، وعلامُ الغيوب، وعنده وحده مفاتيحُ الفرجْ.

## كُنْ مُسْلِماً (٤)

أيّها المسلم: (تذكّرْ حلاوةَ الوصال، يهنْ عليكَ مرُّ المجاهدة) .
أيّها المسلم: ألزمْ كلَّ جارحةٍ فيكَ شهودَ ربّكَ في كلِّ حين، والزمْ بابهُ سبحانه، فعندَ بابِهِ تحطُّ الرّحماتُ أطمارَها، وتنزلُ العطايا أقدارَها، وتبدي الآلاءُ آثارَها، وتُطلقُ شجرةُ العنايةِ أثمارَها، فإذا نزلتَ ببابه سبحانه فقد نلتَ الأطمارَ، وحققتَ الأقدارَ وسرحتَ في مواقع الآثار ثمّ حظيتَ بالأثمار، فداومْ نفسَكَ على زيارةِ مواقعِ الجودِ والإحسانْ، ولا تنصرفْ عنها قاصداً سواها، فليس في سواها غيرُ الخيبةِ والخذلان. (لا تتعدَّ نيّةُ همّتِكَ إلى غيرِهِ، فالكريمُ لا تتخطّاهُ الآمال) .
أيّها المسلم: عليك بتقوى الله، فما نفعَ القلبَ مثلُ تقواهُ سبحانه، فإنّها فاتحةُ الخيرات، وجامعةُ الحسناتْ، وبها يحظى العبدُ مقعدَ صدقٍ عندَ مليكٍ مقتدرٍ في أعلى الجنّاتْ، سُكناهُ فيها في ظُللٍ تحوطُها غرفٌ من فوقِها غرفٌ مبنيّاتْ.
((وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقاً)) .
أيها المسلم: (لو كنتَ كما تدّعي من أهلِ اللّبِّ والحجى، لأتيتَ بما هو أحرى بك وأحجى، ألا إنّ الأحجى أنْ تلوذَ بالرّكنِ الأقوى، ولا ركنَ أقوى من التّقوى) .

واتّقِ الله فتقوى اللهِ ما --- جاورتْ قلبَ امرءٍ إلا وَصلْ
ليسَ من يقطعُ طُرْقاً بطلاً --- إنّما من يتّقِ اللهَ البطلْ

أيّها المسلم: أنْ تتقي الله، يعني ألا تعصيه حيثُ لا يراكَ غيرُه، فاتّق الله ما استطعتَ، واعلمْ أنّ التقوى هي جمالُ الرّوح حيثُ آذاها البعدُ عن المحبوب، وجلاءُ القلبِ حيثُ سوّدتْ صفحتَهُ الذّنوبُ ورانَ عليهِ ما كسبْ، وإنّها سفرُ العقلَ في ميادينِ الفكرِ والجمال، واعلمْ أنّ لباسَ التّقوى هو خيرُ لباسٍ ترتديه، فلا تستبدلْ به حلّةً لا تدومُ، أو لباساً لا يبقى.

(الدّنيا بجميع لذائذها، حملٌ ثقيلٌ وقيدٌ لا يرضى به إلا المريضُ الفاسد الرّوح، فبدلاً من التّعلّقات والاحتياجاتِ إلى كلّ الأسباب، والتملّق لكلّ الوسائط، والتّذبذبِ بين الأربابِ المتشاكسين الصّمّ العمي، لا بدّ من الالتجاءِ إلى الرّبِّ الواحد، الذي إنْ توكّلتَ عليه فهو حسبُك) .

إنّها التقوى: السّمتُ الذي تُبنى عليه مكارمُ الأخلاق، واعلمْ أنّ (الأخلاقَ الحسنة إنّما هي استشعارُ معنى الرّقابةِ الإلهيّةِ في القلب)، وهي حصنُ المسلم الذي يدفعُ عنه، وَبالَ الدّهر وصروفَ القهر، وهي السّفينةُ التي تأخذُ به إلى شاطئ الأمن، وإنّها مُلتقى الكراماتِ وهي خيرُ ما في الحياة.

ألا يرضيك أن تكونَ جليسَ المصطفى صلّى الله عليه وسلّم في يومِ القيامة (أقربكم منّي مجلساً يوم القيامة، أحاسنُكم أخلاقاً) .

فيا أيّها المسلم: (إحرصْ وفيك بقيّة، على أنْ تكونَ لك نفسُ تقيّة) .

أيّها المسلم: لا يزالُ لسانُكَ رطباً بذكرِ الله ((ألا بذكر الله تطمئن القلوب))، فإنّ ذكرَ الله هو السّرُّ الذي يمدُّ قلبَكَ بالطّاقة، وأوصالَكَ بالحياة، وغدَكَ بالنّجاة، وحياتَكَ بالخاتمةِ الحسنة، وقبرَكَ بالسّعة، وميزانَك بالحسنات، وآخرتَكَ بالجنّة، وليكنْ قلبُكَ مهبطاً لشهودِ خالقك، ولتكنْ روحُك منزلاً لوارداتِ الحضورِ والحبّ.

(واعلم أنّ الحياةَ الكريمة تبدأ من حرارة ذكرِ الله، والعيشة الرّاضية لا تتأتّى إلا بحرارةِ ذكرِ الله والثّقة بنصره، فلا سبيلَ إلى الحرّيّة إلا بنقاء الفكر من همزات الشّياطين، وإغراء المفسدين، وعفّتِه من أدناس الشّرك، وصفائِه من أثر الاستعمار) .

وإنّ في ذكركَ لله استحضاراً لحبِّ الله في قلبك، ووفاءً لله وشكراً له على نعمائه وآلائه، وطُمأنينةً تغشى طوايا القلب وحلاوةً تغمرُ الجوارح، ولن يبرأ القلبُ من النّزعات وتصفو الرّوح من النّزغات إلا بذكرِ الله عزّ وجلّ ، فاجعلْ من وقتِك خميلةً فيها أشجارُ الذّكرِ بَواسِقْ، وأثمارُ التّسبيحِ يَوانِعْ، وأزهارُ التّكبيرِ والتّهليلِ روائعْ، وأريجُ الحمدِ والشّكرِ سابقْ.

(لا بدّ من فتراتٍ ينخلعُ فيها القلبُ من شواغلِ المعاش وجواذبِ الأرض، ليخلوَ إلى ربّه ويتجرّدَ لذكره ويتذوّقَ هذا الطّعمَ الخاصَّ للتّجرّدِ والاتّصالِ بالملأ الأعلى ويملأ قلبه وصدرَه من ذلك الهواء النّقيِّ الخالص العطرِ ويستروحَ شذاه) .

وكما يطيبُ الذّوقُ بجنى الأثمارِ آنَ القطافْ، وتطيبُ النّسائمُ بتراتيلِ الحمائم، وتميدُ الأغصانُ إذا عَرَضتْ بها الرّقائقُ اللّطافْ، كذلك يفعلُ ذكرُ الله فعلَهُ في القلوبِ إذا مرَّ بها وطافْ.

تُجتلى الأنوارُ من مضامين الغيوب، وتستقرُّ أطيافُ الجلالِ وأوصافُ الجمال في زجاجاتِ القلوب.

تختلبُ العيونَ شاهداتُ الهدى، وتنسابُ في الجوارحِ فصولُ النّدى، وتجذبُ الأرواحَ عائداتُ التّقوى، وتُسكرُ النّفوسَ هاتفاتُ النّجوى، فتَطربُ القلوبُ وكأنّها أُحِلّت دارَ المُقامة من فضله، وتنتشي الأرواحُ وكأنّها أُدخلتْ جنّةَ المأوى.

فالهدايةُ سِدرُها مخضود، والعنايةُ طلحُها منضودْ، والرّحمةُ ظلُّها ممدودْ، سألتِ القلوبُ فاستُجيبتِ الأمانيُّ، وطلبتِ الأرواحُ فبُثّتْ على رفوفِ العطاءِ الزّرابيّ.

وطارتْ بالخواطرِ الأشواقْ، وغابتْ في خيالِ محبوبِها الأذواقْ، فاليدُ البيضاءُ حاضرةُ العطاء، وكأسُ السُّرورِ دِهاقْ.

هنا صارَ العذابُ عَذباً، وصارَ العذبُ أعذبْ، وكان ربعُ النّورِ ما أقصاهُ، صارَ الرَّبعُ أقربْ، وتهادى رَوْحُ النّعيمِ في مَطارفِ الرُّوحِ وتشعّبْ، فبأيِّ آلاءِ الإله يُكَذّبْ.

صحَّ بالفقرِ الغنى، وقوبِلتْ بالقَبولِ المنى، ونادى بالأرواح هاتفُ الرّحمن قائلاً: "ثمّ دنا"

شهداءُ عِرفانِ الهدى شهداءُ --- دمُهم على أكفانِهم عُرَفاءُ
فإذا حيوا فبذكرِهِ وإذا همُ --- ماتوا ففي فردوسِهِ أحياءُ
فكأنّما نَشْرُ الشّذا من نشرِهمْ --- وكأنّهم في غيرِهم آلاءُ

(ألا إنّ حقَّ الثناء، لمن لهُ حُقَّ السّناء، ولا أعلى من ربِّ العرش وأسنى، ولا أحسن من أسمائِه الحُسنى، فاستفرغْ في تمجيدِهِ طوقَك، واجتهدْ ألا يكونَ ممجّدٌ فوقَك) .

أيّها المسلم: إذا قُمتَ للوضوءِ فطهِّرْ قلبَك أوّلاً من علائقِ الأغيار، واغسلهُ من أثرِ الذّنوب، واشهد الله في كلِّ جارحةٍ فيك، فإذا غسلتَ يديكَ فما ذلك إلا لتعاهدَ الله على الاستقامة ولكن بيدينِ نظيفتين، ولتكنْ لك في كلِّ ساعةٍ مع ربِّكَ "بَيْعةٌ رضوان"، فذلك مطلبُ المؤمن الحرّ، وإذا أجريتَ الماءَ على جوارحِكَ، فما ذلك إلا لتقبلَ على الله بوجهٍ نظيف وجسدٍ نظيف، فإنها شروطُ الحضورِ بين يديه، والوقوفِ في حضرته.
وإذا قمتَ إلى الصّلاةِ فلتكنْ صلاتُكَ معراجاً إلى محلِّ أُنسِهِ، ووقوفاً في محرابِ قُدسِه، ثمَّ لِيكنْ فيها قُرّةُ عينك، وإجماعُ قلبك، واعلمْ أنّ الصّلاة هي: (محلُّ المناجاة، ومعدِنُ المصافاة، تتّسعُ فيها ميادينُ الأسرار، وتُشرقُ فيها شَوارقُ الأنوار، وهي طُهرةٌ للقلوبِ من أدناسِ الذّنوب، واستفتاحٌ لبابِ الغيوب) .
وهاأنذا أسوق لك قولاً للدّاعية العظيم بديع الزّمان النورسي والذي أدرك من الصّلاة آفاقاً وغاياتٍ فقال: (إنّ الصّلاة والنّظر إلى الكعبة خيالاً مندوبٌ إليها، ليرى المصلّي حول بيتِ الله صفوفاً كالدّوائر المتداخلة المتّحدة المركز، فكلّما أحاط الصّفُّ الأقربُ بالبيت، أحاط الأبعدُ بعالم الإسلام، فيشتاقُ إلى الانسلاك في سلكهم، وبعد الانسلاك يصيرُ له إجماعُ تلك الجماعة العظمى وتواترهم حجةً وبرهاناً قطعياً عل كلِّ حكمٍ ودعوى تتضمّنها الصّلاة، فإذا قال المصلّي: "الحمد لله"، كأنّه يقول كلُّ المؤمنين المأمومين في مسجد الأرض: نعم صدقت، فيتضاءلُ ويضمحلُّ تكذيبُ الأوهام ووسوسةُ الشّياطين).

أيّها المسلم: إذا ما دخلتَ في الصّلاة فقد ملكتَ زمامَ السّرائر، وصرتَ قاضياً في محكمة الخواطر، فلا يكون منك غير تسبيحٍ وذكرٍ وحمد، واطرقْ بابَ مولاك بالرّكوع بين يديهِ، فإذا ما سجدتَ لله فُتحت أمامك مصاريعُ الغيوب (أقربُ ما يكون العبدُ من ربّه وهو ساجد) ، واعلم بأنّ سجودَكَ لله والإطراق بين يديه هو تاجُ الكرامة الذي يبرق فوق رأسك فيجعل من ذاتك حَرَماً حراماً على غير مولاك.

إذا ما جبيني لاصقَ الأرضَ خاشعاً --- وردّدْتُ يا سُبّوحُ يا ربُّ... عابدا
تغنّيتُ بالتّقديسِ عن عالمِ الدّنا --- وأشرقتُ واستشعرتُ نفسيَ صاعدا
وكنتُ أنا والنّورُ مثنىً فذبتُ في --- تجلّيه حتّى عدتُ والنّورُ واحدا

وإنّ السجودَ هو الزّينةُ التي تجمل بها الرّوح فتتعالى عن بَدأةِ الصّلصال والفخار سابحةً في فضاءاتِ الشّهود والوقار نازلةً في منازلِ الرّحمن.
إنّه الوقت الذي تصفو فيه سماءُ القلبِ من دخانِ الأغيار، لِتَؤُمَّ شطرَ كعبةِ الأنسِ والرّضى العِرفان: (إنّ الإنسانَ في تكوينهِ قبضةٌ من طين هذا العالم، ولكنّ له صدراً لا يقلُّ عن العرش كرامةً وسموّاً،

فقد أشرقَ بنورِ ربّه وحمل أمانة الله. إنّ الملائكة تمتازُ بالسّجودِ الدّائم، ولكن من أين لها تلك اللّوعةُ التي امتاز بها سجودُ الإنسان) .

فإذا ما انتهيت من صلاتك أيها المسلم، فذلك إقبالٌ على الدّنيا والله في قلبك، فإذا لم تنهك صلاتك عن الفحشاءِ والمنكر فإنّك لم تُصلّ.

وهاأنذا أسوقُ لك مرّةً أخرى كلماتٍ لواحدٍ ممّن أدركوا من أسرار الصّلاة الكثير، فاسمعْ إليه وهو يقول: (بالانصراف إلى الصّلاة وجمع النّيّةِ عليها، يستشعر المسلمُ أنّه قدْ حطّمَ الحدود الأرضيّة المحيطة بنفسه من الزّمان والمكان، وخرج منها إلى روحانيّةٍ لا يُحدُّ فيها إلا بالله وحده، وبالقيام إلى الصّلاة، يحققُ المسلم لذاته معنى إفراغِ الفكرِ السّامي على الجسمِ كلّه، ليمتزجَ بجلالِ الكونِ ووقاره، كأنّه كائنٌ منتصبٌ مع الكائناتِ يسبّحُ بحمده وبالتّولّي شطرَ القبلة في سَمتها الذي لا يتغيّرُ على اختلاف أوضاع الأرض، يعرفُ المسلم حقيقة الرّمز للمركز الثّابت في روحانيّةِ الحياة، فيحملُ قلبُه معنى الاطمئنان والاستقرار على جاذبيّة الدّنيا وقلقها، وبالرّكوع والسّجود بين يدي الله يُشعر المسلم نفسَه معنى السّموّ والرّفعة على كلّ ما عدا الخالق من وجود الكون، وبالجلسة في الصّلاة وقراءة التّحيّات الطّيبات يكون المسلم جالساً فوق الدّنيا يحمدُ الله ويُسلّمُ على نبيّهِ وملائكته ويشهد ويدعو، وبالتّسليم الذي يخرجُ به من الصّلاة، يُقبلُ المسلمُ على الدّنيا وأهلها إقبالاً جديداً، من جهتي السّلامُ والرّحمة.

هي لحظاتٌ من الحياة كلّ يومٍ في غير أشياءِ هذه الدّنيا لجمع الشّهوات وتقييدها بين وقتٍ وآخر بسلاسلها وأغلالها من حركاتِ الصّلاة، ولِتمزيقِ الفناءِ خمسَ مرّاتٍ كلّ يومٍ عن النفس، فيرى المسلم من ورائه حقيقة الخلود، فتشعرُ الرّوح أنها تنمو وتتّسع، هي خمسُ صلواتٍ وهي كذلك خمسُ مرّات يفرغُ فيها القلبُ ممّا امتلأ به من الدّنيا، فما أدقَّ وأصدقَ قولَهُ صلّى اللهُ عليه وسلم: «وجُعلت قرّةُ عيني في الصّلاة») .

أجل، إنّها الصّلاة: الشّربةُ الأصفى، في قُبّةِ الكأس الأوفى، ونزولٌ في منازل الأنس والودّ، وطوافٌ حول كعبة الحب والوجدْ، وارتقاء في سماوات الشهودْ، وانصراف بالكليّة إلى المعبودْ.

إنّها إشهادُ من في الأرض على صدق دعوى الحب والهيام، وإشهادُ من في السماء على صدقِ فحوى الذّكر والكلام، وإشهادُ خالق السماوات والأرض على أنّ هذا القلب ملكُه.

ولقد قيل: (إنّه إذا ماتَ المؤمنُ، بكى عليهِ موضعان، موضعٌ في الأرض وموضعٌ في السماء، أمّا الذي في الأرض فهو الذي كان يشهدُ صلاتَه وأمّا الذي في السّماء، فهو الذي كان يصعدُ إليه عملُهُ الصّالح) .

نعم، هي حمدٌ باللّسان، ولكن بعدَ أنْ صدعتِ الرّوحُ بالحمد، وهي التّسبيحةُ القدسيّةُ التي تشتركُ فيها كلُّ جارحةٍ في الجسد.

إنّها ترجمانُ العلاقة بين القلبِ والمحبوب، وسفيرُ الرّوح إلى فضاءاتِ رحمته، ووثيقةٌ تنصُّ على براءةِ القلبِ من غير الله، وعهدٌ ينصُّ على نجاةِ العبدِ من النّار.

(فلا تسجدْ ولا تركعْ إلا وقلبُك خاشعٌ متواضعٌ على موافقةِ ظاهرك، فإنّ المراد خضوعُ الروح لا خضوع البدن، ولا تقلْ "الله أكبر" وفي قلبك شيءٌ أكبر من الله تعالى ولا تقلْ "وجّهت وجهي" إلا وقلبُك متوجّهٌ بكلِّ وجههِ إلى الله ومعرضٌ عن غيره، ولا تقلْ "الحمدُ لله" إلا وقلبُك طافحٌ بشكر نعمه عليك فَرِحٌ به مُستبشر، ولا تقل "وإيّاك نستعين" إلا وأنت مُستشعرٌ ضعفَكَ وعجزَكَ وأنّه ليس إليك ولا إلى غيرك من الأمر شيء) .

أيّها المسلم: إذا صُمتَ ومنعتَ عن جوفكَ الطّعام والشّرابَ، فليصمْ قلبُك قبل ذلك عن الالتفات إلى غيره سبحانه فإنّ الانصرافَ إلى سواه جلّ وعلا، إفطارٌ على مائدةِ الشّيطان.

## جدِّدْ حياتَكَ بالصّيامِ --- فإنّ فيه غذاءَ روحكْ

داوِ الذي تشكو بتقوى اللهِ تبرأ من قروحِكْ وارقَ الذّرا وَدَعِ الثّرى طالَ المُقامُ على سُفوحكْ وإذا حججتَ بيتَ الله فَليحجَّ قلبك إلى مَهوى الفؤاد وكعبةِ الأسرارِ قبل أنْ تحجَّ عيناكَ إلى بناءٍ من الأحجار.

وإذا استخلفكَ اللهُ على مالٍ فابسطْ يدكَ راضياً وامنعْها على العيون، فلا خيرَ في يمينٍ تُنفقُ وشمالُها عليها قائمةٌ وبها عالمة.

## كُنْ مُسْلِماً (٥)

أيّها المسلم: لا تهجرِ القرآنَ، فإنّهُ كتابُ الله، فإذا هجرته فقد فقدتَ الكثير، واعلمْ أنّه رسالةُ اللهِ إليك، فيها ممّا تحبُّ ما لا يُحصيهِ الفهمُ أو يحيطُ به الإدراك، فرتّلْهُ آناءَ اللّيلِ وأطرافَ النّهار، فإنّ آياتِهِ جذباتُ عشقٍ من حضرةِ الرّحمن، وسورَهُ سوانحُ الرّوح للدّخولِ إلى فِناءِ مملكته، وكلّ كلمةٍ فيه إذنٌ لك بالدّخولِ على الرّبّ العظيم، ينسابُ فيهِ ماءُ الحياةِ فمنهُ وِردُ القلوب، ويجري في مسالكِ الرّوح فبهِ جلاءُ الذّنوب، تأخذ منهُ الألفاظُ بمجامعِ الألحاظ، وتعزفُ منه المعاني على أوتارِ الرّوح، وتُسكرُ منه الآياتُ لا كما تُسكرُ الغَبوقُ أو الصّبوح، لا تستقيمُ المباني في نظمٍ كما استقامتْ مبانيه، ولو أنّ ما في الأرض من شجرةٍ أقلامٌ والبحرُ يمدُّه من بعدِهِ سبعةُ أبحرٍ ما نفدتْ معانيه:

(آياتٌ منزلةٌ من حولِ العرش، فالأرضُ بها سماءٌ هي منها كواكبْ، بل الجندُ الإلهيُّ قد نُشِرَ له من الفضيلة علمٌ، وانضوتْ إليه من الأرواحِ مواكبْ، أُغلقتْ دونَهُ القلوبُ فاقتحمَ اقفالَها، وامتنعتْ عليهِ أعرافُ الضّمائر فابتزَّ "أنفالَها".

ألفاظٌ إذا اشتدّت فأمواجُ البحارِ الزّاخرة، وإنْ هي لانتْ فأنفاسُ الحياةِ الآخرة، تذكر الدّنيا فمنها عمادُها ونظامُها، وتصفُ الآخرةَ فمنها جنّتُها وصِرامُها، ومتى وعدتْ من كرمِ الله جعلتِ الثّغورَ تضحكُ في وجوهِ الغيوب، وإن هي أوعدتْ جعلت الألسنة ترعدُ في حمى القلوب.

ومعانٍ بينا هي ترويك من ماءِ البيان، ورقّةٌ تستروحُ منها نسيمَ الجنان، ونورٌ تبصرُ به في مرآةِ الإيمان وجهَ الأمان، وبينا هي ترفُّ بندى الحياة على زهرة الضّمير، وتخلقُ لأوراقها من معاني العبرة معنى العبير، وتهبُّ عليها بأنفاسِ الرّحمة فتَنِمُّ بسرِّ هذا العالم الصّغير، ثمّ بينا هي تتساقطُ من الأفواه تساقطَ الدّموع من الأجفان، وتدعُ القلبَ من الخشوع كأنّه جنازةٌ ينوحُ عليها اللّسان، وتمثّلُ للمذنب حقيقة الإنسانيّة حتّى يظنَّ أنّه صنفٌ آخرُ من الإنسان، ..........، لا جرم أنّ القرآن سرُّ السّماء، فهو نورُ الله في أفقِ الدّنيا حتّى تزول، ومعنى الخلود في دولةِ الأرضِ إلى أن تدول) .

أيّها المسلم: ما أجملَ أن تكلّمَ المولى، وأنت العبدُ الضّعيفُ وهو الرّبُّ العظيم، إنّها لساعةٌ تُنسيك ما قبلها، إنّه الكلامُ مع الله، ملتقى السّرِّ مع من يعلمُ السّرَّ وأخفى، وملتقى الحيرانِ مع نارِ الهداية، وملتقى السّفينِ الشّاردةِ مع مناراتِ المرافئ، إنّه لقاءُ الرّوح مع مطلوبِها، والأملِ مع غايته: (كلُّ آيةٍ من آياته الجليلة، كعصا موسى عليه السّلام، تفجرُ الماءَ أينما ضربت، إنّهُ شمسُ الكواكبِ السّيّارة، والمنبعُ السّلسبيل الباعث على الحياة، يتلو آياتِ الكائناتِ في مسجدِ الكون الكبير هذا، فلننصتْ إليه، ولنتنوّرْ بنوره، ولنعملْ بهديهِ الحكيم، حتّى يكونَ لسانُنا رطباً بذكرهِ وتلاوتِه) .

أجل أيّها المسلم: (اجعلْ كتابَ الله نجِيّكَ فنعمَ النّجيّ، وإنّكَ لحريٌّ بمناجاتهِ حجيّ) ، فإنّ ما تستشعرُهُ الرّوحُ وهي تطوفُ في مثانيِّ الكتاب من السّعادة والطّمأنينة والنّشوة لَيضيقُ عن الحصرِ والإحاطة، فإذا رتّلتَهُ كان لك هذا في دنياك، ويُقالُ لك في يوم القيامة: (اقرِأ وارقَ ورتّلْ كما كنتَ ترتّلُ في الدّنيا) .

فأقبلْ على كتابِ الله، تهذّبُ به لسانَكَ فينتظمْ، وقلبَكَ فيستقيم، وتسقي بنَميرِ وحيهِ قفرَ الضّمير، ينبعث أكمامَ خيرٍ وزهورَ إيمان.

(فاجتهدْ بأن تحاذي بوجهِ قلبكَ شطرَ شمسِ القرآن، وتستضيءَ بأنواره كذلك، فإنْ لم تطقْ ذلك فأصغ إلى النّداءِ الواردِ من جانبِ الطّورِ الأيمن، فإن آنستَ من جوانبهِ ناراً، فخذْ منهُ قبساً، وأشعلْ منه سراجاً، فإن كان زيتُك صافياً يكادُ يضيءُ ولو لم تمسسْهُ نار، فإذا مسّتْهُ النّارُ انبعثَ منه الضّياءُ، ووجدتَ على النّارِ هدى، وقام في حقّك مقامَ الشّمس المنتشرةِ الإشراق والضّياء) .

أيّها المسلم: (إقرأ القرآنَ كأنّهُ أنزلَ عليك) ، وأرسلْ فيهِ عينَ التّفكّر وجارحة التدبّر، فإذا رُزقتَ الفهمَ عنه رُزقت البراءةَ من الإثم، والعصمة من الموبقات، والرّاحة في الحياة، والخوف من الخوف، فإنّكَ في معيّةِ الله ما دمتَ تسلكُ القلبَ بين دُفّتيه، وتأمّلْ في كلامِ سيّدنا جعفر الصّادق رضي الله عنه بعدَ أن رُزِقَ الفهمَ عنه والعلمَ به: (عجبتُ لمن خاف ولم يفزعْ إلى قول الله سبحانه ((حسبنا الله ونعم الوكيل)) فإنّي سمعتُ الله يعقبها بقوله: ((فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم)).

وعجبتُ لمن اغتمَّ ولم يفزعْ إلى قوله سبحانه: ((لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين))، فإنّي سمعتُ الله يعقبها بقوله: ((فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين)). وعجبتُ لمن مُكرَ به ولم يفزعُ إلى قولِ الله ، فإنّي سمعتُ الله يعقبها بقوله: ((فوقاه الله سيئات ما مكروا)). وعجبتُ لمن طلبَ الدّنيا وزينتها، كيف لا يفزعُ إلى قولِ الله: ((ما شاء الله لا قوة إلا بالله))، فإنّي سمعتُ الله يعقبها بقوله: ((إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك)) .

## كُنْ مُسْلِماً (٦)

أيّها المسلم: إنّ فاتحة هزائم المرءِ هي هزيمتُهُ أمامَ نفسه، فلا تضعفْ أمام نفسك، فإنّ النفسَ إذا بسطتْ سلطانها على المرء أردتْهُ طريحَ الأدواء والعلل، وإنها من أولياءِ الشّيطان، فاكبحْ جُماحَها بذكرِ الله وبالقرآن، وقيّدْها بقيودِ الإيمان:

وخالفِ النّفسَ والشّيطانَ واعصِهما --- وإنْ هما محّضاكَ النّصحَ فاتّهمِ
ولا تطعْ منهما خصماً ولا حكماً --- فأنتَ تعرفُ كيد الخصم والحكَمِ

أيّها المسلم: لا يغرنّكَ طولُ العمر، فما أهلكَ من هلك إلا طولُ الأملِ ونقصُ الرّجاء، فماهي إلا سنّي قليلة وتنقضي، وكما قيل: (من عدَّ غداً في أجلِهِ فما أحسنَ صحبة الموت)، فاذكر الموتَ هاذمَ اللّذّات، وليكن الموت عندك فراراً إلى الله بقلبِ راغب، ولا يكوننّ سَوقاً بسلاسل القهر، فما الموتُ إلا لقاء الحبيب، وإنهُ الميعادُ الذي إذا جاء ألفيتَ كلّ تميمةٍ لا تنفع:

وما المالُ والأهلون إلا ودائعٌ --- ولا بدّ يوماً أنْ تُردَّ الودائعُ

(يا ابن أمي وأبي هات، حديثَ الآباء والأمّهات، وحدّثْ عن رجالِ العشيرة، وكرامِ الأخلاءِ والجيرة، من الجارِ الجنب، وماسّ الطُّنُب، ومن جاثنياهُ على الرّكبْ، وجاريناه في كشفِ الكربْ، ومن رفدنا بالخير ورفدناه، ومن أفادنا الحكمة وأفدناه، قد اقتضاهم من أوجدهم أن يفنَوْا، وخلتْ منهم الدّيارُ كأن لم يغنَوْا، وكفى بمكانهم واعظاً لو صودفَ من يتّعظ، وموقظاً عن الغفلةِ لوْ وُجدَ من يستيقظ) .
واعلمْ أنّ الموتَ عند أهل الصدق والإيمان الحقّ هو ترجمانُ الشّوق إلى الله ولقائه، وإنّه عودةُ الرّوح إلى وطنها الأوّل، ولقاء صاحب الملك.
ولقد سُئلتُ مرّةً: ما هو دواءُ الشّوق؟ فقلتُ: هو الموت، فقال ليَ السّائلُ: ولكنّي أسمعهم يقولون: إنّ دواءَه اللّقاء، قلتُ: أجلْ؛ هو ذاك، ولكن من تلاقي؟ فقال: ألقى الحبيب، فقلتُ له: ومن هو حبيبُك؟ ... فبُهتَ الذي فكّرْ!!!!
إنّه إغماضُ العينين، ولكنّه انفتاحُ القلبِ على عالم السّماء، وإنّه سكونُ الجوارح والأعضاء، ولكنّه طيرانُ الرّوح إلى فضاءِ الشّهودِ واللّقاء.
أيّها المسلم: لا تنسَ الموتَ فتخلدَ إلى الحياة، ولا تنسَ اللّقاءَ، فيبعدَ قرارُك ويشطَّ مزارُك، وكنْ مع الله دائماً، واعلمْ أنّه ((إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)) ، فلا يأتينّكَ الموتُ وأنت عنه لاهٍ وعن الحقوق ساهٍ، وليكنْ إذا ما جاءكَ حبيباً جاء على شوق، فما هي إلا نزعةٌ أو سكرة، حتّى تلحقَ بالرّكب، وما هي إلا طرفةُ عين حتى تكون في جنّاتِ النّعيم بإذن ربّ العالمين.
فهذا بلالٌ الحبشيّ رضي الله عنه، يعالجُ سكراتِ الموت، فتندبه زوجه وتقول:
وابأساه.. واحزناه، فيقول لها: بلْ قولي... وافرحاهُ... واطرباه، غداً ألقى الأحبّة، محمّداً وصحبَه.
طاروا على أجنحةِ الشّوق، وفنوا عن العوالم والخلق، وغابوا في الملك الحقّ، فالموتُ عندهم حياة، وسكراتُه جذباتُ عشقٍ من كفِّ الحبيب.
وهذا معاذُ بن جبلٍ رضي الله عنه يقولُ وهو يُغالبُ سكراتِ الموت: أيْ ربّ.. اخنقي خنقاتِك، فوعزّتك وجلالك إنّي أحبّك.
نعم: إنّه الموت، طريقٌ إلى حضرةِ الرّحمن، وما وارداتُه إلا حدواً لقوافلِ العشق السّائرةِ إليه.

أيّها المسلم: إذا جاءكَ الموتُ فعلّم قلبَكَ أنْ يقول: ((وعجلت إليك رب لترضى)) .

أيّها المسلم: لا تسلِمْ قلبك للكرى، واهجرْ فراشَ راحتك، وأجبْ داعيَ الإيمان في قلبك، فإنّ لله في كلِّ لحظةٍ هاتفَ صلةٍ لمن أرادَ أن يتّصلَ به سبحانه، وأزحْ عن قلبك ستورَ اللّيل، وقمْ بينَ يدي مولاك متبتّلاً متملّقاً، فما أجمله من مكان، إنّه مكانٌ يطهر فيه القلبُ وتسمو فيه الرّوح في مراقي الدّرجات، وتبتلُّ فيهِ الجوارح بندى الحبِّ المتساقط من رحيق حضرته سبحانه، وتغتسلُ فيه النّفسُ من السّوء، وتنفلتُ من دائرةِ القطيعة والجفاء، إنّه القيامُ بين يديه، إنّها لساعةٌ هي بالعمر كلّه، ساعةٌ أنت جارُ الحبيب، تخلو به عن أعينِ الرّقباء، تناجيهِ بملكاتِ النّفس الطّاهرة وحضور القلبِ الطّهور، وبجوارحكَ الذّاكرة الشّاكرة، فلا يكون منك في هدوء اللّيل إلا أنين الفؤاد المجروح والكبد القريحة.
(إنّه الأفقُ الوضيءُ الكريم، الأفقُ الذي يكبرُ فيه الإنسانُ لأنّهُ يطامنُ من كبريائه، وترفُّ فيه روحُهُ وضيئةً لأنّها تعنو لله! إنّه الانطلاقُ من قيودِ الذّاتِ ليصبحَ البشرُ أرواحاً من روح الله، ليس لها حظٌّ في شيءٍ إلا رضاه) .

غنّت لنا وُرقُ الحجازِ و صبحُ مكّة قد صفا و نسيمُ هدي الله في جنباتها قد هفهفا و خواطرُ العشّاق تسعى بين مروةَ و الصّفا و البدرُ لاح فحين أبصرَ نورَ طلعته اختفى لا تسألوا ماذا جرى ؟ جاء النبيّ المصطفى

فكأنما الأمواهُ في لجّاتها رقراقُ عسجدْ و كأنما الأوراقُ في أغصانها فيضٌ زبرجدْ حين الهواتفُ ردّدتْ قد جاء أحمدْ قرّي بهذا الضيفِ عيناً و انعمي يا أمَّ معبدْ للكون ما يرجوهُ من نعمى و نحن لنا محمّدْ

هذي خيولُ الصبحِ قادمةٌ كأنّ الصّبحَ طارقْ و محمدٌ يجري هواهُ على سلاليمِ الزّنابقْ و فصولُ عشّاقٍ على دُهمٍ من التّقوى سوابقْ حرمٌ شريعتُنا و حبُّ محمدٍ فيه سرادقُ من لم يخالطْ حبُّ طه قلبَهُ و الله فاسقْ

هذي خواتيمُ الشّذا ترتاحُ في بُسطِ الحقولْ و قوافلُ الأزهارِ تستفتي النّدى ماذا تقولْ ؟ قال الندى و لـه من المولى إشاراتُ قَبولْ قولي سلامٌ من سلامٍ إنّه طه الرّسولْ مَن كان أسوتُه النبيَّ محمداً فله الوصولْ

يا سائلاً عنّا تعالَ إليّ أنبئْكَ الخبَرْ إنْ أقفرتْ أرضُ القلوب فنحن حبّاتُ المطرْ أو أظلمتْ سُبلُ الحياةِ فنحنُ في الدّنيا القمرْ منّا أبو بكرٍ و صاحبُه أبو حفصٍ عمرْ و إذا أرادَ اللهُ نحن قضاءُ ربّي و القدرْ

تبّتْ يدا من لم يكنْ منّا و تبّ و ألفُ تبٌ لا مالُه يغنيهِ عن هدي الإله و لا الذّهبْ كنْ مسلماً و كفاك عند الله هذا من نسبْ و اطلبْ رضا مولاكَ مجتهداً و أجمِلْ بالطّلبْ إنْ لم تكنْ عمراً فلا تكُ في الحياةِ أبا لهبْ

يا سائلاً عنّي تعالَ إليّ أنبئكَ الخبرْ نبأُ الغرامِ أنا و لي في كلّ قلبٍ مستقرّ بغدادُ عاصمتي و أرض الشامِ حاضرتي و مِصرْ في قلبيَ القرآنُ محمولٌ و في كفّي حجَرْ و أرتّلُ الآياتِ فالصّحراءُ أغصانٌ يدلّيها الثمرْ

أنا حبّةُ الله التي تعطي ملايينَ السّنابلْ إنْ شئتَ سلْ عنّي تجبْكَ سنابكُ الخيلِ الأصائلْ زيتونُنا يبقى و غرقدُهم و ما زرعوهُ زائلْ لن تهزمُ النّيرانُ إيمانَ القلوبِ و لا السّلاسلْ فهناكَ جندُ الله في الفلّوجةِ الفيحا تقاتلْ

لا تبتئسْ يا خالداً ... في أرض غزّةَ ألفُ خالدْ لن يهدمَ الباغونَ ما تبني و ما بنتِ المساجدْ و الله لن يصلوا و فينا قانتٌ لله ساجدْ في كلّ شبرٍ من ثرانا الحرِّ ينبضُ قلبُ عابدْ إنْ يقضِ منّا واحدٌ ... يتبعْهُ منّا ألفُ واحدْ

من ثورة "الأنبار" من غضب " الرّمادي " من "بلدْ "
من غزّةٍ من قدسنا و من الخليل و من صفدْ من " قندهارَ " و من ربى " كشميرَ " من كلّ بلدْ أنا قادمٌ بمعيّة الرّحمن يا طيب المددْ لا لن أذلَّ و في فؤادي ( قل هو الله أحدْ )

لن يقتلوا منّا القلوبَ الآبياتَ الثّائباتْ لا لن يذلَّ الماجدون و لن تَذلَّ الماجداتْ ما هان في يدنا الحسامُ الحرُّ أو لانتْ قناةُ نحن اشترينا جنّة اللهِ و بعناه الحياةْ فهنا تسيلُ دماؤنا و هناكَ ( حيّ على الصّلاةْ )

من لم يكنْ منّا فليسَ لـه من الرحمن واقْ نحنُ العراقُ فلا تسلْ يا صاحبي أين العراقْ ؟ بغدادُ ما زالتْ تجوبُ بأرضها الخيلُ العتاقْ خَطوُ المثنّى فوقَ حبّاتِ التّرابِ الحرّ باقْ و نعانقُ الموتَ الكريمَ و طابَ في الله العناقْ

كنْ مسلماً تدركْ بعونِ الله غاياتِ الكمالْ كن في ضمير الكونِ قرآناً و صوتاً من بلالْ أوصلْ حبالَكَ بالإله تعزّ هاتيكَ الحبالْ لا تنسفُ الرّيحُ الجبالَ فكنْ بعزمكَ كالجبالْ و اكتبْ بحبرِ الحبّ و الإيمان ديوانَ الرّجالْ

و الله ما المالُ الذي يعلو بصاحبه و يرفعْ العمرُ ليسّ دراهماً معدودةً تُجبى و تُدفعْ العمرُ أنْ تهبَ الإله الرّوحَ خالصة و تقنعْ و إذا الذّنوبُ تكاثرتْ فالجأْ إلى الرحمن و افزعْ لا تيأسنّ من الكريمِ فإنّ عفوَ اللهِ أوسعْ

******
***

. ●ما رفرفت فوق هام العرب رايات● .

ما رفرفت فوق هام العرب رايات ๓๓ لو لم تصنها من الإسلام رايات

ولا ازدهرت بمعانيها حضارتها ๓๓ لو لم تكن عندنا للمجد غايات

لا يعرف الخير من فى قلبه مرض ๓๓ ولا صلاح إذ لم تصلح الذات

شق الجدود طريق المجد لاحبة ๓๓ للسالكين ضوى فيها وشارات

وبينوا سننا ما ضل تابعها ๓๓ ولا استبدت يوما خرافات

يا سيد الرسل هذا يوم مولدكم ๓๓ كأنه لابتداء الخير ميقات

يوم به القلب مغمور بفرحته ๓๓ ويعمر القلب تسبيح وإخبات

جئت الوجود وكل الناس فى صخب ๓๓ وللقوى على المسكين غارات

كفر وخمر وإلحاد وزندقة ๓๓ وفرقه طوحتهم واختلافات

فقمت للحق تدعوهم وترشدهم ღღ كي تستقيم بدعواك المساواة

وبث فيهم بروح العدل داعية ღღ حتى انتهت بينهم تلك العداوات

ورحت للصنم الخزيان تحطمه ღღ فلم يعد يصنع الأرباب نحات

قلنا تبدلت الدنيا كما انقشعت ღღ سحب الضلال وأهل الظلم قد ماتوا

لكن تبين ان الظلم مستتر ღღ ونهضة الغرب بالبلوى مغشاة

هذى فرنسا تشن اليوم غارتها ღღ كما تساندها فى الغدر هيئات

يا أهل باريس كفوا عن تفسقكم ღღ فليس تنفعكم هذى الحماقات

قد أدعيتم بأن السلم غايتكم ღღ هاتوا دليلا على ما قلتم هاتوا

هل فى تعاليم عيسى يا أحبته ღღ ظلم وبغى وإرهاق وإعنات

أين السلام الذى جاء المسيح به ღღ وأين قد ولت العشر الوصايات

كأن عن بغيكم هذا وظلمكم ღღ لم ينهكم قط انجيل وتوراة

إن المسيح برئ من جرائمكم ღღ والعرف يبرأ منكم والمروءات

يا عاكفين على الألحان تطربهم ღღ إخوانكم فى ذرى بنزرت أموات

دارت عليهم رحى الكفر طاحنة ღღ ولم تلح من جحيم الموت منجاة

أطفالهم تأكل الحجر من سغب ღღ وشيخهم من خشاش الأرض يقتات

يا قوم كفوا عن اللذات أنفسكم ღღ وحاسبوها فما فى الأمر ملهاة

متى النهوض وهذا العرض منتهك ღღ والصف مضطرب والشمل أشتات

فى كل يوم لنا شكوى نقدمها ღღ وليس تجدي شكاوى واحتجاجات

لكن تصون الحمى من كل ذى طمع ღღ يوم الكريهة نيران وثارات

كفى نفاقا كفى غشا كفى كذبا ღღ فى كل يوم لكم نفى واثبات

لا شئ ينفعنا إلا عقيدتنا ღღ الله اكبر لا العزى ولا اللات

ولا يعم الهدى والخير مجتمعنا ღღ إلا إذا خلصت لله نيات

يا سيدي يا رسول الله قد ظهرت ღღ للشر فينا ميول واتجاهات

كل يرى الحق محصورا بدعوته ღღ وكلها دعوات جاهليات

دعا لها كل مخبول كما ارتفعت ღღ للكفر والغدر والإفساد أصوات

كانت تنادى زمانا بالسلام وهل ღღ تدعوا إلى السلم عند صدق عصابات

سلوا عن السلم فى كركوك مجزرة ღღ الأرض تهتز منها والسماوات

قامت بها زمر رعناء كافرة ღღ للهدم يدفعها حقد وعاهات

عفوا رسول البر والهدى أن عجزت ღღ عن أن تفي حقك الجبار أبيات

ما كان للشعر أن يرقى لمنزلة ღღ شادت ونادت بعليها الرسالات

لكنما هى آهات أرددها ღღ أو آه لو تنفع المحزون أهات

قد يسكت البلبل الغر يد فى قفص ღღ بعض السكوت فتشدوا الببغاوات

*.*.*.*.*.*.*.*.*.*.*.*.*.*

## الفصل العاشر : عرفوك بدراً للسماء ضياء

إن الهدف من الوجود الإنساني على الأرض هو تحقيق العبودية لله ،سواء على مستوى المجتمعات بتطبيق شرع الله أو على مستوى الأفراد بالتربية الإيمانية (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)، ولكن في ظلِّ المنهج الإسلامي ؛لا يمكن أن تتحقق الأولى (تعبيد المجتمع) إلا إذا تحققت الثانية ( تعبيد الأفراد).

فالتربية الإيمانية لابد وأن تَسْبِق قضية الشريعة، والناظر إلى خطوات النبي صلى الله عليه وسلم في إقامة دولة الإسلام يجد أنه ركَّز أولاً على غرس الجانب الإيماني في قلوب أصحابه قبل تقريره لأحكام الشريعة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : (أول ما نزل من القرآن سورة فيها ذكر الجنة والنار - تعني رضي الله عنها سورة المدثر - حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحرام والحلال، ولو نزل من أول الأمر لاتزنوا لقالوا : لا ندع الزنا أبدا ولو نزل لا تشربوا الخمر لقالوا : لا ندع الخمر أبداً)

لذلك فإن توطين النفس على الالتزام بالدين وتحقيق العبودية لله هي في الحقيقة أولى خطوات إقامة المنهج الإسلامي في الأرض.

ودعونا نضرب مثالا لتتضح الصورة حول ماذا سيكون عليه الحال إذا طبقت الشريعة دون تربية أفراد المجتمع على الاستسلام والخضوع لله ، "حاولت الحكومة الأمريكية مرة القضاء على ظاهرة إدمان الخمر التي تفشت داخل المجتمع فأصدرت قانونًا عام (١٩١٩م ) يُحرم الخمر؛ ولكي ينجح تطبيق هذا القانون استخدمت الدولة وسائل النشر والإذاعة والسينما والمحاضرات للدعاية ضد الخمر ،حتى أنها أنفقت في حملة الدعاية هذه ما يزيد عن ستين مليوناً من الدولارات، وما نشرته من كتب ونشرات يشتمل على عشرة بلايين صفحة ، وما تحملته في سبيل تنفيذ قانون التحريم لا يقل عن مائتين وخمسين مليون جنيهًا، وقد أعدم فيها ثلاثمائة شخصٍ، وسُجن كذلك خمسمائة واثنان وثلاثون ألفًا وثلاثمائة وخمسة وثلاثون( ٥٣٢٣٣٥ ) شخصاً وبلغت الغرامات ستة عشر(١٦) مليون جنيهًا، وصادرت الحكومة من الأملاك ما يبلغ أربعمائة ( ٤٠٠ )مليونًأ وأربعة بلايين جنيهًا .. وبعد كل هذه الإجراءات فشلت أمريكيا في منع الخمر فاضطرت للتراجع وإلغاء القانون".

أما الإسلام فمنع على مجتمع المدينة الخمر، التي اعتادوها وأفرطوا فيها ونظموا فيها القصيد ببضع آيات من القرآن ، جعلتهم يخرجون بدنان الخمر إلى شوارع المدينة، وسككها فأراقوها" ، إنه الإيمان حينما تخالط بشاشته القلوب.

لقد ظلَّت الشريعة الإسلامية مغيبة ما يزيد عن قرن ونصف من الزمان، والعودة للشريعة مرة أخرى يحتاج إلى تهيئة المجتمعات وتمهيدها ؛ لهذه العودة، ولن يكون ذلك إلا بتربية الأفراد تربية إيمانية تجعل تطبيق الشريعة غير مستغرب ، بل تجعل أفراد المجتمع يدركون أن من لوازم الشهادتين هو تطبيق شرع الله ، يقول ابن القيم رحمه حول تهيئة الله للمسلمين قبل تحويل القبلة ومع ذلك كَبُرَ ذلك على نفوس البعض"لما كان أمر القبلة وشأنها عظيم بين الناس، وطَّأ سبحانه قبلها أمر النسخ وقدرته عليه، وأنه يأتي بخير من المنسوخ أو مثله، ثم عقب ذلك بالتوبيخ لمن تعنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينقد له، ثم ذكر بعده اختلاف اليهود والنصارى؛ وشهادة بعضهم على بعض بأنهم ليسوا على شيء، وحذر عباده المؤمنين من موافقتهم ... ثم أخبر أن له المشرق والمغرب وأينما يولي عباده وجوههم؛ فثم وجه الله ... ثم أعلم رسوله أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى لن يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم ... ثم ذكر خليله إبراهيم باني بيته الحرام، وأثنى عليه ومدحه، وأخبر أنه جعله إماما للناس يأتم به أهل الأرض .. ثم ذكر بيته الحرام وبناء خليله له، وفي ضمن هذا أن باني البيت كما هو إمام للناس؛ فكذا البيت الذي بناه إمام لهم ... ثم ردَّ على من قال إن إبراهيم وأهل بيته كانوا هودا أو نصارى ،وجعل هذا كله توطئة ومقدمة بين يدي تحويل القبلة ،ومع هذا كله فقد كَبُر ذلك على الناس إلا من هدى الله منهم " (١)

وهذا كله في قضية تحويل القبلة؛ فما بالنا في قضية تطبيق الشريعة؛ لابد من تهيئة النفوس بالتربية الإيمانية التي تستسلم وتخضع لأمر الله.

إن توطين أفراد من الأمة على معنى لا إله إلا الله واستشعارهم بعظم التبعة الملقاة على نفوسهم ؛ كفيل بسريان الروح الإيمانية في المجتمع ونهضته من كبوته وسعيه؛ لمقومات وجوده وفي مقدمتها

التحاكم إلى الشريعة الإسلامية ، ولكن لكي يتم هذا التحول لابد من أن نبدأ بالفرد "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم " هذه هي القاعدة الإسلامية في التغيير.

(١) زاد المعاد الجزء الثاني صـ٨٣ ، ٨٤

وهذا هو منهج محمد ومنهج أتباع محمد إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها فكونوا من أتباعه تصديقاً وقولاً وعملاً .. كونوا لنصرته لترزقوا شفاعته كونوا لمحمد يا من زعتم إتباع محمد .

ذلكم رسول الله؛ صاحب الحوض المورود، واللواء المعقود، والمقام المحمود، صاحب الغرّة والتحجيل، المذكور في التوراة والإنجيل، المؤيّد بجبريل، خير الخلق في طفولته، وأطهر المطهرين في شبابه، وأنجب البشرية في كهولته، وأزهد الناس في حياته، وأعدل القضاة في قضائه، وأشجع قائد في جهاده؛ اختصه الله بكل خلق نبيل؛ وطهره من كل دنس وحفظه من كل زلل، وأدبه فأحسن تأديبه وجعله على خلق عظيم؛ فلا يدانيه أحد في كماله وعظمته وصدقه وأمانته وزهده وعفته.

اعترف كل من عرفه حق المعرفة بعلو نفسه وصفاء طبعه وطهارة قلبه ونبل خلقه ورجاحة عقله وتفوق ذكائه وحضور بديهته وثبات عزيمته ولين جانبه.

بل اعترف بذلك المنصفون من غير المسلمين؛ ومن هؤلاء:

يقول المستشرق الأمريكي (واشنجتون إيرفنج): «كان محمد خاتم النبيين وأعظم الرسل الذين بعثهم الله تعالى ليدعوا الناس إلى عبادة الله».

ويقول : البروفيسور يوشيودي كوزان ـ مدير مرصد طوكيو: (أعظم حدث في حياتي هو أنني درست حياة رسول الله محمد دراسة وافية، وأدركت ما فيها من عظمة وخلود).

ويقول عالم اللاهوت السويسري د.هانز كونج : (ـ بحثت في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الإنسان، فوجدته في النبي العربي محمد صلى الله عليه وسلم).

ويقول توماس كارليل: (قرأت حياة رسول الإسلام جيدًا مرات ومرات، فلم أجد فيها إلا الخُلُق كما ينبغي أن يكون، وكم ذا تمنيت أن يكون الإسلام هو سبيل العالم).

ويقول المستشرق الفرنسي أميل درمنغم: "... كان محمد صلى الله عليه وسلم أنموذجًا للحياة الإنسانية بسيرته وصدق إيمانه ورسوخ عقيدته القويمة، بل مثالاً كاملاً للأمانة والاستقامة وإن تضحياته في سبيل بث رسالته الإلهية خير دليل على سمو ذاته ونبل مقصده وعظمة شخصيته وقدسية نبوته".

ويقول المستشرق الأسباني (جان ليك): (أيّ رجل أدرك من العظمة الإنسانية مثلما أدرك محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وأيُّ إنسان بلغ من مراتب الكمال مثل ما بلغ، لقد هدم الرسول المعتقدات الباطلة التي تتخذ واسطة بين الخالق والمخلوق".

أما (وليام موير) المؤرخ الإنجليزي فيقول في كتابه (حياة محمد): "لقد امتاز محمد عليه السلام بوضوح كلامه، ويسر دينه، وقد أتم من الأعمال ما يدهش العقول، ولم يعهد التاريخ مصلحًا أيقظ النفوس وأحيى الأخلاق ورفع شأن الفضيلة في زمن قصير كما فعل نبي الإسلام محمد".

هذه مقتطفات من مواقف فلاسفة ومستشرقين أوروبيين وغربيين في حق المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم النبي الخاتم، أردنا منها إثبات أن أبناء الحضارة الغربية يقرون بدور الإسلام في بنائها وتشييد صروحها، وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصفاته الحميدة وفضله المتصل إلى يوم القيامة على البشرية في جميع أقطار المعمور، ذلك أن التعصب الأوروبي المسيحي لم يكن خطًا صاعدًا باستمرار، وإنما وجد هناك منصفون أكدوا الحقيقة بلا لف أو دوران، ولكن الثقافة الغربية السائدة والمتشبعة بقيم التعصب والعناد والتمركز الحضاري حول الذات سعت إلى حجب هذه الحقائق وإخفاء هذه الأصوات حتى لا يتمكن الشخص الأوروبي العادي من الإطلاع على ما أتبثه أبناء جلدته

من الكبار في حق الإسلام ونبيه ورسالته العالمية الخالدة، وذلك كله بهدف تحقيق غرضين، الأول إبعاد الأوروبيين المسيحيين عن الإسلام الذي دلل على قدرته على التغلغل في النفوس وملامسة صوت الفطرة في الإنسان، فهو يخيف الغرب المتوجس من تراجع عدد معتنقي المسيحية في العالم ،برغم ما ينفقه من الأموال والوقت لتنصير الشعوب، والغرض الثاني ضمان استمرار الصراع بين الغرب والإسلام والقطيعة بينهما لمصلحة الصهيونية والماسونية التي تعتبر نفسها المتضرر الأول والرئيس من أي تقارب أو حوار بين الإسلام والغرب.

وفي هذه الورقات اليسيرات نكشف جانباً من جوانب عظمته، وأخلاقه الكريمة وخصاله الشريفة لعل الله يهدي بها أقواماً علم منهم الإنصاف إلى الحق، ولعله يرعوي أقوام آخرون ممن تابع عن جهل وتعصب أعمى تلك الحملة الظالمة والتشويه الكاذب لسيرة أعظم إنسان عرفته البشرية.

فهاكم بعض أقوال منصفى القوم منهم من أسلم لِما جاءه من الحق

ماسيه(١)

هنري ماسيه H. Masse

ولد عام ١٨٨٦، عمل مديرًا للمعهد الفرنسي بالقاهرة، وعين أستاذًا في جامعة الجزائر (١٩١٦-١٩٢٧)، وعضوًا في مجمع الكتابات والآداب وفي المجمع العلمي العربي بدمشق، وانتدبته الحكومة لعديد من المهام الثقافية واختارته اليونسكو في لجنة المستشرقين.

من آثاره: نشر كتابًا عن الشاعر (سعدي) (١٩١٩)، وصنف كتابًا بعنوان: (الإسلام) (١٩٥٧)، كما ترجم وحقق العديد من النصوص العربية، ونشر العديد من الأبحاث في المجلات الاستشراقية الشهيرة.

يقول عن محمد صلى الله عليه وسلم :

[ ١ ]

"بفضل إصلاحات محمد [صلى الله عليه وسلم] الدينية والسياسية، وهي إصلاحات موحدة بشكل أساسي، فإن العرب وعوا أنفسهم وخرجوا من ظلمات الجهل والفوضى ليعدّوا دخلوهم النهائي إلى تاريخ المدنية"(٢).

[ ٢ ]

".. كان محمد [صلى الله عليه وسلم] هو المشرّع الملهم والمحرك الأول للوحدة الدينية بين جميع الأقوام، .. وكان بسيطًا وحازمًا.."(٣).

---------------------------

(١) هنري ماسيه H. Masse

ولد عام ١٨٨٦، عمل مديرًا للمعهد الفرنسي بالقاهرة، وعين أستاذًا في جامعة الجزائر (١٩١٦-١٩٢٧)، وعضوًا في مجمع الكتابات والآداب وفي المجمع العلمي العربي بدمشق، وانتدبته الحكومة لعديد من المهام الثقافية واختارته اليونسكو في لجنة المستشرقين.

من آثاره: نشر كتابًا عن الشاعر (سعدي) (١٩١٩)، وصنف كتابًا بعنوان: (الإسلام) (١٩٥٧)، كما ترجم وحقق العديد من النصوص العربية، ونشر العديد من الأبحاث في المجلات الاستشراقية الشهيرة.

(٢) الإسلام ، ص ٥٥ .

(٣) نفسه ، ص ٥٩ .

مونته(١)

مونته ( ١٨٥٦ – ١٩٢٧ ) Montet

أستاذ اللغات الشرقية في جامعة جنيف، من كتبه (محمد والقرآن)، وترجمة جيدة للقرآن، و(حاضر الإسلام ومستقبله).

يقول عن محمد صلى الله عليه وسلم :

[ ١ ]

"إن طبيعة محمد [صلى الله عليه وسلم] الدينية تدهش كل باحث مدقّق نزيه المقصد بما يتجلى فيها من شدة الإخلاص. فقد كان محمد مصلحًا دينيًا ذا عقيدة راسخة، ولم يقم إلا بعد أن تأمل كثيرًا وبلغ سن الكمال بهذه الدعوة العظيمة التي جعلته من أسطع الأنوار الإنسانية في الدين. وهو في قتاله الشرك والعادات القبيحة التي كانت عند أبناء زمنه كان في بلاد العرب أشبه بنبي من أنبياء بني إسرائيل الذين نراهم كبارًا جدًا في تاريخ قومهم. ولقد جهل كثير من الناس محمدًا [صلى الله عليه وسلم] وبخسوه حقه وذلك لأنه من المصلحين النادرين الذين عرف الناس أطوار حياتهم بدقائقها"(٢).

[ ٢ ]

"كان محمد [صلى الله عليه وسلم] كريم الأخلاق حسن العشرة، عذب الحديث، صحيح الحكم صادق اللفظ، وقد كانت الصفات الغالبة عليه هي صحة الحكم وصراحة اللفظ، والاقتناع التام بما يعمله ويقوله"(٣).

[ ٣ ]

".. ندر بين المصلحين من عرفت حياتهم بالتفصيل مثل [محمد [صلى الله عليه وسلم]] وإن ما قام به من إصلاح أخلاق وتطهير المجتمع يمكن أن يعد به من أعظم المحسنين للإنسانية"(٤).

[ ٤ ]

"لا مجال للشك في إخلاص الرسول [صلى الله عليه وسلم] وحماسته الدينية التي تشبعت بها نفسه وفكره.."

---------------------------

(١) مونته ( ١٨٥٦ – ١٩٢٧ ) Montet

أستاذ اللغات الشرقية في جامعة جنيف، من كتبه (محمد والقرآن)، وترجمة جيدة للقرآن، و(حاضر الإسلام ومستقبله).

(٢) محمد والقرآن ، ص ١٨ ( عن ستودارد: حاضر العالم الإسلامي ١ / ٣٢ ).

(٣) نفسه ، ( عن ستودارد ١ / ٣٢ ).

(٤) حاضر الإسلام ومستقبله (عن محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية ١/٦٧).

(٥) نفسه ، ١ / ٦٧ .

نهرو(١)

[ ١ ]

".. لربما خامرت هؤلاء الملوك والحكام [الذين تسلموا كتب الرسول [صلى الله عليه وسلم]] الدهشة من هذا الرجل البسيط الذي يدعوهم إلى الطاعة. ولكن إرسال هذه الكتب يعطينا صورة عن مقدار ثقة محمد [صلى الله عليه وسلم] بنفسه ورسالته. وقد هيأ بهذه الثقة وهذا الإيمان لأمته أسباب القوة والعزّة والمنعة وحولّهم من سكان صحراء إلى سادة يفتحون نصف العالم المعروف في زمانهم.. وقد

توفي محمد [صلى الله عليه وسلم] بعد أن جعل من القبائل العربية المتنافرة أمة واحدة تتقد غيرة وحماسًا.."(٢).

---------------------------
(١) جوار لال نهرو Nahro J. Lal
ولد في عام ١٨٨٩، في مدينة الله آباد، في الهند، والتقى بغاندي في أوائل عام ١٩١٩، اعتقل عدة مرات، وانتخب رئيسًا لحزب المؤتمر الهندي الوطني عدة مرات، دخل الوزارة، وتولى الشؤون الخارجية، وأصبح نائبًا لرئيس المجلس التنفيذي، أول من تولى رئاسة الوزراء الهندية بعد استقلال الهند، له عدة مؤلفات في التاريخ والسياسة والشؤون الهندية، توفي عام ١٩٦٤م.
(٢) لمحات من تاريخ العالم ، ص ٢٥ – ٢٦ .

---

هارث(١)

الدكتور مايكل هارث Michael Hart

أمريكي، حصل على عدة شهادات في العلوم وعلى الدكتوراه في الفلك من جامعة برنستون، عام ١٩٧٢، عمل في مراكز الأبحاث والمراصد، وهو أحد العلماء المعتمدين في الفيزياء التطبيقية.

يقول عن محمد صلى الله عليه وسلم :

[ ١ ]

"إن اختياري لمحمد [صلى الله عليه وسلم] ليكون رأس القائمة التي تضم الأشخاص الذين كان لهم أعظم تأثير عالمي في مختلف المجالات، ربما أدهش كثيرًا من القراء.. ولكن في اعتقادي أن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكل أسمى وأبرز في كلا المستويين الديني والدنيوي"(٢).

[ ٢ ]

"لقد أسس محمد [صلى الله عليه وسلم] ونشر أحد أعظم الأديان في العالم، وأصبح أحد الزعماء العالميين السياسيين العظام. ففي هذه الأيام وبعد مرور ثلاثة عشر قرنًا تقريبًا على وفاته، فإن تأثيره لا يزال قويًا وعارمًا.."(٣).

[ ٣ ]

".. من وجهة النظر الدينية الصرفة يبدو أن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] كان له تأثير على البشرية عبر التاريخ كما كان للمسيح (عليه السلام)"(٤).

[ ٤ ]

".. إن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] يختلف عن المسيح بأنه كان زعيمًا دنيويًا فضلاً عن أنه زعيم ديني، وفي الحقيقة إذا أخذنا بعين الاعتبار القوى الدافعة وراء الفتوحات الإسلامية، فإن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] يصبح أعظم قائد سياسي على مدى الأجيال"(٥).

[ ٥ ]

".. إن هذا الاتحاد الفريد لا نظير له للتأثير الديني والدنيوي معًا يخول محمدًا [صلى الله عليه وسلم] أن يعتبر أعظم شخصية مفردة ذات تأثير في تاريخ البشرية"(٦).

---------------------------
(١) الدكتور مايكل هارث Michael Hart

أمريكي، حصل على عدة شهادات في العلوم وعلى الدكتوراه في الفلك من جامعة برنستون، عام ١٩٧٢، عمل في مراكز الأبحاث والمراصد، وهو أحد العلماء المعتمدين في الفيزياء التطبيقية.

---------------------------------------------

مارسيل بوازار
يقول عن محمد صلى الله عليه وسلم :

[ ١ ]

"سبق أن كتب كل شيء عن نبي الإسلام [صلى الله عليه وسلم]، فأنوار التاريخ تسطع على حياته التي نعرفها في أدق تفاصيلها. والصورة التي خلفها محمد [صلى الله عليه وسلم] عن نفسه تبدو، حتى وإن عمد إلى تشويهها، علمية في الحدود التي تكشف فيها وهي تندمج في ظاهرة الإسلام عن مظهر من مظاهر المفهوم الديني وتتيح إدراك عظمته الحقيقية.."(١).

[ ٢ ]

"لم يكن محمد [صلى الله عليه وسلم] على الصعيد التاريخي مبشرًا بدين وحسب بل كان كذلك مؤسس سياسة غيّرت مجرى التاريخ، وأثرت في تطور انتشار الإسلام فيما بعد على أوسع نطاق..".

[ ٣ ]

"منذ استقر النبي محمد [صلى الله عليه وسلم] في المدينة، غدت حياته جزءًا لا ينفصل من التاريخ الإسلامي. فقد نقلت إلينا أفعاله وتصرفاته في أدق تفاصيلها.. ولما كان منظمًا شديد الحيوية، فقد أثبت نضالية في الدفاع عن المجتمع الإسلامي الجنيني، وفي بث الدعوة.. وبالرغم من قتاليته ومنافحته، فقد كان يعفو عند المقدرة، لكنه لم يكن يلين أو يتسامح مع أعداء الدين. ويبدو أن مزايا النبي الثلاث، الورع والقتالية والعفو عند المقدرة قد طبعت المجتمع الإسلامي في إبان قيامه وجسّدت المناخ الروحي للإسلام.. وكما يظهر التاريخ الرسول [صلى الله عليه وسلم] قائدًا عظيم ملء قلبه الرأفة، يصوره كذلك رجل دولة صريحًا قوي الشكيمة له سياسته الحكيمة التي تتعامل مع الجميع على قدم المساواة وتعطي كل صاحب حق حقه. ولقد استطاع بدبلوماسيته ونزاهته أن ينتزع الاعتراف بالجماعة الإسلامية عن طريق المعاهدات في الوقت الذي كان النصر العسكري قد بدأ يحالفه. وإذا تذكرنا أخيرًا على الصعيد النفساني هشاشة السلطان الذي كان يتمتع به زعيم من زعماء العرب، والفضائل التي كان أفراد المجتمع يطالبونه بالتحلي بها، استطعنا أن نستخلص أنه لابدّ أن يكون محمد [صلى الله عليه وسلم] الذي عرف كيف ينتزع رضا أوسع الجماهير به إنسانًا فوق مستوى البشر حقًا، وأنه لابد أن يكون نبيًا حقيقيًا من أنبياء الله".

[ ٤ ]

".. لقد كان محمد [صلى الله عليه وسلم] نبيًا لا مصلحًا اجتماعيًا. وأحدثت رسالته في المجتمع العربي القائم آنذاك تغييرات أساسية ما تزال آثارها ماثلة في المجتمع الإسلامي المعاصر..".

[ ٥ ]

".. مما لا ريب فيه أن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] قد اعتبر، بل كان في الواقع، ثائرًا في النطاق الذي كان فيه كل نبي ثائرًا بوصفه نبيًا، أي بمحاولته تغيير المحيط الذي يعيش فيه..".

---------------------------
(١) إنسانية الإسلام ،

---------------------------------------------

رودنسن (١) مكسيم رودنسن

ولد عام ١٩١٥، من أساتذة مدرسة الدراسات العليا بباريس، ثم مديرها.

من آثاره: (مباحث في فن الطبخ عند العرب) (١٩٤٩). ونشر عددًا من الدراسات في المجلات المعروفة من مثل (دانتي والإسلام)، و(حياة محمد والمشكلة الاجتماعية المتعلقة بأصول الإسلام)،و(دراسة الصلات بين الإسلام والشيوعية)

يقول عن محمد صلى اللّه عليه وسلم :

".. [بظهور عدد من المؤرخين الأوروبيين المستنيرين في القرن الثامن عشر] بدأت تتكامل معالم صورة هي صورة محمد [صلى اللّه عليه وسلم] الحاكم المتسامح والحكيم والمشرع"(٢).

---

(١) مكسيم رودنسن

ولد عام ١٩١٥، من أساتذة مدرسة الدراسات العليا بباريس، ثم مديرها.

من آثاره: (مباحث في فن الطبخ عند العرب) (١٩٤٩). ونشر عددًا من الدراسات في المجلات

المعروفة من مثل (دانتي والإسلام)، و(حياة محمد والمشكلة الاجتماعية المتعلقة بأصول الإسلام)،

و(دراسة الصلات بين الإسلام والشيوعية).

(٢) تراث الإسلام، (تصنيف شاخت وبوزوث)، ١ / ٦٧ – ٦٨ .

---

## فرانز روزنثال

[ ١ ]

"إن أفكار الرسول [صلى الله عليه وسلم] التي تلقاها وحيًا أو التي أدى إليها اجتهاده نشّطت

دراسة التاريخ نشاطًا لا مزيد عليه، فقد أصبحت أعمال الأفراد وأحداث الماضي وحوادث كافة

شعوب الأرض أمورًا ذات أهمية دينية، كما أن شخصية الرسول [صلى الله عليه وسلم] كانت

خطًا فاصلاً واضحًا في كل مجرى التاريخ، ولم يتخط علم التاريخ الإسلامي هذا الخط قط.."(١).

[ ٢ ]

"تبقى حقيقة، هي أن الرسول [صلى اللّه عليه وسلم] نفسه وضع البذور التي نجني منها اهتمامًا واسعًا بالتاريخ.. لقد كان التاريخ يملأ تفكير الرسول [صلى اللّه عليه وسلم] لدرجة كبيرة، وقد ساعد عمله من حيث العموم في تقديم نمو التاريخ الإسلامي في المستقبل، رغم أن الرسول [صلى اللّه عليه وسلم] لم يتنبأ بالنمو الهائل للمعرفة والعلم الذي سيتم باسم دينه"(٢).

---

(١) علم التاريخ عند المسلمين ، ص ٤٠ .

(٢) نفسه ، ص ٤٥ .

---

جاك ريسلر

[ ١ ]

"القرآن يكمله الحديث الذي يعد سلسلة من الأقوال تتعلق بأعمال النبي [صلى الله عليه وسلم] وإرشاداته. وفي الحديث يجد المرء ما كان يدور بخلد النبي [صلى الله عليه وسلم]، العنصر الأساسي من سلوكه أمام الحقائق المتغيرة في الحياة، هذه الأقوال ، أو هذه الأحاديث التي يشكل مجموعها السنة دونت مما روي عن الصحابة [رضي الله عنهم] أو نقل عنهم مع التمحيص الشديد في اختيارها وهكذا جمع عدد كبير من الأحاديث.. والسنة هي المبينة للقرآن التي لا غنى عنها للقرآن.."(١).

[ ٢ ]

".. كان لزامًا على محمد [صلى الله عليه وسلم] أن يبرز في أقصر وقت ممكن تفوّق الشعب العربي عندما أنعم الله عليه بدين سام في بساطته ووضوحه، وكذلك بمذهبه الصارم في التوحيد في مواجهة التردد الدائم للعقائد الدينية. وإذا ما عرفنا أن هذا العمل العظيم أدرك وحقق في أقصر أجل أعظم أمل لحياة إنسانية فإنه يجب أن نعترف أن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] يظل في عداد أعظم الرجال الذين شرف بهم تاريخ الشعوب والأديان"(٢).

---

(١) الحضارة العربية ، ص ٣٢ .

(٢) نفسه ، ص ٣٧ .

---

## جورج سارتون

[ ١ ]

"صدع الرسول [صلى الله عليه وسلم] بالدعوة نحو عام ٦١٠م وعمره يوم ذاك أربعون سنة، وكان مثل إخوانه الأنبياء السابقين [عليهم السلام] ولكن كان أفضل منهم بما لا نسبة فيه.. وكان زاهدًا وفقيهًا ومشرعًا ورجلاً عمليًا.."(١).

[ ٢ ]

"إنه لم يتح لنبي من قبل.. أن ينتصر انتصارًا تامًا كانتصار محمد [صلى الله عليه وسلم].."(٢).

[ ٣ ]

".. لم يكن محمد [صلى الله عليه وسلم] نبي الإسلام فحسب، بل نبي اللغة العربية والثقافة العربية، على اختلاف أجناس المتكلمين بها وأديانهم"(٣).

---

(١) الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط، ص ٢٩ – ٣٠ – ٣١ .

وفي حاضرنا ووقتنا المعاصر.....

سجل أعداء الإسلام في الفترات الأخيرة خطوة أبعد في عداوتهم للنبوة حينما هاجم بعض القساوسة الغربيين المهووسين شخص النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم، ونعته القس جيري فالويل ب"الإرهاب" ، وقال متبجحا "إنه كان رجل عنف، ورجل حرب"، أما القس الأمريكي بات روبرتسون الذي يقود جناحا قويا في الحزب الجمهوري – حزب الرئيس جورج بوش- إسمه(التحالف النصراني)، فقد وصف النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ب"المتعصب"، وقال الشقي "إنه كان لصا وقاطع طريق" قطع الله لسانه، ووصف القس المسيحي فرانكلين جراهام الإسلام بأنه"دين شرير"، أما القس النمساوي كورت كرين فقد قال إن الإسلام "دين متعصب".

وهذه التصريحات الموتورة كلها تعبر عن صغر النفس وعدم معرفة حقيقة الإسلام وحقيقة النبوة الناصعة التي شهدت لها مئات بل آلاف الشهادات المنصفة شرقا وغربا، بل إنها تعبر في حقيقة الأمر عن مدى التعصب الأعمى والتصامم الذي يصاب به بعض أعداء الإسلام الذين لا يزيدون الإسلام إلا سطوعا، ولا يزيدهم إلا شقاء.

ونود هنا أن نقف عند بعض الشهادات التي أنصفت الحقيقة واعترفت بصدق النبوة حتى وإن لم يلمس الإسلام شغاف قلوب أصحابها، وما ذلك إلا لأن الحق والموضوعية يفرضان مقاييسهما على من كان ينشد المعرفة الحقة .

إن المتأمل لما كتب وقيل يدرك أنه لم تحظ شخصية في التاريخ البشري العريض بمثل ما حظيت به شخصية النبي الكريم محمد عليه أفضل الصلاة والسلام من الاهتمام والإشادة والتمجيد من كافة الأعراق والشعوب والطوائف والملل، وفي شتى اللغات . وبالرغم من وجود من حاولوا الطعن في نبوة الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) والتشكيك في رسالته بسبب الحقد على الإسلام وإطباق الجهل بالإسلام على أصحابها والبعد عن الموضوعية العلمية في البحث والتدقيق، فإن التيار العام ظل يسير في ناحية التقدير الحقيقي لشخصية محمد(صلى الله عليه وسلم) في تاريخ البشرية، وفضل رسالته على الإنسانية، بشكل يتوخى الإنصاف والموضوعية بعيدا عن الأحقاد الصليبية وتعاليم

الكنيسة في القرون الوسطى.

وبإطلاعنا على ما قيل في النبي صلى الله عليه وسلم من طرف المفكرين والمستشرقين والفلاسفة الغربيين المنصفين نجد أن هؤلاء يمثلون كبار مفكري الغرب وأعمدة الفكر والفلسفة فيه ، وقد حاولوا الوقوف على عظمة الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم)، منبهرين بشخصيته العظيمة ونبل أخلاقه وطهارة حياته وخلوها من كل ما يثلم أخلاقه القرآنية، والبعض منهم اكتفى بوضع شخصية نبي الإسلام في إطارها الحقيقي الذي يعرفه المسلمون أجمع، دون أن يلمس الإسلام ودعوته شغاف قلوبهم، والبعض الآخر ممن ظلوا بعيدين عن الإسلام تعرضوا للشخصية العامة للنبي كواحد من الأبطال والعباقرة الذين أثروا في مسيرة التاريخ، لكن فئة من هؤلاء كان إطلاعهم على خصائص شخصية الرسول(صلى الله عليه وسلم) وفضائلها مدخلا إلى البحث في الإسلام، ومن تم إلى إعلان إسلامهم علنا على الملإ.

عظمة النبي في عيون الغربيين

فهذا المؤرخ الأوروبي "جيمس ميتشنر" يقول في مقال تحت عنوان (الشخصية الخارقة) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) :"....وقد أحدث محمد عليه السلام بشخصيته الخارقة للعادة ثورة في الجزيرة العربية، وفي الشرق كله، فقد حطم الأصنام بيده، وأقام دينا خالدا يدعو إلى الإيمان بالله وحده ".

ويقول الفيلسوف الفرنسي (كارديفو) :"إن محمدا كان هو النبي الملهم والمؤمن، ولم يستطع أحد أن ينازعه المكانة العالية التي كان عليها ، إن شعور المساواة والإخاء الذي أسسه محمد بين أعضاء الكتلة الإسلامية كان يطبق عمليا حتى على النبي نفسه".

أما الروائي الروسي والفيلسوف الكبير تولستوي الذي أعجب بالإسلام وتعاليمه في الزهد والأخلاق والتصوف، فقد انبهر بشخصية النبي(صلى الله عليه وسلم) وظهر ذلك واضحا علي أعماله، فيقول في مقالة له بعنوان (من هو محمد؟): "إن محمدا هو مؤسس ورسول، كان من عظماء الرجال الذين خدموا المجتمع الإنساني خدمة جليلة، ويكفيه فخراأنه أهدى أمة برمتها إلى نور الحق، وجعلها تجنح إلى السكينة والسلام، وتؤثر عيشة الزهد ومنعها من سفك الدماء و تقديم الضحايا البشرية ، وفتح لها طريق الرقي و المدنية ،و هو عمل عظيم لا يقدم عليه الا شخص أوتي قوة ، ورجل مثله جدير بالإحترام والإجلال".

كارلايل يرد علي النصاري و الملحدين

ومن هؤلاء الفيلسوف الإنجليزي الشهير توماس كاريل (١٧٩٥م-١٨٨١م)، فقد خصص في كتابه ( الأبطال وعبادة البطولة) فصلا لنبي الإسلام بعنوان"البطل في صورة رسول: محمد-الإسلام"، عد فيه النبي (صلى الله عليه وسلم) واحدا من العظماء السبعة الذين أنجبهم التاريخ، وقد رد كارلايل مزاعم المتعصبين حول النبي(صلى الله عليه وسلم) فقال: "يزعم المتعصبون من النصارى والملحدون أن محمدا لم يكن يريد بقيامه إلا الشهرة الشخصية ومفاخر الجاه والسلطان ..كلا وأيم الله !، لقد كانت في فؤاد ذلك الرجل الكبير ابن القفار والفلوات، المتورد المقلتين، العظيم النفس المملوء رحمة وخيرا وحنانا وبرا وحكمة وحجي وإربة ونهي، أفكار غير الطمع الدنيوي، ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه، وكيف لا وتلك نفس صامتة ورجل من الذين لا يمكنهم إلا أن يكونوا مخلصين جادين".

وبعد أن يتعرض بالتحليل والتفسير لعظمة نبي الإسلام ونبوته وتعاليمه السامية، يقول: "وإني لأحب محمدا لبراءة طبعه من الرياء والتصنع".

## النبي المحرر

ولقد وقف الكثير من المفكرين والمستشرقين والفلاسفة الغربيين عند جوهر رسالة الإسلام الخالدة التي جاءت لتحرير الإنسان من عبودية الإنسان، وتحرير البشرية جمعاء من الشرك والفوضى والعنف والتوحش الذي كان سائدا قبل مجيئ الإسلام،ومن تم نظروا إلى رسالة النبي (صلى الله عليه وسلم) كرسالة للبشرية بأسرها، لأنها رسالة للتحرر والإنعتاق وتكسير قيود الظلم والهوان، من هؤلاء المستشرق الأمريكي إدوارد رمسي الذي قال:(جاء محمد للعالم برسالة الواحد القهار، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، فبزغ فجر جديد كان يرى في الأفق، وفي اليوم الذي أعادت فيه يد المصلح العظيم محمد ما فقد من العدل والحرية أتى الوحي من عند الله إلى رسول كريم، ففتحت حججه العقلية السديدة أعين أمة جاهلة، فانتبه العرب، وتحققوا أنهم كانوا نائمين في أحضان العبودية".

ويقول الفيلسوف والشاعر الفرنسي لا مارتين:" إن ثبات محمد وبقاءه ثلاث عشر عاما يدعو دعوته في وسط أعدائه في قلب مكة ونواحيها، ومجامع أهلها، وإن شهامته وجرأته وصبره فيما لقيه من عبدة الأوثان، وإن حميته في نشر رسالته، وإن حروبه التي كان جيشه فيما أقل من جيش عدوه، وإن تطلعه في إعلاء الكلمة، وتأسيس العقيدة الصحيحة لا إلى فتح الدول وإنشاء الإمبراطورية، كل ذلك أدلة على أن محمدا كان وراءه يقين في قلبه وعقيدة صادقة تحرر الإنسانية من الظلم والهوان، وإن هذا اليقين الذي ملأ روحه هو الذي وهبه القوة على أن يرد إلى الحياة فكرة عظيمة وحجة قائمة حطمت ألهة كاذبة، ونكست معبودات باطلة، وفتحت طريقا جديدا للفكر في أحوال الناس، ومهدت سبيلا للنظر في شؤونهم، فهو فاتح أقطار الفكر، ورائد الإنسان إلى العقل، وناشر العقائد المحررة للإنسان ومؤسس دين لا وثنية فيه".

## النبي صلى الله عليه وسلم والفتوحات

لقد شاع في الفكر الغربي ولدى المتأثرين بتعاليم الكنيسة النصرانية ورواسب الأفكار الشعبية المنحرفة التي روجتها أوروبا عن الإسلام ونبيه وعن المسلمين إبان وبعد الحروب الصليبية، أن الفتوحات الإسلامية قامت على السيف والقهر والتسلط والقسر، ولم تقم على الكلمة الطيبة والدعوة الرفيقة والعقيدة الواضحة، لكن فئة عادلة من مفكري الغرب لم يقتنعوا بهذه الشائعات ورحلوا يتأملون في تلك القدرة العجيبة للمسلمين على نشر دينهم بتلك السرعة المدهشة، وذلك الزحف للدخول الكبير للناس أفواجا في دين الله، فعادوا إلى رسالة النبي (ص) ليجدوا أنها تقوم على الدعوة اللينة لا على القسر الخشن.

فالمفكر(لورد هدلي) يقف مندهشا عند معاملة النبي (صلى الله عليه وسلم) للأسرى من المشركين في معركة بدر الكبرى، ملاحظا فيها ذروة الأخلاق السمحة والمعاملة الطيبة الكريمة، ثم يتساءل: "أفلا يدل هذا على أن محمدا لم يكن متصفا بالقسوة ولا متعطشا للدماء؟، كما يقول خصومه، بل كان دائما يعمل على حقن الدماء جهد المستطاع، وقد خضعت له جزيرة العرب من أقصاها، وجاءه وفد نجران اليمنيون بقيادة البطريق، ولم يحاول قط أن يكرههم على اعتناق الإسلام، فلا إكراه في الدين، بل أمنهم على أموالهم وأرواحهم، وأمر بألا يتعرض لهم أحد في معتقداتهم وطقوسهم الدينية".

ويقول الفيلسوف الفرنسي(وولتر): "إن السنن التي أتي بها النبي محمد كانت كلها قاهرة للنفس ومهذبة لها، وجمالها جلب للدين المحمدي غاية الإعجاب ومنتهى الإجلال، ولهذا أسلمت شعوب عديدة من أمم الأرض، حتى زنوج أواسط إفريقيا، وسكان جزر المحيط الهندي".

أما العالم الأمريكي مايكل هارت فهو يرد نجاح النبي (صلى الله عليه وسلم) في نشر دعوته، وسرعة انتشار الإسلام في الأرض، إلى سماحة هذا الدين وعظمة أخلاق النبي عليه الصلاة والسلام الذي اختاره على رأس مائة شخصية من الشخصيات التي تركت بصماتها بارزة في تاريخ البشرية، ويقول:" إن محمدا هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح مطلقا في المجالين الديني والدنيوي، وأصبح قائدا سياسيا وعسكريا".

فضل النبي صلى الله عليه وسلم على الإنسانية والعالم

من الحقائق المسلم بها أن الإسلام جاء دينا للعالمين، لإخراج البشرية من الظلمات إلى النور و من الباطل إلى الحق ومن الجور إلى العدل ومن الفجور إلى التقوى، وكان له الفضل الكبير على الفلسفات والأفكار والقوانين والشرائع الأرضية التي استمدت منه روح العدل والمساواة والتسامح والاعتدال والحرية والأخوة الإنسانية.

وقد أقر العديد من فلاسفة الغرب بهذه الحقيقة في وقت مارى فيها آخرون وأشاعوا ترهات غير منطقية وغير موضوعية عن الإسلام، ونسبوا ما جاء به من تعاليم وتشريعات إلى نواميس سابقة عليه، وإلى القانون الوضعي الروماني، وهي ترهات كفى الغربيون المنصفون المسلمين مهمة الرد عليها بأسس علمية. كما أثبت الباحثون المسلمون عوارها وتساقطها وإغراضها.

يقول الفيلسوف والكاتب الإنجليزي المعروف برناند شو:" إن أوروبا الآن ابتدأت تحس بحكمة محمد، وبدأت تعيش دينه، كما أنها ستبرئ العقيدة الإسلامية مما أتهمها بها من أراجيف رجال أوروبا في العصور الوسطى"، ويضيف قائلا: "ولذلك يمكنني أن أؤكد نبوءتي فأقول :إن بوادر العصر الإسلامي الأوروبي قريبة لا محالة، وإني أعتقد أن رجلا كمحمد لو تسلم زمام الحكم المطلق في العالم بأجمعه اليوم، لتم له النجاح في حكمه، ولقاد العالم إلى الخير، وحل مشاكله على وجه يحقق للعالم كله السلام والسعادة المنشودة".

ويفند المؤرخ الأوروبي روبرت بريغال مزاعم الغربيين عن تأثر الإسلام بالتشريعات اليونانية الرومانية، فيقول:"إن النور الذي أشعلت منه الحضارة في عالمنا الغربي لم تشرق جذوته من الثقافة اليونانية الرومانية التي استخفت بين خرائب أوروبا، ولا من البحر الميت على البوسفور (يعني بيزنطة)، وإنما بزغ من المسلمين، ولم تكن إيطاليا مهد الحياة في أوروبا الجديدة، بل الأندلس الإسلامية"، إلى أ ن يقول: "إن هذه الحقيقة التاريخية لا يمكن للغرب إنكارها مهما أوغل في التعصب، واستخف به العناد. إن دين أوروبا لمحمد رسول الإسلام غريب ألا يجد محل الصدارة في نسق التاريخ المسيحي).

أما وليام موير المؤرخ الإنجليزي فيقول في كتابه( حياة محمد): "لقد امتاز محمد عليه السلام بوضوح كلامه، ويسر دينه، وقد أتم من الأعمال ما يدهش العقول، ولم يعهد التاريخ مصلحا أيقظ النفوس وأحيى الأخلاق ورفع شأن الفضيلة في زمن قصير كما فعل نبي الإسلام محمد".

هذه مقتطفات من مواقف فلاسفة ومستشرقين أوروبيين وغربيين في حق المصطفى (صلى الله عليه وسلم ) النبي الخاتم، أردنا منها إثبات أن أبناء الحضارة الغربية يقرون بدور الإسلام في بنائها وتشييد صروحها، وبنبوة محمد( صلى الله عليه وسلم) وصفاته الحميدة وفضله المتصل إلى يوم القيامة على البشرية في جميع أقطار المعمور، ذلك أن التعصب الأوروبي المسيحي لم يكن خطا صاعدا باستمرار، وإنما وجد هناك منصفون أكدوا

الحقيقة بلا لف أو دوران، ولكن الثقافة الغربية السائدة والمتشبعة بقيم التعصب والعناد والتمركز الحضاري حول الذات سعت إلي حجب هذه الحقائق وإخفاء هذه الأصوات حتى لا يتمكن الشخص الأوروبي العادي من الإطلاع على ما أتبثه أبناء جلده من الكبار في حق الإسلام ونبيه ورسالته العالمية الخالدة، وذلك كله بهدف تحقيق غرضين، الأول إبعاد الأوروبيين المسيحيين عن الإسلام الذي دلل على قدرته على التغلغل في النفوس وملامسة صوت الفطرة في الإنسان، فهو يخيف الغرب المتوجس من تراجع عدد معتنقي المسيحية في العالم ،برغ! م ماينفقه من الأموال والوقت لتنصير الشعوب، والغرض الثاني ضمان استمرار الصراع بين الغرب والإسلام والقطيعة بينهما لمصلحة الصهيونية والماسونية التي تعتبر نفسها المتضرر الأول والرئيسي من أي تقارب أوحوار بين الإسلام والغرب. وصدق الله العظيم إذ يقول: (سنريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق، أو لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد، ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم، ألا إنه لكل شئ محيط). (فصلت: ٥٢-٥٣)

يا رسول الإسلام ؛ إنَّ رجائي *** أنْ يسودَ الإسلامُ في الأرجـاءِ

أن يقودَ الإيمانُ كـل فـؤادٍ *** أن ينيـرَ القرآنُ كـلَّ فضـاءِ

أن يغيبَ الظلامُ من كل دربٍ *** ليصيرَ عمري دفقـةً من سنـاءِ

أنت فخري وأنت نُعمى حياتي *** أنت عمري يا سيّدَ الأنبيـاءِ

أنت خيـرٌ و رحمـةٌ مهـداةٌ *** جئتَ تمحو مدامعَ الصحـراءِ

أيُّ طهـرٍ عمَّ دنيـانا وعطـرٍ *** وسلامٍ سرى من نجاوى حـراءِ!

يارسول التوحيدِ ؛ إنَّ دعـائي *** أنْ يَظلّ التوحيـدُ ملءَ دمـائي

يارسول الإسلام ؛ إنَّ رجـائي *** أنْ تقول الأجيالُ : أين لـوائي ؟

* * *

*()*()*()*()*()*()*

أخلاق أعظم إنسان:

كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خُلقاً وأكرمهم وأتقاهم، وقد شهد له بذلك ربه جل وعلا وكفى بها فضلا؛ قال تعالى مادحاً وواصفاً خُلق نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم:((وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ )) [القلم ٤].

يقول خادمه أنس بن مالك رضي الله عنه:" كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقًا" - رواه البخاري ومسلم.

وتقول زوجه صفية بنت حيي رضي الله عنها: "ما رأيت أحسن خلقًا من رسول الله صلى الله عليه

وسلم " - رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن.
وقالت عائشة لما سئلت رضي الله عنها عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم، قالت: (كان خلقه القرآن) صحيح مسلم.
فهذه الكلمة العظيمة من عائشة رضي الله عنها ترشدنا إلى أن أخلاقه صلى الله عليه وسلم هي اتباع القرآن، وهي الاستقامة على ما في القرآن من أوامر ونواهي، وهي التخلق بالأخلاق التي مدحها القرآن العظيم وأثنى على أهلها والبعد عن كل خلق ذمه القرآن.
قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: ومعنى هذا أنه صلى الله عليه وسلم صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجيةً له وخلقاً.... فمهما أمره القرآن فعله ومهما نهاه عنه تركه، هذا ما جبله الله عليه من الخُلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خُلقٍ جميل.ا.هـ
وقد جاءت صفاته وخصاله الكريمة صلى الله عليه وسلم في كتب أهل الكتاب نفسها قبل تحريفها ؛ فعن عطاء رضي الله عنه قال: قلت لعبد الله بن عمرو أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة، قال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا - رواه البخاري.

## أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم مع أهله :

كان صلى الله عليه وسلم خير الناس وخيرهم لأهله وخيرهم لأمته من طيب كلامه وحُسن معاشرة زوجته بالإكرام والاحترام، حيث قال صلى الله عليه وسلم: (( خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي )) رواه الترمذي.
وكان من كريم أخلاقه صلى الله عليه وسلم في تعامله مع أهله وزوجه أنه كان يُحسن إليهم ويرأف بهم ويتلطّف إليهم ويتودّد إليهم، فكان يمازح أهله ويلاطفهم ويداعبهم، وكان من شأنه صلى الله عليه وسلم أن يرقق اسم عائشة ـ رضي الله عنها ـ كأن يقول لها: (يا عائش )، ويقول لها: (يا حميراء) ويُكرمها بأن يناديها باسم أبيها بأن يقول لها: (يا ابنة الصديق) وما ذلك إلا تودداً وتقرباً وتلطفاً إليها واحتراماً وتقديراً لأهلها.

و كان صلى الله عليه وسلم يعين أهله ويساعدهم في أمورهم ويكون في حاجتهم، وكانت عائشة تغتسل معه صلى الله عليه وسلم من إناءٍ واحد، فيقول لها: (دعي لي)، وتقول له: دع لي. رواه مسلم وكان يُسَرِّبُ إلى عائشة بناتِ الأنصار يلعبن معها. وكان إذا هويت شيئاً لا محذورَ فيه تابعها عليه، وكانت إذا شربت من الإناء أخذه، فوضع فمه في موضع فمها وشرب، وكان إذا تعرقت عَرقاً - وهو العَظْمُ الذي عليه لحم - أخذه فوضع فمه موضع فمها، وكان يتكئ في حَجْرها، ويقرأ القرآن ورأسه في حَجرها، وربما كانت حائضاً، وكان يأمرها وهي حائض فَتَتَّزرُ ثم يُباشرها، وكان يقبلها وهو صائم، وكان من لطفه وحسن خُلُقه مع أهله أنه يمكّنها من اللعب.

(عن الأسود قال :سألت عائشة ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في بيته؟ قال : كان يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة يتوضأ ويخرج إلى الصلاة) رواه مسلم.
وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم - رواه أحمد.
وعن عائشة رضي الله عنها قالت "خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن، فقال للناس : اقدموا فتقدموا، ثم قال لي : تعالي حتى أسابقك فسبقته،

فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس: تقدموا فتقدموا، ثم قال لي : تعالي أسابقك فسبقني، فجعل يضحك و هو يقول هذا بتلك" رواه أحمد.

بل إنه صلى الله عليه وسلم وضع ركبته لتضع عليها زوجه صفية رضي الله عنها رجلها حتى تركب على بعيرها. رواه البخاري.
ومن دلائل شدة احترامه وحبه ووفائه لزوجته خديجة رضي الله عنها، إن كان ليذبح الشاة ثم يهديها إلى خلائلها (صديقاتها)، وذلك بعد مماتها وقد أقرت عائشة رضي الله عنها بأنها كانت تغير من هذا المسلك منه ـ رواه البخاري.

عدل النبي صلى الله عليه وسلم:
كان عدله صلى الله عليه وسلم وإقامته شرع الله تعالى مع القريب والبعيد والعدو والصديق والمؤمن والكافر مضرب المثل ؛ كيف لا وهو رسوله صلى الله عليه وسلم، والمبلغ عن ربه ومولاه؟!!
فكان صلى الله عليه وسلم يعدل بين نسائه ويتحمل ما قد يقع من بعضهن من غيرة كما كانت عائشة ـ رضي الله عنها ـ غيورة.
فعن أم سلمة ـ رضي الله عنها أنها ـ أتت بطعامٍ في صحفةٍ لها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فجاءت عائشة... ومعها فِهرٌ ففلقت به الصحفة، فجمع النبي صلى الله عليه وسلم بين فلقتي الصحفة وهو يقول: (كلوا، غارت أمكم ـ مرتين ـ ) ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم صحفة عائشة فبعث بها إلى أم سلمة وأعطى صحفة أم سلمة عائشة. رواه النسائي وصححه الألباني.
وقال صلى الله عليه وسلم في قصة المرأة المخزومية التي سرقت: (والذي نفسي بيده لو كانت فاطمة بنت محمد، لقطعت يدها).

أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم مع الأطفال والصبيان:
عن أنس رضي الله عنه قال كان صلى الله عليه وسلم يمر بالصبيان فيسلم عليهم ـ رواه البخاري ومسلم.
و كان صلى الله عليه وسلم يسمع بكاء الصبي فيسرع في الصلاة مخافة أن تفتتن أمه.
وكان صلى الله عليه وسلم يحمل ابنة ابنته وهو يصلي بالناس إذا قام حملها وإذا سجد وضعها وجاء الحسن والحسين وهما ابنا بنته وهو يخطب الناس فجعلا يمشيان ويعثران فنزل النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر فحملهما حتى ووضعهما بين يديه ثم قال صدق الله ورسوله: (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) (لأنفال:٢٨) نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان فيعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما.
و كان صلى الله عليه وسلم إذا مر بالصبيان سلم عليهم وهم صغار وكان يحمل ابنته أمامه وكان يحمل ابنة ابنته أمامة بنت زينب بنت محمد صلى الله عليه وسلم وهو يصلي بالناس وكان ينزل من الخطبة ليحمل الحسن والحسين ويضعهما بين يديه.

أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم مع الخدم والضعفاء والمساكين:
عن أنس رضي الله عنه قال" خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين، والله ما قال أف قط، ولا قال لشيء لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا" ـ رواه البخاري ومسلم.
و عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خادمًا له ولا امرأة ولا ضرب بيده شيئًا قط، إلا أن يجاهد في سبيل الله. رواه البخاري ومسلم.
و عن عائشة رضي الله عنها قالت "ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين قط إلا أخذ

أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه وما انتقم صلى الله عليه وسلم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم".
وعن ابن أبي أوفى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين والعبد حتى يقضي له حاجته. رواه النسائي والحاكم.

رحمة النبي صلى الله عليه وسلم:
قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) (الأنبياء:١٠٧)
وقال تعالى: ( فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ..) (آل عمران:١٥٩)
وعندما قيل له ادع على المشركين قال صلى الله عليه وسلم:"إني لم أبعث لعانًا، وإنما بعثت رحمة" - رواه مسلم.
و كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: (اللهم من وليَ من أمرِ أمتي شيئاً، فشقَّ عليهم، فاشقُق عليه، و من ولي من أمر أمتي شيئاً، فرفق بهم، فارفق به)
وقال صلى الله عليه وسلم في فضل الرحمة: (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) رواه الترمذي وصححه الألباني .
وقال صلى الله عليه وسلم في أهل الجنة الذين أخبر عنهم بقوله: (أهل الجنة ثلاثة - وذكر منهم- : ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم ) رواه مسلم.

عفو النبي صلى الله عليه وسلم:
عن أنس رضي الله عنه قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقًا، فأرسلني يومًا لحاجة، فقلت له والله لا أذهب وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به صلى الله عليه وسلم، فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا النبي صلى الله عليه وسلم قد قبض بقفاي من ورائي، فنظرت إليه وهو يضحك فقال يا أنس أذهبت حيث أمرتك؟ قلت نعم، أنا أذهب يا رسول الله – فذهبت" رواه مسلم.
و عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء أعرابي، فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَه مَه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تزرموه، دعوه)، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه فقال له: (إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القذر، إنما هي لذكر الله، والصلاة، وقراءة القرآن) قال: فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء فشنّه عليه. رواه مسلم.

تواضعه صلى الله عليه وسلم:
كان صلى الله عليه وسلم سيد المتواضعين، يتخلق ويتمثل بقوله تعالى: (( تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)) [ القصص ٨٣ ].
وكان صلى الله عليه وسلم يجيب دعوة الحر والعبد والغني والفقير ويعود المرضى في أقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر.
يتواضع للمؤمنين، يقف مع العجوز ويزور المريض ويعطف على المسكين، ويصل البائس ويواسي المستضعفين ويداعب الأطفال ويمازح الأهل ويكلم الأمة، ويواكل الناس ويجلس على التراب وينام على الثرى، ويفترش الرمل ويتوسّد الحصير، ولما رآه رجل ارتجف من هيبته فقال صلى الله عليه وسلم: "هوّن عليك، فإني ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة" رواه ابن ماجه.

وكان صلى الله عليه وسلم يكره المدح، وينهى عن إطرائه ويقول: " لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم، فإنما أنا عبد الله ورسوله، فقولوا عبد الله ورسوله" أخرجه البخاري .
فكان أبعد الناس عن الكبر، كيف لا وهو الذي يقول صلى الله عليه وسلم: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبدٌ فقولوا عبد الله ورسوله) رواه البخاري.
كيف لا وهو الذي كان يقول صلى الله عليه وسلم: (آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد) رواه أبو يعلى وحسنه الألباني.
كيف لا وهو القائل بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم: (لو أُهدي إليَّ كراعٌ لقبلتُ ولو دُعيت عليه لأجبت) رواه الترمذي وصححه الألباني.
ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم أنه كان يجيب الدعوة ولو إلى خبز الشعير ويقبل الهدية.
عن أنس رضي الله عنه قال كان صلى الله عليه وسلم يدعى إلى خبز الشعير والإهالة السنخة فيجيب - رواه الترمذي في الشمائل.
والإهالة السنخة: أي الدهن الجامد المتغير الريح من طوال المكث.

## مجلسه صلى الله عليه وسلم:

كان صلى الله عليه وسلم يجلِس على الأرض، وعلى الحصير، والبِساط.
عن أنس رضي الله عنه قال "كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع يده، ولا يصرف وجهه من وجهه حتى يكون الرجل هو يصرفه، ولم ير مقدمًا ركبتيه بين يدي جليس له" - رواه أبو داود والترمذي بلفظه.
وعن أبي أمامة الباهلي قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئًا على عصا، فقمنا إليه، فقال لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضًا - رواه أبو داود وإسناده حسن.

## زهده صلى الله عليه وسلم:

كان صلى الله عليه وسلم أزهد الناس في الدنيا وأرغبهم في الآخرة، خيره الله تعالى بين أن يكون ملكًا نبيًا أو يكون عبدًا نبيًا فاختار أن يكون عبدًا نبيًا.
فكان صلى الله عليه وسلم ينامُ على الفراش تارة، وعلى النِّطع تارة، وعلى الحصير تارة، وعلى الأرض تارة، وعلى السرير تارة بين رِمَالِهِ، وتارة على كِساء أسود.
وكان بيته من طين، متقارب الأطراف، داني السقف، وقد رهن درعه في ثلاثين صاعًا من شعير عند يهودي، وربما لبس إزارًا ورداء فحسب، وما أكل على خوان قط.
قال أنس بن مالك رضي الله عنه: (دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو على سرير مزمول بالشريط وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف، ودخل عمر وناس من الصحابة فانحرف النبي صلى الله عليه وسلم فرأى عمر أثر الشريط في جنبه فبكى فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما يبكيك يا عمر قال: ومالي لا أبكي وكسرى وقيصر يعيشان فيما يعيشان فيه من الدنيا وأنت على الحال الذي أرى فقال يا عمر: أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة قال: بلى قال: هو كذلك)
وكان من زهده صلى الله عليه وسلم وقلة ما بيده أن النار لا توقد في بيته في الثلاثة أهلة في شهرين .
فعن عروة رضي الله عنه قال: عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها كانت تقول: والله يا ابن أختي كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثلاثة أهله في شهرين ما أوقد في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار، قلت: يا خالة فما كان عيشكم؟ قالت: الأسودان ـ التمر والماء ـ) رواه البخاري ومسلم.
وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهله لا يجدون عشاءً، وكان أكثر خبزهم الشعير) رواه الترمذي وحسنه الألباني.

### عبادته صلى الله عليه وسلم:

كان صلى الله عليه وسلم أعبد الناس، و من كريم أخلاقه صلى الله عليه وسلم أنه كان عبداً لله شكوراً؛ فإن من تمام كريم الأخلاق هو التأدب مع الله رب العالمين وذلك بأن يعرف العبد حقّ ربه سبحانه وتعالى عليه فيسعى لتأدية ما أوجب الله عز وجل عليه من الفرائض ثم يتمم ذلك بما يسّر الله تعالى له من النوافل، وكلما بلغ العبد درجةً مرتفعةً عاليةً في العلم والفضل والتقى عرف حق الله تعالى عليه فسارع إلى تأديته والتقرب إليه عز وجل بالنوافل.

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رب العالمين في الحديث القدسي الذي يرويه عن ربه إن الله تعالى قال: (... وما يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه...) رواه البخاري.

فقد كان صلى الله عليه وسلم يعرف حق ربه عز وجل عليه وهو الذي قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر على الرغم من ذلك كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه ـ صلوات ربي وسلامه عليه ـ ويسجد فيدعو ويسبح ويدعو ويثني على الله تبارك وتعالى ويخشع لله عز وجل حتى يُسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل.

فعن عبد الله بن الشخير ـ رضي الله عنه ـ قال: (أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه أزيزٌ كأزيز المرجل من البكاء) رواه أبو داود وصححه الألباني.

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: (أفلا أكون عبداً شكوراً) رواه البخاري.

ومن تخلقه صلى الله عليه وسلم بأخلاق القرآن وآدابه تنفيذاً لأمر ربه عز وجل أنه كان يحب ذكر الله ويأمر به ويحث عليه، قال صلى الله عليه وسلم: (لأن أقول سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس) رواه مسلم.

و كان صلى الله عليه وسلم أكثر الناس دعاءً، وكان من أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول: (اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) رواه البخاري ومسلم .

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنه كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم قبل موته: (اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعمل) رواه النسائي وصححه الألباني.

### دعوته صلى الله عليه وسلم:

شملت دعوته عليه الصلاة والسلام جميع الخلق، فكان صلى الله عليه وسلم أكثر رسل الله دعوة وبلاغًا وجهادًا، لذا كان أكثرهم إيذاءً وابتلاءً، منذ بزوغ فجر دعوته إلى أن لحق بربه جل وعلا .

وكانت دعوته صلى الله عليه وسلم على مراتب:

المرتبة الأولى: النبوة. الثانية: إنذار عشيرته الأقربين. الثالثة: إنذار قومه. الرابعة: إنذار قومٍ ما أتاهم من نذير من قبله وهم العرب قاطبة. الخامسة: إنذارُ جميع مَنْ بلغته دعوته من الجن والإنس إلى آخر الدّهر.

وقد قال الله جل وعلا لنبيه صلى الله عليه وسلم: ( قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ).

وكانت دعوته صلى الله عليه وسلم كلها رحمة وشفقة وإحساناً وحرصاً على جمع القلوب وهداية الناس جميعاً مع الترفق بمن يخطئ أو يخالف الحق والإحسان إليه وتعليمه بأحسن أسلوب وألطف عبارة وأحسن إشارة، متمثلاً قول الله عز وجل: (( ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ

الْحَسَنَـةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ... )) [ النحل:١٢] .

ومن ذلك لما جاءه الفتى يستأذنه في الزنى.

فعن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ قال: إن فتىً شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه فقال له: (ادنه)، فدنا منه قريباً، قال: (أتحبّه لأمّك؟) قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: (ولا الناس يحبونه لأمهاتهم) قال: (أفتحبه لابنتك؟) قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك. قال: (ولا الناس جميعاً يحبونه لبناتهم) قال: (أفتحبه لأختك؟) قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: (ولا الناس جميعاً يحبونه لأخواتهم). قال: (أفتحبه لعمتك؟) قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: (ولا الناس جميعاً يحبونه لعماتهم). قال: (أفتحبه لخالتك؟) قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: (ولا الناس جميعاً يحبونه لخالاتهم) قال: فوضع يده عليه، وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصّن فرجه) فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء. رواه أحمد.

## كرم النبي صلى الله عليه وسلم وجوده:

كان صلى الله عليه وسلم أكرم الناس وأجود الناس لم يمنع يوماً أحداً شيئاً سأله إياه، يعطي عطاء من لا يخشى الفقر؛ فهو سيد الأجواد على الإطلاق، أعطى غنمًا بين جبلين، وأعطى كل رئيس قبيلة من العرب مائة ناقة، ومن كرمه صلى الله عليه وسلم أنه جاءه رجل يطلب البردة التي هي عليه فأعطاه إياها صلى الله عليه وسلم وكان لا يردّ طالب حاجة، قد وسع الناس برّه، طعامه مبذول،وكفه مدرار، وصدره واسع، وخلقه سهل، ووجه بسّام.

وجاءته الكنوز من الذهب والفضة وأنفقها في مجلس واحد ولم يدّخر منها درهمًا ولا ديناراً ولا قطعة، فكان أسعد بالعطية يعطيها من السائل، وكان يأمر بالإنفاق والكرم والبذل، ويدعو للجود والسخاء، ويذمّ البخل والإمساك صلى الله عليه وسلم.

بل كان ينفق مع العدم ويعطي مع الفقر، يجمع الغنائم و يوزعها في ساعة، ولا يأخذ منها شيئًا، مائدته صلى الله عليه وسلم معروضة لكل قادم، وبيته قبلة لكل وافد، يضيف وينفق ويعطي الجائع بأكله، ويؤثر المحتاج بذات يده، ويصل القريب بما يملك، ويواسي المحتاج بما عنده، ويقدّم الغريب على نفسه، فكان صلى الله عليه وسلم آية في الجود والكرم، ويجود جود من هانت عليه نفسه وماله وكل ما يملك في سبيل ربه ومولاه، فهو أندى العالمين كفًا، وأسخاهم يدًا، غمر أصحابه وأحبابه وأتباعه، بل حتى أعداءه ببرّه وإحسانه وجوده وكرمه وتفضله، أكل اليهود على مائدته، وجلس الأعراب على طعامه، وحفّ المنافقون بسفرته، ولم يُحفظ عنه صلى الله عليه وسلم أنه تبرّم بضيف أو تضجّر من سائل أو تضايق من طالب، بل جرّ أعرابي برده حتى أثر في عنقه وقال له: أعطني من مال الله الذي عندك، لا من مال أبيك وأمّك، فالتفت إليه صلى الله عليه وسلم وضحك وأعطاه.

## شجاعته صلى الله عليه وسلم وجهاده:

كان صلى الله عليه وسلم أشجع الناس وأثبتهم قلبًا، لا يبلغ مبلغه في ثبات الجأش وقوة القلب مخلوق، فهو الشجاع الفريد الذي كملت فيه صفات الشجاعة وتمّت فيه سجايا الإقدام وقوة البأس، وهو القائل: " والذي نفسي بيده لوددت أنني أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل" أخرجه البخاري.

لا يخاف التهديد والوعيد، ولا ترهبه المواقف والأزمات، ولا تهزه الحوادث والملمّات، فوّض أمره لربه وتوكل عليه وأناب إليه، ورضي بحكمه واكتفى بنصره ووثق بوعده، فكان صلى الله عليه وسلم يخوض المعارك بنفسه ويباشر القتال بشخصه الكريم، يعرّض روحه للمنايا ويقدّم نفسه للموت، غير

هائب ولا خائف، ولم يفرّ من معركة قط، وما تراجع خطوة واحدة ساعة يحمي الوطيس وتقوم الحرب على ساق وتشرع السيوف وتمتشق الرماح وتهوي الرؤوس ويدور كأس المنايا على النفوس، فهو في تلك اللحظة أقرب أصحابه من الخطر، يحتمون أحيانًا به وهو صامد مجاهد، لا يكترث بالعدوّ ولو كثر عدده، ولا يأبه بالخصم ولو قوي بأسه، بل كان يعدل الصفوف ويشجع المقاتلين ويتقدم الكتائب.

وقد فرّ الناس يوم حنينن وما ثبت إلا هو صلى الله عليه وسلم وستة من أصحابه، وكان صدره بارزًا للسيوف والرماح، يصرع الأبطال بين يديه ويذبح الكماة أمام ناظريه وهو باسم المحيا، طلق الوجه، ساكن النفس.

وقد شُجّ عليه الصلاة والسلام في وجهه وكسرت رباعيته، وقتل سبعون من أصحابه، فما وهن ولا ضعف ولا خار، بل كان أمضى من السيف. وبرز يوم بدر وقاد المعركة بنفسه، وخاض غمار الموت بروحه الشريفة. وكان أول من يهبّ عند سماع المنادي، بل هو الذي سنّ الجهاد وحثّ وأمر به.

وتكالبت عليه الأحزاب يوم الخندق من كل مكان، وضاق الأمر وحلّ الكرب، وبلغت القلوب الحناجر، وزلزل المؤمنون زلزالا شديدًا، فقام صلى الله عليه وسلم يصلي ويدعو ويستغيث مولاه حتى نصره ربّه وردّ كيد عدوّه وأخزى خصومه وأرسل عليهم ريحا وجنودًا وباؤوا بالخسران والهوان.

### صدق النبي الكريم صلى الله عليه وسلم:

بل هو الذي جاء بالصدق من عند ربه، فكلامه صدق وسنّته صدق، ورضاه صدق وغضبه صدق، ومدخله صدق ومخرجه صدق، وضحكه صدق وبكاؤه صدق، ويقظته صدق ومنامه صدق، و كلامه صلى الله عليه وسلم كله حق وصدق وعدل، لم يعرف الكذب في حياته جادًّا أو مازحًا، بل حرّم الكذب وذمّ أهله ونهى عنه، وكل قوله وعمله وحاله صلى الله عليه وسلم مبني على الصدق، فهو صادق في سلمه وحربه، ورضاه وغضبه، وجدّ وهزله، وبيانه وحكمه، صادق مع القريب والبعيد، والصديق والعدو، والرجل والمرأة، صادق في نفسه ومع الناس، في حضره وسفره، وحلّه وإقامته، ومحاربته ومصالحته، وبيعه وشرائه، وعقوده وعهوده ومواثيقه، وخطبه ورسائله، فهو الصادق المصدوق، الذي لم يحفظ له حرف واحد غير صادق فيه، ولا كلمة واحدة خلاف الحق، ولم يخالف ظاهره باطنه، بل حتى كان صادقًا في لحظاته ولفظاته وإشارات عينيه، وهو الذي يقول- لما قال له أصحابه: ألا أشرت لنا بعينك في قتل الأسير؟!-: " ما كان لنبي أن تكون له خائنة أعين" رواه أبو داود والنسائي .

فهو الصادق الأمين في الجاهلية قبل الإسلام والرسالة، فكيف حاله بالله بعد الوحي والهداية ونزول جبريل عليه ونبوّته وإكرام الله له بالاصطفاء والاجتباء والاختيار؟!

### صبره صلى الله عليه وسلم:

لا يعلم أحد مرّ به من المصائب والمصاعب والمشاق والأزمات كما مرّ به صلى الله عليه وسلم، وهو صابر محتسب، صبر على اليتم والفقر والجوع والحاجة، وصبر على الطرد من الوطن والإخراج من الدار والإبعاد عن الأهل، وصبر على قتل القرابة والفتك بالأصحاب وتشريد الأتباع وتكالب الأعداء وتحزّب الخصوم واجتماع المحاربين، وصبر على تجهّم القريب وتكالب البعيد، وصولة الباطل وطغيان المكذبين.. صبر على الدنيا بزينتها وزخرفها وذهبها وفضتها، فلم يتعلق منها بشيء، فهو صلى الله عليه وسلم الصابر المحتسب في كل شأن من شؤون حياته، فالصبر درعه

وترسه وصاحبه وحليفه، كلما أزعجه كلام أعدائه تذكّر {فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ } طه ١٣٠، وكلما راعه هول العدو وأقضّ مضجعه تخطيط الكفار تذكّر {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} الأحقاف ٣٥.

مات عمه فصبر، وماتت زوجته فصبر، وقتل عمه حمزة فصبر، وأبعد من مكة فصبر، وتوفي ابنه فصبر، ورميت زوجته الطاهرة بالفاحشة كذباً وبهتاناً فصبر، وكُذّب فصبر، قالوا له شاعر كاهن ساحر مجنون كاذب مفتر فصبر، أخرجوه، آذوه، شتموه، سبّوه، حاربوه، سجنوه.. فصبر، وهل يتعلّم الصبر إلا منه؟ وهل يُقتدى بأحد في الصبر إلا به؟ فهو مضرب المثل في سعة الصدر وجليل الصبر وعظيم التجمّل وثبات القلب، وهو إمام الصابرين وقدوة الشاكرين صلى الله عليه وسلم.

ضحكه صلى الله عليه وسلم:

وكان صلى الله عليه وسلم ضحاكًا بسامًا مع أهله وأصحابه؛ يمازح زوجاته ويلاطفهن ويؤنسهن ويحادثهن حديث الود والحب والحنان والعطف؛ وكانت تعلو محيّاه الطاهر البسمة المشرقة الموحية، فإذا قابل بها الناس أسر قلوبهم أسرًا فمالت نفوسهم بالكلية إليه وتهافتت أرواحهم عليه، وكان يمزح ولا يقول إلا حقًا، فيكون مزحه على أرواح أصحابه ألطف من يد الوالد الحاني على رأس ابنه الوديع، يمازحهم فتنشط أرواحهم وتنشرح صدورهم وتنطلق أسارير وجوههم.

يقول جرير بن عبد الله البجلي: ما رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تبسّم في وجهي.

وكان صلى الله عليه وسلم في ضحكه ومزاحه ودعابته وسطاً بين من جفّ خلقه ويبس طبعه وتجهّم محيّاه وعبس وجهه، وبين من أكثر من الضحك واستهتر في المزاح وأدمن الدعابة والخفة.

بل كان من هديه صلى الله عليه وسلم أن يمازح بعض أصحابه قال له أحد أصحابه ذات مرة: أريد أن تحملني يا رسول الله على جمل، قال:" لا أجد لك إلا ولد الناقة" فولّى الرجال فدعاه وقال: " وهل تلد الإبل إلا النوق؟" أي أن الجمل أصلا ولد ناقة. أخرجه أحمد عن أنس بن مالك.

و سألته امرأة عجوز قالت: يا رسول الله! ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: (يا أم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز، فولت تبكي، فقال: أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله تعالى يقول: (( إِنّآ أَنشَأْنَاهُنّ إِنشَآءً * فَجَعَلْنَاهُنّ أَبْكَاراً * عُرُباً أَتْرَاباً)) [ الواقعة ٣٥ – ٣٧ ]

رواه الترمذي في الشمائل وحسنه الألباني .

هذا غيض من فيض وقطرة من محيط من خصال وأخلاق أعظم إنسان عرفته البشرية جمعتها على عجل مساهمة متواضعة وكلمات مختصرة لعل الله عز وجل يفتح بها قلوباً غلفًا إلى الحق، ويهدي بها أعيناً عمياً لتدرك جانباً يسيراً من جوانب العظمة في حياة سيد الخلق وحبيب الحق صلى الله عليه وسلم.

من بحث قيم للأستاذ / أبو عبد الرحمن هشام محمد سعيد برغش

## الفصل الحادي عشر: الحكم الشرعي فى حكم سابه ومنتقصه صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام

ومع الغزو الإعلامي المكثف وليونة الدين في القلوب ظهر على ألسنة البعض أمر خطير ومنكر وكبير هو: سب الله - عز وجل - أو الدين أو النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه الكرام .. و في هذه الورقات بيان لعظم الأمر وخطورته حتى ننصح من نراه يفعل ذلك ونعلمه موطن الخير وندله على طريق التوبة.

أخي المسلم: الإيمان بالله مبني على التعظيم والإجلال للرب - عز وجل - ولا شك أن سب الله - عز وجل - والإستهزاء به يناقض هذا التعظيم.

قال ابن القيم: " وروح العبادة هو الإجلال والمحبة فإذا تخلى أحدهما عن الآخر فسدت فإذا اقترن بهذين الثناء على المحبوب المعظم فذلك حقيقة الحمد والله أعلم ".

والسب كما عرفه ابن تيمية: هو الكلام الذي يقصد به الانتقاص والاستخفاف وهو ما يفهم منه السب في عقول الناس على اختلاف اعتقاداتهم كاللعن والتقبيح ونحوه.

ولا ريب أن سب الله - عز وجل - يعد أقبح وأشنع أنواع المكفرات القولية وإذا كان الاستهزاء بالله كفراً سواء استحله أم لم يستحله فإن السب كفر من باب أولى.

يقول ابن تيمية: " إن سب الله أو سب رسوله كفر ظاهراً وباطناً سواء كان الساب يعتقد أن ذلك محرم أو كان مستحيلاً أو كان ذاهلاً عن إعتقاده ".

وقال ابن راهويه: " قد أجمع المسلمون أن من سب الله أو سب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه.. كافر بذلك وإن كان مقراً بما أنزل الله ".

قال تعالى: ( إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً "٥٧" وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً ) [الأحزاب:٥٧،٥٨] فرق الله - عز وجل - في الآية بين أذى الله ورسوله وبين أذى المؤمنين و المؤمنات فجعل على هذا أنه قد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً وجعل على ذلك اللعنة في الدنيا والآخرة وأعد له العذاب المهين ومعلوم أن أذى المؤمنين قد يكون من كبائر الإثم وفيه الجلد وليس فوق ذلك إلا الكفر والقتل.

قال القاضي عياض: " لا خلاف أن ساب الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم ".

وقال أحمد في رواية عبد الله في رجل قال لرجل: " يا ابن كذا و كذا - أعني أنت ومن خلقك: هذا مرتد عن الإسلام تضرب عنقه ".

وقال ابن قدامة: " من سب الله تعالى كفر، سواء كان مازحاً أو جاداً ".

## سئل سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز السؤال التالي:

ما حكم سب الدين أو الرب؟ - أستغفر الله رب العالمين - هل من سب الدين يعتبر كافراً أو مرتداً وما هي العقوبة المقررة عليه في الدين الإسلامي الحنيف؟ حتى نكون على بينة من أمر شرائع الدين وهذه الظاهرة منتشرة بين بعض الناس في بلادنا أفيدونا أفادكم الله.

فأجاب - رحمه الله -:

سب الدين من أعظم الكبائر ومن أعظم المنكرات وهكذا سب الرب - عز وجل -، وهذان الأمران من أعظم نواقض الإسلام، ومن أسباب الردة عن الإسلام، فإذا كان من سب الرب - سبحانه وتعالى - أو سب الدين ينتسب إلى الإسلام فإنه يكون بذلك مرتداً عن الإسلام ويكون كافراً يستتاب، فإن تاب وإلا قتل من جهة ولي أمر البلد بواسطة المحكمة الشرعية، وقال بعض أهل العلم: إنه لا يستتاب بل يقتل، لأن جريمته عظيمة، ولكن الأرجح أنه يستتاب لعل الله يمن عليه بالهداية فيلزم الحق، ولكن ينبغي أن يعزر بالجلد والسجن حتى لا يعود لمثل هذه الجريمة العظيمة، وهكذا لو سب القرآن أو سب الرسول - صلى الله عليه وسلم - أو غيره من الأنبياء فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل، فإن سب الدين أو سب الرسول - صلى الله عليه وسلم - أو سب الرب - عز وجل - من نواقض الإسلام، وهكذا الإستهزاء بالله أو برسوله أو بالجنة أو بالنار أو بأوامر الله كالصلاة والزكاة، فالإستهزاء بشيء من هذه الأمور من نواقض الإسلام، قال الله - سبحانه وتعالى -: ( قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ "٦٥" لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ) [التوبة:٦٥،٦٦] نسأل الله العافية.

**وسئل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين السؤال التالي:**

ما الحكم في رجل سب الدين في حالة غضب هل عليه كفارة وما شرط التوبة من هذا العمل حيث أني سمعت من أهل العلم يقولون بأن زوجتك حرمت عليك؟

فأجاب - رحمه الله -:

الحكم فيمن سب الدين الإسلامي يكفر، فإن سب الدين والإستهزاء به ردة عن الإسلام وكفر بالله - عز وجل - وبدينه، وقد حكى الله عن قوم استهزؤوا بدين الإسلام، حكى الله عنهم أنهم كانوا يقولون: إنما كنا نخوض ونلعب، فبين الله - عز وجل - أن خوضهم هذا ولعبهم استهزاء بالله وآياته ورسوله وأنهم كفروا به فقال تعالى: ( وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ "٦٥" لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ) [التوبة:٦٥،٦٦] فالاستهزاء بدين الله، أو سب دين الله أو سب الله ورسوله، أو الاستهزاء بهما، كفر مخرج من الملة. أهـ

**واحذر أخي المسلم من مجالسة هؤلاء القوم حتى لا يصيبك إثم وتحل بدارك العقوبة.**

**سئل الشيخ محمد بن عثيمين السؤال التالي:**

هل يجوز البقاء لي بين قوم يسبون الله - عز وجل -؟

فأجاب - رحمه الله -:

لا يجوز البقاء بين قوم يسبون الله - عز وجل - لقوله تعالى: ( وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً ) [النساء:١٤٠].

**- حكم سب الرسول - صلى الله عليه وسلم -:**

للرسول مكانة عظيمة في نفوس أهل الإيمان، فقد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة ونصح للأمة وجاهد في الله حق جهاده، ونحن نحب الرسول - صلى الله عليه وسلم - كما أمر، محبة لا تخرجه إلى الإطراء أو إقامة البدع التي نهى الرسول عنها وحذر منها. بل له المكانة السامية والمنزلة الرفيعة نطيعه فيما أمر، ونجتنب ما نهى عنه وزجر.

ولنحذر من سب الرسول - صلى الله عليه وسلم - فإن ذلك من نواقض الإيمان، التي توجب الكفر ظاهراً وباطناً، سواء استحل ذلك فاعله أو لم يستحله.

يقول ابن تيمية رحمه الله: " إن سب الله أو سب رسوله كفر ظاهراً وباطناً، سواء كان الساب يعتقد أن ذلك محرم، أو كان مستحلاً له، أو كان ذاهلاً عن اعتقاده ".

والأمر في ذلك يصل إلى حتى مجرد لمز النبي - صلى الله عليه وسلم - في حكم أو غيره كما قال - رحمه الله -: " في حكمه أو قسمه فإنه يجب قتله، كما أمر به - صلى الله عليه وسلم - في حياته وبعد موته ".

فاحذر أخي المسلم من هذا المزلق الخطر والطريق السيئ وتجنب ما يغضب الله - عز و جل -.

**- سب الصحابة:**

الصحابة هم صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورفقاء دعوته الذين أثنى الله عليهم في مواضع كثيرة من القرآن قال تعالى: ( وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ) [التوبة:١٠٠]. قال تعالى: ( مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً ) [الفتح:٢٩] ومن سبهم بعد هذه الآيات فهو مكذب بالقرآن.

والواجب نحوهم محبتهم والترضي عنهم والدفاع عنهم، ورد من تعرض لأعراضهم، ولا شك أن حبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان، وقد أجمع العلماء على عدالتهم، أما التعرض لهم وسبهم وازدرائهم فقد قال ابن تيمية - رحمه الله -: " إن كان مستحلاً لسب الصحابة رضي الله عنهم فهو كافر ".

وقد حذر النبي - صلى الله عليه وسلم - من ذلك بقوله: { من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين } [السلسلة الصحيحة:٢٣٤٠].

وقال - عليه الصلاة والسلام -: { لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحداً أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم أو نصيفه } [رواه البخاري].

قال الشيخ محمد ابن عبد الوهاب: " فمن سبهم فقد خالف ما أمر الله من إكرامهم، ومن اعتقد السوء فيهم كلهم أو جمهورهم فقد كذب الله تعالى فيما أخبر من كمالهم وفضلهم ومكذبه كافر ".

وسئل الإمام أحمد عمن يشتم أبا بكر وعمر وعائشة - رضي الله عنهم أجمعين - فقال: " ما أراه على الإسلام ".

وقال الإمام مالك رحمه الله: " من شتم أحداً من أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - أبا بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية أو عمرو ابن العاص، فإن قال كانوا على ضلال وكفر قتل. أما من قذف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فإنه كذب بالقرآن الذي يشهد ببراءتها، فتكذيبه كفر، والوقيعة فيها تكذيب له، ثم إنها - رضي الله عنها - فراش النبي - صلى الله عليه وسلم - والوقيعة فيها تنقيص له، وتنقيصه كفر ".

قال ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ( إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ) وقد أجمع العلماء رحمهم الله قاطبة على أن من سبها بعد هذا ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في الآية فإنه كافر، لأنه معاند للقرآن.

ساق اللالكائي بسنده أن الحسن بن زيد، لما ذكر رجل بحضرته عائشة بذكر قبيح من الفاحشة، أمر بضرب عنقه، فقال له العلويون: هذا رجل من شيعتنا فقال معاذ الله، هذا رجل طعن على النبي - صلى الله عليه وسلم -، قال الله - عز وجل -: ( الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ) [النور:٢٦] فإن كانت عائشة رضي الله عنها خبيثة فالنبي - صلى الله عليه وسلم - خبيث، فهو كافر فاضربوا عنقه، فضربوا عنقه.

**- أخي المسلم:**

إن سب الصحابة رضي الله عنهم يستلزم تضليل أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - ويتضمن أن هذه الأمة شر الأمم، وأن سابقي هذه الأمة شرارها، وكفر هذا من يعلم بالاضطرار من دين الإسلام.

اللهم ارزقنا حبك وحب دينك وكتابك ونبيك - صلى الله عليه وسلم - وصحابته الكرام، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا وصلى الله على نبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## الفصل الثاني عشر: "خلــوا بيني وبيــن النــاس"

نتعرف فى هذا الفصل على كيفية النصرة الحقة لله ولرسوله ولملائكته وكتبه.

وهذا هو المنهج الملزم لكل مسلم يريد الإتباع الحق يقول المولى جل وعلا : {تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} النساء١٣

تلك الأحكام الإلهية التي شرعها الله في اليتامى والنساء والمواريث، شرائعه الدالة على أنها مِن عند الله العليم الحكيم. ومَن يطع الله ورسوله فيما شرع لعباده من هذه الأحكام وغيرها، يدخله جنات كثيرة الأشجار والقصور، تجري من تحتها الأنهار بمياهها العذبة، وهم باقون في هذا النعيم، لا يخرجون منه، وذلك الثواب هو الفلاح العظيم.

{وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ } النساء١٤

ومَن يَعْصِ الله ورسوله، بإنكاره لأحكام الله، وتجاوزه ما شرعه الله لعباده بتغييرها، أو تعطيل العمل بها، يدخله نارًا ماكثًا فيها، وله عذاب يخزيه ويهينه.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً } النساء١٣٦

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه داوموا على ما أنتم عليه من التصديق الجازم بالله تعالى وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ومن طاعتهما، وبالقرآن الذي نزله عليه، وبجميع الكتب التي أنزلها الله على الرسل. ومن يكفر بالله تعالى، وملائكته المكرمين، وكتبه التي أنزلها لهداية خلقه، ورسله الذين اصطفاهم لتبليغ رسالته، واليوم الآخر الذي يقوم الناس فيه بعد موتهم للعرض والحساب، فقد خرج من الدين، وبَعُدَ بعدًا كبيرًا عن طريق الحق.

{وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ } المائدة٥٦

ومن وثق بالله وتولّى الله ورسوله والمؤمنين، فهو من حزب الله، وحزب الله هم الغالبون المنتصرون.

{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِـي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } الأعراف١٥٨

قل -أيها الرسول- للناس كلهم: إني رسول الله إليكم جميعًا لا إلى بعضكم دون بعض، الذي له ملك السموات والأرض وما فيهما، لا ينبغي أن تكون الألوهية والعبادة إلا له جل ثناؤه، القادر على إيجاد الخلق وإفنائه وبعثه، فصدَّقوا بالله وأقرُّوا بوحدانيته، وصدَّقوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم النبي الأميِّ الذي يؤمن بالله وما أنزل إليه من ربه وما أنزل على النبيين من قبله، واتبعوا هذا الرسول، والتزموا العمل بما أمركم به من طاعة الله، رجاء أن توفقوا إلى الطريق المستقيم.

{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } الأنفال١٣

ذلك الذي حدث للكفار من ضَرْب رؤوسهم وأعناقهم وأطرافهم؛ بسبب مخالفتهم لأمر الله ورسوله، ومَن يخالف أمر الله ورسوله، فإن الله شديد العقاب له في الدنيا والآخرة.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ } الأنفال٢٠

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله أطيعوا الله ورسوله فيما أمركم به ونهاكم عنه، ولا تتركوا طاعة الله وطاعة رسوله، وأنتم تسمعون ما يتلى عليكم في القرآن من الحجج والبراهين.

{وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } الأنفال٤٦

والتزموا طاعة الله وطاعة رسوله في كل أحوالكم، ولا تختلفوا فتتفرق كلمتكم وتختلف قلوبكم، فتضعفوا وتذهب قوتكم ونصركم، واصبروا عند لقاء العدو. إن الله مع الصابرين بالعون والنصر والتأييد، ولن يخذلهم.

{وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ } النور٤٨

وإذا دُعوا في خصوماتهم إلى ما في كتاب الله وإلى رسوله؛ ليَحكُم بينهم، إذا فريق منهم معرض لا يقبل حكم الله وحكم رسوله، مع أنه الحق الذي لا شك فيه.

{إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} النور ٥١

أما المؤمنون حقا فدأبهم إذا دعوا إلى التحاكم في خصوماتهم إلى كتاب الله وحكم رسوله، أن يقبلوا الحكم ويقولوا: سمعنا ما قيل لنا وأطعنا مَن دعانا إلى ذلك، وأولئك هم المفلحون الفائزون بمطلوبهم في جنات النعيم.

{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} النور٦٢

إنما المؤمنون حقًا هم الذين صدَّقوا الله ورسوله، وعملوا بشرعه، وإذا كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم على أمر جمعهم له في مصلحة المسلمين، لم ينصرف أحد منهم حتى يستأذنه، إن الذين يستأذنونك - أيها النبي - هم الذين يؤمنون بالله ورسوله حقًا، فإذا استأذنوك لبعض حاجتهم فَأْذَن لمن شئت ممن طلب الإذن في الانصراف لعذر، واطلب لهم المغفرة من الله. إن الله غفور لذنوب عباده التائبين، رحيم بهم.

فحياتهم الكاملة كانت على الدين لا كالذين يقولوا الآن نقرة ونقرة أو الدين فى المسجد فقط ، بل كانت حياة الصحابة كاملة مع رسول الله يستأذنوه للأمر حتى ينالوا بركة الوقت وصالح الكسب فيا سبحان الله همتهم الآخرة فكانوا ينامون بنية الآخرة لا من ينامون اليوم بنية أن يستيقظوا للعمل نشطين بل نام صحابة رسول الله بنية التقوى لمواصلة الطاعات فكانوا ينوون بنومهم حتى يستيقظوا مبكراً لإدارك ركعات فى الليل والذهاب لصلاة الصبح مهجراً . وفرق بين من ينام لصلاة الفجر ومن ينام للذهاب إلى شغل فرقاً بين وبركات مفقودة .

ويقول : د.عبد المعطي الدالاتي

" قرية ذات نخيل ، قامت في الصحراء ، كالأمن بعد الخوف ، والأمل بعد اليأس ..
لمن هذه القرية المباركة ؟!
من هؤلاء الأصحاب الذين أصغوا إلى معلمهم – في دار الأرقم – وقد اعتزموا اقتحام الصعاب ، وتحدثوا بقلب العالم ؟!
وا عجبا لقوم ضعافٍ فقراء يريدون أن يكونوا أساتذة العالم !! انظر إليهم بعد أعوام وقد خفقت أعلامهم في مشرق الشمس ومغربها ، وإذا هم شرر قد انبعث في الفِطَر الصالحة فكان نوراً ، وأصاب النفوس العليلة فكان في هشيمها ناراً ! وإذا كتابٌ في تاريخ الحضارة لم تقوَ على فصوله أمم الأرض قاطبة !! أنبئني كيف وسعت القرية الصغيرة أرجاء الدنيا ؟! وكيف بلغ هؤلاء التلاميذ الفقراء آمالهم كما أرادوا فكانوا أساتذة العالم !!
ما هذا الذي خلق من القِلّة كثرة ، ومن الضعف قوة ، ومن الذل عزاً ، ومن الموت حياة ، وأخرج من الصحراء خِصباً غمر العالم ؟!
فتش ما استطعت ، وقلّب حوادث التاريخ كما تشاء ، فلن تجد إلا سبباً واحداً ، إنه الإسلام"(٢).
والإنسان اليوم ظمآن ، ظمآن ولكنه لا يعرف اسم الماء ، ولا أين يوجد ، لا ريب أنه قد سمع باسمه ، ولكنه يرتاع لهذا الاسم لمجرد أنه لم يجد مسمّاه الحقيقي ، ولأن الدعاية الصهيونية والصليبية لقنته أن الماء شيء مسموم جداً يجب ألا يقاربه أحد – فهو إرهاب !!
ولو أنه عثر عليه دون اسم لنهل منه ، ثم لو عرف اسمه الحقيقي لعجب طويلاً من هذا الخداع الطويل !!.

## عوامل انتشار الإسلام :

إذا قمنا باستقراء الأسباب التي تقف وراء انتشار الإسلام في الغرب لوجدنا أن هذه الأسباب تكاد تنحصر وبحسب أهميتها وتواترها فيما يلي :

### ١ – الإسلام دين الفطرة والتوحيد :

هذا هو العامل الأول في انتشار الإسلام ، فالإسلام يَهَب الإنسان تصوّراً صحيحاً عقلانياً عن الله وعن الكون وعن الإنسان ، ويهبه تشريعاً يلائم الفطرة الإنسانية ملائمة تامة ، "فالإسلام دين الفطرة ويسهل تطبيقه في كل الظروف الأمر الذي سهل انتشاره".

### ٢ – دراسة القرآن الكريم :

تلعب الدراسة الموضوعة للقرآن الكريم دوراً مهماً في التوصل إلى اليقين بمصدر القرآن الإلهي ، وإلى أنه الحق المحض الذي لم تطله يد التحريف .

### ٣ – القدوة الحسنة :

في القدوة الحسنة يكون المسلم كالكتاب المفتوح يقرأ فيه الناس معاني الإسلام ، فلسان الحال أبلغ من لسان المقال ، وإن عمل رجل في ألف رجل ، أقوى من قول ألف رجل في رجل !! وفي القدوة الحسنة يؤمن الآخرون بعمل المسلم الطيب ، وبخلقه الجميل ، قبل أن يؤمنوا بعقيدته الصحيحة! .

### ٤ – شمول وتوازن المعمار الإسلامي :

ويدخل من هذا الباب عادةً المفكرون والمستشرقون المنصفون .

### ٥ – دراسة الكتب المقدسة :

ويدخل من هذا الباب علماء الدين والقسيسون .

### ٦ – احترام الإسلام للرسل :

### ٧ – الانبهار بجوانب خاصة من المعمار الإسلامي الكبير :

فمنهم من بهرته صلاة المسلمين ومساجدهم ، ومنهم من بهرته النظافة في الإسلام .. ومنهم من شده العدل والأخوة في الإسلام. . وكثيرات كان سبب إسلامهن مكانة المرأة في الإسلام .

### ٨ – غياب الوساطة بين الخلق والخالق ، أو صكوك الغفران .

وسبحان الله ومن يملك المغفرة إلاّه .

{قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاء لاَ يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ } الرعد١٦

قل -أيها الرسول- للمشركين: مَن خالق السَّموات والأرض ومدبِّرهما؟ قل: الله هو الخالق المدبر لهما، وأنتم تقرون بذلك، ثم قل لهم ملزمًا بالحجة: أجعلتم غيره معبودين لكم، وهم لا يَقْدرون على نفع أنفسهم أو ضرها فضلا عن نفعكم أو ضركم، وتركتم عبادة مالكها؟ قل لهم -أيها الرسول-: هل يستوي عندكم الكافر -وهو كالأعمى- والمؤمن وهو كالبصير؟ أم هل يستوي عندكم الكفر -وهو كالظلمات- والإيمان -وهو كالنور؟ أم أن أولياءهم الذين جعلوهم شركاء لله يخلقون مثل خَلْقه، فتشابه عليهم خَلْق الشركاء بخلق الله، فاعتقدوا استحقاقهم للعبادة؟ قل لهم -أيها الرسول-: الله تعالى خالق كل كائن من العدم، وهو المستحق للعبادة وحده، وهو الواحد القهار الذي يستحق الألوهية والعبادة، لا الأصنام والأوثان التي لا تضرُّ ولا تنفع.

{وَمَن يَهْدِ اللّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاء مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً } الإسراء٩٧

ومن يهده الله فهو المهتدي إلى الحق، ومن يضلله فيخذله ويَكِلْه إلى نفسه فلا هادي له من دون الله، وهؤلاء الضُّلال يبعثهم الله يوم القيامة، ويحشرهم على وجوههم، وهم لا يرون ولا ينطقون ولا

يسمعون، مصيرهم إلى نار جهنم الملتهبة، كلما سكن لهيبها، وخمدت نارها، زدناهم نارًا ملتهبة متأججة.
{أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاء إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً }الكهف١٠٢
أفظن الذين كفروا بي أن يتخذوا عبادي آلهة من غيري؛ ليكونوا أولياء لهم؟ إنا أعتدنا نار جهنم للكافرين منزلا.
{قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاء وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْماً بُوراً }الفرقان١٨
قال المعبودون من دون الله: تنزيهًا لك- يا ربنا- عَمَّا فعل هؤلاء، فما يصحُّ أن نَتَّخِذ سواك أولياء نواليهم، ولكن متعتَ هؤلاء المشركين وآباءهم بالمال والعافية في الدنيا، حتى نسوا ذكرك فأشركوا بك، وكانوا قومًا هلكى غلب عليهم الشقاء والخِذْلان .
{مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ }العنكبوت٤١
مثل الذين جعلوا الأوثان من دون الله أولياء يرجون نصرها، كمثل العنكبوت التي عملت بيتًا لنفسها ليحفظها، فلم يُغن عنها شيئًا عند حاجتها إليه، فكذلك هؤلاء المشركون لم يُغْن عنهم أولياؤهم الذين اتخذوهم من دون الله شيئًا، وإن أضعف البيوت لَبيت العنكبوت، لو كانوا يعلمون ذلك ما اتخذوهم أولياء، فهم لا ينفعونهم ولا يضرونهم.
{وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ }الأنعام٩٤
ولقد جئتمونا للحساب والجزاء فرادى كما أوجدناكم في الدنيا أول مرة حفاة عراة، وتركتم وراء ظهوركم ما مكَّنَّاكم فيه مما تتباهون به من أموال في الدنيا، وما نرى معكم في الآخرة أوثانكم التي كنتم تعتقدون أنها تشفع لكم، وتَدَّعون أنها شركاء مع الله في العبادة، لقد زال تَواصُلُكم الذي كان بينكم في الدنيا، وذهب عنكم ما كنتم تَدَّعون من أن آلهتكم شركاء لله في العبادة، وظهر أنكم الخاسرون لأنفسكم وأهليكم وأموالكم.
{وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ }القصص٧٤
ويوم ينادي الله هؤلاء المشركين، فيقول لهم: أين شركائي الذين كنتم تزعمون في الدنيا أنهم شركائي؟

## ٩ ــ الاطمئنان النفسي وتحقيق إنسانية الإنسان .

فالقنوات التي نقلت غير المسلمين إلى الإسلام كثيرة إذن وتأتي على رأسها جاذبية هذا الدين وكونه دين الفطرة الإنسانية .
{وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }البقرة١٣٥
وقالت اليهود لأمَّة محمد صلى الله عليه وسلم: ادخلوا في دين اليهودية تجدوا الهداية، وقالت النصارى لهم مثل ذلك. قل لهم -أيها الرسول-: بل الهداية أن نتبع- جميعًا- ملة إبراهيم، الذي مال عن كل دين باطل إلى دين الحق، وما كان من المشركين بالله تعالى.
{مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }آل عمران٦٧
ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً، فلم تكن اليهودية ولا النصرانية إلا من بعده، ولكن كان متبعًا لأمر الله وطاعته، مستسلمًا لربه، وما كان من المشركين.
{قُلْ صَدَقَ اللّهُ فَاتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }آل عمران٩٥
قل لهم -أيها الرسول- صَدَق الله فيما أخبر به وفيما شرعه. فإن كنتم صادقين في محبتكم وانتسابكم لخليل الله إبراهيم عليه السلام فاتبعوا ملَّته التي شرعها الله على لسان محمد صلى الله عليه وسلم، فإنها الحق الذي لا شك فيه. وما كان إبراهيم عليه السلام من المشركين بالله في توحيده وعبادته أحدًا.

{وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً }النساء١٢٥

لا أحد أحسن دينًا ممن انقاد بقلبه وسائر جوارحه لله تعالى وحده، وهو محسن، واتبع دين إبراهيم وشرعه، مائلا عن العقائد الفاسدة والشرائع الباطلة. وقد اصطفى الله إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- واتخذه صفيّاً من بين سائر خلقه. وفي هذه الآية، إثبات صفة الخُلّة لله -تعالى- وهي أعلى مقامات المحبة، والاصطفاء.

{إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }الأنعام٧٩

إني توجَّهت بوجهي في العبادة لله عز وجل وحده، فهو الذي خلق السموات والأرض، مائلا عن الشرك إلى التوحيد، وما أنا من المشركين مع الله غيره.

{قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }الأنعام١٦١

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: إنني أرشدني ربي إلى الطريق القويم الموصل إلى جنته، وهو دين الإسلام القائم بأمر الدنيا والآخرة، وهو دين التوحيد دين إبراهيم عليه السلام، وما كان إبراهيم عليه السلام من المشركين مع الله غيره.

{وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }يونس١٠٥

وأن أقم -أيها الرسول- نفسك على دين الإسلام مستقيمًا عليه غير مائل عنه إلى يهودية ولا نصرانية ولا عبادة غيره، ولا تكونن ممن يشرك في عبادة ربه الآلهة والأنداد، فتكون من الهالكين. وهذا وإن كان خطابًا للرسول صلى الله عليه وسلَّم فإنه موجَّه لعموم الأمة .

{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }الروم٣٠

فأقم -أيها الرسول أنت ومن اتبعك- وجهك، واستمر على الدين الذي شرعه الله لك، وهو الإسلام الذي فطر الله الناس عليه، فبقاؤكم عليه، وتمسككم به، تمسك بفطرة الله من الإيمان بالله وحده، لا تبديل لخلق الله ودينه، فهو الطريق المستقيم الموصل إلى رضا الله رب العالمين وجنته، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الذي أمرتك به -أيها الرسول- هو الدين الحق دون سواه.

## الإسلام أسرع الأديان انتشاراً في العالم :

يسارع الكثير من الغربيين إلى الإسلام متخطين حواجز البيئة الثقافية والاجتماعية ، وحملات الدعاية المعادية للإسلام لتشويه تاريخه وحضارته ومبادئه، ومتخطين الواقع المر لتخلف المسلمين .

فعلى الرغم من الوسائل البدائية العفوية التي يستخدمها المسلمون في الدعوة إلى الإسلام ، وعلى الرغم من أنهم لا يزالون يَحبون في طريق الدعوة ، وعلى الرغم من صورة المسلمين المشوّهة التي تعاون على رسمها المسلمون بتخلفهم ، والحاقدون من الغربيين بمكرهم ، على الرغم من كل ذلك فلا زال الإسلام هو الدين الأكثر انتشاراً في العالم وفي التاريخ ، وفق دراسات مركز ( رصد العقائد ) في مدينة ( برن ) بسويسرا . وهذه الحقيقة قد أكدها دارسو الأديان فالباحثة الكهنوتية الأمريكية كارول أنوي تقول : "الإسلام هو أسرع الأديان انتشاراً في أمريكا الشمالية"، ويقول الدكتور هستون سميث : "إن الإسلام في هذا العصر كما في العصور السابقة أسرع الأديان إلى كسب الأتباع المصدّقين"، ويقول المبشر جون تكل : "الإسلام آخذ في الانتشار رغم أن الجهود التي تبذل في سبيله تكاد تكون في حكم العدم".

فإذا علمنا أن الإسلام ينتشر بجهود فردية مبعثرة ، وأنه لا يرصد في سبيله إلا نسبة ضئيلة جداً مما يرصد للتبشير بغيره من الأديان ، إذا علمنا هذا علمنا يقيناً أن "الدين عند الله الإسلام" ... وتفهمنا هذه الصرخة البائسة التي أطلقها لورنس براون : "الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام ، وفي قدرته على التوسع ، وفي حيويته ، إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار"(٧)، وتفهمنا أيضاً هذه

الحيرة للمستشرق هاملتون جب : "إن أخطر ما في هذا الدين أنه ينبعث فجأة دون أسباب ظاهرة ، ودون أن تستطيع أن تتنبأ بالمكان الذي يمكن أن ينبعث منه"!

## جاذبيـة الإسـلام :

غدت جاذبية الإسلام ظاهرة تاريخية وعالمية لفتت أنظار الدارسين فهذا (مكسيم رودنسون ) قد نشر كتاباً له بهذا الاسم ، ويقر هيرمان إيلتز بهذه الظاهرة فيقول : "إن الإسلام هو أسرع الديانات انتشاراً في العالم اليوم .. هناك إذن شيء حقيقي يجذب إليه العديد من نخبة الناس".

أما مراد هوفمان فيقول : "كثير من الغربيين يستيقظون ذات يوم ليجدوا أنفسهم وقد اعتنقوا الإسلام!".

ويقول المستشرق هيل : "لا نعرف في تاريخ البشر أن ديناً انتشر بهذه السرعة وغيّر العالم كما فعل الإسلام" .

ويعتبر ( روي ) بحق أن انتشار الإسلام هو معجزة ، وهو "أكبر آيات الأنبياء وأروعها إعجاباً وخرقاً للعادة".

وتلمح بيانكا سكارسيا هذه الجاذبية فتقول : "إن الشريعة القرآنية تمارس جاذبيتها على ملايين الناس ، فالإسلام يشهد بشكل دائم إقبالاً أكثر على اعتناقه ، ويصعب تفسير تنامي هذه الظاهرة ، في أوروبة خاصة ، إذ أن الإسلام ينحو لأن يُمثل اليوم خياراً بديلاً عن الحضارة الغربية".

وهل سرُّ عطرٍ أودع الريحَ يكتمُ !

يتساءل د. واكيسا واكليري عن قوة جذب هذا الدين فيقول : "يتقدم الإسلام بصورة مطردة ، فما هي القوة المعجزة المودعة في هذا الدين ؟! وأية قوة ذاتية من الإقناع ممتزجة به ؟ ولماذا تستقبل أرواح البشر الإسلام هكذا بحرقة وتلبي هذه الدعوة بجواب ( لبيك ) ؟" وفي الجواب يقول أولرش هيرمان "الإسلام دين جذاب جداً، وهذا يعود – ربما – إلى وضوح الرسالة الإسلامية ، وجاذبية أخلاقها ولأسباب لا أعرفها".

ويذهب الدكتور عماد الدين خليل إلى تعجب آخر : "ليس عجيباً انتشار الإسلام السريع في العالم ، بل العجيب هو عدم انتشاره بأكثر من هذه السرعة" .

## يـوم الإسـلام قـادم :

بلى فكل الدلائل تشير إلى هذا اليوم الجديد ، يقول جان بول رو "إن عودة الإسلام إلى أوربة هي موجة جديدة لن يقدر على وقفها أو الحد منها أية عقيدة أو مبدأ أو دين" .

"إن الدنيا بأكملها ستقبل الإسلام ، وإن هي لم تقبله باسمه الصريح فستقبله باسم مستعار ! وسيأتي يوم يعتنق فيه الغرب دين الإسلام ، وإن عقيدة النابهين والمثقفين في المستقبل ستكون الإسلام" .

"ولا شك أن الإسلام سوف يكون نهاية المطاف لكل طالبي الحقيقة في هذا العالم".

ونختم بقول الباحث كليمان هوارت : "أعتقد أن الإسلام قادم إلى أوربة بكل الحب ، وسيصبح المسلمون الأوربيون دعاة حقيقيين للإسلام ، وسيأتي يوم يصبح فيه الإسلام هو المحرك الحقيقي للعالم" .

ما زال قيسٌ والغرام كعهدهِ *** وربوع ليلى في ربيع جمالها
والعشقُ فيّاضٌ ، وأمةٌ أحمدٍ *** يتحقَّزُ التاريخُ لاسـتقبالها

* * *

"من كتاب " ربحت محمدا ولم أخسر المسيح "

## الفصل الثالث عشر : أوربا ستُفتح مُجدداً بهذه الإساءة

{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } النور٥٥

وعد الله بالنصر الذين آمنوا منكم وعملوا الأعمال الصالحة، بأن يورثهم أرض المشركين، ويجعلهم خلفاء فيها، مثلما فعل مع أسلافهم من المؤمنين بالله ورسله، وأن يجعل دينهم الذي ارتضاه لهم- وهو الإسلام- دينًا عزيزًا مكينًا، وأن يبدل حالهم من الخوف إلى الأمن، إذا عبدوا الله وحده، واستقاموا على طاعته، ولم يشركوا معه شيئًا، ومن كفر بعد ذلك الاستخلاف والأمن والتمكين والسلطنة التامة، وجحد نِعَم الله، فأولئك هم الخارجون عن طاعة الله.

{أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَاراً وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ } الأنعام٦

ألم يعلم هؤلاء الذين يجحدون وحدانية الله تعالى واستحقاقه وحده العبادة، ويكذبون رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم ما حلَّ بالأمم المكذبة قبلهم من هلاك وتدمير، وقد مكَّنَّاهم في الأرض ما لم نمكن لكم أيها الكافرون، وأنعمنا عليهم بإنزال الأمطار وجريان الأنهار من تحت مساكنهم؛ استدراجًا وإملاءً لهم، فكفروا بنعم الله وكذبوا الرسل، فأهلكناهم بسبب ذنوبهم، وأنشأنا من بعدهم أممًا أخرى خلفوهم في عمارة الأرض؟

{وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } القصص٥٧

وقال كفار "مكة": إن نتبع الحق الذي جئتنا به، ونتبرأ من الأولياء والآلهة، نُتَخَطَّفْ من أرضنا بالقتل والأسر ونهب الأموال، أولم نجعلهم متمكنين في بلد آمن، حرَّمنا على الناس سفك الدماء فيه، يُجلب إليه ثمرات كل شيء رزقًا مِن لدنا؟ ولكن أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون قَدْر هذه النعم عليهم، فيشكروا مَن أنعم عليهم بها ويطيعوه.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ } محمد٧

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إن تنصروا دين الله بالجهاد في سبيله، والحكم بكتابه، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، ينصركم الله على أعدائكم، ويثبت أقدامكم عند القتال.

إن ما يقوم به الغرب لمناهضة انتشار الإسلام في أوربا وأمريكا يثبت عدم صحة ما روجوه عن الدين الحنيف،* وهو أنه انتشر بالسيف وبالحروب،* فاليوم لا توجد حروب أو فتوح إسلامية،* إلا أن عدد المسلمين في الدول الأوربية يقدر بحوالي *٢٠ مليون مسلم تقريبا،* في زيادة مستمرة أدت إلي اصابة حكومات هذه الدول بالهلع إزاء هذه الزيادة المتنامية مما حدا بهم إلي التفكير في التخلص من المسلمين إما بطردهم خارج أوربا أو بمعني أصح تطفيشهم أو قتلهم وإما تنصير أبنائهم.*

وقد أوصي الكاتب اليهودي الأمريكي دانيال بايبس المعروف بعدائه الشديد للإسلام والمسلمين بهذه الفكرة في الدراسة التي أعدها بعنوان* 'أسلمة أوربا*' حيث حرض بشكل صريح علي طرد المسلمين من دول الغرب بوصفه الخيار الأمثل لمواجهة ما أسماه* 'أسلمة أوربا '*وقال إن تزايد أعداد المسلمين في أوربا يمثل مشكلة محرجة لمستقبل القارة وإن من شأن هذا التزايد أن تكون له

نتائج هائلة علي الإنسانية وخاصة علي الولايات المتحدة التي تربطها بالدول الأوربية روابط اقتصادية حساسة.*
وحسب رأي هذا الكاتب والمحلل المتطرف الذي يرأس معهد يسمي* 'منتدي الشرق الأوسط*' وهو معهد يروج للمصالح الصهيو* - أمريكية فإن مستقبل أوربا يمكن أن يحدده واحد من ثلاثة سيناريوهات هي الحكم الإسلامي أو طرد المسلمين أو التكامل المتناغم وساق بايبس في دراسته آراء محللين يعتقدون أن أوربا قد ينتهي بها المطاف إلي ما أسماه ب'الأسلمة '*وهو ما يعني هنا تحقق السيناريو الأول* (الحكم الإسلامي*) وهو الاحتمال الأقرب إلي التحقق في نظر هؤلاء الذين استشهد بهم الكاتب اليهودي.*
ورأي بايبس في سياق شرح رؤيته لمستقبل أوربا أن هناك ثلاثة عوامل تدفع باتجاه ما أسماه أسلمة أوربا وهي العقيدة والديموغرافيا السكانية والاحساس التاريخي مشيرا إلي تضاؤل عدد المسيحيين في أوربا واستشهد بمدينة لندن التي يبلغ* فيها عدد المسلمين الذين يقبلون علي المساجد يوم الجمعة *٧ أضعاف المسيحيين الذين يقبلون علي كنائسهم يوم الأحد ولذا رأي هذا الكاتب الصهيوني أن طرد المسلمين من أوربا هو الأنسب وفي لغة تحريضية* غير مباشرة استشهد معد الدراسة بأداء كتاب أمريكيين يعتقدون أن مسلمي أوربا سيكونون محظوظين إذا تم طردهم ولم يقتلوا.*
واعترف الكاتب بأن حظر فرنسا للحجاب افضل مثال لاحتمال تنفيذ سيناريو الطرد وأنه من الأمثلة الأخري لهذا السيناريو،* ازدياد قوة الأحزاب اليمينية الأوربية المناهضة للإسلام والمسلمين في القارة الأوربية.*
وتبلورت فكرة طرد المسلمين أو تطفيشهم أو قتلهم في كثير من الدول الأوربية.*
ففي الدنمارك أول من نشر رسومات مسيئة للرسول محمد صلي الله عليه وسلم أقدمت اذاعة دنماركية خاصة يملكها رجل يدعي راديو هولجر علي التحريض علي طرد المسلمين من القارة الأوربية حتي ولو تطلب الأمر ملاحقتهم بالقتل.*
وكان اتحاد المصريين في أوربا قد حذر في وقت سابق من حملة عنصرية شرسة تستهدف المسلمين في جميع انحاء القارة الأوربية،* حيث أرسل اتحاد المصريين خطابات لكل من الاتحاد الأوربي ووزير العدل بالاتحاد عبّر فيه عن انزعاجه الشديد من تلك الحملة العنصرية التي لا تتماشي مع المواثيق الدولية لحقوق الإنسان حيث يتم حرمان المسلمين من حقوقهم في تنصيبهم بالوظائف السياسية والسيادية بالحكومات الأوربية وأرسل اتحاد المصريين نسخا* من أشرطة أنتجها متطرفون بريطانيون يهددون بقطع رقاب المسلمين واقتلاع شأفتهم من أوربا لكل من البرلمان البريطاني ورئاسة الوزراء.*
أما في فرنسا قدمت كانت لجنة برنار ستاسي المكلفة بمراقبة العلمانية بفرنسا في *١١ ديسمبر *٢٠٠٣ تقريرها إلي الرئيس الفرنسي وأوصي التقرير بسن قانون يمنع الحجاب في المدارس مع اعطاء يوم عطلة بمناسبة عيد الأضحي.*
ولكن شيراك أخذ بالشطر الأول من توصية اللجنة ورفض شطرها الثاني ومع تنفيذ الجزء الأول من توصية اللجنة تم طرد *٤٠ طالبة مسلمة من مدارس حكومية فرنسية عام *٢٠٠٤/٢٠٠٥ رفضن خلع حجابهن لدي دخولهن المدرسة وزادت بعدها أشكال العنصرية ضد المسلمين في أغلب المدن الفرنسية،* وبرزت بوضوح المشاعر العدوانية في وسائل الإعلام حيث تعمدت بعض الصحف والقنوات التليفزيونية تقديم صورة الإسلام بشكل يشوبه مغالطات وقد اتضح ذلك بشدة في المناهج الدراسية التي تشتمل علي عنصرية واضحة في مواد التاريخ والجغرافيا والقراءة ففي المرحلة الابتدائية من التعليم الفرنسي تبدأ المناهج التعليمية بتقديم صورة مغلوطة عن انتشار الإسلام في العالم مستخدما السيف وسلاح القوة وتتحدث هذه المناهج عن شخصية نبي الإسلام محمد صلي الله عليه وسلم كرجل دموي عنيف استولي علي عدد من الدول الأوربية بجيوشه المكونة من البربر

والبدو.*
هذا بالإضافة إلي عدم وجود مدارس للمسلمين وإن كان لهم بعض الأماكن التي يؤدون فيها الصلاة فالبعض الآخر مغلق لاتهام بعض أفراد إدارته بانتمائهم لتنظيم القاعدة كما أن أداء الصلوات يتم بمراقبة صارمة من السلطات الفرنسية*. وقد ظهر العداء والتعصب العنصري ضد المسلمين بوضوح من خلال اعتداء بعض المتعصبين الكاثوليك علي المسلمين في أماكن عملهم وتسريح المئات من العمال المسلمين.*
وأكدت اللجنة الاستشارية لدي السلطات الفرنسية في تقريرها الصادر لعام *٢٠٠٥ أن الأعمال العنصرية الموجهة ضد رموز الإسلام بصفة خاصة تضاعفت بنسبة *٢٥٪* خلال الأعوام الأخيرة بدءا من عام *٢٠٠٤.
وقد انشأت فرنسا بوصفها راعية المذهب الكاثوليكي* في أوربا حيث الدولة التي دفعت أوربا للحملات الصليبية علي العالم الإسلامي أبرز جمعيات التنصير في العالم وهي جمعية* 'كوفردي نتردام سالارات*' وهي جمعية ظهرت مع ظهور التجمعات الإسلامية في فرنسا وتم الإعلان عنها عام *١٩٥٧وتهدف إلي تنصير ابناء المسلمين في المدارس ودور الحضانة من خلال تقديم الهدايا والمساعدات الإنسانية باسم يسوع المسيح.*
أما في السويد فيتدخل قانون الدولة الذي يتعارض* غالبا مع مبادئ الشريعة الإسلامية في حياة الأسرة المسلمة حيث تعيش معظم العائلات المسلمة بفضل المساعدة الاجتماعية مما يعطي للمؤسسة الاجتماعية في السويد خاصة والدول الأوربية عامة حق الاشراف علي الأسر ومراقبتها حيث يكون لكل أسرة مسئول أو مسئولة من المؤسسة الاجتماعية تتابع تفاصيل الأسرة لإخضاعها للقوانين والقواعد السارية في هذه الدول،* وقد وصل تدخل هذه المؤسسات الاجتماعية في مصائر الأسرة إلي درجة أقرت بعدم صلاحية الأبوين في تربية الأبناء وبالتالي يتم مصادرة الأبناء وتوزيعهم علي عائلات سويدية أو دنماركية تقوم بتبني الأطفال وباستبدال اسمائهم وبالتالي تنصيرهم.*
وتبدأ هذه الكارثة عند وقوع خلاف بين الرجل المسلم وزوجته تتدخل فيه المؤسسة الاجتماعية عندما يتم ابلاغها عن طرق الجيران أو أحد الزوجين وعندما تدعي الزوجة أن زوجها حاول ضربها وهو الأمر المحظور قانونا حيث يتعرض ضارب زوجته للسجن من عامين إلي خمسة أعوام وعندها يدعي الزوج ايضا دفاعا عن نفسه أن الزوجة هي التي حاولت ضربه وهنا تحكم المؤسسة الاجتماعية بأن الزوج والزوجة* غير صالحين لتربية الاطفال فتصدر قرارا بأخذ الأطفال ومنحهم لأسر سويدية أو دنماركية تقيم بمحافظات بعيدة،* وبسرعة البرق تلجأ ا لأسر الغربية الجديدة إلي تغيير أسماء الأطفال فيصبح محمد اندرسون وإيمان اغنيستا وتتم هذه العملية في خمس دقائق لدي مصلحة الضرائب وهذا معمول به في كل من السويد والنرويج والدنمارك وفنلندا.*
ففي السويد ادعت زوجة عراقية أن زوجها ضربها وشكته للمؤسسة الاجتماعية وفي المقابل اتهمها زوجها بنفس التهم فصدر قرار بمصادرة ابنتهما الرضيعة التي منحت لعائلة سويدية ولا يعرفان مصيرها ولا عنوانها أو اسمها الجديد.*
*وحدث نفس الشيء لأسرة كردية تم ابلاغ* المؤسسة الاجتماعية عن طريق أحد الجيران أن الأب في خصام دائم مع زوجته فتدخلت المؤسسة وصادرت الأبناء الأربعة بحجة أن الوالدين* غير صالحين لتربية أبنائهما،* وقامت هذه المؤسسة التنصيرية بتوزيع الأبناء الأربعة علي الأسر السويدية وكان أحد أفراد هذه الأسرة بنتا* محجبة تدرس في مدرسة اسلامية في السويد فقامت العائلة السويدية الجديدة باخراج البنت من هذه المدرسة وجردوها من حجابها وجلبوا لها عاشقا.*
وقد أكدت شبكة C.B.N الاخبارية في تقرير أعدته عن تصاعد عدد المسلمين في أوربا إنه يوجد اكثر من *١٥ مليون عربي ومسلم يعيشون في أوربا حيث تحتاج هذه القارة إلي مواليد جدد ومهاجرين بسبب نقص نسبة المواليد ويضيف التقرير أن أوربا لا تريد هؤلاء المهاجرين لأنها

تخشي تصاعد الإسلام.*
وأشار التقرير إلي أن درجة الحرارة السياسية تتصاعد في أوربا حيث يشعر العرب والمسلمون بالغربة حتي قبل أن تحظر فرنسا ارتداء الحجاب في المدارس حيث صوت البرلمان الهولندي علي طرد *٦٢ الف مسلم معظمهم من العالم الثالث واكدت الشبكة الاخبارية أن التيار المناهض للهجرة ينتشر في انحاء القارة الأوربية،* ففي فرنسا والدنمارك يوجد حزب الشعب والنرويج حزب التقدم ونقلت الشبكة عن قائد كتلة الفلامنكيون في بلجيكا فرانك فانهيك قوله إنه قلق من تصاعد ما وصفه بالثقافة الإسلامية الراديكالية.*
وأضاف قائلا*: هؤلاء نوع من الناس الذين نتعامل معهم لا يأتون إلينا ليحيوا حياة جديدة ولا يكونوا ممنوين لبلدنا،* نحن نتحدث عن أناس جاءوا إلينا كحكام الذين يريدون أن يصبحوا أسيادا* في بلدنا وأنا شخصيا أعتقد أن هذا جزء من الإسلام

*/*/*/*/*/*/*/*/*/*

## كاتبة دنماركية: أزمة الرسوم المسيئة دفعتني للتعرف إلى الإسلام ونبيه.

دفعت أزمة الرسوم المسيئة وردود الفعل الغاضبة تجاهها بين المسلمين في العالم كاتبة دنماركية إلى التعرف إلى الإسلام ونبيه والدخول في الدين الإسلامي الحنيف والقيام بالحج إلى بيت الله الحرام ودونت هذه التجربة الفريدة في كتاب نشرته مؤخرا.

ووفقا لصحيفة "الوطن" الصادرة اليوم فإن الكاتبة الدنماركية وتدعى (نينا) سمعت عن الإسلام في أعقاب نشر الرسوم الكاريكاتيرية في الدنمارك وسخريتها من شخصية الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم)، ودفعها ذلك للتعرف إلى الإسلام، محاولة فهم دوافع غضب المسلمين في مختلف أنحاء العالم وهبتهم دفاعاً عن نبيهم عليه السلام، ليقودها ذلك في النهاية إلى النطق بالشهادتين، ودخول الإسلام، وإضافة اسم إلى اسمها وهو (عائشة) تيمناً بأم المؤمنين السيدة (عائشة) رضي الله عنها وأرضاها.

وقالت الكاتبة الدنماركية إنها حزمت حقائبها راحلة إلى مكة شوقاً وحباً للمكان وتلبية لدعوة ربها ولترى بأم عينها مكة أم القرى، المدينة التي ولد فيها الرسول الكريم عليه السلام والتي عاش فيها غالبية عمره يدعو الناس للإسلام والإيمان بالله وحده، وخرج منها مهاجراً تاركاً أحبابه وأهليه وبيته وعشيرته.

وتقول الكاتبة (نينا/عائشة): إنها شعرت بفرحة لن تنساها ما حييت عندما وطئت قدماها لأول مرة مطار جدة متجهة إلى مكة، ورأت الناس يلبسون لباساً واحداً وألوانهم شتى، والكل فرح ويبتسم ويسلم ويسرع الخطوات للحاق بركب القوافل التي ستقل الناس إلى مكة المكرمة.

وأضافت: في الطريق كنت أرقب كل شيء وأتحسس ما أرى من مناظر خلابة صحراوية تكاد تخلو من كل شيء وجبال صماء وكأنها ترقب كل الداخلين إلى مكة، وبدا لي أن الوقت يمر ببطء شديد لتلهفي وشوقي لرؤية الكعبة والسجود لأول مرة في فنائها لله تعالى، حباً وخوفاً ويقيناً، وما إن قال السائق إننا شارفنا الدخول إلى مكة حتى انفرط قلبي شوقاً وعيني بدأت تنهمر دموعاً وأغرقت ثيابي ولم أتماسك للحظات حتى إن أختاً لنا أمسكت بي قائلة :تماسكي فأنت في بيت الرحمن.

وتقول الكاتبة: رغم معاناتي الشديدة في الحج وعدم معرفتي الكاملة بالإسلام إلا أنني تغلبت عليها ولم أشعر بمشقته لعلمي الآن أنني فعلاً مسلمة مؤمنة أؤدي فريضة كبيرة منذ دخولي في الإسلام وأنني قد اغتسلت من الدنس القديم وبدأت حياة جديدة

ووفقا لصحيفة "الوطن" التي أوردت التقرير فإن الكاتبة الدنماركية (نينا/عائشة) التي دونت تجربتها الإيمانية في كتاب أرادت أن تكتب عن رحلتها لكي يقرأها الدنماركيون، أملا في أن يشرح الله صدورهم للإيمان، وبيع الكتاب بشكل جيد في الدنمارك وما زال يطلب في ظل الأوضاع الراهنة التي تعيشها البلاد على خلفية نشر الرسوم المسيئة مرة ثانية.

/*/*/*/*/*/*/*/*/*/*/*/*/*/*/*

## توصيات هامة للأمين العام للبرنامج العالمي للتعريف بنبي الرحمة صلى الله عليه وسلم :

إن إعادة الصحف الدنمركية نشر الرسوم المسيئة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أمر مرفوض ومستنكر ومستهجن، ولا يمكن السكوت عليه أو قبوله، لأنه إساءة إلى سيد الخلق صلى الله عليه وسلم.

وطالب الدكتور عادل الشدي بردود فعل عاقلة ومتزنة وهادئة ولكنها في نفس الوقت حاسمة وعاجلة للرد على هذه الإساءات، ورفض د. الشدي ردود الفعل الجامحة وغير المدروسة، والمخالفة للضوابط الشرعية لأنها تسيء إلى صورة المسلمين أكثر مما تنفع، وتعطي للمسيء الفرصة لتبرير إساءته غير المقبولة.
وقال الدكتور الشدي: إن الذين يتشدقون بحرية الرأي وأنها بلا حدود كيف يرفضون أي حديث عن محرقة اليهود في أفران النازية، بل يقدمون بعض كبار المفكرين والمؤرخين الأوروبيين للمحاكمة لمجرد أنهم شككوا في أعداد اليهود الذين حرقوا في أفران النازية.
وقال الدكتور عادل بن علي الشدي إن المتابع لما يحدث في الساحة العالمية اليوم يلحظ أن هناك حملات إعلامية مكثفة ضد الإسلام والمسلمين، ومحاولات متواصلة للإساءة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، إن هذا فيه اختبار لمشاعر المسلمين.

وأضاف الدكتور الشدي أن الهبة الإسلامية التي حدثت عندما نشرت الصحيفة الدانمركية قبل عامين هذه الرسوم المسيئة، أوصلت رسالة للغرب، حول أي إساءة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن هذه الهبة العفوية التي شاركت فيها دول وحكومات ومنظمات وشباب وشيوخ ورجال ونساء، أظهرت الموقف الإسلامي الواضح من هذه الرسوم، وقد نظمت فعاليات في شتى أنحاء العالم للاحتجاج على هذه الرسوم، وكان المأمول أن تصل الرسالة الإسلامية إلى من يقفون وراء الإساءة للرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن الواضح أن هناك من يرد تأجيج الصراع مع المسلمين، وافتعال الأزمات، وهذا ما يقوم به اليمين المتطرف في الدول الغربية، الذي يحاول بين فينه وأخرى تأجيج مشاعر الكراهية ضد المسلمين.

ورفض الدكتور عادل الشدي الربط بين إلقاء القبض على ثلاثة من الشباب المسلمين في الدنمرك بزعم تدبير محاولة لاغتيال صاحب هذه الرسوم وبين إعادة جميع الصحف الدانمركية نشر الرسوم المسيئة تضامناً مع الرسام ومع الجريدة التي نشرت الإساءات قبل عامين، وقال د. الشدي: إن هذا أمر غير مقبول، ولا يمكن تبريره، فإذا كان هناك مخطط مزعوم تم اكتشافه فان من تورطوا في هذا العمل يحالون للمحاكمة وتطبق عليهم القوانين الدانمركية، والسؤال: ما ذنب المليار وثلاثمائة مليون مسلم يعيشون في العالم بهذه القضية، وهل يعني اتهام مسلم بشيء أن نسيء لمقدسات المسلمين جميعاً؟! إن هناك العديد من الغربيين الذين يتورطون في قضايا مماثلة فهل يسيء المسلمون للغرب؟! الإجابة واضحة ومحددة ولا يمكن قبول هذه الأفعال المسيئة، ولا نقبل من أي شخص يسيء إلى رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم.
وطالب الدكتور عادل الشدي كل مسلم أن يظهر نصرته لرسوله صلى الله عليه وسلم، وأن يكون ذلك بفعل ايجابي للتعريف بسيرة رسولنا صلى الله عليه وسلم وأخلاقه وشمائله، فالمشاركة في نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم تكون بالاقتداء به والتخلق بأخلاقه والاهتداء بسنته وتكون بالفعل الرشيد والمدروس، والسلوك الإسلامي الحضاري،ورد الفعل المتزن، إن لدينا الآن قنوات وبرامج

ومشروعات لنصرة نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم، وجهات مختصة تقوم على هذه البرامج، فلابد من دعمها ومساندة القائمين عليها.

وتساءل الدكتور الشدي: نحن نعلم أن الله تعالى قد تكفل بنصرة نبيه وأنه قد كفاه المستهزئين ولكن هل نكون ممن يساهمون في شرف نصرة رسولنا صلى الله عليه وسلم؟ أم ماذا؟! إنني أتعجب.. هل لو تعرض أحد لآبائنا أو إخواننا أو دولنا أو لإعلام بلادنا هل نصمت ونسكت؟!

(ويا حسرتاه على حاكم عربى مسلم تسوّد تاريخ حكمه بمسبة الحبيب وما إتخذ موقف يسجله له التاريخ إلى أن يلقى ربه .
عار على حاكم مسلم ما عمل بوصية رسول الله إلى عمر بإخراج المشركين من جزيرة العرب جزيرة محمد ودين محمد جزيرة التوحيد
بل أتى حاكم جن فى عقله بقيصر الروم ليرقص بالسيف فى أرض محمد، بل وحول وزرائه إلى طبالين وزمارين
أسترنا يا رب، أسترنا يا منان )

يا حكامنا إنتبهوا
هل شخوصكم أعز عندنا من شخص وعرض رسول الله ؟
هل أنتم مُحبون لشخص رسول الله كحبكم لشخوص أبآءكم ؟
هل الشيخ خالد الراشد حفظه الله تعالى ، أقل حرية من بقر الدنمارك ؟ الذى رتع ودهس جسد شعبه حتى مزاعم الحرية ، فلينتظروا حصاد محصول الحرية الزائفة .
حكامنا لا كرامة لكم عندنا إلا بما وصانا به رسول الله مبلغاً عن ربه جل وعلا : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً } النساء٥٩
يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، استجيبوا لأوامر الله تعالى ولا تعصوه، واستجيبوا للرسول صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من الحق، وأطيعوا ولاة أمركم في غير معصية الله، فإن اختلفتم في شيء بينكم، فأرجعوا الحكم فيه إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، إن كنتم تؤمنون حق الإيمان بالله تعالى وبيوم الحساب. ذلك الردُّ إلى الكتاب والسنة خير لكم من التنازع والقول بالرأي، وأحسن عاقبة ومآلا.
يا أولى الأمر أين أنتم قبل أن ينفلت ضابط الأمر بتخاذلكم ؟
الإجابة معروفة سلفا، لا أحد يسكت عن هذه الإساءات، كما إننا جميعاً لا نسكت عن الإساءة لرسولنا صلى الله عليه وسلم، فلا بد أن يكون لنا دورنا ومواقفنا وردود أفعالنا المدروسة والمتزنة، والمنضبطة بضوابط الشرع، حتى لا ينجر المسلم لمواقف تحسب عليه وعلى دينه.
ورفض الدكتور الشدي التبرير بالقول حرية الرأي وحرية الصحافة وأن هذا معمول به في الغرب وقال: هل حرية التعبير في الغرب بلا حدود؟، لقد تقابلنا مع مسؤولين غربيين في جولاتنا بالدول الأوربية، وعرضنا عليهم الأمر، وناقشنا معهم مسألة التطاول على المقدسات، وقلنا لهم: أنكم تجرمون بالقوانين من يحاول التشكيك في محرقة اليهود في أفران النازية، بل وتقدمون للمحاكمة مفكرين غربيين كبار غير مسلمين حاولوا البحث والدراسة حول أعداد اليهود الذين تم إحراقهم في أفران النازية، بالرغم أن هذه جرائم إنسانية وليست مقدسات دينية.
وقال الدكتور الشدي: إننا سافرنا إلى الدانمرك وتجولنا في الشوارع والتقينا بطوائف من أبناء الشعب الدنمركي وتأكدنا أن الموقف المسيء لرسولنا الكريم من اليمين المتطرف الذي يريد تأجيج الصراع،

أما الشعب الدنمركي فهو شعب مسالم، ولا يقبل هذه الإساءات وإن كان بأمس الحاجة إلى من يعرفه بحقيقة شخصية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته حاله في ذلك حال تعظيم الشعوب العربية.
وأضاف الدكتور الشدي: إننا طلبنا بوضوح تحديد موقف الحكومة الدانمركية من إعادة نشر جميع الصحف هناك للرسوم المسيئة، لان هذا أمر غير مقبول، وعندما نطلب هذا الموقف من الحكومة فإننا لا نطلب منها أن تمارس القيود على الصحافة.

وأبدى الدكتور الشدي قلقه من تطورات الأوضاع في الدنمارك في أعقاب الحرائق التي اندلعت فى بعض المناطق بعد إعادة نشر الرسوم المسيئة وما تبعها من اعتقالات، وقال: إن العقلاء لابد أن يتدخلوا فوراً للتأكيد على النفس وتفويت الفرصة على من يسعدهم إذا كان الصراع بين المسلمين وغيرهم مؤكداً على إن ردودنا لابد أن تكون متزنة وفاعلة وتؤدي إلى نتيجة وتنصر رسولنا صلى الله عليه وسلم وقال الأمين العام للبرنامج العالمي للتعريف بنبي الرحمة: إن منن الله علينا وعلى ديننا كثيرة، فبعد نشر هذه الرسوم المسيئة الإجرامية، كانت منة الله أكبر فقد اقبل الدانمركيون على التعرف على رسول الله الذي هبت جموع المسلمين للدفاع عنه، وزاد عدد المسلمين في الدانمرك إلى ثلاثة أضعاف، وهذا لا يعني أننا نقبل هذه الرسوم المسيئة الإجرامية ولكن نقول إن دورنا لابد أن يكون بالتعريف بنبي الرحمة لمن يجهلونه ومن لديهم صورة مشوهة من أعلام معادي للإسلام والمسلمين.
وطالب الدكتور الشدي بأن يكون لدى المسلمين مراكز دراسات مستقبلية وإستراتيجية تحلل المواقف والقضايا، وتضع الخطط البعيدة المدى للتعريف بالإسلام ورسولنا الكريم.
وقال: لا نريد أفعالاً ومواقف مؤقتة وعفوية ومجرد استنكارات تنتهي مع الحدث، ولكن نريد تنفيذ برامج ومشروعات وفق رؤى وخطط علمية مدروسة، وهذا ما حاولنا القيام به في البرنامج العالمي للتعريف بنبي الرحمة، فعندما حدثت الرسوم المسيئة حدثت ردود فعل عارمة، ورأينا أن نؤسس هذا البرنامج الذي انطلق قبل عامين، وتحتضنه رابطة العالم الإسلامي، وبدأنا العمل المخطط والمدروس، وشكل البرنامج ثمانية لجان مختلفة للتعريف بنبي الرحمة تخصصت في مجالات البرامج الإعلامية والمعارض وتقنية المعلومات والدورات والندوات والوفود والكتب والترجمات والبحوث والمسابقات، وأصدرنا الكتب التي تعرف برسولنا الكريم مترجمة إلى سبع لغات ونفذنا البرامج والدورات التي تعرف بكيفية نصرة النبي صلى الله عليه وسلم، وأقمنا هذه البرامج لرؤساء الجمعيات والمراكز الإسلامية في أوروبا وأفريقيا وآسيا، ونظمنا المعارض في عدد من دول العالم، وقمنا بجولات في أوروبا وآسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية، وشاركنا في حوارات مع مفكرين وساسة ومثقفين من شتى أنحاء العالم، ولأول مرة يخصص في مجلس اللوردات البريطاني جلسة للتعريف بنبي الرحمة صلى الله عليه وسلم كان لها صداها على جميع المستويات، واستقبلنا وفوداً من أنحاء مختلفة من العالم، وابتكرنا وسائل ودورات جديدة للتعريف بالرسول الكريم منها: المسجل الرقمي لأبناء المسلمين الناطقين بالإنجليزية، وهو جهاز بحجم الكف، يحتوي على مضامين تعرف النشء المسلم برسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، وكذلك هدية زوار المسجد النبوي وهي مجموعة كتب بسبع لغات يتم توزيعها على المسلمين الذين يزورون مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأطلقنا الجوال الدعوي الذي يعرف برسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو جوال دعوي وفي الوقت نفسه يخصص دخله لدعم مشروعات التعريف بنبي الرحمة، وأقمنا أول مسابقة عالمية للتعريف برسولنا الكريم قدم فيها ٤٣٠ بحثاً، وسجلنا العديد من الحلقات الإذاعية والتلفزيونية ونفذنا ما يزيد عن ٤٥ مشروعاً، ولدينا خطة إستراتيجية للتعريف بسيد الخلق صلى الله عليه وسلم ننفذها خلال الثلاث سنوات القادمة.

ويحظى البرنامج بدعم من كبار المسئولين ومن سماحة مفتي عام الملكة الذي طالب بأن يتحول البرنامج إلى هيئة عالمية للتعريف بنبي الرحمة صلى الله عليه وسلم، وكذلك دعم الدكتور عبد الله التركي أمين عام رابطة العالم الإسلامي وتزكية مجموعة أصحاب الفضيلة العلماء والمشايخ والدعاة، ومساندة ودعم جملة من رجال الأعمال والمحسنين وكافة فئات المجتمع.
وأضاف د.الشدي: إن لدينا عشرات المشروعات الدعوية لنصرة النبي والتعريف بخاتم الخلق صلى الله عليه وسلم وهي في حاجة إلى المال الداعم، ولدينا عشرات من المفكرين والأكاديميين والإعلاميين والدعاة المتطوعين لنصرة النبي صلى الله عليه وسلم، ونأمل تواصل الجميع معنا.
وطالب د. الشدي بدعم البرنامج والتكاتف بين جميع العاملين في حقل نصرة النبي صلى الله عليه وسلم للدفاع عن نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم مجدداً شكره وتقديره للجنة العليا لنصرة خاتم الأنبياء على تعاونها وتنسيقها مع البرنامج العالمي في مجالات محددة متمنياً أن يمتد هذا التعاون والتنسيق ليشمل بقية الجهات العاملة في هذا المجال.

*/*/*/*/*/*/*/*/*/*/*/*/*/*/*/*/*

يقول الداعية الأستاذ / شائع محمد الغبيشي حفظه الله تعالى

الجريمة النكراء تساؤلات و دلالات

ها هي المأساة تكرر و الجريمة النكراء تعاد و مسلسل الاعتداء يتواصل أضعاف أضعاف فيا لله ما أعظم الحدث و ما أشده على قلوب المؤمنين ُجنّت عقول فكرة في تلك الجريمة و شُلّت يدٌ خطت . إن العقل يحار و إن الفكر يصيبه العي لماذا كل هذا العداء ؟ لماذا الكيد و البغضاء ؟ لعل الأخبار إخوتي الكرام قد نقلت إليكم أحداث تلك الجريمة فها هي دولة الدنمرك الصليبية تعاود الاعتداء على سيد البشر محمد بن عبدالله فداه أبي و أمي وليس في صحيفة واحدة بل قامت ١٧ صحيفة دنمركية بإعادة نشر الصور المسيئة إلى نبي الرحمة ؟ والسؤال أو يستحق محمد صلى الله عليه و سلم الذي أرسله الله رحمة للعالمين كل هذا العداء (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ) ألم يكن صلى الله عليه و سلم هو الشمس التي بزغت فأنارت العالم كله ألم يكن السراج المنير الذي امتن الله به علينا فأنار القلوب بعد ظلمتها و أحياها بعد مواتها و هداها بعد ضلالتها و أسعدها بعد شِقوتها فكان صلى الله عليه و سلم الصباح بعد ليل طويل مظلم بهيم :

بزغ الصباح بنور وجهك بعدما *** غشت البرية ظلمة سوداء
فتفتقت بالنور أركان الدجى *** و سعى على الكون الفسيح ضياء
و مضى السلام على البسيطة صافياً *** تروى به الفيحاء و الجرداء
حتى صفت للكون أعظم شرعة *** فاضت بجود سخائها الأنحاء
يا سيد الثقلين يا نبع الهدى *** يا خير من سعدت به الأرجاء

يا الله الشجر و الحجر يقدر النبي صلى الله عليه و سلم قدره و بعض البشر يتفنن في الإساءة إليه حتى قال الراهب النصراني : ( هذا سيد العالمين بعثه الله رحمة للعالمين . فقال له أشياخ من قريش ما علمك ؟ فقال : إنكم حيث أشرفتم منم العقبة لم يبق شجر و لا حجر إلا خر ساجدا و لا يسجدون إلا لنبي...الحديث

أكرم بَخَلق نبي زانه خُلُق *** بالحق مشتملٍ بالبشر مُتّسم
كالزهر في ترفٍ والبدر في شرفٍ *** والبحر في كرم والدهر في هِمَم
جاءت لدعوته الأشجار ساجدة *** تمشي إليه على ساقٍ بلا قدم

يارب أزكى صلاةٍ منك دائمة *** على النبي بمنهَلٍّ ومنسجم
ما رنّحت عذبات البان ريح صبا *** وأطربت نغمات الآي من أمم

إن هذا الحدث يوقفنا على عدة تساؤلات :

أولاً : لماذا كل هذا العداء ؟

إن الجواب واضح جلي بينه القرآن و جلته أحداث التاريخ على مر العصور فاليهود و النصارى يكنون العداء للإسلام و رسول الإسلام و هذا الوصف ملازم لهم ما دمنا متمسكين بديننا يقول الله تعالى : (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ) و قال تعالى : (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ) و يزيد من حسدهم و بغضهم ما يرونه اليوم من الإقبال على الإسلام و انجفال الناس إليه رغم كل التشويه و العداء و المكر و الحصار و الحرب العسكرية و الإعلامية إلا أن الداخلين في الإسلام في تزايد مذهل و إقبال يورع العالم الغربي كله .

يقول رئيس اتحاد المنظمات الإسلامية الأوروبية الأستاذ/ شكيب بن مخلوف المقيم في السويد :
سبحان الله ـ والله، تجد الإسلام قويا بذاته، نحن نلهث وراءه، هو يسبقنا ونحن نجري وراءه على سبيل المثال، سمعنا أحد القساوسة من أهل البلد يقول: نحن نذهب إلى إفريقيا لتنصير الناس، وفي المقابل نترك أفرادنا وشعوبنا تدخل في الإسلام، هو يشعر بذلك. انظر كم من شخص يدخل في الإسلام، وكم شخص يغادره؟! النسبة كبيرة والخارجون من الإسلام يكادون لا يذكرون.

و يقول : وأنا بحكم وجودي في أوروبا دائما عندما أسافر، وأعود أجد شباباً يؤوبون إلى الدين والمسجد، فمسجدنا على سبيل المثال يتسع لـ١٢٠٠ مصلٍ، يمتلئ في صلاة التراويح بالشباب كل ليلة.. وهم (القساوسة والنصارى) عندما يأتون في زيارات لمساجدنا يقولون "أنتم عندكم مستقبل"، أما نحن فلم نكن نفكر في هذه الملاحظة سابقًا، يقولون: " نرى شبابكم، ننظر إلى المسجد، نحصي أهل الشيب فنجدهم أقلية" في حين أنك حين تزور كنائسهم تجد معظمهم ممن شارفوا على الموت من أهل الشيب، ولذلك فدينهم طريقه إلى زوال إذا ما بقوا على ما هم عليه، لأنهم ليس عندهم ثوابت، نحن قوتنا في ثوابتنا .

و يقول في جواب على سؤال عودة لمسألة انتشار الإسلام في أوروبا، بحكم خبرتكم، هل تلحظون فارقًا بين الخمس سنوات الماضية وما قبلها في معدل انتشار الإسلام بعد ١١ سبتمبر تزايدت أعداد الداخلين في الإسلام بشكل رهيب كبير، في إيطاليا طبعوا ترجمة معاني القرآن الكريم في إيطاليا لمدة ١٠ سنوات وكانت تباع ولكن ما نفذت خلال تلك السنوات، أما بعد ١١ سبتمبر فقد بيع خلال سنة أكثر مما بيع خلال الـ ١٠ سنوات الماضية لماذا؟ لأن الناس بعد ١١ سبتمبر وبعد أحداث مدريد وبعد أحداث لندن وبعد الرسومات هذه، وكما يقول الله تعالى: "عسى أن تكرهوا شيئا يجعل الله فيه خيرا كثيرا"، نحن لا نوافق على هذه التفجيرات، لكن الله سبحانه وتعالى يدبر، اللهم دبر لنا فإننا لا نحسن التدبير؛ فالآن عدد المسلمين بعد ١١ سبتمبر أكثر مما كان عليه، نحن نلمس ذلك، للحد الذي نراه أحيانا فوق طاقتنا؛ ففي رمضان كل يوم يدخل الناس في الإسلام ، حتى عمد أحدهم في جامعة ستوكهولم إلى إعداد رسالة دكتوراة عن دور المسجد في إدخال الناس في الإسلام إذ أصبحت ظاهرة.. ونحن نقوم بالبلاغ والله يتولى الناس.. وقد لاحظنا الآن أن متوسط سن رواد المسجد قد صار الآن ١٥ ـ ٢٢ بعد أن كان المتوسط ٤٠ عاماً.

وصدق الله (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ) أعلن المعهد المركزي للسجلات الخاصة بالإسلام في ألمانيا أن عدد الذين اعتنقوا الإسلام في ألمانيا ارتفع بشكل لا سابق له في عام ٢٠٠٦ ليبلغ أربعة آلاف شخص مقابل ألف في عام ٢٠٠٥ م قالت صحيفة لاكسبرس الفرنسية : على الرغم من كافة الإجراءات التي اتخذتها الحكومة الفرنسية مؤخرا ضد الحجاب الإسلامي و ضد كل رمز ديني في البلاد أشارت الأرقام الرسمية الفرنسية إلى أن أعداد الفرنسيين الذين يدخلون في دين الله بلغت عشرات الآلاف مؤخرا و هو ما يعادل إسلام عشرة أشخاص يوميا من ذوي الأصول الفرنسية و وصدق الله (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ) تقول مجلة لودينا الفرنسية بعد دراسة قام بها متخصصون في فرنسا قالوا : إن مستقبل نظام العالم سيكون دينيا و سيعود النظام الإسلامي على الرغم من ضعفه الحالي لأنه الدين الوحيد الذي يمتلك قوة شمولية هائلة .

لقد أدرك الغرب الكافر التحدي القادم بقوة فطاش عقله و أختل صوابه فهو يحاول أن يحول بين الناس و بين الدخول في الإسلام فعمد إلى تشويه الإسلام مرة و وصمه بالإرهاب و الدموية و الظلم و القهر مرة و من خلال تحريف القرآن و الإساءة إليه مرة و من خلال الإساءة إلى نبي الرحمة عليه الصلاة و السلام و العجيب أنه كلما زادة جذوة الاعتداء و الإساءة على الإسلام و نبي الإسلام كلما أقبل الناس عليه و صدق الله : (يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ) .

ثانياً : لعل هذا الحدث يجدد سؤلنا لأنفسنا ما مقدار حبنا لرسول الله صلى الله عليه و سلم و هل هو حقيقة أم دعوى تعال معي أخي المحب الصادق نتجول في رحاب سير السلف الصالح اقتطف منها أقل القليل .

روى الطبراني عن عائشة رضي الله عنها قالت : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه و سلم فقال يا رسول الله إنك لأحب إلي من نفسي و إنك لأحب إلي من ولدي و إني لأكون في البيت فإذكرك فما اصبر حتى أتي فأنظر إليك و إذا ذكرت موتي و موتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين و أني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه و سلم شيئاً حتى نزل جبريل عليه السلم بهذه الآية : ( وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً) (النساء:٦٩) قال الهيثمي رجاله رجال الصحيح إلا عبد الله بن عمران و هو ثقة .

كان أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه يحمي رسول الله صلى الله عليه و سلم في غزوة أحد و يرمي بين يديه ، و يقول ( بأبي أنت و أمي يا رسول الله لا تشرف يصيبك سهم من سهام القوم نحري دون نحرك ) رواه البخاري و عن قيس بن أبي حازم قال : ( رأيت يد طلحة شلاء ، وقى بها النبي صلى الله عليه و سلم يوم أحد ) رواه البخاري.

روى ابن اسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل صفوف أصحابه يوم بدر وفي يده قدح يعدل به القوم فمر بسواد بن غزية حليف بني علي ابن النجار وهو مستنتل من الصف فطعن في بطنه بالقدح وقال استو يا سواد فقال يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فاقدني فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه فقال استقد قال فاعتنقه فقبل بطنه فقال ما حملك على هذا يا سواد قال يا رسول الله حضر ما ترى فاردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير ] رواه ابن اسحاق و قال الهيثمي في المجمع رواه الطبراني و رجاله ثقات .

قال المثنى بن سعد : سمعت أنساً يقول : [ ما من ليلة إلا و أنا أرى فيها حبيبي ، ثم يبكي ] أخرجه

ابن سعد و قال الأرنؤوط : رجاله ثقات .
و عن عبدة بنت خالد بن معدان قالت : [ ما كان خالد يأوي إلى فراش إلا و هو يذكر من شوقه إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و إلى أصحابه من المهاجرين و الأنصار يسميهم و يقول : هم أصلي و فصلي و إليهم يحن قلبي طال شوقي إليهم فعجل ربي قبضي إليك حتى يغلبه النوم ]
وقال إسحاق التجيبي : [ كان أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم بعده لا يذكرونه إلا خشعوا و اقشعرت جلودهم و بكوا ] فهل تحن قلوبنا لرسول الله صلى الله عليه و سلم ؟

فمالي لا يحن إليك قلبي **** و حلمي أن أقبل مقلتيك
و أن ألقاك في يوم المعاد **** و ينعم ناظري من وجنتيك
فداك قرابتي و جميع مالي **** و أبذل مهجتي دوماً فداك
تدوم سعادتي و نعيم روحي **** إذا بذلت حياتي في رضاك
حبيب القلب عذر لا تلمني **** فحبي لا يحلق في سماك
ذنوبي أقعدتني عن علو **** و أطمح أن أقرب من علاك
لعل محبتي تسمو بروحي **** فتجبر ما تصدع من هواك

ثالثاً : ما الواجب علينا تجاه هذا الاعتداء ؟

إن الواجب علينا أن نهب لنصرة النبي صلى الله عليه و سلم و الدفاع عنه قال تعالى : (إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ) التوبة٤٠ قال الإمام البغوي : [هذا إعلام من الله عز وجل أنه المتكفل بنصر رسوله وإعزاز دينه أعانوه أو لم يعينوه وأنه قد نصره عند قلة الأولياء وكثرة الأعداء ... قال الشعبي : عاتب الله عز وجل أهل الأرض جميعا في هذه الآية غير أبي بكر الصديق رضي الله عنه ]
و قد ضرب الصحابة رضي الله عنهم صغاراً و كبار ذكوراً و إناثاً أروع الأمثلة في نصرة النبي صلى الله عليه و سلم و الدفاع عنه و اكتفي بذكر نموذجين لذلك الجيل المبارك فعن عبد الرحمن بن عوف قال : ( بينا أنا واقف في الصف يوم بدر فنظرت عن يميني وعن شمالي فإذا أنا بغلامين من الأنصار حديثة أسنانهما تمنيت أن أكون بين أضلع منهما فغمزني أحدهما فقال : يا عم هل تعرف أبا جهل ؟ قلت نعم ما حاجتك إليه يا ابن أخي ؟ قال أخبرت أنه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا فتعجبت لذلك فغمزني الأخر فقال لي مثلها فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس قلت ألا إن هذا صاحبكما الذي سألتماني فابتدراه بسيفهما فضرباه حتى قتلاه ثم انصرفا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه فقال (( أيكما قتله) ) . قال كل واحد منهما أنا قتلته فقال (( هل مسحتما سيفيكما )) . قالا لا فنظر في السيفين فقال (( كلاكما قتله سلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح )) . وكانا معاذ بن عفراء ومعاذ بن عمرو بن الجموح) رواه البخاري و مسلم.
و عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي صلى الله عليه وسلم وتقع فيه فينهاها فلا تنتهي ويزجرها فلا تنزجر قال فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم وتشتمه فأخذ المغول (وهو السكين ) فوضعه في بطنها واتكأ عليها فقتلها فوقع بين رجليها طفل فلطخت ما هناك بالدم فلما أصبح ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فجمع الناس فقال " أنشد الله رجلا فعل ما فعل لي عليه حق إلا قام " قال فقام الأعمى يتخطى الناس وهو يتزلزل حتى قعد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أنا صاحبها كانت تشتمك وتقع فيك فأنهاها فلا تنتهي وأزجرها فلا تنزجر ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين وكانت بي رفيقة فلما كان البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك فأخذت المغول فوضعته في بطنها واتكأت عليها حتى قتلتها فقال النبي صلى الله عليه وسلم

( ألا اشهدوا أن دمها هدر) رواه أبو داود و صححه الألباني حق لنا إخوتي الكرام أن نبادر إلى نصرة رسولنا صلى الله عليه و سلم و إليكم بعض صور النصرة :

١/ التعريف بسيرة النبي صلى الله عليه و سلم و التبشير بها من أعظم وسائل النصرة و ذلك من خلال التالي :

أ) الدروس الأسبوعية في السيرة والهدي النبوي في : ( المساجد ـ المدارس ـ المنتديات ـ الاجتماعات العائلية ـ الدوائر الحكومية ...).

ب) سلسلة خطب شهرية في التعريف بسيرة النبي صلى الله عليه و سلم تستمر هذه السلسلة سنوياً .

ج) إقامة مسابقات في السيرة و الهدي في المساجد و المدارس و الاجتماعات العائلية و يقترح بعض الكتب ( مختصر الشمائل للألباني ـ الهدي النبوي (٣٠ ) موضع للقدوة )

د) رسالة أسبوعية مختصرة تجلي بعض جوانب القدوة في حياة النبي صلى الله عليه و سلم بعنوان ( الهدي النبوي ) توزع في المداس و الجوامع و الدوائر الحكومية .

هـ ) رسائل عن طريق الجوال و البريد الإلكتروني تعرف بالهدي النبوي .

و ) تفعيل المواقع التي تعرف بالهدي النبوي و التعريف بها .

إن العالم اليوم شرقه و غربه في أمس الحاجة إلى معرفة سيرة النبي صلى الله عليه و سلم تداوي جراحه و تحل مشكلاته إنها عطشى إلى النبع الصافي والمورد الزلال فهل نقوم بذلك الدور العظيم يقول الكاتب الايرلندي برناردشو : [ إن رجال الدين في القرون الوسطى ، قد رسموا لدين محمد صورة قاتمه ، لقد كانوا يعتبرونه عدواً للمسيحية ، لكنني اطلعت على أمره ، فوجدته أعجوبة ، و توصلت إلى أنه لم يكن عدواً للمسيحية بل يجب أن يسمى منقذ البشرية و في رأي لو أنه تولى أمر العالم اليوم ، لوفق في حل مشكلاتنا بما يؤمن السلام الذي يرنو البشر إليه ]

٢/ الدفاع عن النبي صلى الله عليه و سلم من خلال التالي :

أ) استنكار هذا الاعتداء عبر خطب الجمعة و القنوات الفضائية و الصحف و مواقع الإنترنت .

ب ) مقاطعة بضائع تلك الدول مقاطعة تامة و تشجيع الناس على ذلك .

ج ) توجيه خطابات استنكار بلغة القوم و بيان شناعة تلك الجريمة .

د ) التواصل مع العلماء والدعاة للقيام بدورهم في الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه و سلم .

## رابعاً : ما هي دلالات الحدث ؟

١) ما تنطوي عليه قلوب الأعداء من الكيد و المكر للإسلام و رسول الإسلام و ذلك ينبها إلى ضرورة استغلال مثل هذا الحدث لإحياء عقيدة الولاء و البراء .

٢) أن المستقبل للإسلام و أن النصر قريب فعلينا أن نبث التفاؤل و نبشر بدين الإسلام

سنعود للدنيا نطبب جرحها *** سنعود للتكبير و التأذين

ستسير فلك الحق تحمل جنده *** وستنتهي للشاطئ المأمون

بالله مجراها و مرساها فهل *** تخشى الردى و الله خير ضمين

٣) عظم شخصية النبي صلى الله في نفوس أمته و أتبعه فالعلم الإسلامي كله يثور نصرة لنبيه و هي فرصة للدعاة و المصلحين لاستغلال هذا الحدث للعودة بالأمة إلى هدي نبيها صلى الله عليه و سلم و اجتذابها إلى طريق الهدى و الاستقامة و تحريك شوقها نبيها فكم من الناس كان هذا الحدث في المرة الأولى نقطة تغير في حياته فأقبل على سيرة نبيه و هديه و تعلق قلبه بحبه فذاق السعاة الحقيقية هل نروي عطش هؤلاء المحبين من النبع الصافي

تأخرت عن وعد الهوى يا حبيبنا *** وما كنت عن وعد الهوى تتأخر

سهدنا وفكرنا وشاخت دموعنا *** وشابت ليالينا ، وما كنت تحضر

تعاودني ذكراك كل عشية *** ويورق فكر حين فيك أفكر..

وتأبى جراحي أن تضم شفاهها *** كأن جراح الحب لا تتخثر
أحبك . لا تفسير عندي لصبوتي *** أفسر ماذا ؟ والهوى لا يفسر
تأخرت يا أغلى الرجال ، فليلنا *** طويل ، وأضواء القناديل تسهر
تأخرت .. فالساعات تأكل نفسها *** وأيامنا في بعضها تتعثر
أتسأل عن أعمارنا؟ أنت عمرنا *** وأنت لنا التاريخ.. انت المحرر
تذوب شخوص الناس في كل لحظة *** و في كل يوم أنت في القلب تكبر

ويقول الدكتور الدلاني

على الرغم من أن العوائق في وجه الإسلام كبيرةٌ جداًا! لكنَّ (الله أكبر)..
وعلى الرغم من أن الجهود التي تبذلها "حمّالة الحطب " في الصد عن سبيل الله هي ضخمة جداً!
لكنها تغدو غثاء أمام كلمة الله ..

والبشائر بانتشار الإسلام كثيرة ، سأذكر بعضاً منها :
أولاً : الأمل بالله تعالى يقين بأنه سيحفظ دينه ، لأنه تكفّل بحفظ كتاب هذا الدين : (( إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ )) . وتكفّل بحفظ هذه الأمة من الاستئصال : (( لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى )).. هذا هو وعد الله (( إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعاد)) والمسلم لاييأس أبداً ، فقد علّمه الإسلام أن اليأس ضرب من كفر : (( وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ))
.
يقول أديب العربية والإسلام" مصطفى صادق الرافعي": " ليس لمصباح الطريق أن يقول إن الطريق مظلم ، وإنما عليه أن يقول ها أنذا مضيء ".

ثانياً : نحن أمة قد تشكّلت وجوداً وثقافة وحضارة من خلال القيم المعصومة في القرآن والسنة والسيرة المطهرة ، وهذه القيم لا زالت مصونة بحفظ الله ، وتنتظر من يؤمن بها ويتمثلها ويحملها ليعيد البعث الحضاري من جديد . . يقول د. محمد إقبال :

عطايانا سحائبٌ مرسلاتٌ *** ولكنْ ما وجدْنا السّائلينا
وكل طريقنا هديٌ و نورٌ *** ولكنْ ما وجدنا السّالكينا
ولو صدقوا وما في الأرض نهرٌ *** لأجرينا السماء لهم عيونا

وإن عجلة الحضارة لن تدور دون عزمٍ أو أنين ، ولا بد لكل أمة من لحظةٍ عُليا عليها أن تقرّر فيها ، وأمتنا لم تمت وإنما هي في سبات ولا بد للنائم أن يستيقظ يوماً .

إنّ الطيورَ وإن قصصتَ جناحَها *** تسمو بفطرتها إلى الطيرانِ

يقول الشيخ محمد عبده : " لا تزال الشدائد تنزل بالمسلمين حتى يفيقوا ، وعند ذلك يجدون هذا الكتاب الكريم في انتظارهم ، يعدُّ لهم وسائل النجاة ، ويؤيدهم بروح القدس ، فيكتشفون أنفسهم ، ويشهدون ما كان قد كمن فيها من قوة، فيأخذ بعضهم بيد بعض ..
وهذا الكتاب المجيد ، لا بد له أن يعود ويرجع إلى موطنه الأول من قلوب المسلمين ، وقد وعد الله بأن يتمَّ نورَه وبأن يظهره على الدين كله ، ولن ينقضي العالم حتى يتم ذلك الوعد ، وليس بيننا وبين

هذا الوعد إلا الزمان الذي لا بد منه في تنبيه الغافل ، وتعليم الجاهل ، وتوضيح المنهج ، وتقويم الأعوج ، وهو ما تقتضيه السنة الإلهية في التدريج : " إنهم يروْنَه بعيداً ونراه قريباً ".

### ثالثاً : استشفاف قيم التاريخ الإسلامي :

نحن أمة لم تنبت فوق ظهر الأرض من غير جذور ..

إنّ إسلام أسلافنا معنا ، وإن قلوبهم ما زالت تخفق في صدورنا ، وإن كان ثمة شيء يدوّي في أعماقنا فلن يكون ذلك سوى الإسلام ، وإذا أمكن هزيمة الواقع فلن يمكن بحال هزيمة التاريخ ، ومن تاريخنا المنتصر سنعرف ـ بإذن الله ـ كيف نصوغ انتصار المستقبل .

وأنا لست أرمي من هذا الكلام إلى أن ننام على هدهدات التاريخ ، بل الذي أقصده هو أن نسأل التاريخ ، ذلك الشيخ الصادق الوقور ، عن قصته مع الإسلام ، وأن نسأل الحضارة هل عرفت أتقى وأنقى وأذكى من رجال الإسلام ؟

وإذا كنا الآن نعاني من أزمة نخبة ، فإنا لا نعاني أبداً من أزمة أمة ، فأمتنا يسكن في أعماقها المخزون النفسي والروحي الكبير الذي لا يبرز إلا في المحن ، وإن في الصمود الأعزل الكبير لرجال جنين في وجه الصهاينة المسلحين أوضح مثل ، والأيدي المؤمنة المتوضئة ستحسن البناء لو أتيح لها إلى العمل ، والنور لا زال مشعاً في الجبين ، والخير ما زال كامناً في اليمين ، ولكنه ككمون النور في الحجر ، إن قدحتَه أورى ، وإن تركته توارى .

يقول الدكتور محمد إقبال : "هناك من غادر الركب لأن الحادي لم يملك الكلام الذي يسحر به القلوب ! يا حادي الركب : لا تيأس منهم إن كنت حكيماً ، تنقص المسافرين العزيمة ولكن لا تنقصهم الرغبة في الوصول" .

وظنّــي يقــينٌ بــأنَّ بـــلادي *** ستُنبتُ بين الطحالبِ نخـلا
ومن بين شوكٍ وصخرٍ ستنبتُ *** أرضي خزامى ووردأ وفُـلاّ
ففي كل زنـــدٍ مضـــاءٌ تجلّى *** وفي كل عينٍ ضيــاءٌ أطـلا
قريباً ســيقفو الرعيلُ الرعيلَ *** فنمســـحُ جهلاً ونغسلُ ذُلاّ

ويقول د.محمد إقبال : " افتح عينيك كالنرجس أيها الزهر النائم ، فقد أغار على أرضنا الأعداء .. لقد أصبح بحرك أيها المسلم هادئاً ساكناً كالصحراء . عجباً لهذا البحر الذي لا يهيج ! انهض أيها المسلم ، أنت للسُّنن حارس وأمين ، أنت لهذا الكون يسار ويمين ، اشرب كأساً فائضة اليقين ، الغياث من الإفرنج الذين خلبوا العقول وخدعونا مرة بالرقة والدلال .. ومرة بالقيود والأغلال .

أيها المسلم اضرب خيمتك حيث شئت ، ولتكن خيمتك قائمة على عُمُدك وأطنابك ، ولا تنسَ أن استعارة الأطناب من الأجانب حرام ".

لقد استطاعت أمتنا بفضل الله أن تسجل في نصف قرن قفزة فوق القرون انتقلت بها من القرون الوسطى إلى القرن الحادي والعشرين ، وفي قابل الأيام ندعو الله أن يعينها على قفزة أخرى إلى المستقبل .. هذا هو وعد الله الذي لن يتحقق حتى يقول كل مسلم : أشرقي يا شمس الإسلام من هنا ... من عندي أنا .

إن المسلم اليوم أمام خيارين اثنين : إما أن يسعى إلى تغيير نفسه ليتغير العالم ؛ وإما أن يغيّر اسمه ..إلى علماني أو إلحادي أو ديمقراطي أو ليبرالي أو فتحاوي أو سبعاوي أو نهضاوي أو نصراوي أو ، أو فما أكثر التأوِل .

يا لُبينى أوقـــدي طـــال المدى *** أوقـــدي علّ على النـــار هُـدى

أوقـدي يا (لُبنُ) قد حـــار الدليـلْ *** أوقـدي النــار لأبنـــاء السـبيلْ
شَــرّدي هـذا الظـلام الجاثمـــا *** أرشـدي هـذا الفـراشَ الهائـما
ليلُ هذا الركب في البيداء عسعسْ *** أقبلـــي يا (لُبنُ) بالنور المقدسْ
هلَّـت الأنـــوار والبشــرى علينا *** أرشـدي فيها الحيارى يا (لبينى)
أرشــدي كلَّ الحيارى في الدروبْ *** بالشــذا والنور في وجه الحبيبْ

يا أيتها الدعوة :

مُرّي بترنيمك السماوي على أسوار هذه الأرض المحرومة من النور .. لعلّ هذا الناس يصحو من سباته الطويل ، ويقبس إشراقة من هذا الحُداء الجديد ..

وأحرقي أيتها الدعوة بنارك حطب النظام العالمي الجديد ، وهشيم المُجّان الواقفين في طريقك العتيد ..

* * *

من كتاب بعنوان : محمد خاتم المرسلين

د.عبد المعطي الدالاتي

## وفي الختام

بنوا قومى أفيقوا تالله إنتبهوا ... سود الزمان هذا بالسخرية من خير الأنام وكلنا عن هذا مسئول وسيقف أمام ربه وسيحاسبه والسعيد من كان حسابه يسيرا ويا خيبة من كان حسابه عسيرا .

عرضت لكم إخوتى الأكارم أقوال وأعمال والله أعطانا الوسع والحول والقوة ، ويعلم جل شأنه ما فى وسعي ووسعك .. يعلم إرادتى وإرادتك ... يدرى همتى وهمتك

.

وبعد هذا كله أقول : أفيكم منتصر للرسول

حاكم : بأن لا ترتضى بشرعة الله بديلاً ولا عن سنة رسوله تحويلاً

عالم : إعلم أن الله موقفك لمشهد عظيم طالما حدثت الناس عنه ، فماذا أعددت أنت له إزاء هذا الموقف بماذا أقرأك العلم يا ملح البلاد ومجلى بالحقيقة قلوب العباد .

محكومين : بماذا أجبتم خاتم النبيين ؟ أين هديه من حياتكم ؟ أين أدبه من أدآبكم ؟ أين معاملته من معاملاتكم ؟ أين همه من هوومكم ؟ أين أمنيته من أمانيكم .

الشاب : هل عرفت رسولك ؟ هل صدقت بكتابك ؟ لماذا أجدك متتبع لكل بضاعات أعدائه ؟ لماذا تسمم فكرك بقبيح أفكارهم ؟ أنت قدوتك واحد وهم مقلدون لألف واحد وواحد .

يا فتاتنا : يا أم العلماء .. يا أخت الشهداء .. يا جليسة الصالحين ... إلى أى مدى فتنوكِ عن هذا الدين؟ فتبعتي موضاتهم وقصّات شعورهم وعريهم وإباحيتهم وإلتوى لسانك للتحدث بلسانهم وتركتِ صيانة وديانة أتى لكِ بهما من تدعى حبه ... فأين هذا الحب منك أين الغيرة منك على سيد ولد آدم ..؟ أين من الإسلام أنتِ أين أين ؟

هل إسلامك فى قطعة قماش غطيت بها شعركِ ولويت النص لتصدقي أن هذا حجاب ؟

هل إسلامك فى تاييرك الذى تسربلتى فيه تظنينه ستر وهو ليس حتى سترً لأهوائك ؟

هل إسلامك فى إهمالك جيلك الوليد وتركه فريسة للعشوائية وتربية القنوات ؟

هل إسلامك فى تحملك مشاق أنت لست بها مكلفة وتنتهكى سترك فى عربات المواصلات وأنتِ مطالبة بالقرار فى البيت لتعمير الدار وسكان الدار . {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً }الأحزاب٣٣

والزَمْنَ بيوتكن، ولا تخرجن منها إلا لحاجة، ولا تُظهرن محاسنكن، كما كان يفعل نساء الجاهلية الأولى في الأزمنة السابقة على الإسلام، وهو خطاب للنساء المؤمنات في كل عصر. وأدِّين - يا نساء النبي- الصلاة كاملة في أوقاتها، وأعطين الزكاة كما شرع الله، وأطعن الله ورسوله في أمرهما ونهيهما، إنما أوصاكن الله بهذا؛ ليزكيكنَّ، ويبعد عنكنَّ الأذى والسوء والشر يا أهل بيت النبي -ومنهم زوجاته وذريته عليه الصلاة والسلام-، ويطهِّر نفوسكم غاية الطهارة.

هل إسلامك فى تحديك لقول الرسول ونزولك متعطرة ليشم ريحك الرجال وتحملى وزر زانية فى كل شمة يشمها رجل لعطرك وترجين النجاة .

والله لنجاتك فى يتهمك الرجال بالقذارة ولا تحشرى فى زمرة الزناة .. يا رب نسألك السلامة .

يا أمتى ماذا بقى بعد أن سب الإله ورسول الإله ودنس كتاب الإله ببول الأتجاس الأرجاس أمنتظرين باص السلام الذى أستولى عليه قاطعى طريق الحرية والعبودية لجميع البشرية ؟

{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ }الأعراف٩٦

ولو أنَّ أهل القرى صدَّقوا رسلهم واتبعوهم واجتنبوا ما نهاهم الله عنه، لفتح الله لهم أبواب الخير من كلِّ وجه، ولكنهم كذَّبوا، فعاقبهم الله بالعذاب المهلك بسبب كفرهم ومعاصيهم.

وإلى كل ولى أمر إنتبهوا بالله خالفتم وصايا رسول الله فى كل مناحى الحياة فظهر الفساد واستشرى الداء حتى صار بلاء .

الأمة الآن مبتلاة بمرض إجتماعى خطير لو ماتم علاجه لكانت العقبات وخيمة الآن فى أمة الإسلام كل رجل واحد يقابله ثمانٍ من النسوة .

لما غليتم المهور

لما شرهتم للذهب

لما طمعتم فى متع حتماً لزوال

لما قدمتم السيارة على الأخلاق

وقدمتم الفيلا على الفضيلة

وقدمتم التلفاز على قول أرحم الناس

لما قدمت الوظيفة عند المخلوق على الوظيفة عند ملك الملوك

بدلتم وحرفتم ... ( من جـاءكم من ترضـــون دينه وخلـــقه فزوجوه، وإلا تكن فتنة فى الأرض وفـــساد كبير )

فعن ماذا أنتم راضون الآن عن كثرة البنات بغير زواج عن كثرة العوانس والمطلقات عن كثرة المترملات ... عن ماذا أنتم راضون يا من تخليتم عن نصرة الرسول .. {وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً } النساء٩

ولْيَخَفِ الذين لو ماتوا وتركوا من خلفهم أبناء صغارًا ضعافًا خافوا عليهم الظلم والضياع، فليراقبوا الله فيمن تحت أيديهم من اليتامى وغيرهم، وذلك بحفظ أموالهم، وحسن تربيتهم، ودَفْع الأذى عنهم، وليقولوا لهم قولا موافقا للعدل والمعروف.

أنصره وانصريه إنه الرسول ،بتقديم أمره على جميع الأوامر وتقديم محابه على جميع المحبوبات

أنصره بالله وابدأ بنفسك ومن الآن ... اللهم صل على محمد النبي الأمي و على آل محمد كما صليت على إبراهيم و على آل إبراهيم و بارك على محمد النبي الأمي و على آل محمد كما باركت على إبراهيم و على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.. اللهم إني أسألك فعل الخيرات و ترك المنكرات و حب المساكين و أن تغفر لي و ترحمني و تتوب علي و إذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون .

(أتحبون أيها الناس أن تجتهدوا في الدعاء ؟ قولوا : اللهم أعنا على شكرك و ذكرك و حسن عبادتك) اللهم أسلمت وجهي إليك و فوضت أمري إليك و ألجأت ظهري إليك رغبة و رهبة إليك لا ملجأ و لا منجا منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت و بنبيك الذي أرسلت ، اللهم اجعل في قلبي نورا و في لساني نورا و في بصري نورا و في سمعي نورا و عن يميني نورا و عن يساري نورا و من فوقي نورا و من تحتي نورا و من أمامي نورا و من خلفي نورا و اجعل لي في نفسي نورا و أعظم لي نورا ، اللهم احفظني بالإسلام قائما و احفظني بالإسلام قاعدا و احفظني بالإسلام راقدا و لا تشمت بي عدوا و لا حاسدا اللهم إني أسألك من كل خير خزائنه بيدك و أعوذ بك من كل شر خزائنه بيدك ، اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري و أصلح لي دنياي التي فيها معاشي و أصلح لي آخرتي التي فيها معادي و اجعل الحياة زيادة لي في كل خير و اجعل الموت راحة لي من كل شر ، اللهم اغفر لي خطيئتي و جهلي و إسرافي في أمري و ما أنت أعلم به مني اللهم اغفر لي خطئي و عمدي و هزلي و جدي و كل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت و ما أخرت و ما أسررت و ما أعلنت أنت المقدم و أنت المؤخر و أنت على كل شيء قدير، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا و بين معاصيك و من طاعتك ما تبلغنا به جنتك و من اليقين ما يهون علينا مصيبات الدنيا و متعنا بأسماعنا

و أبصارنا و قوتنا ما أحييتنا و اجعله الوارث منا و اجعل ثأرنا على من ظلمنا و انصرنا على من عادانا و لا تجعل مصيبتنا في ديننا و لا تجعل الدنيا أكبر همنا و لا مبلغ علمنا و لا تسلط علينا من لا يرحمنا ... وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِ العالمين ، وصلى الله على المبعوث رحمة للعالمين محمد الصادق الأمين وعلى الآل والصحب وكل من سلك الدرب .

سبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك .

.*.*.*.*.*.*.*.*.*.*.*

خادم الكتاب والسنة على نهج سلف الأمة
أبوكفاح الدين
أحمد بن محمد السعيد العزيزي
العنوان البريدي
Ahmed_kfah@hotmail.com